طريق الهداية

مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة

لأبي عبد الله

د. محمد يسري

نائب رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة



طريق الهداية

مبادئ ومقدمات علم التوحيد

عند أهل السنة والجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع

٢٠٠٤/١٨٤٧١



الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م



٢٠ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة، امتداد مصطفى النحاس، مدينة نصر، القاهرة.

تليفاكس: (٢٤٧٠٩٢٦٩).

محمول: (٠١٠٣٥٦٩٢٠٨)

البريد الإلكتروني: **alyousr@Gmail.com**

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله، بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تتنزل البركات، ومن معين جوده تجتني الخيرات، ثم الصلاة والسلام على خير البريات نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .. وبعد

فهذه طبعة جديدة لكتاب طريق الهداية، تتمتع بمراجعة دقيقة، وتصحيحات مهمة، وإضافة لمجمل عقيدة أهل السنة، وهو متن «درة البيان في أصول الإيمان» كما أضيفت طبعات جديدة لكتب العقيدة عند أهل السنة والجماعة، ثم إن الكتاب قد أعيد تصميمه ليكون منهجًا دراسيًّا تختم أبوابه بأسئلة متعددة لتقيس الفهم وتعين على التقويم.

وأرجو الله تعالى أن يتقبل منا وممن أعان على إخراج هذا الكتاب في هذه الحلّة البهيجة، وأن ينفع به إخواننا في كل مكان، إنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو عبدالله

د. محمد يسري

١٧ رمضان ١٤٢٩هـ

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد...

فإن توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة هو غاية خلق العالمين، وهو أصل دعوة المرسلين، وهو أول ما يخاطب به الناس من أصول الدين، وهو سبب العصمة والأمن في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة، وهو الشرط لصحة وقبول سائر الطاعات.

أما إنه غاية خلق العالمين، فلقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦].

وأما إنه دعوة الرسل أجمعين فلقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، فالتوحيد حق الله على العبيد.

وأما إنه أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين فلقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، ولقوله ﷺ لمعاذ ﷺ حين أرسله إلى اليمن: «**يا معاذ: إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...**»[1].

وأما إنه سبب العصمة والأمن في الدنيا فلأن الإقرار بالتوحيد يعصم الدم والمال، ويثبت عقد الإسلام، كما قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله**»[2].

والتوحيد يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢].

وأما إنه سبب النجاة والفوز في الآخرة فلقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة: ٧٢].

ولقوله ﷺ حين سئل: وما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»[3]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: «**يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**»[4].

وأما إنه الشرط لصحة وقبول سائر العبادات، فلقوله تعالى في حق المؤمنين العاملين: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾[النساء: ١٢٤]، ولقوله جل وعلا عن أعمال الكافرين: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان: ٢٣]، فالشرك محبط

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٠، ٦٩٢٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠، ٢١)، واللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (٩٣)، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) بسند صحيح.

لجميع الطاعات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الزمر: ٦٥]، فكما لا تقبل صلاة بغير وضوء، لا تقبل عبادة بغير توحيد.

فالتوحيد أول ما يتعلمه المسلم، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد:١٩]، وأوجب ما يدعو الناس إليه، قال تعالى على لسان أنبيائه: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[الأعراف: ٥٩]، فهو عمدة الأصول التي ينطلق منها الداعية في دعوته إلى الله، وخلافته لرسول الله ﷺ، ولرسل الله عامة.

والتوحيد أصل كل صلاح في هذه الحياة، كما أن الشرك أصل كل فساد، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأصل الصلاح: التوحيد والإيمان، وأصل الفساد: الشرك والكفر[1].

ولأجل ذلك كله كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يعتنون بالتوحيد علمًا وتعليمًا، كما يعتنون به عملًا وتطبيقًا ودعوة، وكان عمدتهم في التعليم والتلقين آيات الكتاب الكريم، وأحاديث النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فلم تقم لديهم حاجة إلى التدوين لتعويلهم على الوحيين، فلما نبتت البدع وظهرت الفرق، اضطر السلف إلى كتابة الردود على أهل الأهواء، بجمع الآثار والأحاديث المروية في الأبواب التي وقعت فيها المخالفة، ثم كتبت كتب تجمع الآثار مرتبة على مسائل الاعتقاد نصرة للحق وبيانًا لصحيح المعتقد.

ثم دونت مسائل العقيدة عند أهل السنة مستدلًا عليها مع مناقشة مذاهب أهل البدع والرد عليها، وكان هذا في مقابل ما ألّفه أهل الأهواء في تقرير انحرافاتهم.

ثم إن المتأخرين عنوا بتدوين مقدمات ومفاتيح للعلوم، تتضمن عشرة مبادئ للتعريف بالعلم، لتنشط الطالب في تحصيله، وتعينه في طريقه.

---

(١) مجموع الفتاوي لابن تيمية (١٨/ ١٦٣).

فقال قائلهم:

إن مبـــادي كـــلِّ فـــن عـــشره ... الحـــدُّ والموضـــوعُ ثـــم الثمـــره

وفـــضلُه ونـــسبةٌ والواضـــعْ ... الاسـمُ الاسـتمدادُ حكـمُ الـشارعْ

مـسائلٌ والـبعض بـالبعض اكتفـى ... ومـن درَى الجميـع حـاز الـشرفا

وكان علم التوحيد من العلوم التي كتبت فيها تلك المقدمات، والمبادئ المهدات، فكان العجب لا ينقضي حين قدَّم المتكلِّمون لعلم التوحيد فسموه بغير اسمه! وعرَّفوه بما يزيده إبهامًا! وقرّبوه للطالب فصعَّبوا مناله، وأقاموا أدلته بما يملؤه التباسًا، وموّهوا بأن واضعه بعدما جاءت به المرسلون، بعض المتأخرين عن عصر التابعين وتابعي التابعين، وألبسوا حُلَلَ فضله – زورًا وبهتانًا – لما أسموه بعلم الكلام، المقتبس من منطق وفلسفة اليونان.

فأردت أن أصل مؤلفات أهل السنة العظيمة في علم التوحيد، بمقدمة في التعريف به، تعيد الحق إلى نصابه، وتدفع عن مبادئ علم التوحيد شبهاته، فاستعنت بالله تعالى وهو خير مستعان، فكتبت معرِّفًا بأهل السنة والجماعة، وبينت حقيقة منهجهم، وبم تتم النسبة إليهم، ونسجت على تلك المبادئ العشرة لعلم التوحيد على طريقتهم، فليس بين ما كتبه المتكلمون وبين ما في هذا الكتاب من مبادئ علم التوحيد إلا الأسماء.

ثم أردفت ببيان خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة، وقواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد.

وأخيرًا ختمت الكتاب بملحقين، تضمن أولهما فهرسة تفصيلية لموضوعات ومسائل الاعتقاد، وتضمن الثاني تعريفًا بمائة كتاب من كتب الاعتقاد الصحيح من لدن الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان وإلى وقت الناس هذا.

ولسان الحال والمقال ينطق بأن السلف أهل السنة والجماعة، هم أهل الإسلام

السالم عن كل شوب، الصافي عن كل كدر، وهم من لدن النبي ﷺ وإلى يوم الناس هذا على نمط واحد في الاعتقاد، لا يخرجون على الحق، ولا يخرج الحق عنهم.

وهذا الكتاب وإن خلا عن سرد عقائدهم، وبيان تفاصيل أصولهم ومناهجهم إلا أنه يمثل مدخلًا مهمًا لطالب هذا العلم، ويمهد لمدخل ثانٍ – يلحقه قريبًا بعون الله تعالى – يميز به السالك على طريق التوحيد أهل البدع، ويتعرف على أنواعهم، وأحكامهم، ومناهج النظر والتلقي لديهم، ومنهج أهل السنة في معاملتهم.

ثم يأتي الكتاب الثالث -بمشيئة الله- يحمل عقائد أهل السنة مسندة ومسدَّدة، تبيانًا وبرهانًا على معتقدات الأئمة، وفرقانًا بين السنة والبدعة.

وهو واسطة عقد هذه المداخل، وحجر الزاوية منها، وبخروج هذا المدخل الأول يكون الثاني في إثره، ويتلوهما الثالث بإذن الله تعالى ومشيئته.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أزجي الشكر عاطرًا، والدعاء خالصًا إلى كل من أعان على إكمال هذه المداخل بقلم أو رأي أو نصح أو جمع أو مراجعة.

والله أسأل أن يتقبل منا جميعًا بقبول حسن، وأن يحسن نياتنا في جميع أقوالنا وأعمالنا، إن ربي قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
أبو عبد الله
محمد يسري
القاهرة
غرة ربيع الأول ١٤٢٥هـ
E.mail: mohamed_yousri@hotmail.com

الباب الأول

أهل السنة والجماعة

الفصل الأول: **مصطلح أهل السنة والجماعة.**

الفصل الثاني: **سبب التسمية وذيوعها.**

الفصل الثالث: **مشروعية هذه التسمية.**

الفصل الرابع: **بين مصطلح أهل السنة ومصطلحات أخرى.**

الفصل الخامس: **الخصائص والصفات العامة لأهل السنة والجماعة.**

الفصل السادس: **الانتساب لأهل السنة والجماعة.**



الفَصْلُ الأَوَّلُ

مصطلح أهل السنة والجماعة



الفصل الأول

مصطلح أهل السنة والجماعة

أولًا: تعريف المصطلح باعتبار مفرداته:

١ - تعريف السنة لغة واصطلاحًا:

السنة لغة[(١)]:

السيرة والطريقة: حسنة كانت أو قبيحة، وهي مأخوذة من السَنَن وهي الطريق.

قال ابن فارس: «سن - السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنُّه سَنًّا، إذا أرسلته إرسالًا».

«ومما اشتق منه السُّنة، وهي السيرة، وسنة رسول الله ﷺ سيرته.

قال الهُذلي:

فلا تجزعنْ من سيرة أنت سرتها

فأول راضٍ سنةً من يسيرها»[(٢)]

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[النساء:٢٦]، أي: يهديكم سنن الذين من قبلكم، يعني طرائقهم الحميدة[(٣)].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣٩٥-٤٠٢)، والقاموس المحيط للفيروزابادي ص١٥٥٧-١٥٥٩، ومختار الصحاح للرازي ص١٣٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٦٠-٦١).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٠).

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾[الانفطار:٥]، قال: «أخرت من سنةٍ يُعمل بها من بعده»[١].

ومن ذلك الحديث: «**من سن في الإسلام سنة حسنة... ومن سن في الإسلام سنة سيئة**»[٢].

قال ابن الأثير: «وقد تكرر في الحديث ذكر السنة، وما تصرف منها، والأصل فيه: الطريقة والسيرة»[٣].

وهذا المعنى هو المراد هنا من معاني «السنة» اللغوية، وقد تُطلق السنة ويُرَاد بها:

- **البيـان:**

كما قال الله تعالى: ﴿ **سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ** ﴾[الأحزاب:٣٨، ٦٢].

نصب «سنة» على إرادة الفعل؛ أي: سَنَّ الله ذلك بمعنى بيّنه[٤].

- **العادة الثابتة المستقرة:**

كما في قوله تعالى: ﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً** ﴾[الإسراء:٧٧].

فالسنة هنا تعني: العادة الثابتة التي حكم الله بها وقضاها[٥].

وهذا المعنى قريب من سابقه، وكلاهما يتفق مع التفسير السابق للسنة بالسيرة والطريقة.

وقيل: هي الصَّقْل والتزيين[٦]، وقيل: التقوية[٧]، والذي يعنينا هنا هو المعنى الأول، وهو موافق لبعض المعاني الاصطلاحية للسنة.

---

(١) التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (٥٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله ﷺ.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٤٠٩)، ولسان العرب لابن منظور (٦/ ٣٩٩).

(٤) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٣٩٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤).

(٦) انظر: لسان العرب لابن منظور (٦/ ٤٠٠)، والمعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية (١/ ٤٧٣).

(٧) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٣٩٦).

السنة اصطلاحًا:

ثم إن السنة -بعد ذلك- لها معان اصطلاحية متعددة بحسب الفن الذي ترد فيه، فالسنة عند الفقهاء غيرها عند المحدثين، غيرها عند الأصوليين.

لكن يعنينا هنا معناها عند علماء الاعتقاد، وهي عندهم على معنيين: الثاني منهما متفرعٌ عن الأول، ومتأخِّرٌ عنه.

فالأول هو الأصل في إطلاق السنة في اصطلاح السلف، وهو:

«ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والعمل والهدي وكل ما جاء به مطلقًا»

وهذا اصطلاح عامّ، فيشمل التوحيد وغيره، فالسنة بهذا الاعتبار تطلق على طريقة النبي ﷺ وأصحابه علمًا وعملًا، اعتقادًا وسلوكًا، خلقًا وأدبًا، وهي السنة التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها، ويذم من خالفها.

فهي على هذا المعنى مرادفة للدين والشريعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «السنة هي الشريعة، وهي ما شرعه الله ورسوله من الدين»[(١)].

وقال أيضًا: «إن السُنَّة التي يجب اتباعها ويُحمَد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقاد، وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يُعرف بمعرفة أحاديث النبي ﷺ الثابتة عنه، في أقواله وأفعاله، وما تركه من قولٍ وعمل، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسانٍ»[(٢)].

فالسُّنة هي: ما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ، من الشرع والدين، والهدي الظاهر والباطن، وتلقاه عنهم التابعون ثم تابعوهم، ثم أئمة الهدى العلماء العدول،

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٨).

المقتدون بهم، ومن سلك سبيلهم إلى يوم القيامة[١].

ومن ذلك: قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ في وصف المدينة: «وهي دار الهجرة والسنة»[٢].

وقال ابن رجب: «وعن سفيان الثوري، قال: استوصوا بأهل السنة خيرًا فإنهم غرباء[٣]، ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات»[٤].

ويشهد لهذا المعنى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[٥].

فالإطلاق الأول للسنة هو ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والعمل والهدي في أصول الدين وفروعه.

أما الإطلاق الثاني فيقصد به«العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة»

حيث أطلق السلف مصطلح «السنة» على أصول الدين، وفرائض الإسلام، وأمور الاعتقاد، والأحكام القطعية في الدين، وعلى هذا جرى الإمام أحمد وغيره من الأئمة في تصنيفهم كتب الاعتقاد باسم السنة.

وعليه فالسنة تطلق عندهم على: «ما سلم من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة»[٦].

وقال ابن رجب: «وكثير من العلماء المتأخرين يخص السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم»[٧].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٥٨).

(٢) التاريخ الكبير، لابن أبي خيثمة (١٣٥٢).

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٤).

(٤) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب ص١٧، ١٨.

(٥) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب ص٢٦-٢٨.

(٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ١٢٠).

ويُلاحظ في سبب هذا الإطلاق والاصطلاح الاعتقادي للفظ السنة؛ أن السنة من مصادر التلقي للعقيدة الصحيحة، وبها تثبت أحكام الاعتقاد.

فإذا قيل مذهب أهل السنة؛ فالمراد: معتقداتهم وأقوالهم في أصول الدين.

ومما يشهد لهذا المعنى قول سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم»[١].

وقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء...»[٢].

وعلى هذا فالسنة تقابلها البدعة، وعليه يحمل قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[٣].

وقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة، وينهى عن البدعة عبادة»[٤].

وقال أبو المليح: «وكان كَتَبَ عمر بن عبد العزيز راجيًا السنة وإماتة البدعة»[٥].

وقال ابن يونس: «امتحِن أهل الموصل بالمعافى بن عِمْران فإن أحبُّوه فهم أهل سنة، وإن أبغضوه فهم أهل بدعة، كما يُمْتَحَنُ أهل الكوفة بيحيى»[٦].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٥، ١٥٦).

(٢) العلو للعلي العظيم للذهبي ص١٢٠.

(٣) رواه الدارمي (١/ ٨٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٩)، وصححه الألباني في صلاة التراويح ص٦.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٥٤).

(٥) التاريخ الكبير، لابن أبي خيثمة (٤٦٢٨).

(٦) رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ (٤٦٥٧)، ومن طريقه اللالكائي (١/ ٦٦).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله»(١).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء أهل السنة»(٢).

ومن هذا الباب ما يأتي بعد قليل عن ابن سيرين وغيره أثناء الكلام عن مصطلح أهل السنة باعتبار تركيبه الإضافي.

والسنة في هذا كله بمعنى الاعتقاد الصحيح المقابل لاعتقاد أهل البدع الباطل.

وكان السلف يفرقون في هذا المقام بين السنة والحديث، قال ابن مهدي: «الناس على وجوه، فمنهم من هو إمام في السنة، إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري»(٣).

ولما سئل ابن الصلاح عن الفرق بين قولهم عن مالك إنه جمع بين السنة والحديث فما الفرق بين السنة والحديث؟ أجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «السنة ههنا ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك رضي الله عنه جمع بين السنتين، فكان عالمًا بالسنة أي: الحديث، ومعتقدًا للسنة، أي كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة، والله أعلم»(٤).

فلما ظهرت البدع، وانتشرت الفتن، ميَّزَ أهل السنة أنفسهم، ببقائهم على أصل الإسلام والشريعة، وخرجت عنهم الخوارج، واعتزلتهم المعتزلة، ورفضت الروافض، فتشتَّتَ أهل البدع وتفرَّقوا، ومكث أهل السنة على أصلهم الباقي على مرِّ الزمان، وهو ما شرعه النبي ﷺ وسنَّه لهم من السنة والجماعة.

---

(١) رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ (٤٧٠٢)، ومن طريقه اللالكائي (١/ ٦٤).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٣٢٧).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٦٣).

(٤) فتاوي ابن الصلاح (١/ ٢١٣) بتحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي.

ولَمَّا كان أكثر الاختلاف بينهم وبين غيرهم في أمور الاعتقاد صار مفهوم السنة يعني السير على طريقة الصحابة والتابعين بإحسانٍ في أمور الاعتقاد خاصة، وأمور الدين عامة، ومن هنا نشأ المعنى الثاني للسنة.

٢- تعريف الجماعة لغة واصطلاحًا:

الجماعة لغة:

الجماعة: اسم مصدر اجتمع يجتمع اجتماعًا وجماعة، وصارت لفظة الجماعة تطلق على القوم المجتمعين بالنقل، حتى صارت حقيقة عرفية في القوم المجتمعين[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين»[٢].

والجمْع: اسم لجماعة الناس، والإجماع: الاتفاق والإحكام، يقال: أجمع الأمر أي أحكمه، ومنه إجماع أهل العلم، أي: اتفاقهم على حكم مسألة.

الجماعة اصطلاحًا:

ذكر الإمام الطبري الأقوال في معنى الجماعة، ونقلها عنه ابن حجر[٣]، وردَّ الأقوال إلى أربعة أقوال هي:

- السواد الأعظم من أهل الإسلام.
- أئمة العلماء المجتهدين المتبعين لمنهج الفرقة الناجية.
- الصحابة على وجه الخصوص.
- المجتمعون على أمير شرعي.

وكذا قال الشاطبي، وزاد قولًا خامسًا وهو جماعة أهل الإسلام[٤].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٣٥٥-٣٦١)، والمعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية (١/ ١٤٠، ١٤١).

(٢) مجموع الفتاوي (٣/ ١٥٧).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٧).

(٤) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٦٣).

وبمحاولة الجمع والتوفيق بين هذه الأقوال المتعددة، يلاحظ أن جملة هذه المعاني تؤول إلى معنيين اثنين:

١- ما عليه أهل الحق من الاتباع وترك الابتداع، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة، أو أهل العلم والحديث، أو الإجماع، أو السواد الأعظم، فهي كلها ترجع إلى معنى واحد هو: ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فيجب الاجتماع على الاتباع حينئذٍ، ولو كان المتمسِّك بهذا قليلًا، وهذا معنى علمي، ويشهد له قول ابن مسعود رضي الله عنه: «إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك»[١].

٢- المجتمعون على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها، وهذا معنى سياسي تشهد له كثير من النصوص الشرعية.

وهذا ما رجحه جمع من أهل العلم كالقاضي ابن العربي وغيره[٢].

وهو ما انتهى إليه د. عبد الرحمن المحمود في رسالته عن «موقف ابن تيمية من الأشاعرة»[٣]، والشيخ رضا بن نعسان معطي في تحقيقه ودراسته لكتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»[٤] لابن بطة، ود. محمد باكريم في رسالته «وسطية أهل السنة بين الفرق»[٥]، ود. جمال بادي في رسالته عن «وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق»[٦]، ود. ناصر العقل في رسالته «مفهوم أهل السنة والجماعة»[٧].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٠٩).

(٢) انظر: عارضة الأحوذي لابن العربي (٩/ ١٠)، والاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٦٠-٢٦٥)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٧).

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (١/ ١٦-١٧).

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة، تحقيق رضا بن نعسان معطي. مقدمة المحقق ص٧١، ٧٢.

(٥) وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم ص٩١-٩٦.

(٦) وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق د. جمال بشير بادي ص٨٧-١١٥.

(٧) مفهوم أهل السنة والجماعة د. ناصر العقل ص٦٩، ٧٠.

ثانيًا: تعريف المصطلح باعتبار تركيبه الإضافي:

وعلى هذا، فإن مصطلح أهل السنة والجماعة يُعنى به:

المستمسكون بسنة رسول الله ﷺ، الذين اجتمعوا على ذلك، وهم الصحابة والتابعون، وأئمة الهدى المتبعون لهم، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين[1].

«وهم أهل السنة والجماعة: المتمسِّكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه»[2].

«فهم الذين اجتمعوا على السنة وأجمعوا عليها، واجتمعوا على الحق وعلى أئمتهم، فجاء اسمهم ووصفهم مركبًا من أهل السنة والجماعة»[3].

«وهم المتبعون للعقيدة الإسلامية الصحيحة، الملتزمون منهج الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين»[4].

وهم المجتمعون على أئمتهم أبي بكر، وعمر ومن بعدهما، الصابرون على ولاتهم برّهم وفاجرهم.

كما سُئل الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ عن قول الناس: السنة والجماعة. وقولهم: فلان سني جماعي، وما تفسير السنة والجماعة ؟

فقال: «الجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب محمد ﷺ من بيعة أبي بكر وعمر، والسنة: الصبر على الولاة وإن جاروا وإن ظلموا»[5].

---

(١) يراجع: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٥٤٤-٥٤٦)، ورسائل في العقيدة لابن عثيمين ص٥٣، ومباحث في عقيدة أهل السنة د. ناصر العقل ص١٣، ١٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٤).

(٣) مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة د.ناصر العقل ص٧٥ - ٧٧.

(٤) المدخل لعقيدة أهل السنة د.البريكان ص١٣.

(٥) مشيخة ابن الحطاب ص١١٦.

فهم بالجملة كل من اجتمع على التمسك بالسنة ونبذ الفرقة، وجمع الدين قولًا وعلمًا وعملًا، مع الاجتماع على أئمة الحق والحرص على وحدة الصف، جمعًا بين واجبي الاتباع والاجتماع، واجتماعًا على الاتباع للمنهج الحق.

ومما سبق.. فإن من الوجوه التي يمكن التعرف منها على أهل السنة ما يلي:

أولًا: أنهم هم صحابة رسول الله ﷺ الذين تعلموا سنته وعلَّموها، وعملوا بها ونقلوها وحملوها رواية ودراية ومنهجًا، فهم أجدر من يستحق التسمي بأهل السنة؛ لسبقهم إلى السنة علمًا وعملًا وزمنًا.

ثانيًا: يليهم أتباعهم الذين أخذوا عنهم هذا الدين ونقلوه وعلَّموه وعملوا به من التابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فهم أهل سنة رسول الله ﷺ الذين تمسكوا بها ولم يبتدعوا ولم يتبعوا غير سبيل المؤمنين.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المستمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت عليها من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زايل عن منهج السنة وسبيل الحق»(١).

وكل من اقتدى - من العوام - بأهل العلم والاتباع فهو من أهل السنة، قال ابن حزم رحمه الله: «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم: الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم»(٢).

(١) طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى (١/ ٢٤).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/ ٩٠).

أسئلة الفصل الأول

من الباب الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- السنة لغة: السيرة والطريقة، حسنة كانت أو قبيحة.

٢- ليس من معاني السنة: العادة الثابتة المستقرة.

٣- السنة اصطلاحًا: ما كان عليه النبيﷺ من العلم والهدي وكل ما جاء به مطلقًا.

٤- تطلق السنة ويراد بها العقيدة الثابتة بالسنة فقط.

٥- إذا قيل: مذهب أهل السنة فالمراد: اعتقادهم وأقوالهم في الفقه وفروعه.

٦- لا يدل معنى الجماعة على ما عليه أهل الحق من الاتباع وترك الابتداع.

٧- الجماعة لغة: هي السواد الأعظم من أهل العلم.

٨- قيام المرء بطاعة الله ولو تركها الناس ليس من معاني الجماعة.

٩- أهل السنة والجماعة مصطلح يعنى به من اجتمعوا على حفظ متون الأحاديث النبوية.

١٠- لا يعد العوام من أهل السنة لجهلهم بكثير من الأحاديث النبوية.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١- السنة... هي السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة:

أ- لغة. ب-اصطلاحًا. ج- كلاهما صحيح.

٢- من إطلاقات السنة اصطلاحًا:

أ- العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة.

ب- ما سلم من الشبهات في الاعتقادات.

ج-كلاهما صحيح.

٣- من تعريف السنة... البيان:

أ- لغة. ب-اصطلاحًا. ج- كلاهما صحيح.

٤- كثير من العلماء المتأخرين يخص السنة بما يتعلق بالاعتقاد لأنه:

أ- لا يؤخذ المعتقد إلا من السنة.

ب- أصل الدين والمخالف فيه على خطر عظيم.

ج- سنة مؤكدة.

٥- الجماعة لغة:

أ- اسم مصدر اجتمع يجتمع. ب-السواد الأعظم من أهل العلم.

ج-كلاهما صحيح.

٦- من معانى الجماعة اصطلاحًا:

أ- السواد الاعظم من المسلمين. ب- الاجتماع الذي ضده الفرقة.

ج- القوم المجتمعون.

٧- من خالف مذاهب السلف الصالح في الاعتقاد فهو:

أ- مبتدع خارج عن الجماعة. ب- مبتدع إلا إذا كان من أهل الحرمين الشريفين.

ج- لا بأس عليه إن لغويًا بارعًا.

٨- مذهب أهل السنة والجماعة يعني:

أ- معتقداتهم وأقوالهم في أصول الدين. ب-اجتهاداتهم في الفروع الفقهية.

ج-كلاهما صحيح.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١- عرف السنة لغة واصطلاحًا: وحرر الفرق بين المعنيين.

٣- فسر معنى قولهم: إن السنة تطلق على ما سلم من الشبهات في الاعتقادات.

٤- مذهب أهل السنة يراد به معتقداتهم وأقوالهم في أصول الدين، اذكر ما يشهد لهذا المعنى.

٥- من معاني السنة اصطلاحًا: المجتمعون على أمير شرعي. اشرح هذا المعنى تفصيلًا.

٦- ترجع معاني الجماعة اصطلاحا إلى معنيين، اذكرهما.

٧- اذكر تعريف مصطلح أهل السنة والجماعة باعتباره مركبًا إضافيًا.



الفصل الثاني

سبب التسمية وذيوعها



الفصل الثاني

سبب التسمية وذيوعها

نُسب أهل الحق إلى هذا المصطلح؛ لأجل حرصهم على السنة والجماعة.

فهم **أهل السنة**؛ لأنهم متبعون لحديث النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»(١). «فالسنة هي ما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ، وتلقاه عنهم التابعون ثم تابعوهم إلى يوم القيامة»(٢).

وهم **أهل الجماعة**؛ لأنهم يعتبرون الكتاب والسنة والإجماع مصادر معصومة من الضلال، فبها يأخذون، وعليها يعتمدون، ثم هم بعد ذلك مع أئمتهم مجتمعون، وبواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائمون، وبالجهاد مع أئمتهم - فجارًا أو أبرارًا - آمرون ومجاهدون، يجتمعون على السنة والاتباع، والبعد عن الفرقة والابتداع، فهم أحق بالجماعة التي من تعلق بها نجا، كما ورد في حديث افتراق الأمة، حيث أخبر النبي ﷺ عن افتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي «**الجماعة**»(٣)، وفي رواية قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٤).

وسبب ذيوع هذه التسمية يرجع إلى أول بدعة وقعت في الإسلام، بعد موته ﷺ،

---

(١) رواه أحمد (١٦٦٩٢)، والدارمي (٩٥)، وابن ماجه (٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، والحاكم (٣٢٩) من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦٩).

(٢) مجموع الفتاوي (٣/ ٣٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٤٩٠)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم (٤٤٣) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. وصححه الحاكم، والشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤١).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ٣٤٧): «وفيه عبد الرحمن ابن زياد الأفريقي، قال الذهبي: ضعفوه». وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٧/ ٣٣٤): «في سنده عبد الرحمن ابن زياد الأفريقي وهو ضعيف، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب». وحسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٣٤٥).

وهي بدعة الخروج على الأئمة، وتشقيق الصف، وثلم الجماعة، ونكث الصفقة والبيعة، حين اتخذ الخوارج منهجًا فكريًّا عقائديًّا خالفوا به جماهير المسلمين، فكفَّروا بالذنوب واستحلوا الدماء والأموال، فقاتلهم علي رضي الله عنه، وأجمع الصحابة على ذلك، ووقعت في أثناء ذلك الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وأريقت فيها الدماء، وتفرقت فيها الكلمة، ثم اجتمعت الأمة بعد ذلك على معاوية رضي الله عنه، بعد أن حقن الله دماء المسلمين بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة، وسمي ذلك العام - عام إحدى وأربعين - بعام الجماعة.

وفي إثر بدعة الخوارج ظهرت بدعة الروافض، الذين اشتهروا بالكذب، بخلاف الخوارج الذين اشتهر معظمهم بالصدق، فكان من شأن أهل السنة مع الروافض أن سألوا عن الإسناد وعنوا به، روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن سيرين رحمه الله قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم»[(١)].

ثم ظهر قول القدرية[(٢)] بإنكار العلم السابق، وانتشر قول الجهمية والجبرية بأن العبد مجبور، فعقبت طائفة من أهل العلم بالرد على أهل البدع بتصنيف كتب في العقيدة أسموها «كتب السنة»، ومن ثمّ اشتهرت هذه الطائفة من أهل العلم بالحرص على السنة، وتمييز المقبول من المردود من الرواة والروايات، فتبلور منذ ذلك الحين هذا المصطلح، الذي أصبح لقبًا على كل من انتمى إلى أهل الحق المتبعين للسنة والآثار، الحريصين على جمع شمل المسلمين واتفاق كلمتهم في آن واحد.

حتى كان عصر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فأظهر الله تعالى إمامته وفضله،

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٥)، وأحمد في العلل ومعرفة الرجال (٣٦٤٠)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٨)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص٢٠٩، والسمعاني في أدب الإملاء ص٥، والخطيب في الكفاية ص١٢٢.

(٢) وهم الذين تبرَّأ منهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، حين سُئِلَ عنهم. كما في صحيح مسلم (٨). وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٦).

وحرصه على صفاء وجه السنة أن تخدشه بدعة القول بخلق القرآن - والتي جاء بها المعتزلة -، مع حرصه على وحدة الجماعة أن تنثلم بالخروج على المأمون، فأقام واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجهه الصحيح، فنصر الله به الملّة، وأعز به السنّة، وثبَّت به قلب الأمّة، ثم إنه قد اجتمعت لديه من أسباب الخروج على المأمون ما لم يجتمع لغيره، فقد أصغى الناس إلى الإمام سمعًا، وألقوا إليه بأزمَّة القلوب انقيادًا وحبًّا، وقد أتى المأمون ببدعته - متأولًا - كفرًا، فلما قيل للإمام: لِمَ لا تخرج على المأمون؟! قال: كرهت أن أفرِّق جماعة المسلمين، فلم تمنعه سطوة السلطان أن يقول بالحق إذ علمه، ولم يحمله بطش السلطان وتنكيله به على أن يخرج عليه فيكون سببًا في إعمال السيف في رقاب المسلمين.

وبهذا استقر مذهب أهل السنة على ترك الخروج على المبتدع والظالم من الأئمة، ما لم يأت كفرًا صريحًا لا تأويل فيه ولا شبهة، وخرج الإمام من هذه المحنة إمامًا للعامَّة، وعندها دعي الإمام أحمد بإمام أهل السنة والجماعة، وكان أول من لُقِّبَ بهذا اللقب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي هذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصار إمامًا من أئمة السنة، وعلمًا من أعلامها؛ لقيامه بإعلامها وإظهارها، واطلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفي أسرارها، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأيًا، ولهذا قال بعض شيوخ المغرب: المذهب لمالك والشافعي، والظهور لأحمد؛ يعني: أن مذاهب الأئمة في الأصول مذهب واحد، وهو كما قال»[1].

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٦٠٦).

أسئلة الفصل الثاني

من الباب الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- سبب ذيوع مصطلح أهل السنة والجماعة يرجع إلى أول بدعة وقعت في الإسلام وهي بدعة الخروج على الأئمة.

٢- في إثر بدعة الروافض ظهرت بدعة الخوارج.

٣- كان الخوارج مشهورين بالكذب معروفين به.

٤- بدأ أهل العلم يسألون عن الإسناد عند مقتل عمر.

٥- القدرية ينكرون علم الله السابق.

٦- الجهمية والجبرية يقولون: إن العبد مخير.

٧- استقر مذهب أهل السنة على جواز الخروج على المبتدع والظالم من الأئمة.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١- سبب ذيوع مصطلح أهل السنة والجماعة يرجع إلى:

أ- بدعة القول بخلق القرآن.

ب-بدعة القول بتأويل الصفات.

ج- بدعة الخروج على الأئمة.

٢-... اشتهروا بالكذب وعرفوا به:

أ- الخوراج. ب-الروافض. ج-الأزارقة.

٣- الجهمية يقولون بأن الإنسان:

أ- مخير. ب-مجبور. ج-في منزلة بين المنزلتين.

٤- قال بعض شيوخ المغرب المذهب لمالك والشافعي والظهور:

أ- لابن حزم. ب- لسفيان الثوري. ج- لأحمد.

٥- أظهر الله تعالى إمامة أحمد بن حنبل:

أ- في فتنة الزنج. ب- في فتنة خلق القرآن. ج- في فتنة التتار.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١- اذكر الأسباب التي أدت إلى ذيوع مصطلح أهل السنة والجماعة.

٢- دلل من أقوال أهل العلم على اشتهار الروافض بالكذب.

٣- تكلم عن دور الإمام أحمد في الذود عن السنة.

٤- ما هو مذهب أهل السنة في الخروج على الظالم والمبتدع من الأئمة؟

الفصل الثالث

مشروعية هذه التسمية





الفصل الثالث

مشروعية هذه التسمية

إن سند مشروعية هذه التسمية وتلك النسبة الشريفة ثابت بدلالة الكتاب وصحيح السنة وصريح آثار الصحابة والسلف، وبيان ذلك فيما يلي:

أولًا: دلالة الكتاب:

وتتمثَّل في الآيات الآمرة باتباع النبي ﷺ وطاعته فيما أَتى به، وأنَّ طاعته من طاعة الله عز وجل، والتحذير من مخالفته وعصيانه، فصار اتباع النبي ﷺ وطاعته اتباعًا للكتاب وطاعة للآيات القرآنية المشار إليها.

وقد ورد هذا المصطلح في سنة النبي ﷺ، فصار اتباعه اتباعًا للقرآن على الوصف المذكور.

وقد ورد تفسير بعض آي الذِّكْر الحكيم بالسنة والجماعة كما سيأتي هنا.

ومن ذلك أيضًا تفسير الصراط المستقيم بالسنة والجماعة[1].

ثانيًا: دلالة السنة:

إن هذا المصطلح والوصف مستمدٌّ في الحقيقة من سنة النبي ﷺ؛ لأنه الآمر بالعناية بالسنة، فقال: «**عليكم بسنتي**»[2]، وهو الآمر بالجماعة، فقال: «**وأنا آمركم بخمس كلمات أمرني الله بهن: الجماعة،...**»[3]، وهو الذي نهى عن الفرقة؛ فقال: «**من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية**»[4].

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ٤٦٩).

(٢) حديث صحيح: سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٧١٨، ١٧٣٤٤، ٢٢٤٠٣)، والترمذي (٢٨٦٣)، وابن خزيمة (١٨٩٥)، وابن حبان (٦٢٣٣)، والحاكم (٤٠٤) من حديث الحارث الأشعري ﷺ، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الحاكم، والألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٣، ٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

«فأهل السنة والجماعة إنما سماهم الرسول ووصفهم بذلك»[(١)].

وليس لأهل السنة والجماعة رسم ولا اسم يتسمون به خصوصًا غير هذا الاسم، الذي يعني في الحقيقة التزام الجادة والمحجة البيضاء التي تركنا عليها النبي ﷺ، «فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»[(٢)].

سئل مالك رحمه الله عن السنة، فقال: «هي ما لا اسم له غير السنة، وتلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام:١٥٣]»[(٣)].

ولما سئل مالك رضي الله عنه عن أهل السنة، قال: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي»[(٤)].

ثالثًا: آثار الصحابة والسلف:

من ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما: «النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة، وينهى عن البدعة عبادة»[(٥)].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[طه:٨٢]: «لزم السنة والجماعة»[(٦)].

«ورُوِيَ نحوه عن مجاهد، والضحاك وغير واحدٍ من السلف»[(٧)].

وقال أيوب السخْتياني رحمه الله: «إذا كان الرجل صاحب سُنة وجماعة فلا تسأل عن أيِّ حالٍ كان فيه»[(٨)].

---

(١) مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة د.ناصر العقل ص٧٨.

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣/ ٣٤٦).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٥٨).

(٤) الانتقاء لابن عبد البر ص ٣٥.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٥٤).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٧١)، وتفسير البغوي (٣/ ٢٢٧)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٦٢).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٢).

(٨) المصدر السابق (٣٣).

وقال عمرو بن قيس الملائي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارجه»[١].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة، وآخر بالمغرب، فابعث إليهما بالسلام وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة»[٢].

وقال قتيبة بن سعيد: «إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة»[٣].

وورد نحو هذا في المعافى بن عِمْران[٤]، وجماعة من الأئمة والرواة[٥].

رابعًا: نصوص العلماء واستعمال الأئمة

وقد نص العلماء على أن أهل السنة هم الصحابة ومن اقتفى آثارهم.

قال شارح الطحاوية رَحِمَهُ اللَّهُ: «هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين»[٦].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومذهب أهل السنة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله تعالى أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ﷺ، ومن خالف في ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة... وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولًا؛ بل إن السنة كانت موجودة معروفة قبله، علمها ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة»[٧].

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة ص١٣٣.

(٢) الورع للإمام أحمد ص١٩٤، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٦٤)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٧.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣٠٨).

(٤) تهذيب الكمال للمزي (٢٨/ ١٥٣).

(٥) انظر على سبيل المثال: تهذيب الكمال للمزي (٢/ ١٠٦)، (٧/ ٣٩٤)، (١١/ ٢٨٦)، (١٦/ ٦١)، (٢٣/ ٥٣٦)، (٢٦/ ٥٩).

(٦) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٥٤٤).

(٧) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/ ٦٠١-٦٠٢).

وسبق قول ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل السنة هم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم - أي أهل السنة - الصحابة ﷺ، ومن سلك منهجهم من خيار التابعين، ثم أصحاب الحديث، ومن اتبعهم من الفقهاء، جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها، رحمة الله عليهم»[(١)].

وقال أيضًا: «... وأنَّ من اتبع أحدًا دون رسول الله ﷺ فلم يتبع السنة ولا الجماعة، وأنه كاذب في دعواه السنة والجماعة، فنحن معشر المتبعين للحديث المعتمدين عليه أهل السنة والجماعة حقًا بالبرهان الضروري، وأننا أهل الإجماع كذلك»[(٢)].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صار المتمسكون بالإسلام المحض هم أهل السنة والجماعة»[(٣)].

وهذا يشمل الصحابة ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين؛ ولذا بدأ علماء الاعتقاد عند ذكر أئمة أهل السنة والجماعة بالصحابة ثم مَنْ بعدهم مِنَ التابعين.

ومن ذلك:

قول اللالكائي في صدر كتابه: «باب سياق ذكْر مَنْ رُسِمَ بالإمامة في السنة والدعوة والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله ﷺ إمام الأمة: فمن الصحابة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليٍّ» فَعَدَّ جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم جماعة من التابعين من أهل المدينة ومكة ومصر وبغداد وواسط وغيرهم[(٤)].

---

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٢/ ١٠٧).
(٢) الإحكام لابن حزم (٤/ ٥٢٥).
(٣) مجموع الفتاوي (٣/ ١٥٩).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٢٩-٤٩).

وذكر موقف المعتزلة من أهل السنة والجماعة، ثم قال: «... ما قذفوا به المسلمين من التقليد» إلخ، فسوَّى بين «أهل السنة والجماعة» وبين «المسلمين»[١]، وهذا صريح في أنَّ أهل السنة والجماعة هم أهل الإسلام الصحيح المتلقَّى عن النبي ﷺ من لدن الصحابة وأتباعهم حتى آخر الزمان، فمن خالف هؤلاء في أصولهم لم يكن من أهل السنة والجماعة.

هذا وقد استعمل الأئمة هذا الاسم والمصطلح المبارك في النص على أمور الاعتقاد الصحيحة تمييزًا لها عن غيرها، كما فعل ذلك قتيبة بن سعيد الثقفي رحمه الله، ونقله عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء[٢]؛ بل جعل بعض الأئمة هذا الاسم ضمن عناوين كتبهم في العقيدة كما فعل اللالكائي رحمه الله في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، وكما فعل قوّام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني رحمه الله في كتابه «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة».

خامسًا: ترادفه مع مصطلحات شرعية:

ثم إن هذا المصطلح يرادف عند الإطلاق مصطلحات شرعية أخرى مثل أهل الحديث والفرقة الناجية والطائفة المنصورة، والسلف الصالح، كما سيتبين في المبحث التالي.

ومن جملة ما تقدم يتضح جليًّا أن مذهب أهل السنة قديم، وأن التسمية قديمة، تبدأ ببداية الإسلام؛ لأن أهل السنة على الحقيقة هم أهل الإسلام، المتبعون لسيد الأنام، وعلى هذا سار أئمة أهل السنة والجماعة، وكلام اللالكائي السابق قريبًا صريحٌ في ذلك، ويظهر هذا جليًّا بالنظر إلى صفاتهم وخصائصهم، كما أن أول من دعي «بإمام أهل السنة» هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وفي هذا رد على من زعم أن مذهب أهل السنة والجماعة إنما عرف وظهر في زمن أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي، وأن أهل السنة هم

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٣).

(٢) انظر على سبيل المثال: سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٢٠).

الأشاعرة والماتريدية!! كما تبناه بعض العلماء قديمًا وحديثًا![1]. وفي نفي هذا الاسم عن الأشاعرة - مع قربهم في أصول ومسائل عقدية من أهل السنة - ما يقطع بانتفائه عن بقية أهل البدع والأهواء كالرافضة والمعتزلة وإن تنازعوا هذه التسمية الشريفة.

وكلٌّ يدَّعي وصلًا بلَيْلَى ... ولَيْلَى لا تُقِرُّ لهم بذاكَا

وكما قيل:

والدَّعاوي ما لم تقيموا عليها ... بيناتٌ أصحابُها أدعياءُ

---

(١) راجع في القديم كلام الباقلاني في «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» ص١٠٨، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي ص٢٦، ومثله الإسفراييني في «التبصير في الدين» ص٢٥، وكذا الجويني والغزالي والرازي. وراجع في الحديث كلام الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في «كبرى اليقينيات الكونية» ص١٢٥، وكلام وهبي سليمان غاوجي الألباني في «أركان الإيمان» ص٢٥ وغيرهم كثير.

أسئلة الفصل الثالث

من الباب الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- مصطلح: «أهل السنة والجماعة»: مصطلح متأخر لم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا قول لإمام.

٢- أهل السنة والجماعة سماهم النبيﷺ ووصفهم بتلك التسمية.

٣- قال يحيى بن أبي كثير: أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا قدري ولا رافضي.

٤- قال مالك: «فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة».

٥- نص العلماء على أن أهل السنة هم الصحابة ومن اقتفى آثارهم.

٦- يرادف مصطلح أهل السنة والجماعة عند الإطلاق مصطلحات شرعية أخرى.

٧- صار المتمسكون بالإسلام المحض هم أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية.

٨- من مرادفات أهل السنة أهل الحديث والفرقة الناجية.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١- مصطلح أهل السنة والجماعة مصطلح دل عليه:

أ- الكتاب. ب-السنة. ج- أقوال الأئمة. د- جميع ما سبق.

٢- «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي» هذا من قول:

أ- مالك. ب-أحمد. ج-الشافعي. د- جميع هؤلاء.

٣- قال........ في قوله تعالى: ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾: «لزم السنة والجماعة».

أ- سعيد بن جبير. ب-ابن عباس. ج- أيوب السختياني.

٤- «أهل السنة والجماعة هم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة»، هذا من قول:

أ- ابن حزم الظاهري. ب-مالك. ج-أبي حنيفة.

٥- مصطلح أهل السنة والجماعة مصطلح:

أ- يرادفه عند الإطلاق مصطلحات شرعية أخرى.

ب- لا يرادفه عند الإطلاق مصطلحات شرعية أخرى.

ج-ليس مصطلحًا أصلًا.

٦- مصطلح أهل السنة والجماعة مصطلح:

أ- حادث بالرغم من قدم أهله. ب- قديم بقدم أهله.

ج-قديم بالرغم من حداثة أهله.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١- دلل على أن مصطلح: أهل السنة والجماعة مصطلح دل عليه الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

٢- اشرح معنى قول مالك: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي».

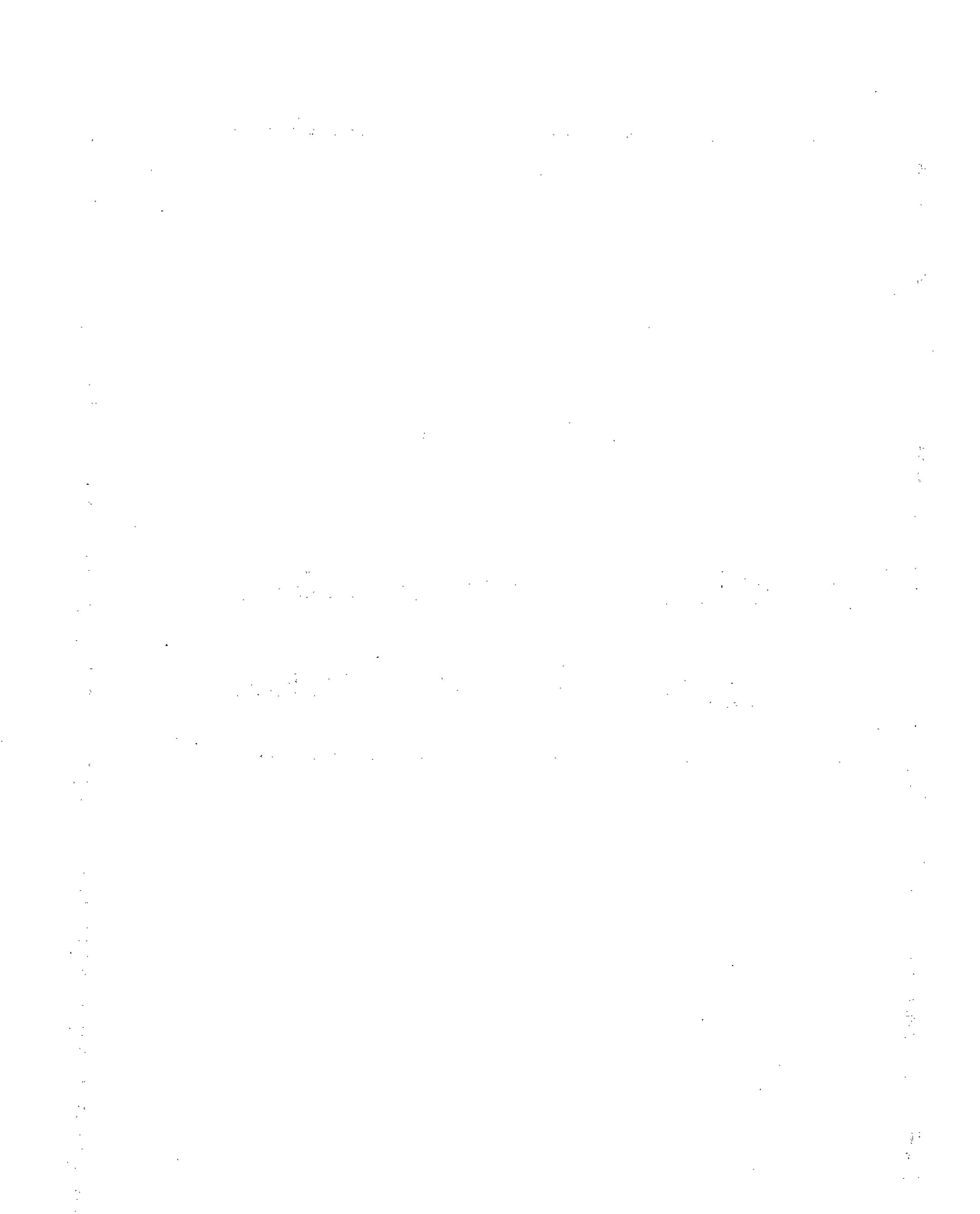
٣- اذكر بعض آثار الصحابة والسلف التي تتعلق بمدح أهل السنة والجماعة.

٤- اذكر بعض نصوص العلماء على أن أهل السنة هم الصحابة ومن اقتفى آثارهم.

٥- هل هناك مصطلحات أخرى ترادف مصطلح «أهل السنة والجماعة»؟

الفصل الرابع

بين مصطلح أهل السنة ومصطلحات أخرى



الفصل الرابع

بين مصطلح أهل السنة ومصطلحات أخرى

تقرر فيما سبق أن مصطلح أهل السنة والجماعة مما نطق بمعناه الكتاب والسنة، وتداول لفظه الصحابة والتابعون وأهل الحق من الأسلاف الصالحين. ومن المفيد أن نتناول مصطلحات أخرى تداولها علماء التوحيد والعقيدة في الدلالة على المذهب الحق في أمور الاعتقاد.

أولًا: الفرقة الناجية:

أما مصطلح **الفرقة الناجية**، فقد دلَّت عليه ظاهر الأحاديث الكثيرة التي رواها بضعة عشر صحابيًا، ويكفي في ثبوت وجود هذه الفرقة الناجية أن تكون هذه الروايات قد ذكرتها بعد ذكر افتراق الأمة.

ومن هذه الروايات: ما رواه أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بني إسرائيل تفرّقت على إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخلصت واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، فتهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة**»، قالوا: «يا رسول الله، مَن تلك الفرقة؟»

قال: «**الجماعة، الجماعة**»(١).

وفي رواية قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٢).

ووصفها علي ﷺ بأنها المستحقة لقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[الأعراف:١٨١].

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٠٧٠)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وأبو يعلى (٤١٢٧)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٨٠): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات». اهـ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٢).

(٢) سبق تخريجه.

وورد في وصف غيرها من الفرق المناقضة لها أن في قلوبها زيغًا، وأن الأهواء تتجارى بها كما يتجارى الكَلَب بصاحبه[١].

وهذا يقتضي بمفهوم المخالفة سلامة الفرقة الناجية من الهوى والزيغ.

وجملة هذه الأوصاف تقضي بأن هذه الفرقة الناجية هي عين أهل السنة والجماعة؛ إذ هي الجماعة، وهم المستمسكون بما عليه الصحابة[٢]، وهي أولى الناس بالسنة وأبعد الناس عن البدعة، فحيث أطلقت الفرقة الناجية فالمقصود بها أهل السنة والجماعة؛ لأنهم أولى الناس بالنجاة في الدنيا من الافتراق، وفي الآخرة من النار.

قال عبد القادر الجيلاني رحمه الله: «وأما الفرقة الناجية: فهي أهل السنة والجماعة»[٣].

وقال شيخ الإسلام في أول عقيدته الواسطية: «أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة...»[٤].

ثانيًا: الطائفة المنصورة:

وأما **مصطلح الطائفة المنصورة**، فقد ورد ذكره في أحاديث عدّة عن تسعة عشر صحابيًّا، إضافة إلى بعض المراسيل، حتى لقد صرح عدد من العلماء المعتبرين بتواتر هذا الحديث؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية[٥]، والسيوطي[٦]، والزبيدي[٧]، والكتّاني[٨]، وغيرهم..

ومن هذه المرويات ما رواه ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفةٌ من**

(١) أخرجه أحمد (١٦٤٩٠)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم (٤٤٣)، من حديث معاوية ﷺ. وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع (٢٦٤١).

(٢) وانظر: فتاوي مهمة لعموم الأمة للشيخ ابن باز ص١٧.

(٣) الغنية لطالبي طريق الحق لعبد القادر الجيلاني ص٨٥.

(٤) العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح الشيخ هراس ص١٤.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/ ٦).

(٦) قطف الأزهار المتناثرة للسيوطي (رقم ٨١) ص٢١٦.

(٧) لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ص٦٨.

(٨) النظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني ص٩٣.

أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[١].

وما رواه جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين، إلى يوم القيامة**»[٢].

ومن جملة المرويات، يتضح أن هذه الطائفة المنصورة طائفة من الأمة مجتمعة على الحق، إظهارًا وبيانًا بالحجة والبرهان، وظهورًا وغلبة بالسيف والسنان، وهي ظاهرة، بيّنة طرائقها وسبلها، واضحة مناهجها، في كل زمان ومكان.

وهي طائفة قائمة بأمر الله، وواجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخلو الزمان عنها، ولا تتخلى عن واجب الجهاد، فهي إما في جهاد بالفعل أو في سبيلها إلى الجهاد إعدادًا وتهيؤًا، صابرة على هذا العمل الجليل، وهي طائفة منصورة في جملة أحوالها وأماكنها، وعلى مر الأزمان.

ثالثًا: أهل الحديث:

وأما فيما يتعلق **بمصطلح أهل الحديث**، فقد روى الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام أحمد: أنه ذكر حديث النبي ﷺ: «**تفترق الأمة على نيّف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة**»، فقال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»[٣].

وقال القاضي عياض عقب قول أحمد السابق: «إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»[٤].

وقال الجيلاني: «أهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد، وهو: أصحاب الحديث».

وفي هذه الآثار دلالة على الترادف بين معنى مصطلح الفرقة الناجية وأهل

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان ﷺ.

(٢) رواه مسلم (١٩٢٣) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٢٥، ٢٧. ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص٢٦.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٧).

الحديث، وأنهم المقصودون بهذا المصطلح عند إطلاقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك: هم أعلمهم بآثار المرسلين، وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتبعون لها، هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملّة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة. فإنهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة، ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول، مما يجهله غيرهم أو يكذِّبُ به»[1].

ووصفهم الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «حفظة الدين، وأوعية العلم وحملته.. ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر»[2].

ويتضح مما سبق أن الفرقة الناجية هم أهل الحديث، كما اتضح أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث أيضًا.

سئل ابن المبارك عن الطائفة المنصورة: من هذه الطائفة؟ فقال: «هم عندي أصحاب الحديث»[3].

وقال يزيد بن هارون: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»[4].

وقال البخاري في قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي...**»: «يعني: أصحاب الحديث»[5]، وقال: «وهم أهل العلم»[6].

---

(١) مجموع الفتاوي (٤/ ٢٦).

(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٩.

(٣) المرجع السابق ص٢٦.

(٤) المحدث الفاصل للرامهرمزي ص١٧٧.

(٥) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٢٧.

(٦) صحيح البخاري (٨/ ١٤٩)، وخلق أفعال العباد للبخاري ص٤٢.

وقال أحمد بن سنان: «هم أهل العلم، وأصحاب الآثار»[1].

وقال شيخ الإسلام في وصف أهل الحديث: «وكانوا يقولون هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، الظاهرون على الحق؛ لأن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم، وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا»[2].

وإذا كانت الفرقة الناجية هي أهل الحديث، وأهل الحديث هم الطائفة المنصورة، وأهل الحديث هم أهل السنة والجماعة؛ فإن هذا يدل على ترادف هذه الاصطلاحات بإطلاق.

بمعنى أنه إذا أطلق واحد منها دخل فيه الباقي، وأصبح اللفظ دالًا بمفرده على جميع أهل الحق.

وأما إذا اجتمع اثنان كأهل الحديث وأهل السنة فبينهما تغاير، حيث يطلق الأول على المعتنين بعلم الحديث، ويطلق الثاني على باقي أهل الخير من الفرقة الناجية، فإذا اجتمعا افترقا، ومن ذلك قول عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: «الناس على وجوه: فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري»[3].

- وهنا يثور سؤال حول تحديد أهل الحديث، وهل كل هذا الفضل خاص بدارسي هذا العلم، وحفظة متونه دون باقي أصناف أهل العلم؟

وإذا كانت الإجابة بدخول أصناف أخرى من أهل العلم، فإن ثمة سؤال آخر حول هذا المعنى، وهو: هل يدخل في معنى أهل الحديث أناس آخرون لا علاقة لهم بعلم الحديث، ولا دراية لهم بالفقه وسائر العلوم: كالمجاهدين، والأجناد المرابطين على

---

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٢٧

(٢) مجموع الفتاوي (٤/ ٩٧).

(٣) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١١٨)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٦٣).

الثغور، ونحوهم؟

فأما السؤال الأول، فإن الإجابة تتقرر في دخول طوائف أهل العلم بالتفسير، والفقه، والتوحيد، وسائر العلوم الشرعية، في مصطلح أهل الحديث بعد دخول المشتغلين بعلم الحديث دخولًا أوليًّا في هذا المصطلح.

ويدلّ على ذلك عبارة الإمام البخاري في وصفهم بأنهم: «هم أهل العلم»، وكذا عبارة الإمام أحمد بن سنان: «هم أهل العلم وأصحاب الآثار».

فإذا وجد ما يدلّ على أنهم أهل العلم بالحديث، فهو من باب تفسير الشيء بذكر بعض أجزائه وأفراده، والقاعدة أن ذكر بعض أفراد العام لا يخصصه.

ولذلك كانت عبارة الإمام أحمد دقيقة حين رأى قومًا يشتغلون بمدارسة الحديث، فأطلق عليهم أنهم (ممَّن) قال فيهم الرسول ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي**...» الحديث[(١)].

وقد نقل النووي -كما سبق- قول أحمد والبخاري في الطائفة المنصورة، ثم قال: «قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: «ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته؛ بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرًا وباطنًا، واتباعه باطنًا وظاهرًا، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء محبة القرآن والحديث، والبحثُ عنهما وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبها.«فقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم، وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم، وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم، وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٧).

(٣) مجموع الفتاوي (٤/ ٩١-٩٥).

فهذا وأمثاله من النقول عن الأئمة العدول يبين لنا دخول أهل العلم- المتبعين الناجين من الابتداع- في زمرة أهل الحديث بالاصطلاح الأعم الأوسع.

ومما تنبغي الإشارة إليه: أن «مصطلح أهل الحديث» قد أطلق في مقابلة «أهل الكلام» تارة، و«أهل الرأي» تارة أخرى، فالإطلاق الأول يتعلق بالعقائد، والثاني بالفقه.

وأما السؤال الثاني وهو: هل يدخل في الطائفة المنصورة أهل الحديث أصناف أخرى من الناس، ليست من المشهورة بالعلم؟

فإجابته قد ذكرها جملة من أهل العلم، نذكر منهم الإمام النووي حين سئل عن الطائفة المنصورة: من هم؟

فقال: «ويُحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين: منهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أنواع أخرى من الخير»[1]، فأدخل فيهم أهل الجهاد وأنواعًا أخرى من الخير: كالزهاد، والعُبَّاد، وغيرهم.

وقد صاغ ابن حجر كلام النووي بلفظ مقارب، فقال: «يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين: ما بين شجاع، وبصير بالحرب، وفقيه، ومحدِّث، ومفسّر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد، وعابد»[2].

ويخلص من ذلك كله إلى أن مصطلحات: (الفرقة الناجية - الطائفة المنصورة - أهل السنة والجماعة - أهل الحديث) هي مصطلحات شرعية مترادفة في معناها، وعند إطلاقها يدخل بعضها في بعض. وأن أهلها متفاوتون في العلم بالسنة والعمل بها، والجهاد والقيام به، ولا يتخلّون عنه جميعًا، وأن أهل هذه المصطلحات غير معصومين، والخير فيهم أكثر من الشر، كما أن الشر في غيرهم أكثر من الخير، ومع أنه ليس لهم تخصص علمي أو عملي يجمعهم، فقد وصلوا بمجموعهم إلى درجة الكمال البشري، مع

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٦-٦٧).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٢٩٥).

التكامل في الواجبات والتخصصات، فهم قائمون بمجموعهم مقام النبوة في الأمة بحفظ الدين وإقامة الملّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما أهل العلم فكانوا يقولون: هم الأبدال؛ لأنهم أبدال الأنبياء، وقائمون مقامهم حقيقة، ليسوا من المعدمين الذين لا يُعرف لهم حقيقة، كل منهم يقوم مقام الأنبياء في القدر الذي ناب عنهم فيه، هذا في العلم والمقال، وهذا في العبادة والحال، وهذا في الأمرين جميعًا»[1].

ثم إنه بقي مصطلح أخير عرّفه أهل السنة والجماعة وتداولوه، ألا وهو مصطلح السلف.

رابعًا: السلــف:

معنى «السلف» لغة:

قال ابن فارس: «سلف، السين واللام والفاء، أصل يدل على تقدُّم وسَبْق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السُّلَّاف: المتقدمون»[2].

وقد استعملت كلمة «سلف» في القرآن للدلالة على نفس المعنى، وهو التقدُّم والسبق في الزمن.

قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[الحاقة:٢٤]، أي: قدَّمتم في الدنيا.

وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾[الزخرف:٥٦]، أي: قومًا سابقين من جاء بعدهم، وقيل: عظة وعبرة لمن يأتي بعدهم[3].

وقال تعالى: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾[البقرة:٢٧٥]، أي: سبق وتقدَّم.

---

(١) مجموع الفتاوي (٤/ ٩٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٩٥).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣٣١)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٣١)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٦/ ٦٥٤).

وقال تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾[المائدة:٩٥]، وقال جلَّ ذكره: ﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[الأنفال: ٣٨].

كما اسْتُعمِلَت كلمة «سلف» في السنة للدلالة على نفس المعنى السابق.

ومن ذلك: قول النبي ﷺ لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها وأرضاها: «**ونِعْمَ السَّلَف أنا لكِ**»[1]. وقوله ﷺ لحكيم بن حزام ﷺ: «**أسلمتَ على ما سَلَفَ من خيرٍ**»[2].

معنى «السلف» اصطلاحًا:

في اصطلاح علماء العقيدة يطلق «السلف» على الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم، وأئمة الإسلام العدول، ممَّن اتفقت الأمة على إمامتهم وعظم شأنهم في الدين، وتلقَّى المسلمون كلامهم خلفًا عن سلف بالقبول، دون من رُميَ ببدعة، أو لقب غير مرضي؛ كالخوارج، والرافضة، والناصبة، والقدرية، والمرجئة، والأشعرية، والمعتزلة، والجهمية، ونحوهم.. ومذهب السلف هو طريقهم في الاعتقاد المنسوب إليهم[3].

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي: «وعلى ذلك فالمراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة، وعُرف عظيم شأنه في الدين، وتلقَّى الناسُ كلامهم خلفًا عن سلف؛ كالأئمة الأربعة، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وابن المبارك، والنخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن، دون من رُمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج، والروافض، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة»[4].

فالسلف إذن مصطلح يطلق على المتقدمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم،

---

(١) رواه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٢) رواه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣).

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٢٠)، والأسئلة والأجوبة الأصولية لمحمد عبد العزيز السلمان ص١١، ١٢.

(٤) العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية لأحمد بن حجر آل بوطامي ص١١.

وهم المذكورون في حديثه ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[(١)].

ومذهب السلف هو مذهب الصحابة الكرام، والتابعين وتابعيهم من الأئمة المذكورين المشهورين.

ثم إن كل من التزم بعقائد وأصول هؤلاء الأئمة كان منسوبًا إليهم، وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم، وإن عاش بين أظهرهم، وجمعه بهم نفس المكان والزمان.

ويشهد لذلك قول الأوزاعي: «كتب إليَّ قتادة من البصرة: إِنْ كانت الدار فَرَّقَتْ بيننا وبينك فإِنَّ أُلْفَةَ الإسلام بين أهلها جامعة»[(٢)].

ويقول الدكتور محمود خفاجي: «وليس التحديد الزمني كافيًا في ذلك؛ بل لابد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة وروحهما، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين»[(٣)].

ويشهد لهذا: قولُ أبي عبد الله النَّبَّاجي الزاهد: «أصلُ العِلم خمسُ خصالٍ: أولها: الإيمان بالله، والثانية: معرفة الحق، والثالثة: إخلاص العمل، والرابعة: أن يكون مطعم الرجل من حلال، والخامسة: أن يكون على السنة والجماعة. فلو أنَّ عبدًا آمن بالله عز وجل وأَخْلَصَ نيته لله وعرف الحق على نفسه وكان مطعمه من حلال ولم يكن على السنة والجماعة لم ينتفع من ذلك بشيء»[(٤)].

فالعبرة بالتزام السنة والجماعة بغض النظر عن المكان والزمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ١٢١).

(٣) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة للدكتور محمود خفاجي ص٢١.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ٣١٠)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ٢١٧ -والسياق له)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٢٦٣).

«ولقد بدأت الحاجة إلى الانتساب للسلف حين تفرقت الأمة الإسلامية، وتعددت الاتجاهات الفكرية فيها حول أصول الدين، مما دعا علماء الأمة الأثبات وأساطينها الأعلام، لتجريد أنفسهم لتلخيص وترتيب الأصول العظمى والقواعد الكبرى للاتجاه السلفي، والمعتقد القرآني النبوي، ومن ثمَّ نسبته إلى السلف الصالح؛ لقطع الباب على كل من ابتدع بدعة اعتقادية وأراد نسبتها إليهم، حتى كانت النسبة إلى السلف رمزًا للافتخار، وعلامة على العدالة في الاعتقاد، مما يدل على أن النسبة إلى السلف لم تكن بدعة لفظية، ولا مجرد اصطلاح كلامي، لكنه حقيقة شرعية ذات مدلول محدد؛ ولذلك لم تؤصل قواعده، ولم تحرر موارده، إلا بقيام الحاجة في الأمة لبيان متكامل الصورة عما كان عليه أهل القرون المفضلة المشهود لهم بالعدالة من طريقة عقدية وسيرة توحيدية»[1].

ويبدو جليًّا من هذه الدراسة الاصطلاحية الشرعية لمدلول كلمة السلف، أن هذا المصطلح يلتقي مع مصطلح أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة.

فالسلف هم أهل الحديث كما سماهم بذلك كثير من الأئمة وصدَّروا مؤلفاتهم بذلك، مثل: كتاب «عقيدة السلف أصحاب الحديث» للإمام إسماعيل الصابوني.

والسلف هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة؛ لأنهم الصحابة ومن تابعهم من التابعين وتابعيهم.

والسلف هم أهل الأثر، وهم أهل الاتِّباع؛ لأن من طريقتهم «اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ، حيث قال: **«عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»**[2]»[3].

---

(١) نظريات شيخ الإسلام في السياسة والاجتماع للمستشرق الفرنسي لاووست ص٣٢.

(٢) حديث صحيح، سبق تخريجه.

(٣) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص١٧٩ - ١٨٠.

ومازال أهل السنة وما برحوا يستدلون على عقائدهم بالكتاب والسنة، فإن لم يجدوا فبما ثبت عن السلف الصالحين، من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وبهذا كانوا يتواصون ويوصون.

قال الأوزاعي: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس»(١).

وقال: «... واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك»(٢).

والإمام ابن كثير ينهج هذا النهج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤]، يقول: «فللناس في هذا مقالات كثيرة جدًّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق...»(٣).

والإمام الذهبي يقول في مقدمة كتابه «العلو للعلي العظيم»: «فإن أحببتَ يا عبد الله الإنصاف، فقف مع نصوص القرآن والسنة، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بعلم»(٤).

وعلى هذا فإن الدعوة إلى اتباع السلف إنما هي دعوة إلى الإسلام والسنة ولا غضاضة في ذلك.

قال شيخ الإسلام: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه؛ بل يجب قبول ذلك منه، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا»(٥).

---

(١) الشريعة للآجري ص١٠٢، وصححه الألباني في مختصر العلو ص١٣٨.
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٤).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٢٢١).
(٤) العلو للعلي العظيم للذهبي ص١٦.
(٥) مجموع الفتاوي (٤/ ١٤٩).

وأخيرًا فإن مصطلحين كـ«أهل الأثر»، أو «أهل الجماعة» يطلقان أيضًا -بقلّة- ويراد بهما أهل الحديث وأهل السنة والجماعة، وقد وقعا في كلام السلف أيضًا.

فمن الأول قول أبي حاتم الرازي: «مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان، والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل أبي عبد الله أحمد بن حنبل»[١].

ومن الثاني قول ابن المبارك حين سئل عن الجماعة؟ فقال: «أبو بكر وعمر، قيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: فلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان؟ فقال عبد الله بن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة»[٢].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٨٠).
(٢) الجامع الصحيح للترمذي (٤/ ٤٦٦).

أسئلة الفصل الرابع

من الباب الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- مصطلح «الفرقة الناجية» مصطلح محدث لم تدل عليه أحاديث النبيﷺ.

٢- أهل الأهواء تتجارى بهم الأهواء كما تتجارى الكلب بصاحبه.

٣- الفرقة الناجية تختلف عن أهل السنة والجماعة.

٤- مصطلح الطائفة المنصورة ورد ذكره في عدة أحاديث بلغت التواتر.

٥- قال القاضي عياض: «أهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد وهم: أصحاب الحديث».

٦- المصطلحات التي أطلقت على أهل السنة والجماعة مترادفة.

٧- مصطلح السلف لغة: لفظ يدل على القوم الذين مضوا، والسُّلاف هم المتقدمون.

٨- مصطلح السلف لا يراد به إلا الصحابة فقط.

٩- العبرة في إطلاق مصطلح السلف هي بالتزام السنة والجماعة بغض النظر عن الزمان والمكان.

١٠- الدعوة إلى اتباع السلف إنما هي دعوة إلى الإسلام والسنة ولا غضاضة في ذلك.

١١- الدعوة إلى اتباع السلف دعوة إلى مخالفة منهج النبيﷺ.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١- مصطلح: «الفرقة الناجية» مصطلح دلت عليه ظاهر الأحاديث التي رواها:

أ- ستون صحابيًا. ب- عشرون صحابيًا. ج- بضعة عشر صحابيًا.

٢- مصطلح: « الطائفة المنصورة» ورد ذكره في عدة أحاديث رويت عن:

أ- تسعة عشر صحابيًا.   ب-ثلاثين صحابيًا.   ج-أربعين صحابيًا.

٣- «أهل السنة» لا اسم لهم إلا اسم واحد وهم: «أصحاب الحديث» هذا القول لـ:

أ- أحمد بن حنبل.   ب-الإمام الشافعي.   ج- الإمام الجيلاني.

٤- المصطلحات التي أطلقت على أهل السنة:

أ- متناقضة.   ب-مترادفة.   ج-لا يمت بعضها لبعض.

٥-كلمة السلف:

أ- تدل على الذين مضوا والسُّلاف.

ب-تطلق على الصحابة والتابعين.

ج-لا يراد بها إلا الصحابة.

د-ما ورد في أ، ب.

٦- الدعوة إلى اتباع السلف دعوة:

أ- للتمسك بمنهج النبيﷺ.   ب- دعوة إلى مخالفة منهج النبيﷺ.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

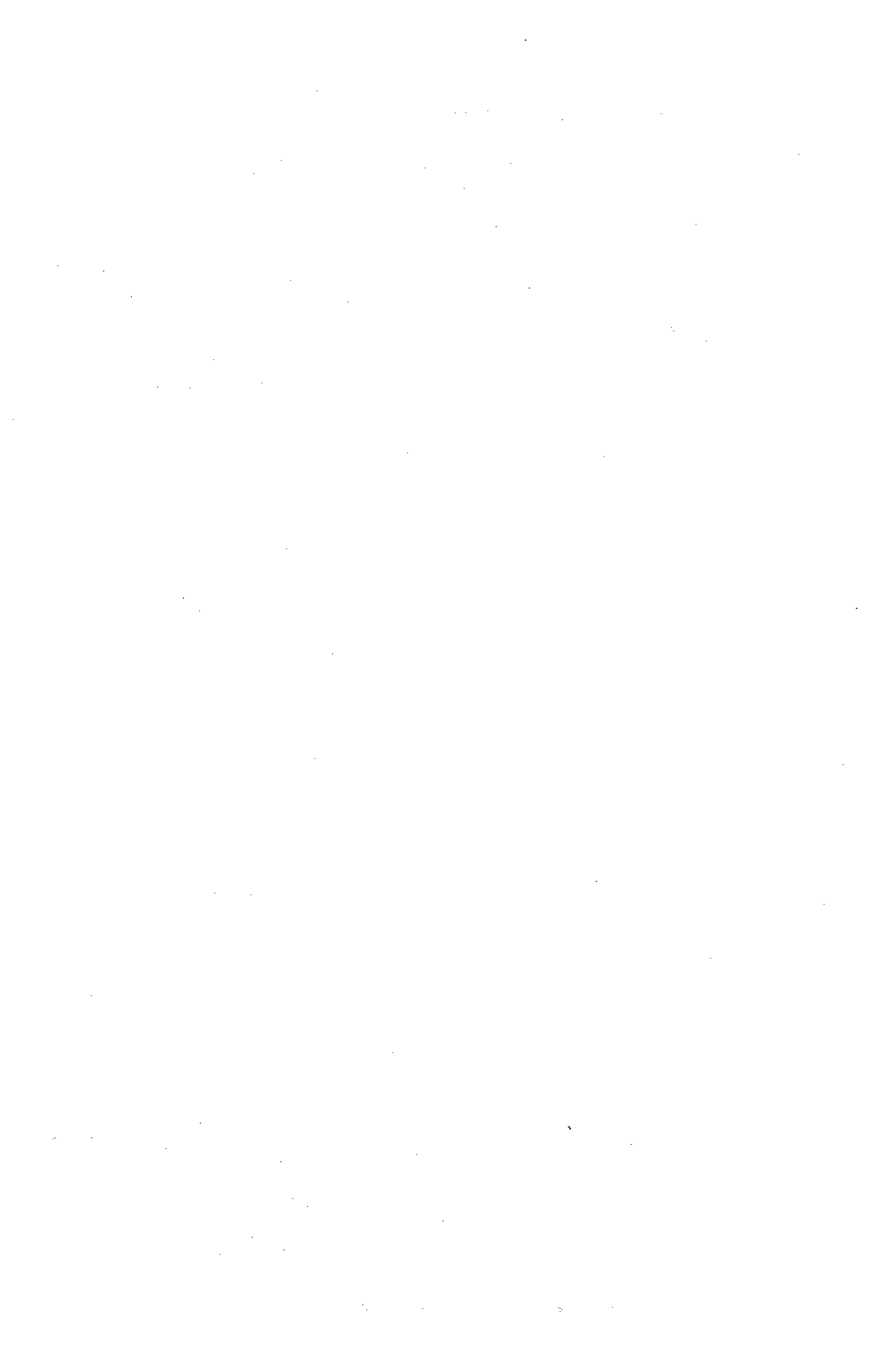
١- هل كل الفضل الوارد في الأحاديث خاص بدارسي علم الحديث وحفظة متونه، دون باقي أصناف أهل العلم؟

٢- هل يدخل في معنى أهل الحديث أناس آخرون لا علاقة لهم بعلم الحديث ولا دراية لهم بالفقه كالمجاهدين والمرابطين.

٣- اشرح معنى قولهم: إن مصطلح الفرقة الناجية دلت عليه ظاهر الأحاديث التي رواها بضعة عشر صحابيًا.

٤- دلل على أن المصطلحات التي أطلقت على أهل السنة والجماعة مترادفة.

٥- يبدو جليًا أن مصطلح السلف يلتقي مع مصطلح أهل السنة والجماعة، اشرح هذه العبارة.



الفصل الخامس

الخصائص والصفات العامة لأهل السنة والجماعة



الفصل الخامس

الخصائص والصفات العامة لأهل السنة والجماعة

أولًا: أهل السنة ليس لهم اسم يجمعهم سوى هذا الاسم:

أهل السنة والجماعة ليس لهم اسم يعرفون به، ولا لقب ولا رمز يميزهم عن غيرهم؛ إلا الإسلام وما دل عليه من المصطلحات والأسماء الشرعية.

قال ميمون بن مهران: «إياكم وكل اسم يسمى بغير الإسلام»[1].

فكل من خالف السنة والجماعة فقد تسمى بغير الإسلام والسنة؛ كأصحاب الأهواء والفرق الضالة، وإن ادعى أنه من أهل السنة.

وأما أهل السنة فليس لهم اسم إلا هذا الاسم، وإن كان غيرهم قد يسميهم بأسماء باطلة، فإنه ما من فرقة إلا وابتدعت لأهل السنة اسمًا يناسب ما خالفها فيه أهل السنة، ومع ذلك بقي أهل السنة لم يلزمهم اسم من هذه الأسماء الباطلة.

روى ابن عبد البر قال: «جاء رجل إلى مالك فقال: يا أبا عبد الله، أسألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله ﷻ. قال مالك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، سل. قال: من أهل السنة؟ قال: أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي»[2].

وهكذا يحدد الإمام مالك رحمه الله ويعرِّف أهل السنة بأنهم ليس لهم لقب يُعرفون به إلا اللقب المسئول عنه (أهل السنة).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة ص١٣٧.

(٢) الانتقاء لابن عبد البر ص٣٥.

سوى السنة. يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها»[١].

ويقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله: «وليس لهم -أي أهل السنة والجماعة- رسم ومنهاج سوى منهاج النبوة (الكتاب والسنة)؛ إذ الأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه، إنما الذي يحتاج إلى اسم معين هو الخارج من هذا الأصل»[٢].

فأهل السنة لا يتعصبون للأحزاب، ولا الشعارات، ولا القوميات، ولا يتعصبون للأوطان ولا الشعوب، ولا الأجناس ولا القبائل؛ إنما يجمعهم شعار السنة والإسلام، في أي مكان وأي زمان.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مَنْ أقرَّ باسم من هذه الأسماء المحدَثة؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[٣].

وقال مالك بن مِغْوَل: «إذا تسمّى الرجل بغير الإسلام والسنة؛ فأَلْحِقْه بأَيِّ دينٍ شئت»[٤].

وهذا لا يعني عدم مشروعية مطلق الانتماء إلى إمام، أو التسمي بأسماء المذاهب، أو الانتساب إلى القبائل، أو المشايخ، ونحو ذلك...؛ بل الممنوع منه هو اتخاذ هذه الأسماء معقدًا للولاء والبراء، وشعارًا يُمتحن الناس به، ويُفرق به بين الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «بل الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها، مثل انتساب الناس إلى إمام: كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، أو إلى شيخ: كالقادري والعدوي ونحوهم، أو مثل الانتساب إلى القبائل: كالقيسي واليماني، وإلى الأمصار: كالشامي والعراقي والمصري؛ فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٧٤).

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية للشيخ بكر أبو زيد ص٢٨.

(٣) الشرح والإبانة لابن بطة ص١٣٧.

(٤) الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٦٣)، والشرح والإبانة لابن بطة ص١٣٧.

الأسماء ولا يعادي عليها؛ بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان»[١].

ومما هو جدير بالتنبيه عليه في هذا المقام، أنه سبقت لأهل السنة والجماعة أسماء أخرى وردت بها النصوص، وهو من باب إطلاق الأسماء المختلفة على مسمى واحد.

فالانتساب إلى أهل السنة والجماعة أو السلف أو الفرقة الناجية كل ذلك سواء، وقد أطلق شيخ الإسلام ابن تيمية لقب السلفية في بعض مصنفاته[٢] وكذا الشيخ المعلمي اليماني[٣] والشيخ الألباني[٤] والشيخ ابن باز[٥] وغيرهم من أهل العلم والاتباع سلفًا وخلفًا.

ثانيًا: أهل السنة لا يجمعهم مكان واحد، ولا يخلو عنهم زمان:

إن أهل السنة هم أهل الحق، فكل من دان بهذا الحق فهو من أهل السنة، في أي مكان وجد، وفي أي زمان كان.

ويشهد لذلك ما سبق عن الأوزاعي، قال: «كتب إليَّ قتادة من البصرة: إنْ كانت الدار فرقت بيننا وبينك، فإنَّ أُلْفَةَ الإسلام بين أهلها جامعة»[٦].

قال الإمام النووي رحمه الله: «ولا يلزم أن يكونوا -أي: الطائفة المنصورة- مجتمعين؛ بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»[٧].

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ، والتابعون وأئمة الدين من بعدهم، مفرقين في الأمصار، لا يجمعهم مكان واحد، ومع ذلك كانوا جميعًا من أهل السنة؛ بل أئمة أهل السنة وأعلامهم.

---

(١) مجموع الفتاوي (٣/ ٤١٦).
(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ١٢٢).
(٣) القائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي اليماني ص٤٧، ٥١، ٥٥، ١٩٩.
(٤) مختصر العلو للألباني ص١٢٢، ومقدمة الشيخ الألباني لشرح الطحاوية ص٥٧.
(٥) تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله ﷻ للشيخ ابن باز ص٣٤، ٣٥.
(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ١٢١).
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٧).

وأما الأحاديث التي حدَّدت وجودهم بالشام[(١)] فقد يجاب عليها بما يلي:

١- قد يُراد بها -والله أعلم- فترة تاريخية معينة، هي التي تكون قبل قيام الساعة، حيث تدل النصوص الكثيرة على أن معظم الأحداث المتعلِّقة بالمهدي وعيسى بن مريم ونحو ذلك من أشراط الساعة، إنما تكون بالشام.

٢- كما يحتمل أن يكون المقصود قتالهم للروم المذكور في الأحاديث، ثم للدجَّال، حتى يأتيهم أمر الله وهم بالشام، فيكون قوله ﷺ: «**وهم بالشام**»؛ أي: حال إتيان أمر الله.

٣- وهذا كله على فرض صحة هذه الأحاديث، فكيف وأسانيدها لا تصح، والأصح والأشهر من الأحاديث بدون تقييد، وأعلى ما ورد في الشام قول معاذ: «وهم بالشام»، وفي رواية له: «وهم أهل الشام» ونحو هذا، وأكثر الرواة لم يذكروا هذه الزيادة في الحديث، ورواية الجماعة أولى بالصواب، وقد سبق هنا استغراب أبي نعيم لهذه الزيادة.

وأهل السنة كما أنه لا يجمعهم مكان واحد، فإنهم لا يخلو عنهم زمان حتى قيام الساعة.

فقد صحَّت البشارة عن رسول الله ﷺ باستمرار وجود الطائفة المنصورة -أهل السنة والجماعة- من هذه الأمة إلى أن يأتي أمر الله، لا يضرهم خلاف المخالف، ولا خذلان الخاذل.

وجاء ذلك في أحاديث كثيرة عن جمع من الصحابة، حتى لقد صرح عدد من العلماء المعتبرين بتواتر هذا الحديث؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، والسيوطي، والزبيدي، والكتَّاني، وغيرهم[(٢)].

---

(١) من ذلك: ما روي من قول مالك بن يخامر عن معاذ: «وهم بالشام»، أخرجه أبو عوانة (٧٥٠٢)، وأبو يعلى (٧٣٨٣)، واللالكائي (١٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٥٩).
وقال أبو نعيم: «غريب من حديث عمير، تفرد به عنه ابن جابر، وهذه الزيادة من قِبَل معاذٍ لا تُحْفَظَ إلا في هذا الحديث». ورُوِيَ من وجهٍ آخر عن معاذ قال: «وهم أهل الشام». وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ٢٦١-٢٦٩). ورواه البخاري في التاريخ الكبير في ترجمة حسان بن وبرة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «لا تزال عصابة بدمشق ظاهرين»، (٣/ ٣٥ رقم ١٤٧)، وحسان لم يوثِّقه معتبر، وهو حيان بالياء بدل السين. انظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ١٨٨)، ونحو ذلك من الأحاديث.

(٢) قد سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول ص ٥٠-٥١.

ومن هذه الأحاديث:

ما جاء عن المغيرة بن شعبة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**لا يزال ناسٌ من أمَّتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»[١].

وعن جابر بن سَمُرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يبرح هذا الدين قائمًا، يقاتل عليه عصابةٌ من المسلمين، حتى تقوم الساعة**»[٢].

وعن جابر بن عبد الله، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمَّتي يقاتلون على الحق، ظاهرين، إلى يوم القيامة**»[٣].

فهذه الأحاديث وما ماثلها توضح أن أهل السنة -الطائفة المنصورة- سيستمر بقاؤهم إلى يوم القيامة، فلن يخلو عنهم زمان حتى يأتيهم أمر الله ﷻ.

والمقصود أن بقاءهم يكون حتى يرسل الله ريحًا طيبة -وهي أمر الله-، فتقبض رُوح كل مؤمن ومؤمنة، ويكون ذلك قبيل قيام الساعة، ويكون التعبير بقوله: «**إلى قيام الساعة**» معناه: إلى قرب قيامها.

قال الإمام النووي رحمه الله: «فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة، على أشراطها ودُنوِّها المتناهي في القرب»[٤].

وقال رحمه الله: «وذكرنا هناك - أي في كتاب الإيمان - الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا المعنى، وأن المراد بقوله ﷺ: «**حتى يأتي أمر الله**» من الريح التي تأتي فتأخذ رُوح كل مؤمن ومؤمنة، وأن المراد برواية من روى: «**حتى تقوم الساعة**»، أي: تقرب الساعة، وهو خروج الريح»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ.
(٢) رواه مسلم (١٩٢٢) من حديث جابر بن سمرة ﷺ.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٣٢).
(٥) المرجع السابق (١٣/ ٦٦).

ثالثًا: أهل السنة مشتغلون بأبواب الخير كافة:

أهل السنة لا يجمعهم تخصص علمي ولا عملي بعينه؛ بل منهم المشتغلون بألوان العلوم النافعة؛ بقصد حماية الدين وحفظ العلم -أصولًا، وفروعًا، ووسائل-، ومنهم المشتغلون بردِّ البدع وقمع أهلها، وبيان طريق المحجَّة، ودفع الالتباس عنها.

ومنهم المرابطون في الثغور، المصابرون للأعداء، الساهرون على حماية الحوزة وحفظ البيضة.

ومنهم المناهضون للمنكر، الناهون عنه، الآمرون بالمعروف، الداعون إليه.

ولا شك أن المشتغلين بعلوم الإسلام -عقيدة، وفقهًا، وحديثًا، وتفسيرًا، وتعلُّمًا، وتعليمًا، ودعوةً، وتطبيقًا- هم أولى الناس بهذا الوصف، وأولاهم بالدعوة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والرد على أهل البدع؛ إذ إن ذلك كله لابد أن يقترن بالعلم الصحيح المأخوذ من الوحي.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويحتمل أن هذه الطائفة -يعني: الطائفة المنصورة- مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم زُهَّاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير...»[1].

وقد فسّر بعض أئمة السلف الطائفة المنصورة والفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بأنهم: أصحاب الحديث.

ومقصود هؤلاء الأئمة -كما سبق أيضًا- بأهل الحديث، أنهم أهل السنة، المتبعون لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، المجانبون لطريقة أهل البدعة، الملتزمون بالدليل في الاعتقاد والفقه، المستقيمون على الجادَّة في الخلق والعبادة، والسلوك.

وهم -بهذا- الفئة المقابلة لأهل الكلام -أيًّا كانت بدعتهم-، والفئة المقابلة

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٧).

لأهل الرأي الذين يقدِّمون آراءهم أو أقوال شيوخهم على الدليل الصحيح، بحجة أن الدليل ظني الثبوت، أو أن شيوخهم أعلم بالدليل... أو بغير ذلك من الحجج الواهية.

ولذلك عبَّر الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عنهم بقوله: «وهم أهل العلم»[(١)].

ومدلول العلم أوسع من مدلول الحديث، وإن كان الحديث قد يُطلق عليه العلم[(٢)].

فقد يكون الرجل من أهل السنة، ومن أهل العلم الذين يرابطون على ثغور الإسلام، ويدافعون عنه، ولكنه ليس من أهل الحديث؛ بمعنى: المشتغلين به رواية ودراية، حتى عُرفوا به، وأمثلة هذا كثيرة من المشتغلين بالتفسير، أو القراءات، أو اللغة، أو الأدب، أو التاريخ، أو غيرها...

وأما عبارة علي بن المديني في تعريفه أصحاب الحديث، والتي يقول فيها: «هم أصحاب الحديث الذين يتعاهدون مذاهب الرسول ﷺ، ويذبُّون عن العلم، لولاهم لم نجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الرأي شيئًا من سنن المرسلين»[(٣)]. ففي عبارة علي بن المديني نوع من التخصيص، إذ يفسر أهل الحديث بأنهم الذين يتعاهدون مذاهب الرسول ﷺ، ويذبُّون عن العلم، ويبلغون للناس سنن المرسلين. وهذا تفسير للشيء ببعض أجزائه، وأهل السنة الطائفة المنصورة أعم من ذلك، ولا شك أن قومًا كهؤلاء الذين ذكرهم ابن المديني هم أولى الناس بالدخول في هذه الطائفة، وإلى ما عندهم يَرجِع كلُّ مُتَّبع في أي تخصص كان، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكونوا - وحدهم- الطائفة المنصورة أو أهل السنة والجماعة، كما سبق تقريره.

إذن؛ فأهل السنة لا يجمعهم تخصص علمي ولا عملي بعينه؛ بل هم مفرقون في أبواب الخير كافة، يقولون بالحق، ويرحمون الخلق، ويجتمعون على منهج الاتباع.

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٤٩).

(٢) كما قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم». رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٤).

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (١/ ١٢١) في ترجمة علي بن المديني، وانظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (٢٢٣).

رابعًا: أهل السنة نمط واحد في باب الاعتقاد وأصول الدين:

لا منازعة بين المسلمين على خطورة أمر الاعتقاد، وعظم شأنه، وعلو قدره؛ إذ المخالف فيه على شفا هلكة.

ولهذا نجد أهل السنة جميعًا على قول واحد في أصول هذا الباب وكلياته، لم ينقل عنهم اختلاف في أمهات مسائل الاعتقاد وأصول الدين؛ بل المحفوظ عنهم اتفاقهم في هذه المسائل، وعدم اختلافهم عليها.

قال الشافعي رحمه الله: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء...»[1].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المستمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت عليها من علماء الحجاز والشام، وغيرهما عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زايل عن منهج السنة وسبيل الحق»[2].

قال ابن كثير في وصف وبيان من هم أهل السنة: «وهم أهل السنة والجماعة: المتمسِّكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه»[3].

وهذا لا يعني أن كل مسائل الاعتقاد متفق عليها عند أهل السنة والجماعة، إذ قد وقع الخلاف بين الصحابة أنفسهم حول بعض مسائل العقيدة، ولكن لم تكن هذه المسائل من

---

(١) العلو للعلي العظيم، للذهبي ص١٢٠

(٢) طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى (١/ ٢٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٤).

الأمهات والكليات في هذا الباب.

ومن الأمثلة على ذلك:

- اختلافهم في رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج، هل وقعت أم لا؟

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما كان النزاع بين الصحابة في أن محمدًا هل رأى ربه ليلة المعراج؟ فكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأكثر علماء السنة يقولون: إن محمدًا رأى ربه ليلة المعراج، وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وطائفة معها تنكر ذلك»(١).

- ومن ذلك أيضًا: اختلافهم في أنه هل يكون للبدن في القبر عذاب أو نعيم دون الروح أم لا؟

فقد سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن عذاب القبر: هل هو على النفس والبدن، أو على النفس دون البدن؟ فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتُعذَّب منفردة عن البدن، وتُعذَّب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين، كما يكون للروح منفردة عن البدن. وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة والكلام»(٢).

وقال: «ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين، واليهود، والنصارى. وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة. وهل يكون للبدن دون الروح نعيم أو عذاب؟ أثبت ذلك طائفة منهم، وأنكره أكثرهم»(٣).

- ومن ذلك: اختلافهم فيما يوزن يوم القيامة: هل هو العمل، أم صحائف العمل، أم العامل نفسه أي صاحب الأعمال؟(٤).

---

(١) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣/ ٣٨٦).
(٢) المرجع السابق (٤/ ٢٨٢، ٢٨٣).
(٣) المرجع السابق (٤/ ٢٨٤).
(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٦٠٨ - ٦١٣).

وليس مقصودنا في هذا المقام استقصاء مثل هذه المسائل؛ وإنما المقصود بيان أن بعض مسائل الاعتقاد قد وقع الخلاف عليها بين أهل السنة والجماعة، وإن كانت هذه المسائل - كما سبق - ليست من أصول العقيدة وكلياتها.

خامسًا: أهل السنة أحرص الناس على الاجتماع والائتلاف، وأبعد الناس عن الافتراق والاختلاف.

إن اعتصام أهل السنة بالجماعة من أهم أركان منهجهم المبارك.

قال تعالى: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ** ﴾[آل عمران:١٠٣].

قال ابن جرير الطبري: «يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم؛ من الألفة، والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله»(١).

وروى ابن جرير بأسانيده إلى ابن مسعود ﷺ أنه قال في تفسير «حبل الله» في قوله تعالى: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا** ﴾[آل عمران:١٠٣]: «الجماعة»(٢)، ومثل هذا نقله القرطبي عنه في التفسير(٣).

وذكر ابن جرير أقوالًا أخرى عن السلف في تفسير معنى حبل الله، منها: القرآن، والإخلاص لله وحده، والإسلام(٤).

وقال الشوكاني في نفس الآية: «أمرهم الله أن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن، ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين»(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٣٠).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٣٠).

(٣) المصدر السابق (٤/ ١٥٩).

(٤) المصدر السابق (٤/ ٣٠، ٣١).

(٥) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٦٧).

«وهذه الأقوال مؤداها واحد ونتيجتها واحدة، فإن الاعتصام بالقرآن، والإخلاص لله وحده، والتمسك بالإسلام الصحيح الذي جاء به رسول الله ﷺ؛ كلها مما ينتج عنه تآلف المسلمين واجتماعهم وترابطهم، وتماسك مجتمعهم»(١).

قال ابن القيم رحمه الله في حقيقة هذا الاعتصام: «وهو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم، وكشوفاتهم، ومواجيدهم، فمن لم يكن كذلك، فهو منسلٌّ من هذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبحبله، علمًا وعملًا، وإخلاصًا واستعانةً، ومتابعةً، واستمرارًا على ذلك إلى يوم القيامة»(٢).

قال ابن المبارك(٣):

إِنَّ الجمـاعةَ حَبْـلُ الله فاعْتَـصِموا ... مِنْـهُ بعُرْوَتِـهِ الـوُثْقَى لِمَـنْ دَانَـا

فأهل السنة على الحقيقة هم أهل الجماعة والاجتماع، مع الحرص على ذلك والتواصي به ظاهرًا وباطنًا.

ولكنهم حين يجتمعون ويدعون إلى الاجتماع يضبطون دعوتهم بضابطين هما:

١- الاجتماع على كلمة الحق:

فبدون هذا القيد الضابط لا يكون اجتماع أصلًا، فضلًا عن أن يكون صحيحًا؛ ذلك أن الباطل وأهله في أمر مريج، لا يقرون على قرار، ولا يهتدون لأمرٍ سواء.

فسبب الاجتماع جمعُ الدين كله علمًا وعملًا، ونتيجته سعادة الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن سبب الاجتماع والألفة جمعُ الدين والعملُ به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطنًا وظاهرًا،... ونتيجة الجماعة: رحمة الله ورضوانه، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه»(٤).

---

(١) وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق د. جمال بادي ص١٩، ٢٠.
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٣٢٣).
(٣) انظر تفسير القرطبي (٤/ ١٥٩).
(٤) مجموع الفتاوي (١/ ١٧).

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[آل عمران:١٠٦].

وقال شيخ الإسلام: «فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرَّق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب»[١].

وقال: «فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين، فلا تكون طاعة الله بفعل لم يأمر الله به من اعتقاد أو قول أو عمل، فلو كان القول أو العمل الذي اجتمعوا عليه لم يأمر الله به، لم يكن ذلك طاعة لله ولا سببًا لرحمته»[٢].

فأهل السنة مستمسكون بالجماعة، معرضون عن مواضع التفرق والاختلاف، ملتزمون بجمل الكتاب والسنة والإجماع، بعيدون عن مواطن المتشابهات التي تفرق الجمع وتشتت الشمل؛ لأن الجماعة عندهم هي مناط النجاة في الدنيا والآخرة.

وهذا يشهد لصدقه واقع أهل البدع والأهواء المجتمعين على الأصول البدعية؛ فإن فرقهم الكبرى انشعبت إلى ما لا يحصى عدًّا من الفرق المتشاكسة المتعاكسة، وهذا ظاهر في الخوارج والروافض -مثلًا-، فكلٌّ من هاتين الطائفتين افترقت إلى فرق كثيرة، بعد أن فارقوا الحق وتركوا الاجتماع عليه.

قال شيخ الإسلام: «والبدعة مقرونةٌ بالفُرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال أهل السنة والجماعة، كما يقال أهل البدعة والفُرقة»[٣].

وقال الشاطبي رحمه الله: «وقال جماعة من العلماء: أصول البدع أربعة، وسائر الثنتين والسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا، وهم: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة»[٤].

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٤٢١).
(٢) المرجع السابق (١/ ١٧).
(٣) الاستقامة لابن تيمية (١/ ٤٢).
(٤) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٢٠).

«وقد ذكر بعض المصنفين أن الروافض انقسموا إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأوصلهم بعضهم إلى ثلاثمائة»[١].

٢- مراعاة ضوابط الخلاف:

كما أمر الله تعالى بالاجتماع والاعتصام فقد حذّر ونهى عن الافتراق والابتداع، قال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ** ﴾[الشورى:١٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[الأنعام:١٥٣].

فحين يقع الخلاف العلمي بين أهل السنة يقع منضبطًا بضوابطه التي من أهمها الحرص على الوَحْدة والائتلاف، وصلاح ذات البين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾[النساء:٥٩]، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين»[٢].

وهذا الأمر مشاهد ملموس في الخلاف الذي ينشأ بين أهل السنة أنفسهم، وبين أهل السنة وأهل البدع، فأما ما يكون بينهم وبين بعضهم فكثير جدًّا، فقد وقع الخلاف بين الصحابة أنفسهم حول بعض مسائل العقيدة، ولكن لم تكن هذه المسائل من الأمهات والكليات في هذا الباب.

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٦٦).
(٢) المرجع السابق (٢٤/ ١٣٢).

وقد سبق من الأمثلة على ذلك:

- اختلافهم في رؤية النبيﷺ لربه ليلة المعراج، هل وقعت أم لا[١]؟

- ومن ذلك أيضًا: اختلافهم في أنه هل يكون للبدن في القبر عذاب أو نعيم دون الروح أم لا[٢]؟

- ومن ذلك: اختلافهم فيما يوزن يوم القيامة: هل هو العمل، أم صحائف العمل، أم العامل نفسه أي صاحب الأعمال؟[٣].

- ومن ذلك: اختلافهم في الفروع والأحكام الفقهية العملية وهو كثير مشهور.

وأما مواقفهم مع غيرهم ممن خالف في الأصول دون الفروع، فيجسده موقف ابن عباس مع الخوارج ورحمته بهم ونقاشه معهم، الذي كان سببًا في رجوع ألفين منهم إلى ساحة السنة، وإلى طريق الجماعة.

وكذا إمام أهل السنة الإمام أحمد في موقفه من مخالفيه، وعبد العزيز الكناني، ولقد حذا حذوهم شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمهم الله جميعًا.

وهم مع هذا كانوا أحرص الناس على جمع الكلمة ووحدة الصف وإصلاح ذات البين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماعُ الكلمة، وصلاحُ ذات البين، فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[الأنفال:١]»[٤].

ثم إنه من لوازم الاجتماع والدعوة إليه الـهي عن الفرقة وأسبابها، قال الإمام

---

(١) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣/ ٣٨٦).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٦٠٨ - ٦١٣).

(٤) المرجع السابق (٢٨/ ٥٠).

القرطبي: «وقال ابن عباس رضي الله عنهما لسماك الحنفي: يا حنفي، الجماعة الجماعة، فإنما هلكت الأمم السابقة لتفرقها، أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران:١٠٣]»[١].

قال ابن وهب: «سمعت مالكًا يقول: ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾[آل عمران:١٠٦]، قال مالك: فأي كلام أبين من هذا؟ فرأيته يتأولها لأهل الأهواء، ورواه ابن القاسم وزاد: قال مالك: إنما هذه الآية لأهل القبلة»[٢].

سادسًا: أهل السنة أعلم الناس بسنة رسول الله ﷺ وأتبعهم:

أهل السنة هم أعلم الناس بأحوال صاحبها ﷺ وأقواله وأفعاله، وأعظمهم محبة وموالاة لها ولأهلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية: أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباع لها، تصديقًا وعملًا، وحبًّا وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة»[٣].

وقال الإمام أبو نصر السجزي: «ولا خلاف بين العقلاء في أن سنة رسول الله ﷺ لا تعلم بالعقل، وإنما تعلم بالنقل»[٤].

«فكل مُدَّعٍ للسنة يجب أن يُطَالب بالنقل الصحيح بما يقوله، فإن أتى بذلك عُلِمَ

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ١٦٤).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٩٠).

(٣) مجموع الفتاوي (٣/ ٣٤٧).

(٤) الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر السجزي ص٩٩.

صدقه وقُبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف عُلم أنه مُحْدِث زائغ»[١].

ولا عجب في ذلك؛ فأهل السنة هم أصحاب الحديث، رواية ودراية، علمًا وعملًا؛ ولذلك فإننا نجد -كما سبق- أن بعض أئمة السلف فسَّر الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة بأنهم أصحاب الحديث.

ويقول الإمام أحمد في بيان منهج الاتباع: «وليس في السنة قياس، ولا تُضْرَبُ لها الأمثال، ولا تُدْرَكُ بالعقول والأهواء، إنما هي الاتباع، وترك الهوى»[٢].

وقال شيخ الإسلام في هذا المعنى: «ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٣]، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدِّمون هدي محمدٍ ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة»[٤].

فمعيار الانتساب كما يقرره العلماء هو اتباع المنهج أصولًا وفروعًا، وكلما تحقق العبد بهذه الأصول والفروع علمًا وعملًا، ودعوة وتطبيقًا؛ كان أولى بهذا الاسم وتلك النسبة الشريفة.

قال شيخ الإسلام: «قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ

---

(١) المرجع السابق ص١١١.
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٦).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) مجموع الفتاوي (٣/ ١٥٧).

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠]، فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة... فمن اتَّبع السابقين الأولين كان منهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمدﷺ خير أمة أُخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمدﷺ... ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم، خيرًا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله... فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دلَّ عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين، خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم؛ وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصومًا، وإذا تنازعوا فلا يخرج الحق عنهم، فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقاويلهم حتى يُعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه...»(١).

وقال في وصف أهل السنة والجماعة: «وهم يَزِنون بهذه الأصول الثلاثة -أي: الكتاب والسنة وإجماع السلف- جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين»(٢).

وهذا كلام جامع مانع في شأن المنهاج، حيث تتجلى فيه وبوضوح مصادر التلقي المعصومة عند أهل السنة، كما تبرز شمولية هذا المنهج لما عليه الناس في شأن الاعتقاد وشأن العبادات، وشأن العلم والعمل جميعًا، لا فرق في ذلك بين عمل القلب وعمل الجوارح ما دام ذلك كله له تعلق بالدين.

وكما أنهم ﷺ أتبع الناس لرسول الله ﷺ فإن من سنتهم الاقتداء بالصحابة المرضيين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) مجموع الفتاوي (١٣/ ٢٣-٢٧).

(٢) العقيدة الواسطية لابن تيمية ص٤٧.

وقد تقدم قوله ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[١].

وهذا مَعْلَم أصيل من معالم أصحاب الصراط السوي، ألا وهو اقتداء الآخر بالأول، واللاحق بالسابق، من أهل النجاة والسلامة والإحسان.

ولذا عبرَّ بعض العلماء عن معنى الجماعة في الأحاديث، فقال: «هم الصحابة ومن تبعهم بإحسان»؛ كما قرر ذلك الشاطبي في أول كتابه الاعتصام، حيث قال: «الجماعة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان»[٢].

ومعنى القدوة في الصحابة أَكَّدَهُ ابن مسعود ﷺ حين قال: «من كان منكم مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[٣].

وعلى هذا درج الصالحون من أسلافنا المباركين، يوصون بهذه الوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة.

فهذا ابن المبارك رحمه الله يُسأل عن الجماعة: مَن هم؟ فيقول: «أبو بكر وعمر» إشارة منه بأنهم القدوة لغيرهم من الأمة علمًا وعملًا، وأنهم أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ باتفاق، فيقال له: «قد مات أبو بكر وعمر»، فيقول: «فلان وفلان»، فيقال له: «قد مات فلان وفلان»، فقال ابن المبارك: «أبو حمزة السكري جماعة»، فوصف رجلًا ديِّنًا عالمًا تتمثل فيه القدوة لأهل زمانه. وهذا المسلك في البيان عن الجماعة من ابن المبارك من قبيل إفراد فرد من العام بالذكر، وهذا لا يخصص

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٨).

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٩٧)، وانظر: ذم التأويل لابن قدامة ص٣٢، وتحريم النظر في كتب الكلام له أيضًا ص٤٤.

العام بهذا الفرد كما تقرر ذلك قواعد الأصول، فليس معناه أنه لا يوجد أحد يدخل في معنى الجماعة زمن ابن المبارك إلا أبو حمزة السكري؛ وإنما أراد رحمه الله التنبيه بالمثال ليتضح المقال، ويسهل الفهم على السائل.

فأراد ابن المبارك أن يفسر الجماعة بمن اجتمعت فيه صفات الاتباع للكتاب والسنة، وهذا تعريف بالمثال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطابق»[١].

وعلى هذا المنهج في بيان القدوة في أهل السنة، اقتفى أبو يعقوب -إسحق ابن راهويه- أثر ابن المبارك حين سئل عن السواد الأعظم: من هم؟ قال: «محمد ابن أسلم وأصحابه ومن تبعهم»[٢].

فذكر رجلًا من أصحاب الحديث وعلماء السنة، قال عنه ابن القيم رحمه الله: «الإمام المتفق على إمامته، مع رتبته، أتبعُ الناس للسنة في زمانه، حتى قال رحمه الله: ما بلغني سنة عن رسول الله إلا عملتُ بها»[٣].

«فمن كان من العلماء مستمسكًا بالأثر، وسالكًا طريق الأولين من الصحابة والتابعين؛ اعتبره بعض العلماء هو الجماعة، وأوجبوا على الأمة متابعته، وأنه الجماعة التي يجب لزومها؛ لأن العلماء يمثلون المنهج، وهم القدوة للأمة»[٤].

ومَنْ تأمل مقولات السلف السابقة، علم أن العبرة والاعتداد في حصول القدوة، هو الاستمساك بالحق المدلول عليه بالكتاب والسنة ومنهج الصحابة وسلف الأمة،

---

(١) مجموع الفتاوي (١٣/ ٣٣٨).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٦٧).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (١/ ٧٠).

(٤) وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق د. جمال بادي ص١٠٤.

وأن الكثرة والقلّة لا تأثير لها.

فإن الله تعالى قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣].

وقال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٠]، فسماه الحق تعالى أمة، مع أنه كان على الحق وحده.

وقال أبو شامة رحمه الله: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به: لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسِّك بالحق قليلًا والمخالف كثيرًا؛ لأنَّ الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا يُنْظَر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»[(١)].

واستدلَّ أبو شامة لما قاله بما أورده عن ابن مسعود قال: «إنَّ جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق الحق وإِنْ كنتَ وحدك»[(٢)].

وقال نعيم بن حماد: «إذا فسدت الجماعة، فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ»[(٣)].

ويؤكِّد ابن القيم هذا المعنى فيقول: «وقد شذَّ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل؛ إلا نفرًا يسيرًا، فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذٍ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة»[(٤)].

قال ابن القيم: «واعلم أنَّ الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإِنْ خالفه أهل الأرض... الشاذ ما خالف الحق وإِنْ كان الناس كلهم عليه، إلا واحدًا منهم فهم الشَّاذون»[(٥)].

وأخيرًا فإن أعظم دلالة على واقعية هذا المنهج وقابليته للتطبيق، وأيسر وسيلة

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٢٢.

(٢) المصدر السابق ص٢٢، وإعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ٣٩٧)، وصححه الألباني في المشكاة (١/ ٦١).

(٣) الباعث لأبي شامة ص٢٢، وإعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ٣٩٧).

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ٣٩٧).

(٥) المرجع السابق (٣/ ٣٩٧).

للحمل على الاتباع والسلوك- هو ظهور القدوة التي تمثل هذا المنهج، واستشعار الأجيال على ما بينها من تباعد زماني ومكاني صلة متينة ووشيجة من وشائج القربى بين السالف واللاحق، وتأسيًّا واقتداء بعلم وعمل وخلق من سبق بالفضل علمه، وبالكمال عمله، وبالتمام خُلُقه. أولئكم هم السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعًا.

سابعًا: أهل السنة يجمعون بين واجب الاتباع وواجب الاجتماع على الأئمة وأهل الحل والعقد من الأمة:

لا يخفى أن التمسك بالسنة والمحافظة على الجماعة كلاهما مقصود للشارع؛ ولهذا كانت الفرقة الناجية من بين زحام الفرق الهالكة هم أهل السنة والجماعة؛ أهل السنة بتمسكهم بالحق واستقامتهم عليه ودعوة الناس إليه، وأهل الجماعة بلزومهم لجماعة المسلمين، والتزام الطاعة لأولي الأمر في غير معصية.

ولهذا أيضًا أمرت الشريعة بالإنكار على أئمة الجور، وعدم تصديقهم على كذبهم، أو إعانتهم على ظلمهم؛ محافظة على السنة، وأمرت بعدم الخروج عليهم، والتزام الطاعة لهم في غير معصية؛ محافظة على الجماعة.

لذا كان منهج أهل السنة والجماعة هو الموازنة بين هذين الأمرين: المحافظة على السنة، والمحافظة على الجماعة؛ فلا يؤدي التزامهم بالطاعة لأهل الحل والعقد إلى الجور على السنة أو إقرار ما يخالفها، أو كتمان الحق والتدليس على الأمة؛ بل بيان الحق، وبذل النصيحة، والإنكار على المخالف بما لا يؤدي إلى مفسدة أعظم.

ولا يعني التزامهم بالسنة وإنكارهم على المخالف الخروج عن الطاعة أو مفارقة الجماعة؛ بل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع لزوم الجماعة والانقياد لها بالطاعة هو منهج أهل الحق، أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض،

جهاد من يستحق الجهاد -كهؤلاء القوم المسئول عنهم[١]- مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم، إذا لم يكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله؛ بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديمًا وحديثًا، وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريقة الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقًا وإن لم يكونوا أبرارًا»[٢].

وقد ضرب إمام أهل السنة -الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ- أروع الأمثلة في تطبيق هذا المنهج العظيم، وذلك في فتنة القول بخلق القرآن.

فلم يؤد التزامه بالطاعة لأولي الأمر إلى الجور على السنة أو إقرار ما يخالفها، أو كتمان الحق والتدليس على الأمة؛ بل أعلن الحق، وأظهر السنة، ونصح لله ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وبذل نفسه رخيصة في سبيل ذلك.

ومن ناحية أخرى، لم يدفعه التزامه بالسنة والمحافظة عليها، والإنكار على المخالف إلى الخروج عن الجماعة أو الطاعة؛ بل رفض كل المحاولات التي قام بها أصحابها ليحملوه على الخروج على السلطان؛ بل وأكثر من هذا أنه كان يدعو للإمام - الذي يذيقه ألوان العذاب - لينصره الله على أعدائه من الكفار.

ثامنًا: أهل السنة يوالون بالحق ويعادون بالحق ويحكمون بالحق:

أهل السنة والجماعة ولاؤهم للحق وحده، ومن هذا المنطلق فإنهم ينظرون إلى كل فرد أو طائفة أو تجمع على هذا الأساس وحده، وليس على أساس من التعصب

(١) يعني: التتار.

(٢) مجموع الفتاوي (٢٨/ ٥٠٨).

الجاهلي للقبيلة، أو المدينة، أو المذهب، أو الطريقة، أو التجمع، أو الزعامة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم، والحب والبغض، والموالاة والمعاداة، والصلاة واللعن، بغير الأسماء التي علَّق الله بها ذلك، مثل: أسماء القبائل، والمدائن، والمذاهب، والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ، ونحو ذلك مما يراد به التعريف... فمن كان مؤمنًا وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرًا وجبت معاداته من أي صنف كان... ومن كان فيه إيمان وفيه فجور، أعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره»[1].

وأهل السنة والجماعة لا يمتحنون الناس بأمور ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يتعصبون لأسماء، أو شعارات، أو تجمعات، أو زعامات؛ بل يوالون ويعادون على أساس الدين والتقوى، ولا يتعصبون إلا لجماعة المسلمين بمعناها الشرعي، وهي الجماعة التي ترفع راية القرآن والسنة، وهدي السلف الصالح رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فالواجب الاقتصار في ذلك، والإعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به؛ فإن هذا من البدع المخالفة لأهل السنة والجماعة. وكذلك التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله، مثل: أن يقال للرجل: أنت شكيلي أو قرفندي؟ فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان»[2].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد ﷺ أن تفترق وتختلف، حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى، وقد برَّأ الله نبيه ﷺ ممن كان هكذا، فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم، وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله، وأقل ما

---

(١) المصدر السابق (٢٨/ ٢٢٧ - ٢٢٩).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤١٤).

في ذلك أن يفضل الرجلُ من يوافقه على هواه، وإن كان غيره أتقى لله منه!...

كيف يجوز التفريق بين الأمة بأسماء مبتدعة لا أصل لها في كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ؟»[١].

تاسعًا: أهل السنة أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أهل السنة والجماعة هم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ هو من أعظم أصول الدين، ولكنهم يقومون به على ما توجبه الشريعة، فيلتزمون في نفس الوقت أصلًا آخر، وقاعدة أخرى عظيمة، هي الحفاظ على الجماعة، وتأليف القلوب، واجتماع الكلمة، ونبذ التفرق والاختلاف.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد، والجمع والأعياد مع الأمراء -أبرارًا كانوا أو فجارًا-، ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة»[٢].

وقال رحمه الله: «من الأمر بالمعروف: الأمر بالائتلاف والاجتماع، والنهي عن الاختلاف والفرقة»[٣].

فأهل السنة قد حملوا على عاتقهم مهمة مقاومة المنكر، وجهاد الدعاة إليه من المنافقين ومَن آزرهم من الفاسقين، والعمل على إضعاف شأن أهل الريب والفساد؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٤].

فهم -من بين سائر الناس- قد نذروا أنفسهم لمحاربة المنكرات وأهلها، وإنكارها، وبيان حرمتها وخطرها، وأمر الناس بضدها من الخير والبر والمعروف.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٤١٩ - ٤٢١).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٥٨).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٤٢١).

وإذا كان الله ﷻ قد علَّق خيرية هذه الأمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان به سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠]، كما أنه سبحانه قد امتدح المؤمنين بقيامهم بهذا الواجب العظيم، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[التوبة:٧١]، إذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن أهل السنة والجماعة هم أصحاب القدح المعلَّى، والنصيب الأوفر في هذا الباب؛ إذ هم خير هذه الأمة وأفضلها.

ومن اطَّلع على سيرة أئمة أهل السنة وتاريخهم ظهر له هذا الأمر واضحًا جليًّا، وعلم أن أهل السنة لا يتركون هذا الواجب حتى لو أصابهم الأذى في سبيل ذلك.

ومن ذلك ما روي أن محمد بن المنكدر وأصحابًا له كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ونالهم في ذلك الأذى من السلطان[١].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يخرج بتلاميذه، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدورون على الخمارات والحانات، فيكسرون أواني الخمور، ويشقِّقون الظروف، ويعزِّرون أهل الفواحش[٢]. وقد قاموا بتأديب أهل الجبل المعروفين بالنُّصيرية، وألزموهم بأحكام الإسلام الظاهرة.

كما كان له رحمه الله ولأتباعه دور عظيم في دفع التتار عن الشام، وهزيمتهم في وقعة (شقحب) وغيرها[٣]، وله موقفه العظيم المعروف مع السلطان حين تأخر عن المجيء إلى دمشق، مع اقتراب التتر منها[٤].

---

(١) انظر: الجامع للقيرواني ص١٥٥.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ١١).

(٣) المصدر السابق (١٤/ ٨ - ١٠، ١٣-١٥، ٢١-٢٤).

(٤) انظر: المصدر السابق، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٣٩٥ - ٣٩٦).

ولا يزال أعلام وأئمة أهل السنة على هذا الدرب سائرين، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فهو جهاد الدعوة الدائم، ودورها الذي لا قيام للدين بدونه، ولا اعتصام بحبل الله إلا على هداه.

عاشرًا: أهل السنة لا يتخلون عن واجب، ولا تزال طائفة منهم قائمة به إلى قيام الساعة:

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ومن أعظم أصول الدين، وهو شريعة ماضية إلى يوم القيامة، ولا تزال الطائفة المنصورة قائمة به، تقاتل في سبيل نصرة هذا الدين، لا تتخلى عن هذا الأمر، حتى يقاتل آخرها المسيح الدَّجَّال.

وقد وردت هذه المعاني كلها عن رسول الله ﷺ.

فمما ورد في استمرار الجهاد وبقائه إلى يوم القيامة، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»[١]، ورواه عروة بن أبي الجعد البارقي عن النبي ﷺ قال: «**الخيل معقود في نواصيها إلى يوم القيامة: الأجر، والمغنم**»[٢].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «وفقه هذا الحديث أن الجهاد مع كل إمام إلى يوم القيامة»[٣].

ومما ورد في حمل أهل السنة لراية الجهاد إلى يوم القيامة ما راوه جابر بن سَمُرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لن يبرح هذا الدين قائمًا، يقاتل عليه عصابةٌ من المسلمين، حتى تقوم الساعة**»[٤].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي، يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة**»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٩)، ومسلم (١٨٧١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣) من حديث عروة البارقي رضي الله عنه.

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٢٠٢).

(٤) رواه مسلم (١٩٢٢).

(٥) سبق تخريجه.

وعن عمران بن حصين ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرُهم المسيح الدجَّال**»[(١)].

فهذه الروايات -وغيرها- تبيِّن أن الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة لا تقف عند حد جهاد الكلمة؛ ببيان الحق، والدعوة إليه بالحسنى، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بل من خصائصها أيضًا القيام بواجب الجهاد في سبيل الله، وقتال أعداء الله من الكفَّار والمنافقين وغيرهم. وهم في جهاد مستمر مع أعداء الدين لا ينقطع بحال من الأحوال إلى يوم القيامة، حتى يقاتلوا المسيح الدَّجَّال.

وإذا كان هذا حالها، فإنها تنتقل من معركة إلى معركة، ومن ميدان إلى ميدان، تُدال على أعدائها فتشكر، ويُدالون عليها فتصبر، ولا يخطر ببالها اعتزال الميدان أو ترك الجهاد.

وهذا لا يعارض ما وُجد ويوجد في بعض الأمكنة والأزمنة من ترك الجهاد، ممَّا أخبر به النبي ﷺ، وحَذَّر منه، فوقع في الأمة كما أخبر.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزَّرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[(٢)].

فإننا كما نجد مصداق قول النبي ﷺ في واقع الأمة في الأزمنة المتأخرة؛ من الإخلاد إلى الأرض، وترك الجهاد، والرضى بالزرع، والتبايع بالربا، وتسلط الأعداء، ونزع المهابة، وإصابتها بالوهن؛ نجد أيضًا مصداق ما أخبر به ﷺ من دوام الجهاد

---

(١) رواه أحمد (١٩٤١٩)، وأبو داود (٢٤٨٤)، ورواه الحاكم (٢٣٩٢) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما، وصححه الحاكم، والشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٢٩٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٤٦٢)، وأبو يعلى في مسنده برقم (٥٦٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٤٨٤)، وقد صححه ابن القيم في تعليقه على مختصر سنن أبي داود، والشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٢٣).

واستمراره، وبقاء طائفة من أمته يقاتلون على الحق ظاهرين.

فلا تكاد راية الجهاد تسقط من يد إلا وتتلقَّفها أيادٍ أخرى؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[المائدة:٥٤].

ومقتضى هذا الوعد ألا يزال في الأمة مؤمنون مجاهدون، باذلون، صابرون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، وهؤلاء هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

حادي عشر: أهل السنة أكرم الناس أخلاقًا، موصوفون بالاستقامة في الهدي والسمت والسلوك الظاهر:

قال الله ﷻ مادحًا نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤]، وقال ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1]، وقد ندبنا الله ﷻ إلى الاقتداء برسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:٢١].

إن أهل السنة والجماعة هم حملة ميراث النبوة في جانبيها العلمي والعملي، ولا شك أن أبرز الجوانب العملية في الهدي النبوي هو الجانب الأخلاقي، ولذلك فإن أخلاق النبوة - من الرحمة، ومحبة الخير للناس، واحتمال أذاهم، والصبر على دعوتهم، هي المنبع الذي يستقي منه أهل السنة خصائصهم السلوكية والأخلاقية، والتي لا تقل

(١) أخرجه أحمد (٨٧٢٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) والتاريخ الكبير (٨٣٥)، والحاكم في المستدرك (١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩١، ١٩٢) من حديث أبي هريرة ﷺ. وصححه الحاكم، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٣٣، ٣٣٤)، والألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩). قال فضل الله الجيلاني: «لا يكون دين من الأديان خاليًا من مكارم الأخلاق، لكن لم تكن الأخلاق الكريمة مجموعة كلها في دين من الأديان السابقة حتى جمع الله في دين الإسلام كل ما كان من أخلاق حسنة في أي دين، فهذا معنى: «أتمم مكارم الأخلاق».. أي: أبلغ نهايتها» باختصار من فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد (١/ ٢٧١).

أهمية في منظور الحق عن ميراث العلم والهدى الذي اختص به الله هذه الفرقة الناجية بفضله ورحمته.

قال شيخ الإسلام: «الرسول ﷺ بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على أذاهم واحتماله، فبعثه بالعلم والكرم والحلم؛ عليم هاد، كريم محسن، حليم صفوح... فهو يعلّم، ويهدي، ويصلح القلوب، ويدلها على صلاحها في الدنيا والآخرة بلا عوض. وهذا نعت الرسل كلهم... وهذه سبيل من اتبعه... وكذلك نعت أمته بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠]، قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس: تأتون بهم في السلاسل حتى تدخلوهم الجنة، فيجاهدون ويبذلون أنفسهم وأموالهم؛ لمنفعة الخلق وصلاحهم، وهم يكرهون ذلك لجهلهم، كما قال أحمد في خطبته: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، إلى آخر كلامه... وهو سبحانه وتعالى يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها، وهو يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات. وقد قيل أيضًا: وقد يحب الشجاعة ولو على قتل الحيات، ويحب السماحة ولو بكف من تمرات»(١).

وقال أيضًا: «يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين**

---

(١) مجموع الفتاوي (١٦/ ٣١٣-٣١٧).

إيمانًا أحسنهم خلقًا»[١]، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها، وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره، فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة»[٢].

وقد تميَّز أهل السنة بهذه الخصلة الجميلة - كرم الخلق وحسن الهَدْي والسمت، وحرصوا عليها أشدَّ الحرص.

قال ابن سيرين: «كانوا يتعلمون الهَدْي كما يتعلمون العلم»[٣].

وقال حبيب بن الشهيد لابنه: «يا بنيّ ائت الفقهاء والعلماء، وتعلّم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إليَّ لك من كثير من الحديث»[٤].

فاقتدى السلف الصالح ﷺ برسول الله ﷺ، وتخلقوا بأخلاقه، وامتثلوا ما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه، وكانوا كما قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠].

قال الإمام مالك رحمه الله: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا»[٥].

وقال الحسن البصري: «إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين»[٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٣٥٤)، والدارمي (٢٧٩٢)، والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٠).

(٢) مجموع الفتاوي (٣/ ١٥٨).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٧٩).

(٤) المصدر السابق (١/ ٨٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥).

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ص٢.

وقيل للشافعي: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعًا فتنعم به، قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضَّلة ولدها وليس لها غيره[1].

وذكر الذهبي أن مجلس الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ خمسة الآف، خمسمائة يكتبون، والباقون يستمدون من سمته وخلقه وأدبه[2].

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣١٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣١٦).

أسئلة الفصل الخامس

من الباب الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- أهل السنة لا يتعصبون للأحزاب ولا للشعارات ولكن يتعصبون للقوميات ولا للأوطان.

٢- لم يلقب أهل السنة والجماعة بلقب السلفية إلا الشيخ الألباني.

٣- يشرع الانتهاء للمذاهب ولا ينفي هذا مطلق الانتساب لأهل السنة والجماعة.

٤- أهل السنة يعيشون في جزيرة العرب فقط.

٥- أهل السنة يجمعهم تخصص علمي واحد وهو علم الحديث.

٦- أهل السنة متفقون في فروع الفقه وأصول الدين.

٧- أهل السنة أحرص الناس على الاجتماع والائتلاف، وأبعد الناس عن الافتراق والاختلاف.

٨- اتفقت كلمة أهل السنة على أن النبي رأى ربه ليلة المعراج.

٩- اختلف أهل السنة في عذاب القبر هل يقع على البدن دون الروح أم لا.

١٠- اتفقت كلمة أهل السنة على أن ما يوزن يوم القيامة هو صحائف الأعمال.

١١- أهل السنة والجماعة هم حملة ميراث النبوة في جانبها العلمي لا العملي.

١٢- أهل السنة يوالون بالحق، ولكنهم لا يعادون أحدًا بالحق.

١٣- المعتزلة هم أولى الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٤- أهل السنة يتخلون عما هو واجب، ولا تزال طائفة منهم قائمة به إلى قيام الساعة.

١٥- ينحصر منهج أهل السنة في تنقية العقائد دون غيرها.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١ - أهل السنة:

أ- لا يجمعهم مكان ولا يخلو عنهم زمان.

ب-لا يجمعهم تخصص علمي ولا عملي بعينه.

ج- كلاهما صحيح.

٢- موقف أهل السنة من الأحزاب والشعارات والقوميات والأوطان:

أ- يتحزبون عليها ويتعصبون لها. ب-لا يتعصبون لها.

٣- أهل السنة:

أ- على نمط واحد في باب الاعتقاد وأصول الدين.

ب-ليسوا على نمط واحد في باب الاعتقاد وأصول الدين.

٥- الاعتصام بحبل الله... منهج أهل السنة والجماعة.

أ- من أركان. ب-من نواقض. ج-من المستحبات في.

٦- رؤية النبيﷺ ربه ليلة المعراج:

أ- محل اتفاق بين أهل السنة والجماعة.

ب- محل اختلاف بينهم. ج- لم تطرح للمناقشة أصلًا.

٧- عذاب القبر ونعيمه يقع على:

أ- البدن فقط. ب-الروح فقط. ج-البدن والروح.

د- من مسائل الخلاف بين أهل السنة والجماعة.

٨- ما يوزن عند الله يوم القيامة:

أ- العمل. ب-صحائف العمل. ج-العامل نفسه.

د-من مسائل الخلاف بين أهل السنة والجماعة.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١- اذكر الخصائص والصفات العامة لأهل السنة والجماعة.

٢- اشرح معنى قولهم: «ليس لأهل السنة اسم يجمعهم إلا هذا الاسم».

٣- اشرح معنى قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «بل الأسماء التي يسوغ التسمي بها، مثل انتساب الناس إلى إمام: كالحنفي والمالكي... أو إلى شيخ كالعدوي أو القادري ونحوهم أو... إلى الأمصار: كالمصري والشامي فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها».

٤- اشرح معنى قولهم: أهل السنة لا يجمعهم مكان ولا يخلو عنهم زمان.

٥- دلل على أن أهل السنة مشتغلون بأبواب الخير كافة.

٦- اشرح معنى قولهم: إن أهل السنة نمط واحد في باب الاعتقاد وأصول الدين.

٧- فسر معنى قولهم: «إن أهل السنة يجمعون بين واجب الاتباع وواجب الاجتماع على الأئمة وأهل الحل والعقد من الأمة».

٨- اشرح هذا المعنى بالتفصيل: «أهل السنة يوالون بالحق ويعادون بالحق ويحكمون بالحق».

٩-اشرح هذا المعنى تفصيلًا: «أهل السنة لا يتخلون عن واجب، ولا تزال طائفة منهم قائمة إلى قيام الساعة».

الفصل السادس

الانتساب لأهل السنة والجماعة

الفصل السادس

الانتساب لأهل السنة والجماعة

إن تحقيق انتساب الفرد والطائفة إلى أهل السنة والجماعة هو أعظم المهمات، فهو طريق النجاة والعصمة في الدنيا من الفرقة والبدعة وذهاب الريح، وهو طريق النجاة في الآخرة من العذاب والتباب، قال جل وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[آل عمران:١٠٣].

والتحقيق أنه طريق الإسلام المستقيم، وهو منهجه القويم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣].

وقد فُسِّرَ الصراط المستقيم بالسُّنَّةِ والجماعة[1].

فالانتساب إلى أهل السنة والجماعة، والسلف الصالح، يعني الانتساب إلى الإسلام الصافي عن شوائب البدع، ومخالفات الفرق.

وإن كل من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدﷺ نبيًا ورسولًا، مقبلًا على الالتزام بالإسلام جملة، وعلى تحكيم شريعته استسلامًا وانقيادًا، وبرئ من تبني مذهب بدعي، أو الانتساب إلى فرقة ضالة، أو اعتماد أصل كلي من أصول البدع؛ فهو من أهل السنة والجماعة إجمالًا، وهذا يشمل عوام المسلمين الذين لم ينضووا تحت رايةٍ بدعية، ولم يُكَثِّروا سواد فرقة غير مرضية.

فهذا القدر يحقق انتسابًا إجماليًا تصح به النسبة إلى أهل السنة والجماعة.

وتتجلى أهمية هذا الانتساب وتظهر ثمراته في أمور منها:

أن ضبط أصول أهل السنة والتمسك بها عصمة من الاضطراب والتخبط

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ٤٦٩)، وله تفسيرات أخرى ذكرها أهل التفسير كالطبري والقرطبي وغيرهما.

العلمي والعملي، وفي ذلك ما لا يخفى من حفظ الدين من أنواع التحريف كافة، ومواجهة التيارات البدعية المنحرفة، سواء القديمة منها أو المعاصرة.

والانتماء الصادق إلى هذه الطائفة المباركة هو في حقيقته سبب وسبيل قاصد لوحدة العاملين في حقل الدعوة إلى الله ﷻ في كل زمان ومكان؛ لأن الاجتماع على هذا الانتماء أنجح وأنفع من الاجتماع على راية حزبية، أو دعوة إقليمية؛ لأنه اجتماع على منهج الحق والاتباع، وليس على حساب الحق والاتباع.

ثم إن شرف تجديد الدين الذي أخبر به خاتم الأنبياء والمرسلين لا يَتَأَتَّى على وجهه الأكمل وصورته المثلى إلا من الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة. إذ فيهم الأئمة المتقون، ومنهم المجددون السلفيون المصلحون.

وبناء على ما تقدم فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: بم يتحقق صدق الانتساب وتمامه، إذا تحقق أصله وأساسه؟

هل يتحقق ذلك بإثارة قضية أو قضايا ناقشها السلف وعالجوها في كتبهم ومقالاتهم في زمانهم وفقط؟!

أم يتأكد بإظهار محبتهم، والترضي عنهم، وتعطير المجالس بذكرهم وحسب؟!

أو لعل هذا الانتساب يكون بتبني كتبهم والتوافر على قراءتها وتدريسها، دون غيرها!

أم أن الانتماء لهم يتحقق بمجرد التسمي باسم «أهل السنة والجماعة»، أو «أهل الحديث»، أو «السلف الصالح»، أو «الفرقة الناجية»!

إلى غير ذلك من الإجابات المنقوصة لهذا السؤال المهم.

والحق أن كمال الانتساب يكون بتبني جملة أصول ومعالم مجتمعة، وبقدر ما يقع من الضعف في الأخذ بها جميعًا، بقدر ما يحصل من الوهن في هذه النسبة الشريفة، ويمكن إجمال هذه المعالم في النقاط التالية:

أولًا: تحقيق المنهجية الصحيحة:

وتعني العودة بأصول الفهم والتلقي والاستنباط إلى الكتاب والسنة، وقواعد الفهم المعتبر لدى خير القرون، كما تعني تكوين أسلوب للنظر في كليات الأمور ومهماتها، وإنشاء منهجية للتعامل مع الأحداث، والحكم على المواقف والأشياء والأشخاص، وضبط المناحي العلمية والعملية كافة بطريقة منهجية، تنبثق من مشكاة الصحابة والتابعين، وسلف الأمة الصالحين، وأهل الحديث المتبعين.

وهذا يشمل العناية بمنهجية أصل أصول أهل السنة وهو العقيدة، ويشمل أيضًا العناية بأصول العبادة ومنهج التنسك، والأمر والنهي، والسلوك والأخلاق ورياضة النفوس، مع التحقق بمحبتهم وموالاتهم ﷺ والتحلي بجميل شمائلهم.

ولا يصح قصر حقيقة الانتساب إلى أهل السنة والسلف على الاشتغال بمسائل ومشاكل سادت فترة ثم غابت، فإن المنهجية التي واجهت فتنة القول بخلق القرآن فأثمرت مواقف مشرقة حفظت وجه الحق ناصعًا مبينًا، يجب أن تحيا لتواجه اليوم فتنة تحكيم الشرائع الوضعية، والولاء للقومية والوحدة الوطنية.

قال تعالى: **﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾**[النساء:٨٣].

كما أكدت السنة هذا المعنى في قوله ﷺ: «**كتاب الله فيه الهُدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**»(١).

وعلى هذا فلا تتم النسبة الكاملة لأهل السنة بمجرد الوقوف عند قضايا واجهها السلف لملابسات زمانية أو مكانية، وإن لم تقم حاجة إلى إثارتها أو مواجهتها في عالم اليوم.

وعليه فإن المنهجية الصحيحة لا تقبل أن تستهدف الدعوة في بعض المواقع تحرير

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم ﷺ.

العقائد من شرك الأموات والأوثان، ثم تضرب الذكر صفحًا عن شرك الأحياء والأوضاع والنظم المعاصرة.

وإنما هي حرب على مظاهر الشرك كافة، وحياطة لجناب التوحيد عامة، وإعطاء كل ذي حق حقه ومستحقه في زمانه ومكانه.

ومن تحقيق المنهجية الصحيحة: تعظيم أقدار السلف، واعتمادهم مرجعية عامة، بالأخذ عن علمائهم، والتتلمذ على كتبهم، والفيئة إلى أحكامهم وفتاواهم، مع مراعاة سياق وسباق كلٍّ في ظروفه وملابساته.

ومن الانحراف عن المنهجية: احتكار الأسماء الشرعية الشريفة، أو المناهج الربانية المعصومة، وخلطها بالاجتهادات البشرية، وإلباسها لبوس الحزبية، وتشويهها بتحكمات مذهبية.

ومن الانحراف عن المنهجية: التعلق بالأشخاص دون المنهج، واختزال الأمة في شخص أو مجموعة أشخاص، إذ المنهج يبقى والأشخاص تفنى.

و«من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»[1].

وعليه فلا يصح اعتبار رجل عيارًا على المنهج وممثلًا له دون النبي ﷺ، ولو كان الصِّدِّيق ﷺ؛ ذلك أن المنهج معصوم والبشر ليسوا بمعصومين، وكل بني آدم خَطَّاء.

ومن الانحراف عن المنهجية: اعتبار المسائل الاجتهادية -التي تختلف الفتوى بشأنها زمانًا ومكانًا وأشخاصًا- من المنهج، ومن ذلك: تعميم اجتهادات آحاد السلف في المسائل العملية والفقهية، وإهدار الاجتهادات الأخرى؛ حيث إن المنهج بقواعده وضوابطه محل اتفاق وليس محل اختلاف.

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٧٠).

ثانيًا: ضبط وإحكام القواعد والأصول علمًا وعملًا:

سواء في ذلك قواعد العلم، والتوحيد، والاتباع، والعبادة، والتزكية، والدعوة، والأمر والنهي، والجهاد، والتعامل مع الواقع، والاعتصام بالسنة، والحرص على الجماعة، ونحو ذلك.

وهذا لا يتأتى إلا بالإقبال على علومهم فهمًا واستيعابًا، وجمعًا وعرضًا، وتطبيقًا ودعوة.

ففي جانب العلم:

تجدر العناية بالقواعد الضرورية لطلب العلم والانتفاع به؛ كتصحيح النية، والإخلاص تحقيقًا للخشية، وتحصيلًا لفضل الاتباع والاقتداء بالنبي ﷺ، وإقامة للدين، وحفظًا للشريعة، وطلبًا للتمكين.

كما يتأكد تقديم العناية بالتوحيد والإيمان، والتثنية بالفقه والأحكام. مع الحرص على الجوانب المثمرة من العلوم، والبعد عن الترف الفكري والجدل العقيم.

واعتماد التلقي عن الأكابر في كل علم باللقيا والمشافهة، والعناية بكتب أهل السنة سواء في الاعتقاد أو الأصول والأحكام، مع التنبه إلى خطورة الآفات والمزالق في طريق طلب العلم؛ كالتصدر قبل التأهل، والتوقر قبل أوانه، والعزلة عن واقع الأمة، والولع بالغرائب، والتعصب للرأي والمذهب، وازدراء المخالف.

وفي جانب التوحيد:

الحرص على سلامة العقيدة بالاعتماد على الكتاب والسنة، وتلقيها بفهم الصحابة وسلف الأمة، والتسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ من غير تعرض لنصوص الوحيين بمعارضة ومناقضة، وترك التخليط في مصادر التلقي وتصفيتها من كل منهج كلامي مردود أو شوب فلسفي مذموم.

ومن ذلك: سد باب الابتداع والإحداث في الدين، ورد جميع ما خالف سنة سيد

الأنبياء والمرسلين. مع الاحتياط التام في جانب التبديع والتكفير للمخالف من أهل القبلة وجهلة العوام من أهل الملة، لشبهة بدت أو سوء تأويل، والتفريق بين القول وقائله، والفعل وفاعله.

ومن ذلك: تحقيق شمولية علم العقيدة لأبوابها كافة بالجمع بين توحيدي الربوبية والألوهية في العناية والعرض والتعليم، وكذا الجمع في التناول بين قضايا الإيمان وحقائقه، ومبطلاته ونواقضه، والعناية بتوحيد الأسماء والصفات بجانبيه العلمي النظري، والعملي التربوي.

ومن ذلك: مواجهة الانحرافات المعاصرة بتحقيق عقيدة البراء من كل مخالف كل بحسبه، وتأصيل عقيدة الولاء لله ورسوله، وللمؤمنين كل بحسبه.

ومن ذلك: ربط العقيدة بآثارها العملية من استقامة الأخلاق، وانضباط السلوك، والتحرك بالدعوة إليها، فتُرى في أهداف صاحبها، وتُسمع في أقواله، وتقرأ في كتاباته.

ومن ذلك: الصدور عنها في تقويم الأشخاص والأحداث والمواقف، واتخاذها دون غيرها من الأسماء والشعارات معقدًا للتفرقة وفيصلًا بين الخلق. والتقيد بها في منهج الدعوة كله، ورفض الوسائل التي تنافيها، والأساليب التي تناقضها.

ومن أهم ما يُذْكَر فلا يُنسى: اتقاد جذوة التضحية في سبيلها، واستعذاب المشاق في نصرتها، وبذل النفس والنفيس في رفعتها، وتكثير سواد أهلها(١).

وفي جانب الاتباع:

يطلب تحقيقه وتقعيده علميًّا وعمليًّا، بالحذر من اتباع الهوى والتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو رأي، واتباع الدليل من القرآن والسنة، والإجماع والقياس وما استند إلى هذه المصادر.

---

(١) انظر: كتابنا معالم في أصول الدعوة ص٩-٢١.

ومن ذلك: فتح باب الاجتهاد في كل ما لم يرد فيه نص قاطع أو إجماع صريح، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد في الجملة، كما لا يجب تقليد إمام بعينه.

وزلة العالم لا يُتابع عليها ولا يهدر بسببها، والأصل في الفتوى أن تناط بأهل الاجتهاد فإن عُدِموا اعتُبِرَ الأمثل فالأمثل، والقول الوسط في التمذهب جوازه بلا تعصب.

ومن ذلك: التفريق بين مسائل الخلاف الاجتهادية التي لا ينكر على المخالف فيها ولا يضيق عليه، ومسائل الاختلاف التي لا يسوغ فيها خلاف، مع التأكيد على إحياء وممارسة أدب الخلاف.

ومن أعظم أصول أهل السنة: التزام الطاعة للأئمة ما أقاموا كتاب الله في الأمة، وكما أن الاتباع واجب شرعي فإن الاجتماع مطلب شرعي وضرورة عملية.

ويتحقق الاتباع العلمي والعملي بالاجتماع على أهل العلم الموافقين للسنة المتبعين لها قولًا وعملًا، وبالاجتماع على الإمام الحق ولزوم بيعته، والانضواء تحت رايته.

وفي جانب التزكية والتربية:

يتعين التأكيد على أنها مهمة الأنبياء والمرسلين، وهي من سبيل إقامة الدين، وبدونها لا يتأتى تغيير وإصلاح، وليست لها غاية تنتهي عندها، كما لا يستغني عنها المنتهي فضلًا عن المبتدي، أنواعها كثيرة متعددة، فتربية علمية وأخرى وجدانية وثالثة جهادية.. ووسائلها لا تنحصر.

ومنهج التربية والتزكية يقوم على الوسطية: فكما أن أهل السنة وسط بين فرق الأمة في مسائل الاعتقاد فهم أيضًا وسط في باب التربية والسلوك بين طرفي الإفراط والتفريط، فهم وسط في باب الإخلاص بين المرائين والملامية[1]، وهم وسط بين المشتغلين بالعبادات القلبية دون العملية كالصوفية، والمشتغلين بإقامة رسوم العبادات

(١) المراءون يعملون الصالحات بقصد رؤية الناس لهم وطلب مدحهم، وأما الملامية فيفعلون ما يُلامون عليه ويقولون: نحن متبعون في الباطن.

الظاهرة فحسب. فكانوا أهل العبادة الظاهرة والباطنة.

وهم وسط بين من يريد من الله ولا يريد الله، وبين من يريد الله ولا يريد من الله، فهم يريدون رضا الله وجنته، وأما غيرهم فمنهم من يريد رضا الله ولا يريد جنته؛ كحال كثير من الصوفية، ومنهم من يريد نعيم الجنة المخلوق، ولا يريد رضا الله؛ كحال كثير من المتكلمة.

وهم وسط بين أصحاب الفجور والفواحش والاستهتار، وأصحاب الرهبانية والتشديد على النفس وتعذيب البدن.

ومنهج التربية والتزكية يقوم على السلفية: وموافقة نصوص الشارع في السلوك لفظًا ومعنى، فليسوا كالذين وافقوا النصوص في اللفظ دون المعنى كالباطنية، وليسوا كالذين تكلموا في المعنى بألفاظ مبتدعة ككثير من الصوفية.

ومنهج التربية والتزكية يقوم على الواقعية والعملية: لا على السلبية أو المثالية.

فهو منهج التسديد والمقاربة، والقصد في الأمر كله، ومراعاة أحوال المكلفين، وتحقيق الملاءمة والمواءمة بين طبيعة هذا الدين وطبيعة المكلفين، فتكليف المندوبات والنوافل بحسب الوسع والطاقة، وأحب العمل أدومه وإن قلّ، والمؤمن يقول قليلًا ويعمل كثيرًا.

ومن الواقعية إدراك أن تفاوت القدرات إنما هو بسبب تنوع المواهب واختلاف الاستعدادات، ذلك أن الله قسم الأعمال والأخلاق كما قسم الأموال والأرزاق، وعلى كل أن يرضى بما فتح له فيه، وأفضل الأعمال بعد لفرائض يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه، ومن الناس من فتح له في كل باب، وضرب له في كل خير بسهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[1].

---

(١) انظر: كتابنا معالم في أصول الدعوة ص٥١-٦٢.

وفي جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يتعين التأكيد على أنه جهاد الدعوة الدائم، الذي لا قيام للدين بدونه، ولا اعتصام بحبل الله إلا على هداه، وبإقامته على وجه الصواب استحقت هذه الأمة الخيرية، والنكول عنه والتهور فيه طرفان مذمومان، والقائمون به على وجهه يعلمون الحق ويرحمون الخلق وهم خير الناس للناس.

والوجوب فيه مرتبط بحصول القدرة وغلبة المصلحة، ويسقط بخوف الضرر المحقق، كما يسقط بالعجز، وينبغي الانكفاف عنه في حق الآحاد إذا أدى إلى ما هو أشد منه مفسدةً وفتنة.

وتقدير المصالح والمفاسد في هذا الباب موكول إلى العالم الذي يوثق به علمًا وفطانة، وورعًا وديانة.

- والتدرج في الإنكار والنظر في المآلات، وتقديم الأهم على المهم، وزوال المنكر بالكلية أو تخفيفه مطلوب شرعًا.

وأما زوال المنكر مع زوال مثله من المعروف أو حصول مثله من المنكر فموضوع اجتهاد ونظر، وأما زوال المنكر وحصول ما هو أكبر منه أو فوات ما هو أكبر من المعروف فممنوع شرعًا.

- ومع أن هذا الواجب من فرائض الوقت المضاعة ومن حرم الإسلام المهدرة، فإن حاجة الأمة اليوم إلى التألُّف والمداراة، وتصحيح المفاهيم، واستفاضة العلم والبلاغ، وبناء قاعدة الإيمان في القلوب، أمس من حاجتها إلى قصر الاحتساب على طائفة من المنكرات الجزئية في حين تنسى معالم الدين الكلية، وتلتبس معاقده وأصوله الكبرى، ومن حيث الوجوب فليشمل الإنكار كل منكر، وأما من حيث الاشتغال بالتغيير فكل منكر بحسبه، وكل منكر بقدره.

- ولا يخفى أن هذا الواجب يشمل التغيير بمراتبه الثلاث، باليد واللسان والقلب، والثالثة لا تسقط أبدًا، والثانية لكل أحد في مواضع الإجماع والمسائل الجليات، ويختص أهل العلم بما وراء ذلك من مواطن الخلاف ودقائق المنكرات، ولا تسقط هذه الرتبة خوف لوم أو أذى خفيف.

وأما التغيير باليد فمشروط بحصول القدرة، وألا يؤدي إلى تحريك الفتنة، وأن يقتصر فيه على القدر المحتاج إليه من غير زيادة، وألا يترتب عليه من الضرر ما لا يحتمل في الدين أو النفس أو الغير[1].

- وفي جانب إدراك الواقع وفهمه:

تكمن أهميته في أنه يعين على تحقيق البصيرة في النوازل فيسدد الفتاوي ويحكم أمرها، وبه يتوصل إلى استبانة سبيل المجرمين، وتعرية مناهج المنحرفين، وتكميل التوازن في البنيان التربوي.

- وفي مقابل ما ذكر من أهميته؛ فإن الاستغراق فيه، والمغالاة في تناوله يفضي إلى الافتتان بالبهرج والزيف، وضعف وإغفال التأصيل الشرعي باعتبار أن الواقع هو الأصل تارة، وبإغفال المنهج الصحيح في تلقي الأخبار والحكم على الرجال تارة أخرى، وبفقدان الاعتدال والتوازن بين فقه النص والواقع تارة ثالثة.

وكذا من سلبياته: الانعزال عن الأمة بحجة تخلف العامة عن الوعي المطلوب، فإذا عاد الوعي بعزلة ومفاصلة بين العالم وأمته، وبين الدعاة والعلماء، فقد أتى هذا الوعي بنقيض مقصوده، وكرَّ الفرع على أصله بالإبطال، وهذا لا يجوز بحال.

وفي جانب الجهاد:

الجهاد من أعظم أصول الدين، وهو بيعة ماضية في أعناق المؤمنين، ومعنى الجهاد يشمل استفراغ كل وسع وبذل كل جهد في نصرة الدين بالحجة والبيان،

---

(١) انظر: كتابنا معالم في أصول الدعوة، ص٧١-٧٧.

والدعوة والإرشاد، وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

والجهاد ماض إلى يوم القيامة، وإنكار وجوبه إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة، وادعاء نسخه بجهاد الكلمة بدعة في الدين وضلالة، ونقص في العقل وسفاهة.

وهدف الجهاد العام هداية الناس وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ويدخل تبعًا رد اعتداء المعتدين، وإزالة الفتنة عن المدعوين، وحماية وتقوية دولة المسلمين، وإرهاب أعداء الدين، وترك الجهاد هو الهلكة والخسران المبين.

ولابد في الجهاد من استيفاء الشرعية، وعدم الإضرار بالأمة، بحصر الصراع مع أعدائها لا غير، مع وضوح الراية وسلامتها من ولاءات جاهلية، وشعارات عمية، وقبل ذلك وبعده أن تتحقق المصلحة من القتال بإعزاز الدين، والدفع عن المستضعفين وكف بأس الكافرين.

وينبغي التأكيد على الحذر من استعجال مواجهة من غير تهيؤ يرجح معه الظفر، ويتوقع معه قبول الأمة، وسلامة التوقيت زمانًا ومكانًا، واستفراغ الوسع في اتخاذ أسباب النصر المادية والمعنوية؛ وذلك لئلا ترجع هذه المواجهات بنقيض ما شرع الجهاد لتحقيقه من إعزاز الدين وتقوية شوكة المسلمين.

وباستيفاء جميع ما تقدم على وجه السداد والمقاربة تتم النسبة الشريفة وتكمل الفضيلة المنيفة، وترتقى ذُرَى الكمال والدرجات العلا في الجنة، ومن صفَّى صُفِّي له.

قيل لسهل بن عبد الله متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟، قال: «إذا عرف من نفسه عشر خصال:

١- لا يترك الجماعة.

٢- ولا يسب أصحاب النبي ﷺ.

٣- ولا يخرج على هذه الأمة بسيف.

٤- ولا يكذب بالقدر.

٥- ولا يشك في الإيمان.

٦- ولا يماري في الدين.

٧- ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب.

٨- ولا يترك المسح على الخفين.

٩- ولا يترك الجماعة خلف كلِّ والٍ جارَ أو عدلَ»[١].

ولم يذكر العاشرة؛ إلا أن يكون اعتبر الأخيرة قسمين: «والٍ جار»، أو «والٍ عدل»، فتتم المسائل العشرة.

وهذه المسائل كلها تجمع بين الأمور العلمية والعملية، وإنما ذكر مخالفة أهل البدع لأهل السنة والجماعة، وليس المراد أنَّ من فعلها بمفردها دون بقية أمور الإيمان يكون من أهل السنة والجماعة.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٨٣).

أسئلة الفصل السادس

من الباب الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- فُسِّرَ الصراط المستقيم بالسنة والجماعة.

٢- الانتساب إلى أهل السنة والجماعة إجمالًا لا يشمل عوام المسلمين الذين لم ينضموا تحت راية بدعية.

٣- يتحقق صدق الانتساب إلى أهل السنة والجماعة بإثارة قضية عالجها السلف في عصرهم ومقالاتهم فقط.

٤- تحقيق المنهجية الصحيحة لا يعني بالضرورة العودة بأصول الفهم والتلقي إلى الكتاب والسنة.

٥- لا يصح اعتبار أحد عيارًا على منهج أهل السنة وممثلًا له دون النبي ولو كان أبا بكر.

٦- من صور الانحراف عن المنهجية: اعتبار المسائل الاجتهادية التي تختلف الفتوى بشأنها من المنهج.

٧- ليس من ضابط جانب العلم اعتماد التلقي عن الأكابر ومشافهة الشيوخ.

٨- لا يشترط حصول القدرة في وجوب تغيير المنكر باليد.

٩- يغني جهاد الكلمة والبيان في عصرنا الحاضر عن جهاد السيف والسنان.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١- مما يقتضيه الانتساب إلى أهل السنة والجماعة:

أ- تحقيق المنهجية الصحيحة.

ب-ضبط وإحكام القواعد والأصول علمًا وعملًا.

ج- (أ، ب)

٢- الصراط المستقيم فسر بأنه:

أ- طريق الصوفية المعتدل. ب-طريق أهل السنة والجماعة.

ج-طريق فقهاء المذاهب الأربعة فقط دون سواهم.

٣- الانتساب إلى أهل السنة والجماعة إجمالًا لا يشمل:

أ- مذاهب الفلاسفة وأهل الكلام.

ب-عوام المسلمين إن انضموا تحت راية بدعية.

ج- مذاهب الصوفية القائلين بوحدة الوجود. د-جميع ما سبق.

٤- لا يصح اعتبار أحد عيارًا على منهج أهل السنة والجماعة وممثلًا له، إلا:

أ- محمدًا ﷺ. ب-أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا.

ج-أصحاب المذاهب الأربعة.

٥- من صور الانحراف عن المنهجية:

أ- اعتبار المسائل الاجتهادية التي تختلف الفتوى بشأنها من المنهج.

ب-العودة بأصول الفهم والتلقي إلى الكتاب والسنة.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١- تتجلى أهمية الانتساب إلى أهل السنة والجماعة وتظهر ثمراته في أمور، اذكرها تفصيلًا.

٢- إن كمال الانتساب إلى أهل السنة والجماعة يكون بتحقيق جملة من المعالم، اذكرها مع الشرح.

٣- في جانب العلم في المنهج السلفي تجدر العناية بالقواعد الضرورية لطلب العلم

والانتفاع به، اذكر هذه القواعد مع الشرح.

٤- إن جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو جهاد الدعوة الدائم. وضح ذلك بالشرح.

٥- تكمن أهمية إدراك الواقع وفهمه في أنه يعين على تحقيق البصيرة في النوازل. وضح ذلك تفصيلًا.

٦- قيل لسهل بن عبد الله: متى يعلم الرجل أنه على طريق السنة والجماعة؟

٧- قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال. اذكر هذه الخصال.

الباب الثاني

علم التوحيد
مبادئ ومقدمات

الفصل الأول:

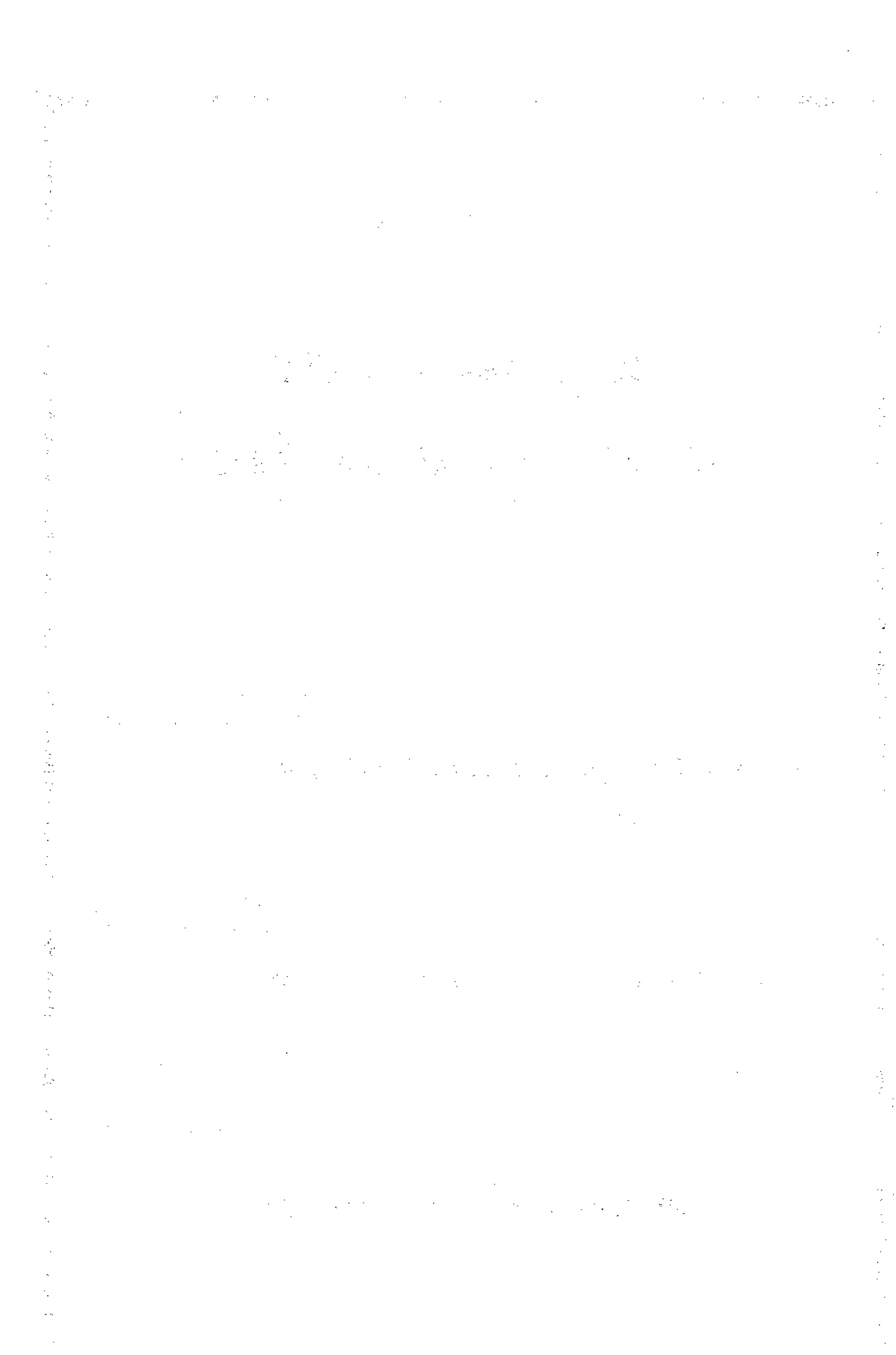
مبادئ علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة.

الفصل الثاني:

خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

الفصل الثالث:

قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد.



الفصل الأول

مبادئ علم التوحيد

المبحث الأول: **حد علم التوحيد.**

المبحث الثاني: **أسمـــاؤه.**

المبحث الثالث: **موضـوعه.**

المبحث الرابع: **حكمـــه.**

المبحث الخامس: **فضــله.**

المبحث السادس: **استمـداده.**

المبحث السابع **نسبتـــه.**

المبحث الثامن **واضعـــه.**

المبحث التاسع **غايتـــه.**

المبحث العاشر **مســائله.**



تمهيد

كان طلب العلم زمن الصحابة ﷺ اشتغالًا بالقرآن الكريم والسنة المطهرة حفظًا وفهمًا، بطريقة موسوعية جامعة، فلا تُتجاوز الآية الواحدة حتى يُتعلم ما فيها من أنواع العلم والعمل معًا، وذلك من غير تمييز بين أنواع المسائل الشرعية أو تفريق بين ألوانها.

فلما تطاول الزمان، كثرت المسائل، وتنوعت النوازل، واتسعت البلدان، واختلط اللسان العربي بالأعجمي، وظهرت عجمة في الأفهام نتيجة لعجمة اللسان، واقتضى حسن التعليم، ويسر التلقين، العدول عن تلك الطريقة الموسوعية الجامعة إلى ما هو أيسر وأقصر، فعمد أهل العلم إلى جمل من المسائل العلمية التي تشترك في وحدة موضوعية جامعة، فأفردوها باسم يخصها، وبلقب يميزها عن غيرها من المسائل، فتمايزت بذلك العلوم، وتباينت الفنون في اسمها ورسمها، وعرفوا تلك العلوم بما يضبط مسائلها بطريقين غالبًا، إما بذكر الموضوع والمسائل التي يحتويها العلم، وسموا ذلك حدًّا أو تعريفًا، وإما بذكر الفائدة والثمرة والغاية من دراسة ذلك العلم، وسموا ذلك رسمًا، والذي دعا إلى هذا التنويع هو أن فائدة العلم غير موضوعه ومسائله، فكما أن الثمرة ناشئة عن الشجرة وليست عينها، فالفائدة مترتبة وناشئة عن العلم بتلك المسائل وليست عينها أيضًا، فصار العلم المتميز بشخصيته عند علماء التدوين هو جملة المسائل المضبوطة بجهة واحدة، موضوعية كانت أو غائية.

ثم إنه جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدوِّنوا مقدمة عن العلم وفضله وثمراته وما يتعلق به في صدر مصنفاتهم؛ وذلك لفوائد، منها:

١ - أن يحصِّل طالب العلم بصيرة وتصورًا إجماليًّا للعلم قبل أن يدخل إلى تفاصيله، فيعرف الوحدة الجامعة لمسائل هذا العلم، فيأمن عندئذ من اشتباه مسائل العلوم عليه،

ومن دخوله في مسائل ليست من مسائل العلم الذي عوّل عليه، وقصد إليه.

٢- أن يتحقق من فائدة العلم ونفعه؛ لينشط في طلبه وتحصيله؛ وليستعذب المشاق في سبيله؛ وليكون عند طلبه هذا العلم النافع المفيد مجتنبًا للعبث والجهالة.

ثم إن كثيرًا من المتأخرين وضعوا بعد ذلك كتبًا في موضوعات العلوم ومبادئ الفنون، لعل من أجمعها وأشهرها كتاب «**مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**» للشيخ أحمد بن مصطفى المعروف بـ«طاش كبرى زاده»، وكذلك كتاب «**ترتيب العلوم**» للشيخ محمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بـ«ساجقلي زاده»، وغير ذلك من المصنفات.

هذا وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة لكل علم وفن، تمثِّل مدخلًا تعريفيًّا لطالب كل علم، وجمع بعضهم هذه المبادئ العشرة في قوله:

إِنَّ مبـادي أيِّ علـمٍ كانـا ... عـشرٌ تزيـدُ مَـنْ دَرَى عِرْفانـا

الحـدُّ والواضِـعُ ثـم الاسـمُ ... والنـسبةُ الموضـوعُ ثـم الحكـمُ

وغايـةٌ وفـضلُه استمـدادُ ... مـسائلٌ بهـا الهنـا يـزدادُ

وقال غيره:

مبـادئُ أيِّ علـمٍ كـانَ حـدٌّ ... وموضـوعٌ وغـايةُ مـستمدٌّ

وفـضلٌ واضـعٌ واسـمٌ وحكـمٌ ... مـسائلُ نـسبةٌ عـشر تُعـدُّ

وهذه المبادئ العشرة اسم لمجموعة من المعاني والمعارف يتوقف عليها شروع الطالب والباحث في طلب العلم وتحصيله، وبيانها كالتالي:

١- **الحد**: ويقصد به التعريف الجامع لمسائل العلم ومباحثه، المانع من دخول غيره فيه.

٢- **الموضوع**: وهو المجال المحدد الذي يبحث فيه العلم، والجهة التي تتوحد فيها مسائله.

٣- **الغاية أو الثمرة**: الفائدة التي يحصِّلها دارس العلم ومتعلمه في الدارين.

٤- **الاستمداد**: الروافد والمصادر والأسباب العلمية التي يستقي منها العلم مسائله ومطالبه.

٥- **الفضل**: ما للعلم من منزلة وشرف وأهمية بين العلوم.

٦- **الواضع**: أول من ابتدأ التدوين والتصنيف في العلم، ووضع أساسه وأرسى قواعده، كما يشمل تطور التأليف في العلم ومراحله.

٧- **الاسم**: الألقاب التي أطلقها أهل هذا العلم عليه لتمييزه عن غيره، حتى أصبحت أعلامًا عليه.

٨- **الحكم**: ويقصد به الحكم الشرعي لتعلم هذا العلم من بين الأحكام التكليفية الخمسة.

٩- **المسائل**: وهي المطالب التي يبحثها ويقررها العلم والتي تندرج تحت موضوعه.

١٠- **النسبة**: صلة العلم وعلاقته بغيره من العلوم.

وجريًا على سنن أهل العلم فإن البحث سيسير في ضوء من هذه المبادئ العشرة للتعريف بعلم التوحيد عند أهل السنة والجماعة والتقديم له، مع ملحق يشتمل على فهارس لموضوعاته ومسائله، وآخر للتنويه بأهم مصادره ومراجعه.

المبحث الأول

حـــد علـــم التوحيـــد

تعريف الحد:

لغة: المنع، ومنه الحدود؛ لأنها تمنع من العودة إلى المعاصي، ومنه إحداد المرأة في عدتها؛ لأنها تمنع من الطيب والزينة، وسمي التعريف حدًّا؛ لمنعه الداخل من الخروج، والخارج من الدخول[١].

اصطلاحًا: هو الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره[٢].

أو هو اللفظ المفسِّر لمعناه على وجه يجمع ويمنع[٣].

ويسمَّى عند بعضهم بـ«القول الشارح» أو «التعريف»، فإذا قيل: حد علم التوحيد، فإنه يراد به تعريف ذلك العلم الذي يحيط بمعناه ويجمع قضاياه، ويمنع من التباس غيرها بها، بعبارة ظاهرة بعيدة عن الإلغاز، من غير اشتراك لفظي أو مجاز. والأصل في الحد أن يورث التمييز بين المحدود وغيره، أما تصوير المحدود وتعريف حقيقته على وجه التمام فهذا قد لا يتيسر في كل حدٍّ ولا يتحقق في كل محدود[٤].

وقد درج العلماء عند تعريف ما تركب من كلمتين في مركب إضافي كعلم التوحيد أن يبدأوا بتعريف مفرديه أولًا، ثم تعريفه باعتباره لقبًا وعَلَمًا على الفن المعيَّن ثانيًا.

---

(١) المصباح المنير للفيومي (١/ ١٢٤، ١٢٥)، والقاموس المحيط للفيروزابادي ص٣٥٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٢١.

(٣) المستصفى للغزالي ص١٨.

(٤) قال شيخ الإسلام: «المحققون من النظار يعلمون أن الحد فائدته التمييز بين المحدود وغيره، كالاسم ليس فائدته تصوير المحدود وتعريف حقيقته، وإنما يدعي هذا أهل المنطق اليوناني أتباع أرسطو...»، الرد على المنطقيين، ص١٤.

أولًا: معنى التوحيد:

لغة: باستنطاق معاجم اللغة، فإنها تفصح بأن مادة (وحد) تدور حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه.

والتوحيد مصدر وحَّده يوحده توحيدًا، ومعناه حينئذ كما يقول ابن فارس في مقاييسه «إما جعله واحدًا، أو اعتقده واحدًا»[1].

فللتوحيد لغة معنيان:

- **الأول**: جعل المتعدد واحدًا، فمن جمع بين أقطار متفرقة يقال له وحَّدها.

- **الثاني**: اعتقاد الشيء واحدًا، وهذا بمعنى النسبة إلى الوحدانية، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحَّد وإثباته له.

التوحيد اصطلاحًا: للتوحيد اصطلاحًا إطلاق عام وذلك باعتباره فعلًا من أفعال القلوب، وآخر خاص باعتباره عَلَمًا على عِلْمٍ معيَّن، وعلى هذا فالتوحيد بالمعنى المصدري العام هو: إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله[2].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه»[3].

قال الشيخ علي بن محمد بن ناصر الدين الشافعي الشهير بالسويدي رحمه الله: «التوحيد فعل للموحد، وهو وصف الله تعالى بالوحدانية، وذلك نوعان: توحيد في ربوبيته، وهو الحاصل بعد توحيد الذات والصفات، وتوحيد في ألوهيته»[4].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص١٠٨٤.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ٣٠٥، ٣٠٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨/ ٢٤٦).

(٤) العقد الثمين في بيان مسائل الدين للسويدي ص٦٦.

وقال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله : «هو اعتقاد تفرده سبحانه في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وتخصيصه بالعبادة»[١].

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله: «هو إفراده تعالى بالعبادة التي تتضمن غاية الحب ومنتهاه، مع غاية الذل وأقصاه، والانقياد لأمره والتسليم له»[٢].

وهذا المعنى الاصطلاحي العام للتوحيد متفق عليه بين أهل السنة سلفًا وخلفًا.

وعلى هذا فالتوحيد في معناه الاصطلاحي العام يقترب من أحد معنيي اللغة، وهو نسبته تعالى إلى الوحدانية واعتقاد ذلك، ولا يصح أن يكون على معنى التصيير والجعل.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والتوحيد هنا ليس بمعنى التصيير والجعل، فالله واحد اعتقدت ذلك أم لم تعتقده»[٣].

ثانيًا: معنى العلم:

يطلق العلم ويراد به: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع، ويمكن تعريفه بتمثيل كأن يقال: العلم إدراك البصيرة المشابه لإدراك الباصرة[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: «العلم: نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس.. فإن كان الثابت في النفس مطابقًا للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح»[٥].

ويطلق العلم على الظن الغالب، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾[الممتحنة:١٠] أي: غلب على ظنكم، قال النسفي: «العلم الذي تبلغه طاقتكم، وهو

---

(١) أملاه عليَّ حفظه الله بمنزله بالرياض.

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ الغنيمان (١/ ٣٨).

(٣) أشرطة «شرح السفارينية» للشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وقد طبع الشرح مؤخرًا.

(٤) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار (١/ ٦٠)، إرشاد الفحول للشوكاني ص٣، أبجد العلوم لصديق حسن خان، ص٣١-٣٤.

(٥) الفوائد لابن القيم ص١١٠.

الظن الغالب بظهور الأمارات»[١]، ثم قال معلقًا: «وفي تسمية الظن علمًا إشارة إلى أن الظن وما يفضي إليه القياس جارٍ مجرى العلم»[٢]، كما يطلق الظن على العلم كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾[البقرة: ٤٦].

وعليه فإن العلم اصطلاحًا يطلق على مجموعة من المعارف الظنية الراجحة ومنها ما هو قطعي، بشرط أن تكون منظمة حول موضوع ما، كعلم التوحيد، وعلم الفقه، وعلم الطب ونحو ذلك.

وبناء على ما تقدم، فإن المختار في تعريف العلم أنه:

الإدراك الحاصل بالدليل، الشامل لليقين الجازم والظن الغالب، وما بينهما من درجات ومراتب.

وأخيرًا فإن العلم -اصطلاحًا- قد يطلق ويراد به قواعد ومسائل العلم تارة، وإدراك هذه المسائل تارة أخرى، وملكة إدراك المسائل تارة ثالثة[٣].

معنى المركب الإضافي:

فإذا أضيفت كلمة العلم إلى كلمة التوحيد، فإن معنى هذا المركب الإضافي هو: الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل بانفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، مع انفراده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

علم التوحيد باعتباره اللقبي:

الطور الأخير لهذا الاصطلاح وهو طور الاستقلال وصيرورته لقبًا على فن مخصوص، وهو «علم التوحيد»، ويعرَّف بهذا الاعتبار على أنه: «العلم الذي يبحث عما

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣/ ٥١٥).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٥١٥).

(٣) أبجد العلوم لصديق خان ص٢٤.

يجب لله من صفات الجلال والكمال، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به، وما يجوز من الأفعال، وعما يجب للرسل والأنبياء، وما يستحيل عليهم، وما يجوز في حقهم، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنزلة، والملائكة الأطهار، ويوم البعث والجزاء، والقدر والقضاء»[١].

وقد يقال اختصارًا هو: «العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة اليقينية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية»[٢].

وهذا التعريف يرجع إلى اعتبار هذا العلم ملكة يتمكن معها صاحبها من إيراد الحجج على العقائد ودفع الشبه عنها.

ويرد على هذا التعريف أن أحاديث الآحاد مما يحتج به في العقائد والأحكام سواء؛ فلو قيل «بالأدلة المرضية» لتشمل الأدلة اليقينية والظنية لكان أولى.

كما يمكن أن يعرَّف باعتبار موضوعه فيقال: «علم التوحيد: هو العلم الذي يبحث في الله وما يجب له وما يجوز وما يمتنع، وهذا يشمل الأنواع الثلاثة من التوحيد: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات»[٣].

ويلاحظ من جملة التعاريف السابقة أن علم التوحيد بمعناه اللقبي يقوم على دعامتين.

الأولى: التصديق بجملة من العقائد المتعلقة بالله تعالى، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر.

الثانية: القدرة التامة على إثبات تلك العقائد المنسوبة إلى دين نبينا محمد ﷺ، بإيراد الحجج الباهرة، ودفع الشُّبَه الباهتة.

---

(١) مذكرة في علم التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي ص ٥، ٦.

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص٩.

(٣) أشرطة شرح السفارينية للشيخ ابن عثيمين، وقد طبع مؤخرًا بتحقيق وعناية إسلام منصور بدار البصيرة بالأسكندرية.

المبحث الثاني
أسماء علم التوحيد

الاسم هو ما دل على مسمى كزيد وعمرو، وهو مشتق من السمة وهي العلامة، فهو علامة على مسماه، أو مشتق من السمو وهو العلو والارتفاع، إذْ إنه يعلو مسماه[1].

والمقصود بأسماء العلم ما يطلق عليه من الأسماء المعتبرة عند أهل هذا العلم، سواء أكانت مركبة أو مفردة، والمسمى إذا كثرت أسماؤه دل ذلك على شرفه وفضله وأهميته غالبًا، وعلم التوحيد من أكثر العلوم أسماء، وله أسماء شرعية وأخرى محل نظر، وبيان كلٍّ فيما يلي:

أولًا: الأسماء الشرعية لعلم التوحيد:

١- علم التوحيد:

ولعل السبب في إطلاق اسم التوحيد على هذا العلم، هو أن مبحث وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله هو أهم مباحث هذا العلم، فهو من باب تسمية الكل بأشرف أجزائه، أو تسمية العلم بأشهر بحوثه، ثم إن ما عدا مبحث الوحدانية قائم ومعتمد عليه، فهو الأصل الذي يتفرع عنه غيره.

ولقد كثرت الكتب المصنفة في باب الاعتقاد التي تحمل اسم التوحيد قديمًا وحديثًا، فمن ذلك:

- «كتاب التوحيد» لأبي العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي.
- «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ» للإمام أبي بكر بن خزيمة رحمه الله.

٢- العقيدة:

معناها في اللغة:

فعيلة بمعنى مفعولة، أي معقودة، فهي مأخوذة من العَقْد، وهو الجمع بين

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣٨١، ٣٨٢)، والمصباح المنير للفيومي (١/ ٢٩٠، ٢٩١).

أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق، ويستعمل ذلك في الأجسام المادية، كعقد الحبل، ثم توسع في معنى العقد فاستعمل في الأمور المعنوية،كعقد البيع وعقد النكاح[١].

قال ابن فارس: «العين والقاف والدال، أصل واحد يدل على شدٍّ، وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها»[٢].

وكلمة العقيدة لم ترد في القرآن الكريم وإنما وردت مادتها فقط في مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾[النساء:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ ﴾[البقرة:٢٣٥].

«وأما معاجم اللغة القديمة فلم ترد فيها كلمة العقيدة باستثناء المصباح المنير، فقد ذكر فيه الفيومي أن العقيدة ما يدين الإنسان به، فهي الإيمان بحقيقة معينة إيمانًا لا يقبل الشك أو الجدل»[٣].

وقد ذكر المعجم الوسيط أن العقيدة: هي «الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد.. وجمعها عقائد»[٤].

معناها في الاصطلاح:

«العقيدة في اصطلاح علماء التوحيد: هي الإيمان الذي لا يحتمل النقيض»[٥]، ويلاحظ اقتراب أو تطابق المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة العقيدة[٦].

---

(١) المصباح المنير للفيومي (٢/ ٤٢١)، والقاموس المحيط للفيروزابادي ص٣٨٣، ٣٨٤، ولسان العرب لابن منظور (٩/ ٣٠٩-٣١٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٨٦-٨٧).

(٣) علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة للدكتور أحمد السايح ص٨.

(٤) المعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية (٢/ ٦٣٧).

(٥) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص٨.

(٦) فقد عرفها د. محمد علي أبو ريان بقوله: «الأمر الذي تصدق به النفس ويطمئن إليه القلب، ويكون يقينًا عند صاحبه لا يمازجه شك، ولا يخالطه ريب». تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. ص ١٣٢.

العلاقة بين علمي العقيدة والتوحيد:

«وعلم العقيدة وعلم التوحيد مترادفان عند أهل السنة، وإنما سمي علم التوحيد بعلم العقيدة بناء على الثمرة المرجوة منه، وهي انعقاد القلب انعقادًا جازمًا لا يقبل الانفكاك»[١].

وقد يفرَّق بينهما اصطلاحًا باعتبار أن علم التوحيد هو العلم الذي يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة المرضية، وأن علم العقيدة يزيد عليه برد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية، فيجتمعان في معرفة الحق بدليله، وتكون العقيدة أعم موضوعًا من التوحيد؛ لأنها تقرر الحق بدليله، وترد الشبهات وقوادح الأدلة، وتناقش الديانات والفرق.

وقد جرى السلف على تسمية كتبهم في التوحيد والإيمان بكتب العقيدة، كما فعل أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، والإمام اللالكائي رحمه الله في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».

٣- الإيمان:

معناه في اللغة:

قال ابن فارس: «للهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان... وأما التصديق فقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[يوسف:١٧]، أي مصدِّق لنا»[٢].

وقال الأزهري رحمه الله: «وأما الإيمان: فهو مصدر آمن إيمانًا فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين أن الإيمان معناه التصديق..»[٣].

---

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص١٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٣٣-١٣٥).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٥١٠).

معناه شرعًا:

وأما الإيمان في خطاب الوحي فيطلق على الاعتقاد القلبي، والإقرار اللفظي، والعمل الحسي، امتثالًا للأوامر، واجتنابًا للمناهي[١].

وهذا التعريف الاصطلاحي للإيمان مأخوذ من تعريف النبي ﷺ للإيمان في حديث جبريل ؈[٢]، وفيه: «فأخبرني عن الإيمان؟» قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، وحديث وفد بني عبد القيس[٣]، وفيه: «**هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة ألا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»، حيث عرف الإيمان في الحديث الأول بالاعتقادات الباطنة، وفي الحديث الثاني بالأعمال الظاهرة، ثم صار الإيمان يطلق ويراد به مسائل الاعتقاد كلها.

وصنَّف السلف كتبًا باسم الإيمان بحثت قضايا التوحيد ومسائل الاعتقاد جميعًا، ومن أولها:

- «كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته»، للإمام أبي عبيد القاسم ابن سلَّام البغدادي رحمه الله.
- «كتاب الإيمان» للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي رحمه الله.
- «كتاب الإيمان» للحافظ محمد بن إسحق بن يحيى بن منده رحمه الله.

٤ - السنة:

معناها في اللغة: سبق أن السنة في اللغة تطلق على الطريقة المسلوكة، محمودة كانت

---

(١) انظر : اعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي (١/ ٦٤)، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص٦٧، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة ص٢٣، والعقيدة الواسطية لابن تيمية ص٣٩.

(٢) رواه مسلم (٩) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٧٠٠١)، ومسلم (٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أو مذمومة، كما تطلق على العادة الثابتة المستقرة، وعلى غير ذلك.

معناها في الاصطلاح:

والسنة اصطلاحًا لها معان كثيرة بحسب العلم الذي تذكر فيه، ويعنينا هنا معناها عند علماء العقيدة والتوحيد، وفي معناها عندهم قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم»[1].

وهذا الإطلاق للسنة على العقيدة من باب إطلاق الاسم على بعض مسمياته، فإن الاعتصام بالسنة من أهم أصول أهل السنة، على أن وصف العقيدة بالسنة كان معروفًا زمن الصحابة رضي الله عنهم، ويدل عليه قول علي رضي الله عنه: «الهوى عند من خالف السنة حق وإن ضربت فيه عنقه»[2]، وهذا لا يكون إلا فيمن خالف في الاعتقاد مخالفة عظيمة.

وبناء على ذلك، فقد أطلق اسم السنة على عقيدة أهل السنة والجماعة، هذا بالإضافة إلى أن السنة لغة هي الطريقة، فأطلقت على عقيدة السلف لاتباعهم طريقة النبي ﷺ والصحابة في الاعتقاد خاصة، واستفاض ذلك المصطلح في الناس حتى إذا قيل: فلان صاحب سنة، كان معناه أنه على معتقد سلفي.

وقد عرفت كتب الاعتقاد باسم كتب السنة، وساد ذلك في القرن الثالث الهجري، في عصر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، حيث أظهر أهل البدع بدعهم وجاهروا بها تصنيفًا ومناظرة، فألَّف أهل السنة في الرد عليهم كتبًا أسموها كتب السنة؛ وذلك لأنهم لم يكن لهم اسم يتسمون به خصوصًا بخلاف أهل الابتداع، فاعتصموا بالسنة والآثار، وجعلوا ذلك حرزًا من الضلال.

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ١٢٠).

(٢) الشرح والإبانة لابن بطة ص١٢٢.

ومن تلك الكتب:

- «السنة» للإمام أحمد رحمه الله.
- «السنة» لأبي بكر الأثرم رحمه الله.
- «السنة» لابن أبي عاصم رحمه الله.

٥- أصول الدين:

وهذا المصطلح مركب من مضاف ومضاف إليه، ويعرف باعتبار مفرديه أولًا.

فالأصل في اللغة: «ما يبنى عليه غيره، أو ما يتفرع عنه غيره»[١].

وفي الاصطلاح يطلق على معان متعددة، والمختار منها مما يناسب هذا الموضوع أن الأصول بمعنى «القواعد والأسس العامة»[٢].

والدين يطلق في اللغة على الذل والخضوع،كما يطلق على الحساب والجزاء[٣]، واصطلاحًا: هو «جملة الأحكام الاعتقادية التي تحدِّد ما ينبغي أن يتصف به الله من صفات، وجملة الأحكام العملية التي ترسم طريق عبوديته سبحانه»[٤].

والمعنى المستفاد من هذا التركيب، أن أصول الدين هي المبادئ العامة، والقواعد الكلية الكبرى، التي بها تتحقق طاعة الله والرسول.

فأصول الدين بهذا الاعتبار تشمل أركان الإسلام من الأعمال الظاهرة، وأركان الإيمان من الاعتقادات الباطنة، ثم غلب على العلماء المصنفين في الاعتقاد استعمال هذا الاصطلاح في قضايا التوحيد والعقيدة، وعللت هذه التسمية بأن بحوث علم الاعتقاد

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٠٩).

(٢) شرح الكوكب المنير لابن النجار (١/ ٣٨-٤٠).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٤٥٨-٤٦١)، والمعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية (١/ ٣١٧، ٣١٨).

(٤) الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ص٤٤.

أصل لما يتلوها من علوم الدين الأخرى كالفقه والحديث، ومن جهة أخرى، فإن هذا العلم يبحث في العقائد التي هي الأصول الواجب على المكلف اعتقادها قبل أن يبدأ العمل، فلا يثمر العمل في الآخرة إلا باعتقاد هذه الأصول في الدنيا.

قال الشهرستاني: «قال بعض المتكلمين: الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم، وبالجملة كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول، ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسمًا إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليًّا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيًّا، فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه»[1].

وقد اعترض شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ لى أن يكون مصطلح أصول الدين قاصرًا على العقائد دون مسائل العمل الكبار، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، أو أن يدخل فيه مسائل العقائد المختلف فيها داخل دائرة أهل السنة، نحو: هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج أم لا؟ وهل يسمع الميت كلام الحي أم لا؟ ونحو هذا[2].

وقد يعترض أيضًا على هذه التسمية لعلم التوحيد بأنها لا تكشف عن طبيعة هذا العلم الذاتية وخصائصه التي يمتاز بها، حيث لوحظ فيها ما يقابله من فروع الدين فحسب.

ومهما يكن من أمر، فإن عمل العلماء سلفًا وخلفًا جرى على اعتماد هذه التسمية حين ألَّفوا وصنفوا في هذا العلم المبارك، ومن أمثلة ذلك:

١ - «الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة» لأبي عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ - «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوي (٢٣/ ٣٤٦، ٣٤٧)، (٦/ ٥٠٢).

٦- الشريعة:

معناها في اللغة:

قال ابن منظور: «وهي لغة: من الشَّرْع وهو السَّن والبيان والمورد والطريق»[١]، وقال ابن فارس: «والشريعة: مورد الشاربة من الماء»[٢].

معناها في الاصطلاح:

قد تطلق الشريعة على ما شرعه الله تعالى لجميع رسله من أصول الاعتقاد والبر والطاعة مما لا يختلف من دعوة لأخرى، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[الشورى:١٣].

وقال التهانوي في معناها الاصطلاحي: «الشريعة: ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء صلى الله عليهم وعلى نبينا وسلم، سواء أكانت متعلقة بكيفية عمل، وتسمى فرعية وعملية، ودوِّن لها علم الفقه، أو بكيفية الاعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية، ودوِّن لها علم الكلام[٣]... ويسمى الشرع أيضًا بالدِّين والمِلَّة، فإن تلك الأحكام من حيث إنها تطاع دين، ومن حيث إنها تملى وتكتب ملَّة، ومن حيث إنها مشروعة شرع، فالتفاوت بينها بحسب الاعتبار لا بالذات»[٤].

ثم أطلقت الشريعة أخيرًا وبإطلاق أخص -كما قال ابن تيمية رحمه الله- على: «العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان، مثل اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، وأن القرآن كلام الله غير

(١) لسان العرب لابن منظور (٧/ ٨٦-٨٩).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٦٢).

(٣) يلاحظ أن تسمية التوحيد بعلم الكلام تسمية غير مقبولة كما سيأتي.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٤/ ١٢٩).

مخلوق... » إلخ [١].

والشريعة هنا كالسنَّة، فقد يراد بها ما سنه الله وشرعه من العقائد، وقد يراد بها ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد بها كلاهما.

وقد ألف بعض العلماء كتبًا في الاعتقاد تحمل اسم الشريعة، ومن أولها:

- «الشريعة» لأبي بكر الآجري رَحِمَهُ اللهُ.

- «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة» لابن بطة الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ.

٧- الفقه الأكبر:

أطلق الفقه في الاصطلاح الأقدم على ما هو أعم من علم الفروع، بحيث يشمل الأصول والفروع، وعن هذا المعنى عبر الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ حين قال: «الفقه: معرفة النفس مالها وما عليها» وذلك من كل ما تنتفع به وتتضرر في الآخرة، من الاعتقادات والأعمال والأخلاق ونحو ذلك، ثم لما أراد أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ تمييز الاعتقادات عن غيرها، جاء بهذا الاصطلاح الذي لم يسبق إليه في التعبير عن التوحيد فسماه الفقه الأكبر، تمييزًا له عن الأصغر وهو فقه الفروع.

وفي تعليل هذه التسمية يقول عبد العزيز الحنفي: «سمي بالفقه الأكبر؛ لأنه أكبر بالنسبة للأحكام العملية الفرعية التي تسمى الفقه الأصغر؛ ولأن شرف العلم وعظمته بحسب المعلوم، ولا معلوم أكبر من ذات الله تعالى وصفاته الذي يبحث فيه هذا العلم؛ لذلك سمي الفقه الأكبر» [٢].

وقال أبو حنيفة: «الفقه الأكبر في الدين أفضل من الفقه في العلم، ولأنْ يتفقه

---

(١) مجموع الفتاوي (١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) كشف الأسرار على أصول البزدوي للإمام عبد العزيز البخاري الحنفي (١/ ٨).

الرجل كيف يعبد ربه؛ خير له من أن يجمع العلم الكثير»[1].

التطور التاريخي لتدوين علم التوحيد:

لعله من المناسب قبل مغادرة هذه النقطة تلخيص ما سبق، وإلقاء أضواء على التطور التاريخي لظهور هذه المصطلحات.

فلا ريب أن مصطلحي الإيمان والفقه الأكبر قد ظهرا في القرن الثاني وبرزا، واستمر مصطلح الإيمان في الذيوع خلال القرن الثالث حيث برز مصطلح السنة، وظهرت الكتب الاعتقادية التي حملت اسم السنة، وتوالى التصنيف في القرن الرابع بهذه الأسماء الاصطلاحية، ثم ظهر في القرن الرابع أربعة مصطلحات شاعت وذاعت، وهي: التوحيد، والشريعة، وأصول الدين، والعقيدة، وإن كان مصطلح العقيدة قد ظهر أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس الهجريين كما يبدو هذا من كتاب الإمام اللالكائي رحمه الله «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، وكذا فعل الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، وتتابع بعد ذلك المصنفون على استعمال هذا المصطلح.

ثانيًا: أسماء علم التوحيد عند الفرق الإسلامية:

١ - علم الكلام:

وهذا هو أشهر الإطلاقات عند سائر الفرق الإسلامية من أشاعرة ومعتزلة وغيرهم في القديم والحديث.

ففي القديم يقول الغزالي رحمه الله: «إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علمًا وافيًا

---

(١) نظم الدرر في شرح الفقه الأكبر للقاضي عبيد الله الحنفي ص ٢٨.

بمقصوده، غير واف بمقصودي»[١].

وحديثًا يقول الشيخ محمد عبده: «علم الكلام: هو علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن تثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم»[٢].

أسباب تسمية علم التوحيد بعلم الكلام:

يعلّل المتكلمون تسميتهم للتوحيد بعلم الكلام بعلل شتى نذكر منها ما يلي:

١- يقول الشهرستاني: «سمي باسم الكلام؛ إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام، فسمي النوع باسمها...»[٣].

٢- «أطلق علم الكلام على التوحيد؛ لأن أصحابه كانوا يترجمون لمسائله بقولهم: الكلام في القدرة، الكلام في العلم، الكلام في الوحدانية، فشاع الكلام على هذا العلم وغلب عليه، فالتسمية من باب الشيوع والذيوع والغلبة»[٤]، كما فعل الأشعري في كتابه «الإبانة»، والقاضي عبد الجبار في كتابه «المغني في أبواب التوحيد والعدل».

٣- «وقد يكون سبب التسمية أنه أكثر من غيره خلافًا ونزاعًا بين الخائضين فيه بعقولهم، فهو مفتقر إلى الكلام أكثر من غيره لتحقيقه وللرد على المخالف فيه»[٥].

٤- ويرى التفتازاني أنه سمي بذلك؛ لابتنائه على الأدلة القطعية المؤيَّدة في كثير من الأحيان بالأدلة النقلية، «فكان أشد العلوم تأثيرًا في القلب وتغلغلًا فيه؛ فسمي

---

(١) المنقذ من الضلال للغزالي ص٨٧.

(٢) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص٥.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٠).

(٤) مباحث في علوم العقيدة د.آمنة نصير ص٧٧.

(٥) توضيح العقائد النسفية د.سليمان خميس ص٦.

بالكلام المشتق من الكَلْم وهو الجرح»[١].

٥- ويرى آخرون أنه سمي بذلك؛ لأنه يكسب المتكلم قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات، وإلزام الخصوم[٢].

هذا هو حاصل ما قالوه تعليلًا لهذه التسمية، ويرى أهل السنة هذه التسمية لهذا العلم المبارك تسمية مبتدعة، وهي تنطبق على غير علم التوحيد الذي جاء به المرسلون، فإنه ليس من الكلام في شيء لا اسمًا ولا معنى، ولا مقصدًا ولا غاية ولا استمدادًا.

وأهل السنة - المتبعون لمنهج الصحابة في الاعتقاد - لا يعتبرون الكلام وتعلمه علمًا؛ بل يعدونه جهلًا، فإن أبا يوسف تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله تعالى قال لبشر المريسي: «العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسًا في الكلام، قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة»[٣]، ذلك أن الجدال في الأمور الإلهية بمجرد العقل المحض بعيدًا عن الوحي هو جهل يؤدي إلى الضلال، وقد قال شيخ الإسلام: «إن الجدال في علم العقائد يسمى كلامًا»[٤].

وأهل السنة يذكرون أسبابًا أخرى لهذه التسمية المحدثة لعلم التوحيد منها:

١- «أنه سمي كذلك لأن المشتغلين به تكلموا فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، مثل الكلام في ذاته تعالى، وصفاته، وأسمائه، وتأويل المتشابه، والبحث في القدر، ونحو ذلك مما وردت الآثار بالنهي عنه والتحذير منه؛ لأجل هذا سمي البحث في المسائل التي سكت عنها المتقدمون كلامًا، وسمي أهله بالمتكلمين، حيث تكلموا فيما كان ينبغي فيه الصمت اقتداء بالصحابة والتابعين ﭫ»[٥].

---

(١) شرح العقائد النسفية للتفتازاني (١/ ١٩).

(٢) علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة د.أحمد السايح ص ٥٥.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٧).

(٤) مجموع الفتاوي (١١/ ٣٣٦).

(٥) مدخل نقدي لدراسة علم الكلام د.محمد السنهوتي ص١٩.

٢- وقد لاحظ بعض العلماء ما بين علماء الكلام وعلماء الفلسفة من نسبة وشبه، فقالوا: لما أنشأ الفلاسفة المنطق ليكون لهم طريقًا في تبيين طرق الاستدلال في العلوم النظرية، فقد شابههم أهل الكلام في إنشاء هذا العلم ليبين لهم طريق الاستدلال في مسائل أصول الدين.

قال الشهرستاني الأشعري في سبب التسمية: «إنه سمي بهذا الاسم لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنًّا من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان»(١).

٣- وقال شارح الطحاوية: «إنما سمي هؤلاء أهل الكلام؛ لأنهم لم يفيدوا علمًا لم يكن معروفًا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد»(٢).

ومع أنهم كانوا كما قال شارح الطحاوية؛ بل وقد جاءوا بما يضر من الكلام، فإنهم يفخرون بعد ذلك بالكلام وصنعته، يقول يحيى بن عديّ مشيرًا إلى طائفة من المتكلمين: «إني لأعجب كثيرًا من قول أصحابنا إذا ضمّنا وإياهم مجلس، قولهم: نحن المتكلمون، نحن أرباب الكلام، والكلام بنا صح وانتشر، كأن سائر الناس لا يتكلمون، أو ليسوا أهل كلام، لعلهم عند المتكلمين خرس أو سكوت»(٣).

٤- وأخيرًا لعله من أهم أسباب التسمية بعلم الكلام أنه ليس تحته أو من ورائه عمل نافع، قال مالك بن أنس رحمه الله: «الكلام في الدين أكرهه، لم يزل أهل بلدنا يكرهونه، وينهون عنه..؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما تحته عمل»(٤).

ثم إن علماء الإسلام الثقات، وأحبار العلم الكبار، من مثل: مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، قد زجروا عن علم الكلام وبالغوا في النهي عنه، فقال الشافعي رحمه الله:

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٤٢).

(٣) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د. محمد علي أبو ريان ص١٣٢.

(٤) مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص١٥٣.

«حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم العشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام»[(١)].

وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: «لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»[(٢)]، وقال أيضًا: «علماء الكلام زنادقة»[(٣)].

وقال الإمام مالك لرجل جعل يسأله عن القرآن: «لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد؟ لعن الله عمرًا، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل»[(٤)].

وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أنه لم تكن زندقة، ولا كفر، ولا شكوك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين إلا من الكلام، وأهل الكلام، والجدل، والخصومة، والمراء، والعجب»[(٥)].

ولعله قد يرد هنا اعتراض حاصله: إذا كانت تسمية علم التوحيد بعلم الكلام ممنوعة مذمومة، فكيف عبَّر بعض أهل السنة عن علم التوحيد بعلم الكلام، كما فعل ذلك الإمام السفاريني رَحِمَهُ اللهُ في شرح عقيدته الأثرية، الموسومة بلوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية في شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية؟!

والجواب عن ذلك هو: إذا كان علم الكلام هو: علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة المرضية، أو كان علمًا بأمور يقتدر معها على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها، فإن هذا المعنى الاصطلاحي -دون التسمية- يمكن

---

(١) الإحياء للغزالي (١/ ١٣٠).
(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/ ٩٤٢).
(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٢.
(٤) ذم الكلام للهروي (٤/ ١١٦).
(٥) شرح السنة للبربهاري ص٣٨.

قبوله عند أهل السنة والجماعة والاعتداد به بشروط، منها:

- أن تكون الأدلة التي وصفت بكونها يقينية ومرضية هي صحائح المنقول من كل كتاب ناطق، وسنة ماضية، وإجماع منعقد مقبول، وصرائح المعقول، وفطرة سوية.

- وأن يكون منهج تقرير المسائل الاعتقادية وردّ قوادح الأدلة الخلافية، متفقًا وقواعد النظر والاستدلال عند أهل السنة، من مثل: الإيمان بجميع النصوص الصحيحة مع التعظيم والتوقير، ودرء كل ما ظاهره التعارض بين أدلة المنقول وأدلة المعقول، ورد النزاع إلى الكتاب والسنة عمومًا، واعتماد فهم الصحابة والسلف الصالح، ونحو ذلك.

ثم يبقى -بعد تصحيح المنهج- أن استعمال هذه التسمية فيها نوع مسامحة ممن قالها أو كتبها من أهل السنة، وهي خلاف الصحيح والمعتمد عند أهل الحق من أسماء هذا العلم الشريف.

ومن ذلك قول القائل:

أيها المغتدي ليطلب علمًا ... كل علمٍ عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كي تصحح حكمًا ... ثم أغفلت منزِل الأحكام[1]

فهذا على اعتبار المسامحة في هذا الاصطلاح، وإلا فقد عارضه الآخر مصححًا فقال:

أيها المغتدي ليطلب علمًا ... كل علمٍ عبد لعلم الرسولِ

تطلب الفرع كي تصحح أصلًا ... كيف أغفلت علم أصل الأصول[2]

(١) نفح الطيب للتلمساني (٥/ ٢٩٦).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٧٦.

وقد أزال الإمام السفاريني هذا اللبس بنفسه فقال: «فإن قلت: إذا كان علم الكلام بالمثابة التي ذكرت، والمكانة التي عنها برهنت، فكيف ساغ للأئمة الخوض فيه، والتنقيب عما يحتويه؟ ثم إنك أتيت ما عنه نهيت، وحرَّرت ما عنه نفَّرت، وهل هذا في بادي الرأي إلا مدافعة، وجمع للشيئين اللذين بينهما تمام الممانعة؟ قلت: إن ما ذهب إليه وهلك من التمانع لمتنع، وما سَنَحَ في خَلَدك من التدافع لمندفع؛ بل العلم الذي نهينا عنه، غير الذي ألفنا فيه، والكلام الذي حذَّرنا منه، غير الذي صنف فيه كل إمام حافظ وفقيه، فعلم الكلام الذي نهى عنه أئمة الإسلام هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل، والإلحاد والأباطيل، وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة، والأخبار النبوية عن حقائقها الباهرة دون علم السلف ومذهب الأثر، وما جاء في الذكر الحكيم وصحيح الخبر»[1].

وخلاصة الموقف من هذه التسمية ما قاله شيخ الإسلام: «إن السلف لم يذموا جنس الكلام أو الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله، ولا ذموا كلامًا هو حق، كما أنهم لم يذموا الكلام لمجرد اشتماله على ألفاظ اصطلاحية إذا كانت معانيها صحيحة؛ بل ذموا الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة والعقل»[2]، «فالسلف ذموا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء، لم يذموا أهل الكلام الذين هم أهل كلام صادق، يتضمن الدليل على معرفة الله تعالى وبيان ما يستحقه وما يمتنع عليه»[3].

٢ـ الفلسفة:

جاء في المعجم الفلسفي «الفلسفة الأولى: مصطلح قال به أرسطو، وأطلقه على

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ١١٠، ١١١).

(٢) مجموع الفتاوي (١٣/ ١٤٧)، والصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٢٧٤).

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٧/ ١٨١).

دراسة الموجودات الأزلية المفارقة، وهي ما سمي فيما بعد بالميتافيزيقا، وتسمى أيضًا الإلهيات.. وأطلق أخيرًا على دراسة ما يتصل بمشكلة المعرفة والوجود والألوهية»[١].

فالفلسفة إعمال للعقل في أي مجال وكل مجال بلا أي منطلقات سابقة من دين أو وحي؛ للوصول إلى الحقائق الأزلية -بزعمهم-، فهي محاولة إدراك الفاني القاصر للأول والآخر -سبحانه-، وبالتالي فهي محاولة محكومة بالفشل، مقضي عليها بالخسار والبوار قبل أن تبدأ، إذ الفلسفة تنتهي حتمًا إلى التعقيد والتخليط والجفاف كلما حاولت أن تتناول مسائل العقيدة.

ولقد دخل من سمي بفلاسفة المسلمين في جحيم الفلسفة فما خرجوا منها إلا إلى نار الجحيم -عياذًا بالله-، فأنكروا البعث والمعاد، وقالوا بقدم العالم، وجاءوا بالكفريات.

قال الغزالي رحمه الله: «وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم، ومجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلًا يجب إكفارهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر، وقد أبطلناها جميعًا في كتابنا المسمى تهافت الفلاسفة، فأما الثلاثة: فقولهم بأن الأجسام لا تحشر، وأن الله تعالى لا يعلم الجزئيات؛ بل الكليات فقط، وأن العالم قديم... ثم قال: وجب الحكم بكفر أرسطاطاليس ومن قبله من الفلاسفة كأفلاطون وسقراط وغيرهم، وكفر متبعيهم من متفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي وأمثالهم»[٢].

بين الفلسفة وعلم الكلام:

إن الكلام يتعلق بدين بعينه، ولكن الفلسفة تبحث عن الحقائق والأصول بتجرد من كل دين ومذهب، ومن حيث المنهج فإن علم الكلام يبدأ من مسلمات عقدية يفترض

---

(١) المعجم الفلسفي إصدار مجمع اللغة العربية ص١٣٩، ١٤٠.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص١٧.

صحتها، أي أن المتكلم يبدأ من قاعدة يعترف بها ثم يبدأ في التماس الطريق العقلية المؤدية لإثباتها، وهذا بخلاف الفيلسوف الذي يتشكك في البدهيات، ويماري في الأوليات، حتى يثبتها عقله أولًا، ثم يتدرج منها إلى النتائج، مستخدمًا منهجًا عقليًّا صرفًا، فالمتكلم يبدأ بذكر الأدلة على وجود الله، والفيلسوف يبدأ بإنكار وجود الله، والعياذ بالله.

والحاصل أن تسمية علم التوحيد بالفلسفة هو تسمية للإيمان بضده، وللنور والهدى واليقين بالظلمة والضلال والشك، والعلماء متفقون على حرمة تعلم الفلسفة، متفقون على ذمها وذم من دخل فيها من علماء الكلام سواء في ذلك أهل السنة أو الأشاعرة أو الماتريدية.

قال التفتازاني الماتريدي: «ولا يصدنَّك عن آيات الله ودين الإسلام، ولا يصرفنك عن اتباع هؤلاء الأنبياء خوض بعض المتفلسفين في زي الفقهاء في هذه الزندقة الهادمة لدين الإسلام، وملَّة الأنبياء؛ فإنه انسلخ من الدين فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، وصار من أئمة الكفرة في صورة علماء المسلمين»[1].

وقال السنوسي الأشعري: «فليحذر المبتدئ جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة، وأولع مؤلفوها بنقل ما هو كفر صريح من عقائدهم، التي ستروا نجاساتها باصطلاحاتهم وعبارات مبهمة على كثير من الناس، ككتب الرازي في فن الكلام، وطوالع البيضاوي، ومن حذا حذوهما في ذلك، وقلَّ أن يفلح من أولع بصحبة كلام الفلاسفة، أو يكون له نور إيمان في قلبه أو لسانه»[2].

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان قد مهر أولًا في الأدب والأخبار

---

(١) رد الفصوص للتفتازاني، نقلًا عن ترتيب العلوم للشيخ محمد المرعشي ص٢٣١.
(٢) شرح متن السنوسية للسنوسي، نقلًا عن ترتيب العلوم للشيخ محمد المرعشي ص١٤٨، ١٤٩.

والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيرًا ليته سلم من ذلك»[1].

وأخيرًا فإن طائفة من علماء الكلام الفحول الذين دخلوا في علم الكلام المشحون بالفلسفة قد رجعوا عن الكلام ومسالكه، وتابوا إلى الله من الفلسفة وأوضارها في لمحات العمر الأخيرة، كما فعل أبو الحسن الأشعري، حيث قال رحمه الله: «فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، و بما قال به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضَّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مجانبون»[2].

وهذا الإمام الجويني رحمه الله يقول في آخر عمره: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به»[3]، وقال عند موته: «لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل للجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال على عقيدة عجائز أهل نيسابور»[4].

وقال الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

(١) سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٦).

(٢) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (١/ ٢٠).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ١٨٦)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٥.

(٤) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري الحنفي ص٦، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٤، ١٠٥.

فلـم أر إلا واضـعًا كـف حـائرٍ علـى ذقَـن أو قارعًـا سـن نـادم[١]

وقال الرازي: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن... ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[٢].

ثم اعتذر عما دخل فيه بكلام طويل قال في آخره: «وأقول: ديني متابعة الرسول ﷺ، وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما،... وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف السيء، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر...»[٣].

وقال الغزالي: «الدليل على أن مذهب السلف هو الحق، أن نقيضه بدعة، والبدعة مذمومة وضلالة»[٤].

وقال أيضًا: «إن الصحابة ﷺ كانوا محتاجين لمحاجة اليهود والنصارى في إثبات نبوة محمد ﷺ، فما زادوا على أدلة القرآن شيئًا، وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس العقلية وترتيب المقدمات، كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش، ومن لا يقنعه أدلة القرآن، لا يقمعه إلا السيف والسنان، فما بعد بيان الله بيان»[٥]، وصدق رحمه الله تعالى وغفر له.

وقال الآمدي: «أمعنت النظر في الكلام، وما استفدت منه شيئًا إلا ما عليه العوام»[٦].

---

(١) نهاية الإقدام للشهرستاني ص٣.

(٢) درء التعارض لابن تيمية (١/ ١٦٠).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٩١، ٩٢).

(٤) إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي ص٩٦.

(٥) المصدر السابق ص٨٩-٩٠.

(٦) درء التعارض لابن تيمية (٣/ ٢٦٢).

وهذا الشوكاني يذكر انكبابه في عنفوان شبابه على مؤلفات طوائف المتكلمين، ثم قال: «ورمت الرجوع بفائدة، والعودة بعائدة، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة»[١].

وقال المرعشي: «وأقول كما هجر الغزالي الكلام، كذلك هجرته وتبرأت وتبت منه إلى الله تعالى، الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، وأسأل الله ألا يحشرني يوم القيامة مع المتكلمين، وهذا القول مني بعد اشتغال بالكلام وتأليفي فيه «نشر الطوالع»[٢]، والآن أتمنى أن أجمع نسخه المنتشرة وأحرقها بالنار، ولئلا يبقى مني أثر في الكلام، لكني لا أقدر على ذلك»[٣].

ونقل المرعشي قول أحد المتكلمين في حاشيته لشرح العقائد: «الاشتغال بتفاصيل علم الكلام يقسي القلب؛ ولذا نرى أكثر طلبته تاركي الصلاة، ومرتكبي الكبائر، ومضيعي العمر فيما لا يعنيهم»، ثم علّق عليه فقال: يقول الفقير: «أما قسوة القلب فقد وجدناها بلا شك عند الاشتغال به، فنسأل الله أن يقيلنا عثراتنا»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولو جمعت ما بلغني في هذا الباب عن أعيان هؤلاء كفلان وفلان، لكان شيئًا كثيرًا، وما لم يبلغني عن حيرتهم وشكهم أكثر وأكثر؛ وذلك لأن الهدى هو فيما بعث الله به رسله، فمن أعرض عنه لم يكن مهتديًا فكيف بمن عارضه بما يناقضه، وقدَّم مناقضه عليه»[٥].

وأخيرًا أقول: إن العبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات، وذكر هذه الأخبار عن

---

(١) التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص٧٤.

(٢) من العجب أن هذا الكتاب الذي تراجع عنه صاحبه، كان مقررًا على طلاب المعاهد الدينية بالأزهر في فترة سابقة، وهو شرح لطوالع البيضاوي الأصولي المتكلم.

(٣) ترتيب العلوم للشيخ محمد المرعشي المعروف بـ(ساجقلي زاده) ص٧٤.

(٤) المصدر السابق ص٢١٥.

(٥) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ١٦٦).

علماء أهل الإسلام يدل على كمالهم وحسن مقصدهم، غفر الله لهم جميعًا، قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر الغلاة في الطوائف الإسلامية من أهل القبلة: «... قد ماجت بهم الدنيا وكثروا، وفيهم أذكياء وعباد وعلماء، نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد، ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع، ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع، والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن»[1].

وقال أيضًا في حق الإمام أبي حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين، لتلف، فالحذار الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شُبَه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام، وأن يتوفى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين، والله الموفق، فبحسن قصد العالم يغفر له، وينجو إن شاء الله»[2].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٥، ٤٦).
(٢) المصدر السابق (١٩/ ٣٢٨، ٣٢٩).

المبحث الثالث

موضوع علم التوحيد

إن موضوع أي علم هو ذلك المعنى العام الذي يشتمل كل مسائله التي يتخذها دائرة لبحثه دون غيره من العلوم، وذكر موضوع العلم بعد تعريفه مما يزيده تحديدًا وتمييزًا عن غيره، كما يشير إلى طبيعة منهج البحث فيه؛ لأن مناهج العلوم إنما توضع ملائمة لطبيعة موضوعاتها.

وفي تعريف موضوع العلم اصطلاحًا، قال ابن النجار الحنبلي رحمه الله: «هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية»[(١)]، أي الأحوال التي منشؤها ذات الشيء محل البحث، فالمقصود الأحوال التي منشؤها ذات العلم.

فإذا قيل مثلًا: إن موضوع علم الطب هو بدن الإنسان، فإن موضوعه يبحث عما يعرض لهذا البدن من أحوال الصحة والمرض، وإذا قيل إن موضوع علم الفقه هو أفعال المكلفين، فإنه يبحث عما يعرض لهذه الأفعال من الأحكام؛ كالوجوب، والحرمة، والندب، والكراهة، والإباحة، والصحة، والفساد.

وموضوع علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة يدور على أمور منها: بيان حقيقة الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما يجب له تعالى من صفات الجلال والكمال، مع إفراده وحده بالعبادة دون شريك، والإيمان بالملائكة الأبرار والرسل الأطهار وما يتعلق باليوم الآخر، والقضاء والقدر، كما يدور على بيان ضد التوحيد وهو الشرك والكفر وبيان حقيقتيهما وأنواعهما.

وقد يقال إن موضوع علم التوحيد يدور على محاور ثلاثة، وذلك على النحو التالي:

---

(١) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي بتحقيق د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد (١/ ٣٣).

١ ـ ذات الله تعالى أو (الإلهيات):

والبحث في ذات الله تعالى من حيثيات ثلاث، هي:

١ - ما يتصف به تعالى من العلم والحياة والقدرة والصفات، وسائر صفاته وكمالاته تعالى. قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

٢- ما يتنزه عنه من الظلم والنقص والعجز والمثالب، وسائر ما لا يليق بجلاله وكماله. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥].

٣- حقه على عباده، وهو أن يعبدوه فلا يشركوا به شيئًا، وأن يطيعوه فلا يعصوه أبدًا. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة: ٥].

وقد أغفل كثير من المخالفين لأهل السنة في الاعتقاد هذه الحيثية الثالثة عند البحث في موضوع علم التوحيد، حيث قصروه على ما يشمل إثبات وجوده تعالى وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأغفلوا ما يشمل ألوهيته وعبادته، وسبب ذلك أنهم قصروا الإيمان على التصديق وأخرجوا عنه العمل بالطاعات، واجتناب الشركيات، وجعلوا الكفر مجرد التكذيب والجحود بالقلب، ولا دخل لعمل الجوارح في الكفر، إلا إذا دل على انتقاض عمل القلب فحسب، ولذا قال قائلهم في جوهرة التوحيد:

ومن بمعلوم ضرورة جحد ... من ديننا يقتل كفرًا ليس حد
ومثل هذا من نفى لمُجْمَعِ ... أو استباح كالزنا فلتسمع

يقول فضيلة الشيخ الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله:

«قال الشيخ محمد عبده في موضوع علم التوحيد: هو علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه

وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم، فلم يذكر شئون الغيب وأحوال المعاد، ثم قال بعد ذلك: وأصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له وسمي هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه، وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد. وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي ﷺ كما تشهد به آيات الكتاب العزيز...

وقد غلط الشيخ عبده في اعتباره توحيد الربوبية والانفراد بالخلق هو الغاية من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن هذا النوع من التوحيد كانت تقر به الأمم التي بعثت إليها الرسل إجمالًا، ولم يقع نزاع فيه بينهم وبين الرسل، وإنما كان النزاع في توحيد الإلهية والعبادة؛ ولهذا لم يجئ على لسان الرسل عليهم السلام الدعوة إلى اعتقاد أن الله هو وحده الخالق -وإن وردت أدلة ذلك في ثنايا الرسالات-، وإنما كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، فكل منهم كان مفتتح دعوته لقومه: ﴿ **ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ** ﴾[الأعراف: ٦٥].

ولعل فضيلة الشيخ عبده في هذا كان متأثرًا بالأشعرية، الذين جعلوا الانفراد بالخلق هو أخص خصائص الإلهية، واهتموا في كتبهم بإقامة البراهين على هذا النوع من التوحيد، دون أن يشيروا إلى توحيد الإلهية الذي هو أقصى الغايات ونهاية النهايات.

وقد أحسن العلامة السيد رشيد رضا حيث قال مستدركًا على أستاذه: فات الأستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة، وهو أن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره بدعاء ولا بغير ذلك... هذا التوحيد هو الذي كان أول ما يدعو إليه كل رسول قومه بقوله: ﴿ **ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ** ﴾»[1].

---

(١) دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص ٨-١٠.

فإن اقتصر الباحث في علم التوحيد على هذه الحيثيات الثلاث، وبفهم السلف فهو داخل حظيرة الإسلام والسنة، وإن خاض في البحث عن حقيقة الذات وكنه الصفات وأمور الإلهيات على قواعد أهل الكلام؛ فقد خرج عن السنة إلى البدعة، وعن الهدى إلى الضلالة، وإن زاد في المخالفة، فبحث على قواعد أهل الفلسفة، فقد خرج عن دائرة البدعة إلى الكفر، والعياذ بالله تعالى.

ورحم الله من قال:

العجــزُ عــن دَرَكِ الإِدراكِ إدراكُ والبحـثُ في كُنْـهِ ذاتِ الله إِشْرَاكُ

٢ـ ذوات الرسل الكرام أو (النبوات):

والبحث في ذوات الرسل الكرام من الحيثيات التالية:

- ما يلزمهم ويجب عليهم من صدق وأمانة وبلاغ ونصح لأممهم ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾[هود:٧٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم:٤]، وقال ﷻ: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[المائدة:٩٩].

- ما يجوز في حقهم من أكل ونكاح وأمراض غير منفرة وموت، ونحو ذلك مما يعرض للبشر. قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾[الفرقان:٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[الرعد:٣٨]، وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[إبراهيم:١١].

- ما يستحيل في حقهم من الكذب والخيانة والكفر والكبائر والموبقات. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم:٣، ٤].

- ما يجب لهم على أتباعهم من الحب والطاعة والاتباع والتعظيم. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[النساء:٦٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[الأحزاب:٦].

٣- السمعيات أو (الغيبيات):

وهي ما يتوقف الإيمان به على مجرد ورود السمع أو الوحي به، وليس للعقل في إثباتها أو نفيها مدخل، كأشراط القيامة، وتفاصيل البعث والجزاء دون أصلهما، والصراط والحوض، وأخبار الجنة والنار، ونحو ذلك.

والبحث في السمعيات أو مسائل الغيب يكون من حيث اعتقادها، وهو يقوم على دعامتين اثنتين هما:

١- الإقرار بها مع التصديق، ويقابله الجحود والإنكار لها.

٢- الإمرار لها مع إثبات معناها، ويقابله الخوض في الكنه والحقيقة، ومحاولة التصور والتوهم بالعقل بعيدًا عن النقل.

وضابط السمعيات: أن العقل لا يمنعها أو يحيلها، ولا يقدر على ذلك، ولا يقدر أن يوجبها.

فمتى ما صح النقل عن الله ﷻ أو رسوله ﷺ، فإن الواجب اعتقاد ذلك والإقرار به، ودفع كل تعارض موهوم بين شرع الله وهو الوحي، وبين خلقه وهو العقل، قال تعالى: ﴿ **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ** ﴾[الأعراف:٥٤]، وكما أنه لا تفاوت في خلقه ﴿ **مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ** ﴾[تبارك:٣]، فلا تفاوت أيضًا في شرعه ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴾[النساء:٨٢]، والقاعدة الذهبية أنه لا يتعارض نقل صحيح مع عقل صريح عند التحقيق.

- وأخيرًا فإنه قد يصح أن يقال إن موضوع علم التوحيد هو ذات الله تعالى وحده، وذلك من حيث ما يجب له ويجوز ويمتنع[1]، ومن حيث رسالته الواردة عن طريق الرسول، ومن حيث ما ورد في هذه الرسالة من خبر ووحي، فالكل متعلق بالله تعالى الواحد الأحد، وعلى هذا فكل ما له تعلق بالله أو الرسول أو الوحي من الحيثيات السابقة فهو من علم التوحيد، وما خرج عن ذلك فهو خارج عن علم التوحيد ولابد.

---

(١) سبق تعريف الشيخ ابن عثيمين لعلم التوحيد باعتبار موضوعه بأنه: «العلم الذي يبحث في ذات الله وما يجب له وما يجوز وما يمتنع».

المبحث الرابع
حكم علم التوحيد

الحكم في اللغة: القضاء مطلقًا أو القضاء بالعدل خاصة، وأصله من المنع[(١)].

واصطلاحًا: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[(٢)].

«وينبغي أن يعلم أن حكم العلم كحكم معلومه، فإن كان المعلوم فرضًا أو سنة فعلمه كذلك، إذا توقف حصول المعلوم على تعلم ذلك العلم»[(٣)].

وفي الحق أن تعلم علم التوحيد منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، و هذا شأن العلوم الشرعية عامة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع العلماء أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية، إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وطلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين، مثل طلب كل واحد علم ما أمره به وما نهاه عنه، فإن هذا فرض على الأعيان»[(٥)].

وإن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد، قال تعالى: ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾[محمد:١٩]، وقال سبحانه: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ** ﴾[الإسراء:٢٣]، وفي حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟**»، قلت: «الله ورسوله أعلم»، قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[(٦)]، وفي حديث

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٢٧٠)، والمصباح المنير للفيومي (١/ ١٤٥)، والقاموس المحيط للفيروزابادي ص١٤١٥.

(٢) التمهيد للأسنوي ص٤٨، وشرح مختصر المنتهى للعضد (١/ ٢٢٢).

(٣) ترتيب العلوم للمرعشي ص٩٠.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص١٠.

(٥) مجموع الفتاوي (٣/ ٣٢٨، ٣٢٩)، (٢٨/ ٨٠).

(٦) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

معاذ الآخر قال ﷺ: **«فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»**[١].

فكان أول الواجبات وأوجب التكليفات، هو إفراد الله تعالى بالتوحيد والبراءة من الشرك باتفاق أهل السنة، وفي الحديث: **«إن العبد أول ما يسئل في قبره من ربك، وما دينك، ومن الرجل الذي بعث فيكم»**[٢].

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله: «اعلم أن التوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل... ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر[٣]، ولا القصد إلى النظر[٤]، ولا الشك[٥].. فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب»[٦].

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في منظومته:

أول واجـب علـى العبيـد ... معرفـة الرحمـن بالتوحيـد

إذ هـو مـن كـل الأوامـر أعظـم ... وهـو نوعـان أيـا مـن يفهـم

ومما يدل على أنه آخر واجب، حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»**[٧]، وفي الصحيح من حديث عثمان رضي الله عنه: **«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة»**[٨].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢١٢)، وابن ماجه (١٥٤٨).

(٣) وهذا مذهب الأشاعرة، انظر: «الإنصاف» للباقلاني ص٢٢.

(٤) وهذا مذهب الجويني، انظر: «الإرشاد» للجويني ص٣.

(٥) وهذا مذهب المعتزلة، انظر: «الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار، وهذا كله مبني على أن الإيمان بالخالق كسبي نظري في أصله، وأهل السنة على أن الإيمان بالخالق في أصله فطري وهبي.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢١-٢٣).

(٧) أخرجه مسلم (٩١٧).

(٨) أخرجه مسلم (٢٦).

فتعلم فرض العين من علم التوحيد هو أول الواجبات وأولاها وأفرضها على المكلفين أجمعين.

وفرض العين منه، هو: ما تصح به عقيدة المسلم في ربه، من حيث ما يجوز ويجب ويمتنع في حق الله تعالى، ذاتًا وأسماء وأفعالًا وصفات، على وجه الإجمال، وهذا ما يسميه بعض العلماء بالإيمان المجمل أو الإجمالي.

وهو ما يسأل عنه جميع الخلق؛ لما روي عن أنس بن مالك وابن عمر ومجاهد في قوله عز وجل: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الحجر:٩٢]، قالوا: عن لا إله إلا الله[1].

وأما فرض الكفاية من علم التوحيد، فما زاد على ذلك من التفصيل والتدليل والتعليل، وتحصيل القدرة على رد الشبهات وقوادح الأدلة، وإلزام المعاندين وإفحام المخالفين، وهذا ما يسمى بالإيمان التفصيلي، وهو المقدور على إثباته بالأدلة وحلِّ ودفع الشبه الواردة عليه، وهو من أجلِّ فروض الكفايات في علوم الإسلام؛ لأنه ينفي تأويل المبطلين وانتحال الغالين، فلا يجوز أن يخلو الزمان ممن يقوم بهذا الفرض الكفائي المهم، إذ لا شك أن حفظ عقائد الناس أكثر أهمية من حفظ أبدانهم وأموالهم وأعراضهم.

واختصارًا فإن حكم الشارع في تعلم علم التوحيد أنه فرض عين على كل مكلف، من ذكر وأنثى، وذلك بالأدلة الإجمالية، وأما بالأدلة التفصيلية ففرض على الكفاية.

ويشترط للتكليف بالتوحيد أربعة شروط، وهي: العقل، والبلوغ، وسلامة حاستي السمع أو البصر، وبلوغ الدعوة، وفيما يلي لمحة عنها:

١ـ العقل:

ويقصد به الوصف الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان، فبه يتحصل على

(١) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٦، ١٤٩٧)، بأسانيد لا تخلو من مقال.

العلوم النظرية ويدبر الصناعات الخفية، وينشأ هذا العقل في بطن الأم ويكتمل لدى البلوغ، وهو بهذا الاعتبار محض منحة الله وفضله.

وسمي هذا العقل عقلًا؛ لأنه يعقل الإنسان عما يقبح، كما يعقل العقال الدابة، ويسمى هذا العقل بالعقل الغريزي أو الطبعي، وهو المشترط للتكليف، فإذا غاب تمامًا أو زال بالكلية، فقد أصبح الإنسان غير مكلف، وإذا أخذ الله ما وهب أسقط ما أوجب، وفي الحديث: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم**»[1].

فالعقل الطبعي الموهوب هو شرط التكليف، ولكن لما كان التكليف لا يناط بكل مقدار من العقل، وإنما هناك درجة من العقل إذا بلغها الصبي كان مكلفًا، ولما كان من الصعب معرفة بلوغ الصبي تلك المرتبة التي هي مناط التكليف، فقد أقام الشارع البلوغ -كوصف ظاهر منضبط- دليلًا على اكتمال القدر المطلوب من العقل للتكليف.

٢ـ البلوغ:

ويقصد به انتهاء حد الصغر، وانتقال الصبي من حالة الطفولة إلى حالة

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٥٤، ١٥٨)، وأبو داود (٤٤٠١-٤٤٠٣)، والنسائي في الكبرى (٧٣٤٣-٧٣٤٧)، والترمذي (١٤٢٣)، وابن حبان (١٤٣)، والدارقطني (٣/ ١٨٣-١٣٩)، والحاكم (١/ ٢٥٨)(٢/ ٥٩)، والبيهقي (٦/ ٥٧) (٧/ ٢٥٩) (٨/ ٢٦٤-٢٦٥)، والضياء في المختارة (٤١٥) من حديث عليٍّ مرفوعًا وموقوفًا، والصواب وَقْفه من قول عليٍّ غير مرفوع؛ كما ذكر النسائي والدارقطني وغيرهما. وانظر: علل الترمذي (ص/ ٢٢٥-٢٢٧)، وعلل الدارقطني (٣/ ٧٢، ١٩٢ رقم ٢٩١، ٣٥٤).

وإلى هذا ذهب البخاري فأورده في صحيحه معلقًا من قول عليٍّ كما في كتاب (الطلاق) من صحيحه (٥/ ٢٠١) باب: (الطلاق في الإغلاق).

لكن رواه أحمد (٦/ ١٠٠، ١٠١، ١٤٤)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي في الكبرى (٥٦٢٥)، وابن ماجه (٢٠٤١)، والحاكم (٢/ ٥٩)، وابن حبان (١٤٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وصححه الحاكم، والألباني في صحيح الجامع (٣٥١٢-٣٥١٤) من حديث عليٍّ، وصححه الحاكم وابن حبان من حديث عائشة، ونقل الترمذي في العلل عن البخاري قوله في حديث عائشة: (أرجو أن يكون محفوظًا). وله شواهد عن جماعة من الصحابة. انظر: نصب الراية للزيلعي (٤/ ١٦١).

الرجولة، وعنده يتم التكليف ويجري القلم، ويدرك الصغير قضاياه المصيرية، ويفكر بجدية في إجابات الأسئلة الضرورية، فإذا مات الصبي قبل البلوغ، فقد مات مرفوعًا عنه القلم وناجيًا عند الله تعالى، سواء في ذلك أبناء المسلمين والكفار على الراجح.

كما نقل ابن المنذر الإجماع على ذلك، فقال: «وأجمعوا على أن الفرائض والأحكام تجب على المحتلم العاقل»(١).

وللبلوغ علامات وأمارات، اثنتان يشترك فيها الذكر والأنثى، وهما الإنزال أو الاحتلام والإنبات، واثنتان تخص الأنثى وهما الحيض والحبل، فإن لم يوجد شيء من ذلك فبالسن، وبيان الأمارات كما يلي:

الإنزال: وهو خروج المني دفقًا بشهوة، يقظة أو منامًا، بجماع أو بغيره.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾[النور:٥٩]، وأمر الأطفال بالاستئذان بعد الاحتلام، دليل على أن الاحتلام يحصل به التكليف؛ وما ذلك إلا لأن الشرع أثبت به البلوغ، وقد أمر النبي ﷺ بقتل المحتلم من بني قريظة، ففي الحديث الذي رواه عطية القرظي قال: «عُرضنا على رسول الله ﷺ -زمن قريظة- فمن كان محتلمًا أو نبتت عانته قتل»(٢).

الإنبات: وهو نبات الشعر الخشن -الذي استحق أخذه بالموسى- على العانة، ولا عبرة بالزغب الضعيف.

والإنبات علامة على البلوغ عند الحنابلة(٣) والظاهرية(٤) والراجح لدى

---

(١) الإجماع لابن المنذر ص١١١، وهو عند ابن قدامة في المغني (٤/ ٢٩٧)، والبهوتي في كشاف القناع (٣/ ٤٤٣)، وابن مفلح في المبدع (٤/ ٣٣٢)، وابن حجر في الفتح (٦/ ٢٠٤).

(٢) رواه أحمد (١٨٥٢٣)، والدارمي (٢٤٦٤)، وأبو داود (٤٤٠٤)، والترمذي (١٥٨٤)، والنسائي (٣٤٢٩). وابن ماجه (٢٥٤٢)، وأبو عوانة (٦٤٧٦-٦٤٨٣)، والبيهقي (٦/ ٥٨)، وبعض أسانيده صحيحه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم». اهـ.

(٣) المغني لابن قدامة (٤/ ٢٩٧)، وكشاف القناع للبهوتي (٣/ ٤٤٤).

(٤) المحلى لابن حزم (١/ ٨٨، ٨٩).

المالكية[١] مطلقًا، لحديث عطية القرظي المتقدم، وعند الشافعية في حق الكافر دون المسلم - في الأصح[٢] -، وذهب الحنفية إلى عدم اعتباره مطلقًا[٣].

والراجح مذهب الجمهور، ويشهد له حديث عطية القرظي، وفي بعض رواياته: «فإذا أنبت جعلوه في الرجال وحكمه القتل، وإن لم ينبت جعلوه في السبي، قال: فشكّوا فيَّ فكشفوا عن مئزري، ونظروا إلى عورتي، فوجدوني لم أنبت»[٤].

الحيض: وهو خروج دم أحمر، داكن بالسواد، منتن الريح، من فرج المرأة عادة. وقد أجمع العلماء على أن الحيض بلوغ، قال القرطبي رحمه الله: «فأما الحيض والحبل فلم يختلف العلماء في أنهما بلوغ وأن الفرائض والأحكام تجب بهما»[٥]، ونقل الإجماع غير واحد من العلماء[٦].

الحبل: اتفقت المذاهب الأربعة على أن الحبل دليل على البلوغ؛ وذلك لأن الحمل لا يكون إلا مع الإنزال، والإنزال بلوغ، فكان الحبل دليلًا على البلوغ.

السن: فمتى بلغ الصغير خمس عشرة سنة ذكرًا كان أو أنثى عدَّ بالغًا -ما لم يبلغ بأمارة أخرى قبل ذلك-، وهذا قول الجمهور من الشافعية[٧] والحنابلة[٨] وأبي يوسف

---

(١) المدونة لمالك (٦/ ٢٢٠-٢٢١)، وحاشية الخرشي على مختصر خليل (٥/ ٢٩١).

(٢) مغني المحتاج للخطيب الشربيني (٢/ ١٦٧)، والمهذب للشيرازي (١/ ٣٣٠).

(٣) حاشية ابن عابدين على الدر المختار لابن عابدين (٦/ ١٥٣).

(٤) انظر: الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٤/ ٢٠٥)، والمعجم الكبير للطبراني (١٧/ ١٦٣)، والطبقات لابن سعد (٢/ ٧٦-٧٧)، والاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١٠٧٢).
ومدار الحديث على عبد الملك بن عمير، وهو ثقة، وقد صرَّح بالتحديث فأُمِنَ من تدليسه.
وانظر: تهذيب الأسماء للنووي (١/ ٣٠٨).

(٥) تفسير القرطبي (٥/ ٣٤).

(٦) وممن نقل الإجماع ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٠٥).

(٧) الأم للشافعي (٣/ ٢١٥)، والمهذب للشيرازي (١/ ٣٣٠).

(٨) المغني لابن قدامة (٤/ ٢٩٨)، وكشاف القناع للبهوتي (٣/ ٤٤٣).

ومحمد من الحنفية، ورواية عن أبي حنيفة[١]، وقول عند المالكية[٢].

واستدلوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال -وأنا ابن أربع عشرة سنة- فلم يجزني، وعرضني يوم الخندق -وأنا ابن خمس عشرة سنة- فأجازني»[٣].

وعند أبي حنيفة في الرواية الثانية إذا أتم الغلام ثماني عشرة سنة عُدَّ بالغًا، وإذا أتمت الأنثى سبع عشرة سنة عدت بالغة[٤].

ومشهور المالكية أن الصبي -ذكرًا كان أو أنثى- يعد بالغًا إذا أتم ثماني عشرة سنة[٥].

والراجح القول الأول، قال أبو بكر بن العربي: «والسن التي اعتبرها النبي ﷺ هي خمس عشرة سنة أولى من سن لم يعتبرها، وكذا اعتبر الإنبات علامة على البلوغ»[٦].

٣ـ سلامة حاسة السمع أو البصر:

الحواس جمع حاسة بمعنى القوة الحاسة المدركة، ومنها الحواس الخمس وهي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وهي تنقل إلى الأذهان ما تستطيع الإحساس به، فلا يدرك بواحدة ما يدرك بالحاسة الأخرى، والمدرك بشيء منها يقال له محسوس، وقد تكون تلك الحواس سليمة فتنقل نقلًا صحيحًا، وقد تكون عليلة أو مختلّة فتنقل نقلًا خاطئًا أو مشوهًا.

«وهذه الحواس لا تستقل بإدراك المعاني والحقائق دون مساعدة العقل أو

---

(١) الهداية للمرغيناني (٣/ ٢٨٤)، وتبيين الحقائق للزيلعي (٥/ ٢٠٣).

(٢) حاشية الخرشي على مختصر خليل (٥/ ٢٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦٤)، ومسلم (١٨٦٨).

(٤) الهداية للمرغيناني (٣/ ٢٠٧).

(٥) حاشية الخرشي على مختصر خليل (٥/ ٢٩١).

(٦) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ص ٣٢٠.

الدماغ، فالعقل أو الدماغ هو الذي يترجم هذه المحسوسات إلى معان، ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾[البقرة:١٧١]، حيث شبه الله الكافرين بالبهائم التي يناديها الراعي، وربما تكلم بعبارات لكنها لا تفهم منها إلا صوتًا لا تميزه، فالبهائم تسمع الصوت، لكن لعدم المقدرة العقلية التي تمكنها من التمييز بين الأصوات ومعرفتها، فإن الأصوات عندها سواء، لا تحمل إليها شيئًا من المعاني المعينة»[(١)].

وأهم الحواس للتكليف حاسة السمع، فإن فقدت قبل حصول العلم فقد انسدت منافذ المعرفة الصحيحة، وامتنع بلوغ الدعوة وقيام الحجة على وجهها التام - وإن أمكن نوع معرفة بالإشارة والكتابة ونحو ذلك -.

فعن الأسود بن سريع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربعة يحتجون يوم القيامة، أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات على فترة، فأما الأصم فيقول: رب قد جاء الإسلام ولا أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب قد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات على فترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنَّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها كانت عليهم بردًا وسلامًا»**، وفي رواية أبي هريرة: **«فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها يسحب إليها»**[(٢)].

فإذا أصيبت حاسة السمع دون البصر أمكن العلم بالإشارة والكتابة ولاسيما بعد استحداث لغة للتخاطب مع الصمِّ والبكم، وإن فقد البصر حصل العلم بالسمع، فإن فقدتا معًا فقد قام العذر المانع من بلوغ الحجة، ولم تنقطع المعذرة في الآخرة.

٤ـ بلوغ الدعوة وقيام الحجة:

فلا حساب ولا عذاب إلا بعد قيام الحجة الرسالية بإرسال الرسل وإنزال الكتب

---

(١) العلم أصوله ومصادره ومناهجه لمحمد الخرعان ص٢٨، ٢٩.

(٢) رواه أحمد (١٥٨٦٦)، وابن أبي عاصم (٤٠٤)، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح، وصححه الحافظ في الفتح (٣/ ٢٤٦)، والألباني في صحيح الجامع (٨٨١).

وقطع العذر على أكمل وجه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء:١٥].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ظاهر هذه الآية الكريمة أن الله ﷻ لا يعذب أحدًا من خلقه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، حتى يبعث إليه رسولًا ينذره ويحذره، فيعصي ذلك الرسول ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار. قد أوضح ﷻ هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[النساء:١٦٥]، فصرح في هذه الآية الكريمة بأنه لابد أن يقطع حجة كل أحد بإرسال الرسل، مبشرين من أطاعهم بالجنة، ومنذرين من عصاهم بالنار»[١].

والناس بحسب بلوغ الدعوة وقيام الحجة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

أهل القبلة:

وهم الذين بلغتهم دعوة الرسول فآمنوا وشهدوا بالتوحيد، وماتوا على ذلك.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة، ولا يخلد في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على إحداها لم يكن من أهل القبلة أصلًا، إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه، أو لعدم التمكن منه لمعالجة المنية، أو لغير ذلك، فإنه يكون مؤمنًا»[٢].

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»[٣].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٢٠).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ١٤٩).

(٣) رواه مسلم (٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا حرمه الله على النار»[(١)].

وأهل القبلة فيما جهلوه من أحكام التوحيد ومقتضياته معذورون لقوله تعالى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[الأنعام:١٩]، وقال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[النساء:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء:١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومثل هذا في القرآن متعدد، بيَّن سبحانه أنه لا يعاقب أحدًا حتى يبلغه ما جاء به الرسول، ومن علم أن محمدًا رسول الله فآمن بذلك، ولم يعلم كثيرًا مما جاء به، لم يعذبه الله على ما لم يبلغه، فإنه إذا لم يعذبه على ترك الإيمان قبل البلوغ، فإنه لا يعذبه على بعض شرائطه إلا بعد البلاغ أولى وأحرى»[(٢)].

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف رءوف بهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء:١٥]، وقد كان سادة الصحابة بالحبشة، وينزل الواجب والتحريم على النبي ﷺ، فلا يبلغهم إلا بعد أشهر، فهم في تلك الأمور معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص، وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص، والله أعلم»[(٣)].

أهل الفترة:

وهم كل من لم تبلغهم دعوة الرسل، ولم تقم عليهم الحجة، أو عاشوا بين موت رسول وبعثة رسول آخر، ولم تبلغهم دعوة الأول[(٤)].

فمن لم تبلغهم دعوة الرسول مطلقًا وماتوا على الشرك فهم معذورون في الدنيا

---

(١) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) مجموع الفتاوي (٢٢/ ٤١، ٤٢).
(٣) الكبائر للذهبي ص١٢.
(٤) تفسير الطبري (١٠/ ١٥٦).

بمعنى أن الله تعالى لا يعاجلهم بعذاب الاستئصال، ولا يتسلط عليهم المؤمنون بالقتال، حتى تبلغهم الدعوة، فإن ماتوا على ما عاشوا عليه من عدم الإيمان فهم ممتحنون في الآخرة -على الراجح- بنار يؤمرون باقتحامها، فمن أطاع في الآخرة فإنه من أهل الطاعة في الدنيا لو جاءته الرسالة، ومن عصى في الآخرة فإنه من أهل الكفر في الدنيا لو جاءته الرسالة، وهذا الامتحان يكشف علم الله تعالى في كلٍّ بسبق السعادة أو الشقاوة، وهذا مذهب السلف وعامة أهل السنة، كما نقله ابن القيم رحمه الله في كتابه طريق الهجرتين[1]، وأبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه مقالات الإسلاميين.

ولا يرد على هذا المذهب أن الآخرة دار جزاء لا عمل؛ لأن التكليف إنما ينقطع بدخول دار القرار، وأما في البرزخ وعرصات القيامة فلا ينقطع.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[القلم:٤٢]، والتكليف باقتحام النار مع مشقته ممكن لا يمتنع، وقبل هذا وبعده فقد صح بهذا الخبر عن سيد البشر ﷺ، فيما رواه الأسود بن سريع رضي الله عنه - وقد تقدم قريبًا- وفيه: «**وأما الذي مات على فترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها كانت عليهم بردًا وسلامًا**»[2].

الكفـار:

وهم كل من سمع بدين الإسلام ونبيه ﷺ، فلم يؤمن ظاهرًا وباطنًا، فكل من سمع بهذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها ولم يؤمن فهو كافر من أهل النار.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

---

(١) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم ص٥٨٧، ٥٨٨.

(٢) تقدم تخريجه.

[آل عمران:٨٥]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أهل النار»(١).

قال ابن حزم رحمه الله: «فإنما أوجب النبي ﷺ الإيمان به على من سمع بأمره ﷺ، فكل من كان في أقاصي الجنوب والشمال والمشرق والمغرب، وجزائر البحور والمغرب وأغفال الأرض من أهل الشرك، فسمع بذكره ﷺ؛ ففرض عليه البحث عن حاله وأعلامه والإيمان به... وأما من بلغه ذكر النبي ﷺ وما جاء به ثم لم يجد في بلاده من يخبره عنه، ففرض عليه الخروج عنها إلى بلاد يستبرئ فيها الحقائق»(٢).

ولو وجد من هؤلاء الكفار جهلة مقلدون لم يصلهم نور الإسلام ولم يسمعوا به، فهؤلاء قد يعذرون في الآخرة ولا يعذرون في الدنيا.

قال ابن القيم رحمه الله: «اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالًا مقلدين لرءوسهم وأئمتهم»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٥/ ١٠٩، ١١٠).

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٤١١.

المبحث الخامس
فضل علم التوحيد

يقصد بفضل علم التوحيد مزيته وقدره الزائد على غيره من العلوم، وما ثبت في منزلته من فضيلة، وإذا كانت العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلقها بالوحي المطهر؛ فإن علم التوحيد في الذروة من هذا الفضل العميم، حيث حاز الشرف الكامل دون غيره من العلوم، وذلك يظهر بالنظر إلى جهات ثلاث: **موضوعه، ومعلومه، والحاجة إليه.**

فضله من جهة موضوعه:

- من المتقرر أن المتعلِّق يشرف بشرف المتعلَّق، فالتوحيد يتعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف، بالله الحي القيوم، المتفرد بصفات الجلال والجمال والكمال، ونعوت الكبرياء والعزة؛ لذا كان علم التوحيد أشرف العلوم موضوعًا ومعلومًا، وكيف لا يكون كذلك وموضوعه رب العالمين، وصفوة خلق الله أجمعين، ومآل العباد إما إلى جحيم أو إلى نعيم، ولأجل هذا سماه بعض السلف الفقه الأكبر.

- وتحقيق التوحيد هو أشرف الأعمال مطلقًا، ففي الصحيح من حديثه ﷺ: «**أفضل الأعمال عند الله: إيمان لا شك فيه**»[1] أو سئل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟، فقال: «**إيمان بالله ورسوله**»[2].

وهو موضوع دعوة رسل الله أجمعين، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وجميع الرسل إنما دعوا إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم، فقال نوح لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[الأعراف:٥٩]،

---

(١) أخرجه أحمد (٧٤٥٩) (٨٣٧٤) (٩٤٠٧) (١٠٣٧٨)، والدارمي (٢٧٣٩)، والطيالسي (٢٥١٨)، والبخاري في خلق أفعال العباد ص٥١، وابن حبان في صحيحه (٤٥٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وإبراهيم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]»(١).

والله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل إقامة التوحيد بين العبيد، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وله خلقَ الجن والإنس، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦]، أي: يوحدون، فأهم ما على العبد معرفته هو التوحيد، وذلك قبل معرفة العبادات كلها حتى الصلاة.

فضله من جهة معلومه:

إن معلوم علم التوحيد هو مراد الله الشرعي، الدال عليه وحيه وكلامه، الجامع للعقائد الحقة، كالأحكام الاعتقادية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والبعث بعد الموت.

ومراد الله تعالى يجمع أمورًا ثلاثة، وتترتب عليه أمور ثلاثة، فهو يجمع أن الله تعالى أراده وأحبه فأمر به، ويترتب على كونه أمر به أن يثيب فاعله، ويعاقب تاركه، وأن ينهى عن مخالفته؛ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، فالأمر بالتوحيد نهي عن الشرك ولا بد.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣]، قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة»(٢).

فاجتمع لدى نزولها ثلاث مناسبات لا تجتمع بعد ذلك أبدًا:

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤)، ومسلم (٣٠١٧).

عيـد وعيـد وعيـد صرن مجتمعـه ... وجه الحبيب ويوم العيد والجمعه

فنزلت في عيد المسلمين الأسبوعي، وهو يوم الجمعة، الذي وافق عيد الحجاج، وهو يوم عرفة، وهو اليوم الذي حضره النبي ﷺ مع أمته حاجًّا، واجتمع بهم اجتماعه الأكبر والأخير.

ومعلوم علم التوحيد هو الأحكام الاعتقادية المكتسبة من الأدلة المرضية، من كتاب ناطق وسنة ماضية.

وقطب رحى القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته في تقرير معلوم التوحيد، يقول الشيخ صديق حسن خان رحمه الله: «اعلم أن فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها كل مسلم في كل صلاة مرات، ويفتتح بها التالي لكتاب الله والمتعلم له، فيها الإرشاد إلى إخلاص التوحيد في ثلاثين موضعًا»(١).

«والتوحيد هو فاتحة القرآن العظيم وهو خاتمته إعلانًا بأن ما بين الدفتين كله لتحقيق التوحيد. فهو فاتحة القرآن كما في أول سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٢، ٣]... وهو في خاتمة القرآن العظيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾[الناس:١- ٣]»(٢).

فالقرآن من فاتحته إلى خاتمته في تقرير التوحيد بأنواعه، أو في بيان حقوق التوحيد ومقتضياته ومكملاته، أو في البشارة بعاقبة الموحدين في الدنيا والآخرة، أو في النذارة بعقوبة المشركين والمعاندين في الدارين، ثم إن حياة النبي ﷺ ودعوته في بيان القرآن بيانًا عمليًّا تحققت فيها معاني التوحيد، وحسمت فيه مواد الشرك على الوجه الأتم الأكمل.

---

(١) الدين الخالص للشيخ صديق حسن خان (١/ ٩).

(٢) حكم الانتماء للشيخ بكر أبو زيد ص٥٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك، إذ هذا تحقيق قولنا: لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم، والإجلال والإكرام، والرجاء والخوف»[1].

فضله من جهة الحاجة إليه:

وأما فضل علم التوحيد باعتبار الحاجة إليه، فيظهر ذلك بالنظر إلى جملة أمور، منها:

- أن الله تعالى طلبه، وأمر به كل مكلَّف، وأثنى على أهله، ومدح من توسل به إليه، ووعدهم أجرًا عظيمًا.

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد:١٩]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة:٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾[البقرة:١٣٦].

وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾[الرعد:١٩].

وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون:١]، وقال تقدست أسماؤه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[آل عمران:١٩٣-١٩٥].

وقال ﷻ: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:١٤٦].

- ومنها أن عقيدة التوحيد هي الحق الذي أرسلت من أجله جميع الرسل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥].

---

(١) مجموع الفتاوي (١/ ١٣٦).

وهي حق الله على عباده كما في حديث معاذ ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»(١).

وهي ملة أبينا إبراهيم عليه السلام التي أمرنا الله باتباعها، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾[النحل:١٢٣]، وهي أيضًا دعوته عليه السلام، قال تعالى على لسانه: ﴿ **وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ** ﴾[إبراهيم:٣٥].

- ومنها أن الله تعالى جعل الإيمان شرطًا لقبول العمل الصالح وانتفاع العبد به في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ** ﴾[الأنبياء:٩٤].

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** ﴾[الإسراء:١٩].

فإذا جاء العبد بغير الإيمان فقد خسر جميع عمله الصالح، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾[الزمر:٦٥].

- ومنها أن سعادة البشرية في الدنيا متوقفة على علم التوحيد، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، وضرورته إليه فوق كل ضرورة، فلا راحة ولا طمأنينة ولا سعادة إلا بأن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة صحيحة، صادقة ناصحة، وهي جهة الوحي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «حاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب، فإن آخر ما يُقَدّر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها، مات قلبه موتًا لا ترجى الحياة معه أبدًا، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدًا»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوي (١٩/ ٩٦ - ٩٧).

ولهذا سمى الله تعالى غير الموحِّد ميتًا حقيقة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾[الروم:٥٢-٥٣].

فمقابلة الموتى بالسامعين تدل على أن الموتى هم المشركون والكافرون، وهذا تفسير جمهور السلف[1]. وقيل المراد بالموتى: موتى الأبدان، فنفي السماع يعني نفي الاهتداء، فكما قيل إن الميت يسمع ولا يمتثل، فهؤلاء الأحياء من الكفار حين يسمعون القرآن كالموتى حقيقة حين يسمعون فلا يمتثلون ولا ينتفعون.

ومما يشهد لهذين المعنيين أن الله تعالى سمى ما أنزله على رسوله ﷺ روحًا لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وسماه نورًا لتوقف الهداية عليه، وسماه شفاء لأنه دواء للنفوس من عللها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، فكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة وهو من الأموات.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام:١٢٢]، فهذا وصف المؤمن، كان ميتًا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات.

وسمّى الله تعالى الرسالة روحًا، والروح إذا عدمت فقد فقدت الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٢)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٢٣٢).

جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[الشورى:٥٢]»[1]، وما ذلك إلا لأن أكبر معضلة في حياة البشرية على ظهر الأرض هي الإجابة على ما يسمى بأسئلة التصور: من خلقني؟ ولم خلقت؟ وإلى أي شيء أصير؟ ومن خلق الكون من حولي؟ وما علاقتي به؟ وإلى أي شيء سيصير؟

ولابد من الإجابة على هذه الأسئلة بإجابة ما، صحيحة أو فاسدة، والصحيحة هي ما قدمه الوحي من إجابة متسقة مع الفطرة والعقل الصحيح، والفاسدة من مثل ما قاله إيليا أبو ماضي في ديوانه الجداول:

أتيت ولا أدري من أين أتيت؟!!

ووجدت قدامي طريقًا فمشيت!!!

من أين جئت وإلى أين أمضي لستُ أدري؟!!

ولِمَ لستُ أدري لستُ أدري!!!

وما قاله عمر الخيام:

لبست ثوب العمر لم أستشرْ ... وحرت فيه بين شتى الفِكَرْ

وسوف أنضو الثوب عني ولمْ ... أدرِ لماذا جئت أين المفر؟

قال الله تعالى عن هؤلاء المحرومين: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[الفرقان:٤٤].

يقول الشيخ عمر الأشقر حفظه الله: «إن معرفة الله والعلم به والتوجه إليه، هي نقطة البداية الصحيحة في المسيرة الإنسانية، والضلال عن الله والجهل به هو نقطة الضياع في الحياة الإنسانية، إن الإيمان بالله قاعدة يبنى عليها بناء هائل، وأصل لا يغني عنه غيره، فإذا قام البناء على غير هذه القاعدة كان بناءً ضعيفًا مختلًا، وفي كثير من

(١) مجموع الفتاوي (١٩/ ٩٣، ٩٤).

الأحيان يقتل من بناه، ويدمر من سكنه»[(١)].

فحياة الكافر والملحد في الدنيا حياة ضلال واضطراب وتخبط، فهو في أمر مريج، ما يثبته اليوم ينقضه غدًا، وما يطمئن إليه اليوم يتشكك فيه غدًا، وأما حياة المؤمن في الدنيا فطيبة صالحة، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾[النحل:٩٧]. قال بعض السلف: «ما طابت الدنيا إلا بتوحيده، وما طابت الآخرة إلا بجنته، والنظر إليه تعالى»[(٢)].

فالمؤمن في الدنيا ينعم باطمئنان نفسه، واستراحة عقله، وطهارة قلبه، وصلاح عمله، فإذا مات وصار إلى قبره كان في حياة طيبة في روضة من رياض الجنة، فإذا قامت القيامة وصار إلى الجنة دار الطيبين فقد كملت النعمة وتمت المنة.

---

(١) التوحيد محور الحياة للدكتور عمر الأشقر ص١٥.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ٣١٩).

المبحث السادس
استمداد علم التوحيد

كل علم من العلوم يتوقف في وضع قواعده، والحكم في مسائله، وفهم حقيقة تلك المسائل على ما يستمده من غيره من العلوم والفنون، فهي بمثابة طرق ووسائل وأسباب ومصادر وروافد تفيد في تقعيد قواعد ذلك العلم، وتعين على طلبه ودرسه، وتلزم له، ويتوقف عليها.

وإذا كان علم التوحيد باعتباره لقبًا على فن معين يعبر عنه بأنه «العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة المرضية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية».

فإن علم التوحيد يستمد من الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وذلك بمعرفة مناهج الاستنباط، وطرائق الاستدلال، واستخراج الأحكام عند أهل السنة، وهذا يلزم له إلمام بالعربية التي هي لسان الوحي، قرآنًا وسنة، وبها نطق أهل العلم في الأمة من السلف الصالح، كما يلزم له إدامة نظر في كتب الشروح والتفسير المأثور للقرآن والحديث، مع بلوغ غاية من علم الأصول، إذ هو سبيل الوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية، العقدية والعملية، التي هي مناط السعادة الدنيوية والأخروية.

أنواع أدلة علم التوحيد:

وأما أنواع أدلة علم التوحيد المرضية، فهذا ما سنفصل فيه القول لعظيم أهميتها؛ وذلك لأن علم التوحيد أوثق العلوم الشرعية دليلًا، وأصرحها برهانًا، وأظهرها بيانًا، تقوم دعائم دلائله على صحائح المنقول، والإجماع الصحيح المتلقى بالقبول، ثم صرائح وبراهين المعقول، والفطرة المستقيمة السالمة من الانحراف، وهذه إشارة إلى أنواع هذه الأدلة التي يؤيد بعضها بعضًا.

أولًا: صحائح المنقول:

إن صحائح المنقول تشمل الكتاب العزيز والسنة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[النحل:٨٩]، والعقيدة في الله تعالى من أهم ما بيّن الله في كتابه، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩]، وأهم ذلك العقيدة في الله وفي أنبيائه ورسالاته والغيب وما يحويه.

وعن السنة قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم:٣-٤]، وفي الحديث عنه ﷺ: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[١].

وبيان مسائل الاعتقاد من أول وأولى ما علَّمه النبي ﷺ للأمة في نصوص السنة، وهو ﷺ أنصح الأمة وأفصحها، وأحرصها على أمانة البلاغ والرسالة، لهذا كانت نصوص السنة مع الكتاب هي معول السلف ومعتمدهم في الاستدلال على مسائل الاعتقاد.

قال شيخ الإسلام عن أهل السنة: «هم أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، ويتبعون آثاره ﷺ باطنًا وظاهرًا»[٢].

يقول الإمام البربهاري: «واعلم أنه من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة، فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين. والحق ما جاء من عند الله ﷻ، والسنة ما سنه رسول الله ﷺ، والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان. ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ فلج على أهل البدعة كلهم، واستراح بدنه، وسلم له دينه إن شاء الله، لأن رسول

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٢)، وابن ماجه (٤٤) وهذا لفظه، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، والحاكم (٣٣٠) من حديث العرباض بن سارية ﵁. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الحاكم، والألباني في صحيح الجامع (٤٣٦٩).

(٢) مجموع الفتاوي (١٣/ ١٥٧).

الله ﷺ قال: «**ستفترق أمتي**»، وبيّن لنا رسول الله ﷺ الفرقة الناجية منها فقال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(١)]، فهذا هو الشفاء والبيان، والأمر الواضح، والمنار المستقيم»[(٢)].

وأهل السنة لا يستدلون بالقرآن دون السنة؛ بل بالسنة والقرآن، ولا يكمل دين العبد إلا بالإيمان بما فيهما؛ لأنهما مما أوتيه الرسول ﷺ، قال ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[(٣)]، فهما في الاحتجاج والاستدلال سواء، لا يُعزل أحدهما من أجل التحاكم إلى الآخر، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[النساء:٥٩]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾[النساء:٦٥].

يقول البربهاري: «وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن، فلا شك أنه رجل قد احتوى على الزندقة، فقم عنه ودعه»[(٤)].

ولا يعارَضُ صحيح النقل - من أدلة علم العقيدة - بوهم الرأي وخطل القياس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فكان من الأصول المتفق عليها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده... فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به، ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلًا عن أن يقول: فيجب تقديم العقل، والنقل إما أن يفوض وإما يؤول!... ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية تفسرها أو تنسخها، أو بسنة الرسول ﷺ تفسرها، فإن سنة رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث حسن غريب. وانظر: تحقيق الدكتور محمد سعيد القحطاني على شرح السنة للبربهاري ص٤٥.

(٢) شرح السنة للبربهاري ص٤٥.

(٣) رواه أحمد (١٦٧٢٢)، وأبو داود (٤٦٠٤) من حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه.

(٤) شرح السنة للبربهاري ص٥٤.

تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه»[١].

وسنة النبي ﷺ يحتج بها مطلقًا - بشرط الصحة-، لا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام من حيث حجيتها ومجالها، ولا بين المتواتر والآحاد من حيث ثبوتها وقبولها.

ثانيًا: الإجماع المتلقى بالقبول:

والإجماع مصدر من مصادر الأدلة الاعتقادية؛ لأنه يستند في حقيقته إلى الوحي المعصوم من كتاب وسنة، وأكثر مسائل الاعتقاد محل إجماع بين الصحابة والسلف الصالح، ولا تجتمع الأمة في أمور العقيدة ولا غيرها على ضلالة وباطل.

«فالإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمدون عليه في العلم والدين، والإجماع الذي ينضبط ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الخلاف وانتشرت الأمة»[٢]، وعلى هذا فإجماع السلف الصالح في أمور الاعتقاد حجة شرعية ملزمة لمن جاء بعدهم، وهو إجماع معصوم، ولا تجوز مخالفته، «فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة أصول معصومة»[٣].

ثم يأتي في المرتبة الثانية بعد هذه الأصول الثلاثة المعصومة، مصدران آخران وهما: العقل السالم الصحيح، والفطرة المستقيمة السوية.

ثالثًا: صرائح المعقول:

«العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية، إلا أنه ليس مصدرًا مستقلًا؛ بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة؛ لأن الاعتماد على محض العقل، سبيل للتفرق والتنازع»[٤]، فالعقل لن يهتدي إلا بالوحي، والوحي لا يلغي العقل.

(١) مجموع الفتاوي (١٣/ ٢٧-٢٩).

(٢) المصدر السابق (١٣/ ١٥٧).

(٣) المصدر السابق (٢٠/ ١٦٤).

(٤) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص١٣.

وقد رفع الوحي من قيمة العقل وحث على التعقل، وأثنى على العقلاء، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[الزمر:١٧-١٨].

والنصوص الشرعية قد جاءت متضمنة الأدلة العقلية صافية من كل كدر، فما على العقل إلا فهمها وإدراكها، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢].

وقال سبحانه:﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[الطور:٥٣].

وقال جل وعلا:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢].

وخوض العقل في أمور الإلهيات باستقلال عن الوحي مظنة الهلاك وسبيل الضلال، يقول ابن رشد الفيلسوف - وهو ممن خاض بالعقل في مسائل الاعتقاد وطالت تجربته -: «لم يقل أحد من الناس في العلوم الإلهية قولًا يعتد به، وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان، وهم الأنبياء»[(١)]، والمقارنة بين طريقة الوحي وطرق الفلاسفة والمتكلمين في بحث أمور العقيدة هي مقارنة بين الصواب والخطأ، والصحيح والفاسد، والنافع والضار.

يقول الرازي - بعد طول بحث -: «ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن»، وقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن... ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[(٢)].

---

(١) تهافت التهافت لابن رشد (٢/ ٥٤٧)، تحقيق د. سليمان دنيا.

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٤٤).

فميزان صحة المعقولات هي الموافقة للكتاب والسنة.

قال في الحجة: «وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقًا لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم عليه، وإن وجدوه مخالفًا لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم»(١).

والعقل قد يهتدي بنفسه إلى مسائل الاعتقاد الكبار على سبيل الإجمال، كإثبات وجود الله مع ثبوت ذلك في الفطرة أولًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «واعلم أن عامة مسائل أصول الدين الكبار مما يعلم بالعقل»(٢).

أما مسائل العقيدة التفصيلية مما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته ورسوله وأنبيائه، وما يجب لهم وما يستحيل، فما كانت العقول لتدركها لولا مجيء الوحي.

قال أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني: «ولأن العقل لا مجال له في إدراك الدين بكماله، وبالعلم يدرك بكماله»(٣) ويقصد بالعلم الوحي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «لا تحسبن أن العقول لو تركت وعلومها التي تستفيدها بمجرد النظر، عرفت الله معرفة مفصلة بصفاته وأسمائه على وجه اليقين»(٤).

وقال اللالكائي رحمه الله: «سياق ما يدل من كتاب الله عز وجل، وما روي عن رسول الله ﷺ، على أن وجوب معرفة الله تعالى وصفاته بالسمع لا بالعقل، قال الله تعالى يخاطب نبيه ﷺ بلفظ خاص والمراد به العام: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد:١٩]، وقال تبارك

---

(١) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (٢/ ٢٢٤).
(٢) مجموع الفتاوي (١٩/ ٢٢٩، ٢٣٠).
(٣) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (٢/ ٥٠٤).
(٤) الصارم المسلول لابن تيمية (٢/ ٤٥٩).

وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]، فأخبر الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن بالسمع والوحي عرف الأنبياء قبله التوحيد.«كذلك وجوب معرفة الرسل بالسمع، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[الأعراف:١٥٨]. فدل على أن معرفة الله والرسل بالسمع كما أخبر الله ﷻ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة»[1].

ثم إن كثيرًا من مسائل الاعتقاد بعد معرفتها والعلم بها لا تدرك العقول حقيقتها وكيفيتها، وذلك كصفات الله تعالى وأفعاله، وحقائق ما ورد من أمور اليوم الآخر من الغيبيات التي لا يحيلها أو يردها العقل، ولا يوجبها أو يطلبها.

«ولهذا ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم لتقرير مسائل الغيب، تنبيهًا للعقول على إمكان وجودها، فاستدل على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض وهي أعظم وأبلغ في القدرة، وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة بعد إنزال الماء عليها»[2].

قال السفاريني رحمه الله: «لو كانت العقول مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه، لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وإنزال الكتب، واللازم باطل بالنص: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾[الإسراء:١٥]، فكذا الملزوم»[3].

وأخيرًا فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح؛ فالأول خلق الله تعالى والثاني أمره، ولا يتخالفان؛ لأن مصدرهما واحد وهو الحق سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾[الأعراف:٥٤].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ١٩٣ - ١٩٦).

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان حسن (١/ ١٧٨).

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ١٠٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلًا، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة»[١].

ولذا قال الإمام محمد بن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الله عَجَّلَ العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»[٢]، «وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو أن العقل مع النقل كالعاميّ المقلد مع العالم المجتهد؛ بل هو دون ذلك بكثير، فإن العامي يمكنه أن يصير عالمًا، ولا يمكن العالم أن يصير نبيًّا رسولًا»[٣].

رابعًا: الفطرة السوية:

أما الفطرة فهي خلق الخليقة على قبول الإسلام والتهيؤ للتوحيد، أو هي الإسلام والدين القيم.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[الروم: ٣٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره»[٤].

قال شيخ الإسلام: «فالحنيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها، والحب لله، والخضوع له، والإخلاص له هو أصل أعمال الحنيفية»[٥].

وقوله تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ معناه: أن الله ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة.

---

(١) مجموع الفتاوي (١١/ ٤٩٠).

(٢) السنة للخلال (٣/ ٥٧٩)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٠٤).

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٣١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٣٣).

(٥) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨/ ٤٥١).

وفي الحديث الصحيح: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تُنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟**»[(١)]، فمعنى خلق المولود على الفطرة هو: «أن الطفل خلق سليمًا من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه»[(٢)]، والفطرة قبول الإسلام، فهي كالأرض الخصبة القابلة، والوحي كالغيث النازل من السماء، ما إن ينزل عليها حتى تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج.

والفطرة السوية تقبل الإسلام وتهتدي إلى وجود الخالق بما أودع الله الخلائق من قوانين كلية، تظهر آثارها في الطفل الناشئ الذي لم يتعلم أو يتكلم، فهو يدرك أن الحادث لابد له من محدث، وأن الجزء دون الكل، وأنه يستحيل الجمع بين المتناقضين، وهذا من أوائل العقل وبواكيره، وقلوب بني آدم مفطورة على قبول الإسلام وإدراك الحق، ولولا هذا الاستعداد ما أفاد النظر ولا البرهان، شأنها في ذلك شأن الأبدان، فطرها الله تعالى قابلة للانتفاع والاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا هذا الاستعداد لما حصل انتفاع.

والفطرة السوية تهدي العبد إلى أصول التوحيد والإيمان، وجمهرة أهل العلم من أهل السنة وغيرهم على فطرية الإيمان، وليس يحتاج العبد لتحصيله من أصله إلى استدلال أو برهان، فضلًا عن أن يشك ويخرج من ثوب اليقين والإذعان، «والقلوب مفطورة على الإقرار به سبحانه أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١٠]»[(٣)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (٢/ ٣٣٣، ٣٣٤).
(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨/ ٣٨).

يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة»[١].

ويقول: «إن أصل العلم الإلهي فطري ضروري، وإنه أشد رسوخًا في النفوس من مبدأ العلم الرياضي، كقولنا: إن الواحد نصف الاثنين، ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا: إن الجسم لا يكون في مكانين؛ لأن هذه المعارف أسماء قد تُعرِض عنها أكثر الفطر، وأما العلم الإلهي فما يتصور أن تعرض عنه فطرة»[٢].

والفطرة تدل على اتصاف الخالق بالصفات العُلى والكمال المطلق، فهي تدرك أن من يخلق لا يكون كمن لا يخلق، قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[النحل:١٧].

فالخالق لهذا الكون لا يستوي مع غيره، في صفاته وأفعاله وذاته، فهي تدرك علو الصفات، كما تدرك علو الذات، فإنه ما قال عارف مؤمن قط: يا الله، إلا وجد في نفسه ضرورة بطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، لا يجادل في ذلك مجادل.

والفطرة وإن غشيتها غاشية الإلحاد؛ تهتدي إلى تفرده تعالى بالألوهية يظهر ذلك في أوقات الشدة والمحنة، فإن القلب يفزع إلى خالقه، ويلجأ إلى بارئه، عند حلول الحوادث العظام والخطوب الجسام، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ**﴾[الإسراء:٦٧].

«والإسلام بعقائده وأحكامه موافق للفطرة لا يعارضها؛ بل كلما كانت العقائد والأحكام بعيدة عن الإسلام، كانت معارضة للفطرة الصحيحة مضادة لها، ففي الفطرة محبة العدل وإيثاره، وبغض الظلم والنفار منه، واستقباح إرادة الشر لذاته، لكن تفاصيل ذلك إنما تعلم من جهة الرسل، فالطفل عند أول تمييزه إذا ضرب من خلفه التفت لعلمه أن تلك الضربة لابد لها من ضارب، فإذا شعر به بكى، حتى يقتص له منه، فيسكن ويهدأ، فهذا إقرار في الفطرة بالخالق، وهو التوحيد، وبالعدل الذي هو

---

(١) مجموع الفتاوي (١٦/ ٣٢٨).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٥-١٦).

شرعة الرب تعالى»[1].

والعقل والفطرة وإن كانا من دلائل التوحيد، إلا أنه لا تقوم الحجة على بني آدم إلا بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وقطع العذر، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾[الإسراء:١٥]، فلا عذاب إلا بعد إرسال الرسل، وقطع العذر، وإقامة الحجة، وقالت المعتزلة في الآية: ﴿ **رَسُولاً** ﴾ أي: العقل، وهو تحريف للكلم عن مواضعه، بدلالة قول الله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ** ﴾[الأنبياء:٧].

وهو سبحانه ما أهلك من قبلنا من الأمم إلا بعد إرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم، قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ** ﴾[الشعراء:٢٠٨]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ** ﴾[القصص:٥٩].

فإن قيل: إذا كان وجود الله وتعظيمه مركوزًا في الفطر، والعقول تستدل على ذلك، فعلام توقف التكليف على مجيء الرسول، وإنزال الكتاب؟

فيقال: إن إثبات كون الفطرة هي الإسلام، لا يقتضي خلق علم ضروري في نفس الإنسان، يجعله عالمًا بالعقيدة وأصولها، ونواقضها، قال تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا** ﴾[النحل:٧٨]. كما أن الله تعالى تكرمًا منه لا يعاقب قبل بلوغ الحجة الرسالية ﴿ **ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ** ﴾[الأنعام:١٣١]؛ بل تمتنع المؤاخذة حتى يبعث إليهم الرسول، ومن حكمة ذلك أن معرفة الله وإثبات وجوده المركوز في الفطر والعقول إجمالي لا تفصيلي، فالعقل لا يهتدي لكل كمالات الله تعالى، ولا يهتدي إلى كل ما يرضيه من الأقوال والأفعال، فلابد له من وحي يهديه ويرشده، ويبين له معاقد الحل والحرمة في أفعال المكلفين، كما أن العقل والفطرة لا

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص٢٤٠.

يدلان على عقوبة الآخرة لمن قصّر في ذلك، فجاء الرسول ببيان ثواب التوحيد، وعقوبة الشرك في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكــان النــاس في لــبسٍ عظيـــم ... وكــان النــاس في جهــلٍ عظــيم

فجــــاءوا بالبيـــــان فـــأظهروه ... فجــــاءوا بــــاليقين فأذهبـــوه

وكــان النــاس في كفــرٍ عظيـــم ... فجــــاءوا بالرشـــاد فـــأبطلوه

وأخيرًا فإنه لا تعارض ولا تناقض - بحمد الله - بين فطر الخلائق على الإسلام وبين عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن الله تعالى «وإن خلقه مولودًا سليمًا، فقد قدَّر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره، وعلم ذلك»[1].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨/ ٣٦٢).

المبحث السابع
نسبة علم التوحيد

نسبة العلم هي علاقته بغيره من العلوم وصلته بها، ونسبة أي علم إلى غيره من العلوم تتردد بين أربع نسب، هي:

١- **الترادف**: فتطلق الأسماء المختلفة على مسمى واحد وعِلْمٍ محدد، فتختلف الأسماء وتتفق المسميات.

٢- **التخالف**: فتتباين الأسماء والمسميات، بحيث لو نسب أحد العلمين إلى الآخر، لم يصدق على شيء مما صدق عليه الآخر.

٣- **التداخل**: كأن يكون أحد العلمين أعم من الآخر فأحدهما داخل بتمامه في الآخر، وهو العموم والخصوص المطلق.

٤- **التقاطع**: وهو العموم والخصوص الوجهي أو النسبي، بأن يكون كل من العلمين أعم من جهة، وأخص من جهة أخرى.

وعلى ما سبق يمكن القول بأن علم التوحيد نسبته إلى سائر العلوم الشرعية هي التخالف والتباين، فهو فن مستقل بذاته، قائم بنفسه، له أصوله ومصادره، ومناهجه ومسائله، ولا يغني عنه غيره، وإن كان كالأساس لعلوم الإسلام، وهو منها بمنزلة الرأس من الجسد؛ ولذا مال بعض العلماء إلى التعبير عن نسبته إلى غيره من العلوم بأنه أصلها وما سواه فرع عنه، باعتبار أن علوم الإسلام تقوم أولًا على معرفة الله تعالى وتوحيده، والتصديق ببعثة نبيناﷺ وأمور الغيب، وهذا موضوع علم التوحيد.

ولذا قال الإمام السفاريني في منظومته:

وبعـــد فاعلـــم أن كـــل العلـــم كـالفرع للتوحيـد فاسـمع نظمـي

ولأجل هذا المعنى سماه الإمام أبو حنيفة بالفقه الأكبر، وسبب هذه التسمية أن النصوص من كتاب وسنة تدور حول التوحيد في خمسة محاور لا سادس لها، فإما أن تكون في تقرير التوحيد في نوعه العلمي الخبري، أو في تقريره في نوعه الطلبي الإرادي، ودعوة الخلق لعبادته تعالى وحده، أو في مستلزمات التوحيد ومقتضياته، وحقوقه من الأحكام الفقهية العملية، أو في الجزاء على التوحيد من إكرام الله لعباده الموحدين، أو في بيان العقوبات والوعيد على مضادة التوحيد بالشرك والإلحاد، فصار التوحيد أصلًا لغيره من العلوم حيث ارتبطت به واعتمدت عليه[1].

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٤٦٨)، معارج القبول لحافظ الحكمي (١/ ٩٨).

المبحث الثامن
واضع علم التوحيد

لا شك أن التوحيد جاءت به الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وأما علم التوحيد فقد مر في وضعه وتدوينه بطورين:

أولهما: طور الرواية (ما قبل التدوين)، والثاني: طور التدوين والاستقرار.

وهذه لمحة عن كلتا المرحلتين.

أولًا: طور الرواية:

لم يكن الرعيل الأول من الصحابة ﷺ بحاجة إلى التدوين في العلوم الشرعية، فقد كانوا يتلقون عن رسول الله ﷺ الوحيين، «ويوردون عليه ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم، وقد أورد عليه من الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداؤه للتعنت والمغالبة، وأصحابه للفهم والبيان وزيادة الإيمان»[(١)]، وكل ذلك رواه الصحابة عن النبي ﷺ لمن بعدهم، فكانت مسائل الاعتقاد محفوظة في أذهانهم، مستدلًا عليها بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، ولم يقع بينهم اختلاف في شأن العقيدة؛ بل اجتمعوا على عقيدة صحيحة، سالمة نقية خالية من كل شوب، فكانوا «أقرب إلى أن يوفقوا إلى الصواب من غيرهم بما خصهم الله به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وتقوى الرب، فالعربية طريقتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم... علموا التنزيل وأسبابه، والتأويل وآدابه، وعاينوا الأنوار القرآنية، والأشعة المصطفوية، فهم أسعد الأمة بإصابة الصواب، وأجدرها بعلم فقه السنة والكتاب»[(٢)].

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٦٨٠).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (٤/ ١٤٨-١٥٠) بتصرف.

لأجل هذا لم يكن الصحابة ﷺ بحاجة إلى تدوين علم التوحيد أو تصنيف كتب فيه.

ثانيًا: طور التدوين:

وبدأ هذا في حياة التابعين، وإن وقعت في زمنهﷺ صور من الكتابة والتدوين، حيث ابتدأ ذلك الإمام الزهري رحمه الله، ثم شاع ذلك في النصف الأول من القرن الثاني الهجري كما فعل الإمام مالك في الموطأ، حيث رتبت الأحاديث على أبواب تتعلق بالتوحيد مثل: باب الإيمان، وباب التوحيد، وباب العلم، الخ...

ولعل هذا التبويب للأحاديث كان النواة الأولى في استقلال كل باب فيما بَعْدُ بالتصنيف والبحث.

ومما أوقد جذوة التدوين ما وقع في آخر زمن الصحابة من بدع واختلاف في العقيدة، كما في مسألة القدر، وكان أول من تكلم به معبد الجهني (ت: ٨٠ هـ)، ومسألة التشيع والغلو في آل البيت، وفتنة عبد الله بن سبأ، كما وقعت من قبل بدعة الخوارج وصرَّحوا بالتكفير بالذنوب، وبعد ذلك نشأ مذهب المعتزلة على يد واصل بن عطاء (ت:١٣١هـ)، وصنَّف في مسائل من العقيدة ما خالف به الصحابة والتابعين، وخرج على إجماع خير القرون في الاعتقاد، فتصدى له التابعون بالرد عليه والمناظرة في هذه المسائل، ثم بدأ التصنيف في عقيدة أهل السنة حين أصبح ضرورة لابد منها لنفي تأويل المبطلين، ورد انحراف الغالين، وكان أول مدوَّن عرفناه في العقيدة -على هذا النحو- هو كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة رحمه الله (ت:١٥٠هـ) وهو ثابت النسبة إليه، رواه أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، كما رواه حماد بن أبي حنيفة. حدد فيه أبو حنيفة عقائد أهل السنة تحديدًا منهجيًّا ورد فيه على المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والشيعة، واشتمل على خمسة أبواب -في أتم رواياته-: الأول في القدر، والثاني والثالث في المشيئة، والرابع في

الرد على من يكفر بالذنب، والخامس في الإيمان، وفيه حديث عن الأسماء والصفات، والفطرة، وعصمة الأنبياء، ومكانة الصحابة، وغير ذلك من مباحث العقيدة.

فلو قال قائل: إن واضع علم التوحيد - بمعنى أول من وضع مؤلفًا خاصًّا في الفن من أهل السنة- هو الإمام أبو حنيفة؛ لكان صادقًا ولم يبعد عن الصواب، «وإن كان قد قيل: إن واضعه الإمام مالك بن أنس، وأنه ألف فيه رسالة، وقيل أيضًا أنه لما كثرت الفتن أمر المنصور بوضع كتب لإزالتها والرد عليها»[(١)].

كما ثبت أن الإمام ابن وهب رحمه الله (ت:١٩٧هـ) وضع كتابًا في القَدَر على طريقة المحدثين في جمع الأحاديث وإن كان دون تبويب.

ولقد نسب كتاب بنفس اسم الفقه الأكبر للإمام الشافعي رحمه الله[(٢)] (ت:٢٠٤ هـ)، تناول فيه مسائل الاعتقاد مسألة مسألة، ورد على الفرق المخالفة في ثنايا كلامه، إلا أن نسبة الكتاب إلى الإمام الشافعي غير موثقة، فقد قال حاجي خليفة في كشف الظنون: «.. لكن في نسبته إلى الشافعي شك، والظن الغالب أنه من تأليف بعض أكابر العلماء»[(٣)].

ثم تتابع التأليف بعد أبي حنيفة في علم التوحيد ولكن بأسماء مختلفة لهذا العلم، فمن أول ذلك كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلَّام (ت:٢٢٤ هـ)، وتبعه على هذا كثيرون إلى يوم الناس هذا، كما ظهر مصطلح السنة للدلالة على ما يسلم من الاعتقادات، واشتهر ذلك زمن الإمام أحمد رحمه الله، ومن الكتب المصنفة باسم السنة، كتاب السنة لابن أبي شيبة رحمه الله (ت:٢٣٥هـ) والسنة للإمام أحمد رحمه الله (ت:٢٤٠هـ) وغير ذلك، ثم ظهر مصطلح التوحيد في مثل كتاب التوحيد لابن سريج البغدادي رحمه الله (ت:٣٠٦هـ)، وكتاب التوحيد

---

(١) اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم لمحمد أبي عليان الشافعي ص٢٣٧.

(٢) طبع بتحقيق د. محمد محمود فرغلي.

(٣) كشف الظنون لحاجي خليفة (٢/ ١٢٨٧).

لابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:٣١١هـ)، وواكب ذلك ظهور مصطلح أصول الدين، ثم ظهر التأليف باسم العقيدة أوائل القرن الخامس الهجري، واستقرت حركة التصنيف ومنهج التأليف، واستقل علم التوحيد علمًا متميزًا عن غيره بلقب ومنهج مخصوص.

وأخيرًا فإن فيما سبق بيانه رد على من زعم - من الأشاعرة والماتريدية- أن واضعي علم التوحيد هما: أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، وأبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ)، حيث سُبقا بتآليف كثيرة كتبت على منهج أهل الحديث، أهل السنة والجماعة.

المبحث التاسع
غاية علم التوحيد

«الغرض والغاية والفائدة والثمرة من العلم بمعنى واحد، فكل ذلك اسم للمصلحة المترتبة على تعلم العلم، وإنما اختلفت العبارات لاختلاف الاعتبارات، فكل منفعة ترتبت على فعل ما تسمى فائدة وثمرة، من حيث ترتبها عليه، وتسمى غاية، من حيث إنها على طرف الفعل ونهايته، وغرضًا من حيث إن الفاعل فعل ذلك الفعل لأجل حصوله»[1].

وتظهر ثمرة دراسة علم التوحيد -على منهج أهل السنة والجماعة- من جهات وحيثيات كثيرة، إلا أنها تعود إلى أمرين أساسيين، الأول: باعتبار المكلف، والثاني: باعتبار العلم نفسه وعلوم الإسلام الأخرى، وما يتعلق بالمكلف يعود إلى منفعة دنيوية وأخروية، والدنيوية ترجع إلى منفعة علمية وعملية، وتفصيل هذه المنافع على النحو التالي:

أولًا: ثمرته بالنسبة للمكلف:

١- في حياته الدنيا:

إن قيام المدنية، وازدهار الحضارة، وانتظام أمر الحياة، وطيب العيش، لمن ثمرات التوحيد المباركة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف:٩٦].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨].

---

(١) ترتيب العلوم للمرعشي ص٨٦.

«إن الإيمان يثمر طمأنينة القلب وراحته، وقناعته بما رزق الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح»(١).

وفي الصحيح: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»(٢).

وقال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: «وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم؛ بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»(٣).

وفصَّل الرازي القول في بيان حياة المؤمن الطيبة في الدنيا من خمسة وجوه، فقال:

- إن المؤمن يعلم أن رزقه من تدبير ربه، وربه محسن له فيه، فهذا يدعوه إلى الرضا عن الله ورزقه.

- وإن المؤمن يعلم حقيقة الدنيا وسرعة تقلبها، فلا يجزع عند حلول كدرها؛ لأنه يعلم أن العيش عيش الآخرة.

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ السعدي ص٧٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي ﷺ.

(٣) الوابل الصيب لابن القيم ص٧٠.

- والمؤمن مع رضاه وعدم جزعه مغمور بالسعادة في حياته؛ لأن غايته إرضاء ربه، فهو يلهج بهذه الكلمة: «إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي».

- ثم إن لذات الدنيا زائلة خسيسة، وأعظم لذاتها الوقاع والطعام، وقد يحتقرهما الإنسان إذا تفكر فيهما.

- فالمؤمن عندما تقبل عليه الدنيا لا يعانقها معانقة العاشق؛ لأنه يعلم زوالها، فيأخذ منها بقدر ما يتزود إلى الآخرة(١).

والمؤمن يتلذذ بلذات معنوية هي أعظم من كل اللذات الحسية، ولذا قال بعض السلف: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه؛ لجالدونا عليه بالسيوف»(٢)، وقال غيره: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»(٣).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[الحديد:١٣]: «ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أنَّى رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»(٤).

ومظاهر الحياة الطيبة التي خص الله بها عباده المؤمنين في الدنيا كثيرة نذكر منها:

- **ولاية الله ﷻ:**

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[البقرة:٢٥٧].

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٢٠/ ١١٢).

(٢) القائل هو الفضيل بن عياض. انظر: الجواب الكافي لابن القيم ص١٦٨.

(٣) القائل هو ابن تيمية. انظر: الوابل الصيب لابن القيم ص٦٩.

(٤) الوابل الصيب لابن القيم ص٦٩.

وقال سبحانه: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[يونس:٦٢، ٦٣].

- محبة الله ﷻ للمؤمنين ومحبة الخلق لهم:

قال تعالى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة:٥٤]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[مريم:٩٦].

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات -وهي الأعمال التي ترضي الله ﷻ لمتابعتها الشريعة المحمدية- يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه»[1].

- مدافعة الله عن المؤمنين وإنجاءه لهم ونصرهم على أعدائهم:

قال سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[غافر:٥١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾[الحج:٣٨]، ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم وأتم.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنبياء:٨٨].

وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[فصلت:١٨].

- حصول نور البصيرة التي تفرق بين الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الأنفال:٢٩].

وهذا الفرقان فسّره أهل العلم بالنور الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، فيفرق به بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٠).

تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[الشورى:٥٢].

- حصول العزة وتمام الكرامة والشرف:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[المنافقون:٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٤].

فالعزة في الإيمان، والذلة في الكفر والعصيان، فاللهم أعزنا بطاعتك والإيمان، ولا تذلنا بمعصيتك والكفران، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت.

٢ـ في قوته العلمية:

وهي القوة التي يدرك الإنسان بها، ويفرق بين الحق والباطل، وتظهر ثمرة علم التوحيد العلمية من خلال الأمور التالية:

- معرفة الله تعالى معرفة يقينية:

إن سلوك منهج أهل السنة في تعلم علم التوحيد يوصل العبد -ولابد- إلى غاية المطالب، وأشرف المقاصد، وأول الواجبات، وهو معرفة الله تعالى بالتوحيد، وإفراده تعالى بالعبادة، والبراءة من الشرك، وكلما ازداد العبد علمًا بالتوحيد، ازداد رقيًا في مدارج الإيمان ومعارج اليقين، وارتقى من الإيمان المجمل إلى الإيمان المفصَّل، ومن حال التقليد إلى حال اليقين والإذعان، والتصديق عن حجة وبرهان، بحيث يكون اعتقاد الإنسان في ربه ذاتًا وصفات وأفعالًا مطابقًا للواقع عن دليل صحيح، وهذا أفضل ما اشتغل بعلمه إنسان، كما في الحديث أن النبي ﷺ سُئل: أي العمل أفضل؟ فقال ﷺ: **«إيمان بالله ورسوله»**[١]

والعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته سبيل لرفع الدرجات وحصول البركات، قال

---

(١) تقدم تخريجه.

تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾[المجادلة:١١]، وهذا العلم الصحيح هو الذي يحل عقدة الأسئلة الكبرى التي ضلت البشرية في الاهتداء إلى جوابها، فتاهت في دروب الإلحاد، وعبادة الشجر، والحجر، والتثليث، وعبادة الهوى من دون الله تعالى، ففي القلب خلّة لا يسدها إلا الاعتقاد الحق، وحاجة لا تنقضي إلا بمعرفة الرب.

كانت لقلبي أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده ... وصرتُ مولى الورى مذ صرت مولائي

- **انشراح الصدر وطمأنينة القلب:**

وهذا الأمر ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله تعالى، والإجابة على أسئلة الفطرة حول الكون والحياة، فنفس لا إيمان فيها مضطربة، قلقة، تائهة خائفة، فأما اضطرابها؛ فلأنها كالسفينة تتاقذفها الأمواج العاتية، تتلقى عن كثيرين -غير الله تعالى- مناهجها وعقائدها فتضطرب مرجعيتها، ويختلف سبيلها، وتتناقض مسيرتها، وأما النفس المؤمنة الموحِّدة، فقد اتحد مصدر ورودها وصدورها في كل أمر، فهي تتلقى من الله وعن الله، وهي تسير إلى الله.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر:٢٩]. فإذا تعددت الأسياد على المملوك، فقد شقي حاله، واضطرب أمره.

وفي النفس قلق على المستقبل وطلب لاستجلاء الغيوب، ولا يزيل هذا القلق كالإيمان بخيرية الذات، وخيرية العمل، وخيرية المآل والمصير، فالمؤمن الموحِّد ينظر إلى الغيب بعين التفاؤل والرضا عن الله تعالى في قضائه وقدره، فيسكب في النفس برد

اليقين، ومشاعر الأمن والاطمئنان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام:٨٢]، فمن أراد الله له الهداية وانشراح الصدر هداه إلى الإسلام أولًا، ثم إلى سلامة العقيدة من شوائب البدع ثانيًا.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنعام:١٢٥].

- **حصول برد اليقين واستقرار الفكر.**

قال شيخ الإسلام: «والمقصود أن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم أهل السنة والجماعة، من المعرفة واليقين، والطمأنينة، والجزم الحق، والقول الثابت، والقطع بما هم عليه، أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين»(١).

«إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالًا من قول إلى قول، وجزمًا بالقول في موضع، وجزمًا بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين... أما أهل السنة والحديث، فما يعلم أحد من علمائهم، ولا صالح من عامتهم، رجع قط عن قوله واعتقاده؛ بل هم أعظم الناس صبرًا على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة... وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة»(٢).

وقال أيضًا رحمه الله: «حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي(٣) أنه قال: أبيت بالليل وأستلقي على ظهري، وأضع الملحفة على وجهي، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة

---

(١) مجموع الفتاوي (٤/ ٤٩).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٥٠، ٥١).

(٣) وهو رأس في الكلام والفلسفة.

هؤلاء وبالعكس، وأصبح ما ترجح عندي شيء»[١].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي -يصف حاله وحال إخوانه من المتكلمين-:

فيـك يـا أغلوطـة الفكـر ... حـار أمـري وانقـضى عمـري

سـافرت فيـكِ العقـول فـما ... ربحـت إلا أذى السـفرِ

فـلحى الله الأولى زعمـوا ... أنـك المعـروف بالنظـرِ

كـذبوا إن الـذي ذكـروا ... خـارج عـن قـوة البـشرِ

أين هذه الحيرة والاضطراب في الظلمات ممن التزم المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فهو على نور من ربه، وما أروع ما سطره يراع ابن القيم في شرح قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾[النور:٣٥]، حيث قال: «النور على النور: نور الفطرة الصحيحة، والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نورًا على نور، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه بالأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع، والفطرة والوحي، فيريه عقله وفطرته وذوقه الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق، لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة؛ بل يتصادقان ويتوافقان»[٢].

- النجاة من الانحراف عن الصراط المستقيم:

وذلك لأن الاعتقاد الصحيح هو سبيل الله، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، والانحراف عن سبيل الله هو اتباع السبل والطرق المخالفة لما أمر الله به في الأصول والفروع.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤.

قال أبو العالية الرياحي: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء، فرددها مرارًا»(١).

وقال عمر بن عبد العزيز: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ﷻ، واستكمال لفرائض الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى»(٢).

وقال أبو الدرداء: «لن تضل ما أخذت بالأثر»(٣).

وقال ابن سيرين: «الرجل ما كان على الأثر فهو على الطريق»(٤).

وهذه الآثار تصديق لقوله جل شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النساء:٦٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

قال ابن بطة رحمه الله: «فرحم الله عبدًا لزم الحذر، واقتفى الأثر، ولزم الجادة الواضحة، وعدل عن البدعة الفاضحة»(٥).

٣- في قوته العملية:

وهي القوة التي تحمل الإنسان على السير إلى الله تعالى، والاجتهاد في عبادته، والتقرب إليه بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه، وتظهر ثمرة علم التوحيد العملية من

---

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٥٢) رقم (٢٣٠).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٥٢) رقم (٢٣٠).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٥٢) رقم (٢٣٢).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٥٦) رقم (٢٤١، ٢٤٢).

(٥) المصدر السابق (١/ ٣٦٥).

خلال الأمور التالية:

- **تحقيق الإخلاص وأعمال القلوب على الوجه الصحيح:**

إن الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة رسل الله أجمعين، وهو روح التوحيد ولب الرسالة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[البينة:٥]، والإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد، وهو تصفية العمل من كل شوب، وفي أهمية الإخلاص وأعمال القلوب يقول ابن القيم رحمه الله: «أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات... فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح»[١].

والإخلاص يتوقف في حصوله وكماله على معرفة العبد لربه، وتعظيمه وتأليهه، ومعرفة أسمائه تعالى وصفاته، وإحصائها والتعبد لله بمقتضاها، فمن كان بالله أعرف كان له أخلص، وفيما عند الله تعالى أرغب، ومن عقوبته أرهب.

والإخلاص إذا تمكن من طاعة من الطاعات مهما كانت يسيرة، فإن الله تعالى يغفر بها الذنب ويضاعف الأجر، يقول شيخ الإسلام في هذا الشأن: «والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله به كبائر كما في حديث البطاقة[٢]... فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق، كما قالها هذا الشخص، وإلا

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ٧٠٥).

(٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء». أخرجه أحمد في المسند والترمذي، والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٦)، الصحيحة (١٣٥).

فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم يقولون لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم، كما ترجح قول صاحب البطاقة».. ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ حديث البغي التي سقت كلبًا فغفر الله لها.. والرجل الذي أماط الأذى عن الطريق فغفر الله له، ثم قال: «فهذه سقت الكلب فغفر لها.. فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص»[(١)].

- اشتغال الجوارح بالطاعات:

إذا عمر الإخلاص قلب العبد، وتحققت أعمال القلوب من محبة الله ورسوله، والتوكل على الله والصبر له، والخوف منه والرجاء فيما عنده انطلقت الجوارح ولا بد في طاعة الله تعالى، ولا يتخلف ذلك أبدًا، وفي الصحيح: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[(٢)]، فصلاح الظاهر تابع لصلاح الباطن في الأصل، والارتباط بينهما حاصل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح»[(٣)].

قال تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ** ﴾[الأنبياء:٩٤]، «فلا يجحد عمله ولا يخيب سعيه؛ بل يثاب عليه أضعافًا بحسب قوة إيمانه»[(٤)].

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** ﴾[الإسراء:١٩].

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٦/ ٢١٨-٢٢٠) بتصرف يسير.
(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ٧١٠).
(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي ص٧٣.

والسعي للآخرة هو العمل بكل ما يقرب إليها ويدني منها، من الأعمال التي شرعها الله على لسان نبيه محمدﷺ، فإذا تأسست على الإيمان وانبنت عليه، كان السعي مشكورًا مقبولًا مضاعفًا، لا يضيع منه مثقال ذرة، وأما إذا فقد العمل الإيمان، فلو استغرق العامل ليله ونهاره فإنه غير مقبول، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[الفرقان:٢٣].

- الاجتماع والوحدة والائتلاف:

وهذا هو ما دعى الله إليه عباده بقوله:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران:١٠٣]، وقال سبحانه:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران:١٠٥].

وقال ﷺ: «**من ترك الطاعة وفارق الجماعة ثم مات فقد مات ميتة جاهلية**»[1]، وقالﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»[2].

وقد اقتفى السلف نصوص الكتاب والسنة، فكانوا مجتمعين على اعتقاد واحد وهو ما كان عليه رسول الله وأصحابه، ينقله سلفهم إلى خلفهم لا يختلفون فيه أبدًا.

قال الأصفهاني في كتابه الحجة: «ومما يدل على أن أهل الحديث على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم من الديار، وسكون كل واحد فيهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٢٨٧)، وأشار محققه إلى أنه صحيح.

قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا»[١].

وقال أبو إسماعيل الصابوني: «وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف بعضهم بعضًا، بل أجمعوا عليها كلها، ولم يثبت عن أحد منهم ما يضادها»[٢].

وقال ابن بطة العكبرى: «إلا من كان على طريق الاتباع، واقتفاء الأثر، والانقياد للأحكام الشرعية والطاعة الديانية، فإن أولئك من عين واحدة شربوا، فعليها يردون، وعنها يصدرون، قد وافق الخلف الغابر للسلف الصادر»[٣].

وقال ابن قدامة المقدسي: «وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف ﭬ، كلهم يتفقون على الإقرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله»[٤].

وإنما سمو جماعة لاجتماعهم على الحق علمًا وعملًا، فكان اشتقاق الجماعة عن اجتماعهم.

٤- في حياته الآخرة:

إن امتناع الخلود في النار لمن ظلم نفسه من الموحِّدين، ودخول الجنة ابتداء لمن اقتصد من أصحاب اليمين، والفوز بالدرجات العلى لمن سبق بالخيرات، مع رضوان الله تعالى ورؤية وجهه الكريم في الجنات، هو غاية المطالب، ونهاية الرغائب لجميع المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[فاطر:٣٢، ٣٣].

وفي هذه الآية حرف ينبغي أن يكتب بماء الذهب فرحًا وطربًا؛ لأنه يشير إلى

---

(١) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (٢/ ٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي إسماعيل الصابوني ص١١١.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (٦/ ٣٨٦).

(٤) لمعة الاعتقاد لابن قدامة، تحقيق الأرناؤوط ص١٥.

كرامة من الله تعالى لهذه الأمة المرحومة لا تعدلها كرامة، ألا وهو حرف الواو في قوله تعالى: ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾، فالداخلون هنا هم الموحِّدون من أمة محمد ﷺ بأصنافها الثلاثة المذكورة في الآية.

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسيره: «قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه، وهو يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين.. وقَدَّم الظالم لئلا يقنط، وأخَّر السابق بالخيرات لئلا يعجب بعمله فيحبط»[1].

وعندما خطب عمر رضي الله عنه وتلا الآية السابقة قال: «سابقنا مقرب، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»[2]، ولا عجب؛ فالاصطفاء درجات، كما أن الإبعاد دركات، فمن أعظم ثمار التوحيد المباركة على المكلف أن الله تعالى قد ضمن له الجنة فله الحمد والمنة.

والجنة لا يدخلها إلا مؤمن موحد وإن ظلم نفسه بغير الشرك، ولا يخلَّد في النار إلا كافر أو منافق، ففي الحديث: «**لا يدخل الجنة إلا مؤمن**»[3]، فالمؤمن إما أن يعامله ربه بفضله، فيغفر له بلا سابقة عذاب، ويمحق توحيده سيئاته، كما في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**»[4].

وإما أن يعامله بعدله، فيأخذه بذنبه، فيطهره منه ثم يؤول أمره إلى الجنة، وإذا دار

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ١٦٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٠٤)، ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، والضياء في المختارة (١٥٧١)، والطبراني في الأوسط (٤٣٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وإسناده لا بأس به، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٨)، وأخرج مسلم نحوه (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الأمر بين فضله سبحانه وعدله، غلب فضله عدله، وسبقت رحمته غضبه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨].

قال عليٌّ ﷺ: «ما في القرآن آية أحب إليَّ منها»[١]، وقال علي بن الحسين: «هذه أرجى آية في كتاب الله». فهذه الآية أتت على كل وعيد، فرحمته سبحانه وسعت كل شيء، وحلمه تعالى سبق غضبه، وهو سبحانه ما أطمع عباده إلا ليعطيهم، ما لم يخدشوا صفاء التوحيد بالشرك، فالموحِّد قد وعده ربه مغفرته بتوحيده، ودخول جنته برحمته.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:٧٢].

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ويستجير المجرمُ

ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم أني مسلمُ

ثانيًا: ثمرته بالنسبة للعلم نفسه وعلوم الإسلام:

وثمرة علم التوحيد باعتبار العلم نفسه هي حفظ هذا العلم بحفظ قواعده، وأصوله ومسائله، وفي هذا حفظ للدين نفسه؛ لأن العلم الشرعي دين يدان الله تعالى به، قال الإمام مالك رحمه الله: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه»[٢].

وإذا كان العلم الشرعي مطلوب الحفظ عامة، فلا شك أن علم الاعتقاد يطلب حفظه على وجه الخصوص؛ لأنه أصل لما عداه، ولأنه أول الواجبات وآخرها وألزمها على المكلف، قال ابن القيم رحمه الله: «إن العبد لو عرف كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم

(١) رواه الترمذي (٣٠٣٧)، وانظر: تفسير القرطبي (٥/ ٢٤٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ٥٥٦).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٣٤٣).

يعرف شيئًا»[١]، والمتعرض لحفظ هذا العلم متعرض لفضل الله ورحمته، ودعاء النبي ﷺ له بنضارة الوجه، ورفع الدرجات وتكفير السيئات، واستغفار الملائكة وسائر المخلوقات، «ولا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له، وتضع له أجنحتها»[٢].

وحفظ العلم كما يكون بتعلمه يكون بتعليمه وتوريثه وبذله لطالبيه، وهذا من أفضل القرب وأعلى الرتب، وفي الحديث: «**خير ما يخلف الرجل بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده**»[٣].

قال أنس بن مالك ﷺ: «بلغني أن العلماء يُسألون يوم القيامة كما تُسأل الأنبياء؛ يعني: عن تبليغه»[٤].

وقال ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن تعليم العلم من أهم أمور الدين، وأعلى درجات المؤمنين»[٥].

- كما أن من ثمرات تعلم علم التوحيد وتعليمه تحصيل القدرة على إرشاد المسترشدين، وهداية المنحرفين، والوقوف أمام التيارات الإلحادية، والأهواء البدعية، وفي ذلك ثواب المنافحة عن الإسلام، والمدافعة عن السنة، قال أنس بن مالك ﷺ: «إن طلب العلم لحسن، وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية».

افتتح الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة» بذكر أوصاف أهل العلم، فكان من جملة ما قال: «ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين،

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٦٨).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ص٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤١) من حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ. وقد صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٤٦). وله شاهد عند مسلم (١٦٣١)، في الحديث المشهور عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالح يدعو له».

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ١٤٩).

(٥) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص٤٧.

وتأويل الجاهلين»... ثم عقب ذلك بأوصاف أهل البدع فقال: «الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين»[(١)].

وقال صاحب كتاب مفتاح السعادة في بيان نية العالم في علمه: «وإنما يريد ابتغاء مرضات الله والامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه، ويريد نشر العلم، وتكثير الفقهاء، وتقليل الجهلة، وإرشاد عباد الله إلى الحق، ودلالتهم على ما يصلحهم في النشأتين، وإظهار دين الله، وإقامة سنة رسول الله ﷺ، وتشييد قواعد الإسلام، والتفريق بين الحلال والحرام، ويكون مخلصًا في ذلك، راغبًا في الآخرة، موقنًا بما أعد الله للعلماء العاملين، راجيًا ثوابه، وخائفًا من عقابه»[(٢)].

- ومن ثمرات هذا العلم: إقامة ما عداه من علوم الشريعة والفروع، فإنها تتعلق بعد ذلك بالعمل، «والعلم أصل العمل، وصحة الأصول توجب صحة الفروع»[(٣)].

فإقامة علوم الفروع تبنى على إثبات إله عالم، مرسل للرسل، منزل للكتب، وبغير هذا العلم لا يتصور علم تفسير أو حديث أو فقه ونحو ذلك.

قال السفاريني في منظومته:

وبعد فاعلم أن كل العلم ... كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي

وعلى الجملة، فدراسة علم التوحيد تفيد الدارس بإخراجه من حضيض التقليد إلى مرتبة اليقين، وتصحيح النية والعقيدة، وتفيد السائل إن كان مسترشدًا بدلالته إلى الحق وبيان الصواب، وإن كان معاندًا بإلزامه الحق بالحجة والبرهان، كما ترجع فوائده إلى تثبيت قواعد الدين بدرء الشبهات والأباطيل، وإقامة ما عداه من العلوم الشرعية، إذ هو أساسها، وإليه يئول أخذها واقتباسها.

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص٦.

(٢) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (١/ ٣٥).

(٣) مجموع الفتاوي (٤/ ٥٣).

المبحث العاشر

مسائل علم التوحيد

المسائل لغة: جمع مسألة، وهي من السؤال، وهو الطلب.

والمسألة اصطلاحًا: مطلوب خبري يبرهن عنه في العلم بدليل[١].

وقد يقال: «إن مسائل كل علم هي معرفة الأحوال العارضة لذات موضوع العلم»[٢].

فإذا كان موضوع علم الفقه -مثلًا- أفعال المكلفين من حيث تعلق الأحكام الشرعية بها، فإن مسائله هي معرفة أحكام هذه الأفعال، وعلى هذا فإنه إذا كان تعريف علم التوحيد هو «العلم بالأحكام الشرعية العقدية، المكتسب من أدلتها المرضية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية»، وكان موضوع علم التوحيد هو الله تعالى، والملائكة، والرسل الكرام، وقضايا اليوم الآخر والغيبيات؛ فإن مسائله هي معرفة أحكام القضايا الاعتقادية المتعلقة بذلك كله من الوجوب والجواز والاستحالة، وما توقفت عليه تلك الأحكام لاستفادتها على منهج أهل السنة والجماعة.

فمسائل علم التوحيد تتضمن معرفة الأحكام الشرعية العقدية كأحكام الألوهية، وعصمة الرسل، وقضايا اليوم الآخر ونحو ذلك، وقد عنيت كتب العقائد به أعظم عناية، وكتبت في تحريره وتقريبه -على منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة- مطولات ومختصرات، ومنظومات ومنثورات من زمن السلف وإلى يوم الناس هذا.

وملحق في آخر هذا الكتاب مبحثان:

الأول: عرض مفصل لأهم مسائل علم الاعتقاد كما حوتها كتب أهل السنة سلفًا وخلفًا، رتبت على أبواب وفصول ومباحث ومطالب؛ لتكون تبصرة للمبتدي، وتذكرة للمنتهي.

والثاني: نخبة منتقاة من مصنفات أهل السنة سلفًا وخلفًا في علم الاعتقاد.

مع تعريف مختصر لبعضها، ودراسة موجزة للبعض الآخر.

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٥٥.

(٢) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي (١/ ٣٣).

أسئلة الفصل الأول

من الباب الثاني

أولًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- الحد هو: المجال المحدد الذي يبحث فيه العلم والجهة التي تتوحد فيها مسائله.

٢- الغاية أو الثمرة هي: المطالب التي يبحثها العلم ويقررها وتندرج تحت موضوعه.

٣- الحكم هو: ما للعلم من منزلة وشرف وأهمية بين العلوم.

٤- النسبة هي: صلة العلم وعلاقته بالعلوم الأخرى.

٥- الاستمداد هو: الروافد والمصادر والأسباب العلمية التي يستقي العلم منها مسائله ومطالبه.

٦- علم التوحيد باعتباره اللقبي كان أحد أطوار هذا الاصطلاح ولم يكن هو الطور الأخير.

٧- من الأسماء الشرعية لعلم التوحيد: العقيدة، الإيمان، السنة، أصول الدين،الشريعة، علم الكلام.

٨- يدور موضوع علم التوحيد على محاور ثلاثة هي: الإلهيات، النبوات، الغيبيات.

٩- يشترط للتكليف بالتوحيد سبعة شروط.

١٠- ينقسم الناس بحسب بلوغ الدعوة وقيام الحجة إلى خمسة أقسام، منهم: أهل القبلة، وأهل الفترة، والكفار.

١١- لعلم التوحيد فضل من جهات ثلاث: جهة موضوعه، وجهة معلومه، وجهة الحاجة إليه.

١٢- من أنواع أدلة علم التوحيد: صحائح المنقول، والإجماع، وصرائح المعقول، والفطر السوية.

١٣-نسبة أي علم إلى غيره من العلوم تتردد بين نسبتين.

١٤- نسبة علم التوحيد إلى سائر العلوم الشرعية هي التداخل.

١٥- مر علم التوحيد بخمسة أطوار حتى اكتمل ونضج.

١٦- ثمرة علم التوحيد إنما تكون في الآخرة.

١٧- ليس من مسائل علم التوحيد قضايا اليوم الآخر.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١- المجال المحدد الذي يبحث فيه العلم والجهة التي تتوحد فيها مسائله هو:

أ- الموضوع. ب-الحد. ج- الغاية.

٢- التعريف الجامع لمسائل العلم ومباحثه المانع من دخول غيره فيه هو:

أ- النسبة. ب-الفضل. ج-الحد.

٣- المطالب التي يبحثها العلم ويقررها وتندرج تحت موضوعه هي:

أ- المسائل. ب-الموضوع. ج- الغاية.

٤- من الأسماء الشرعية لعلم التوحيد:

أ- علم الكلام. ب-الفلسفة. ج-أصول الدين.

٥- يدور موضوع علم التوحيد على محاور:

أ- خمسة. ب-ثلاثة. ج-أربعة.

٦- يشترط للتكليف بالتوحيد:

أ- أربعة شروط. ب-ستة شروط. ج-شرطان اثنان.

٧- ينقسم الناس بحسب بلوغ الدعوة وقيام الحجة إلى:

أ- ثلاثة أقسام. ب-أربعة أقسام. ج- خمسة أقسام.

١٠- لعلم التوحيد فضل من جهات:

أ- أربع. ب-خمس. ج-ثلاث.

١١- من أنواع أدلة علم التوحيد:

أ-صحائح المنقول. ب-صرائح المعقول. ج-الإجماع

د-الفطر السوية. هـ-جميع ما سبق.

١٢- نسبة علم التوحيد إلى سائر العلوم الشرعية هي:

أ-التداخل. ب-التخالف والتباين. ج-التقاطع.

١٣- من مسائل علم التوحيد:

أ-عصمة الرسل. ب-أحكام الألوهية. ج-قضايا اليوم الآخر.

د-جميع ما سبق.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١- عرف الحد لغة واصطلاحًا.

٢- عرف معنى التوحيد لغة واصطلاحًا.

٣- عرف علم التوحيد باعتباره مركبًا إضافيًا، وباعتباره اللقبي.

٤- اذكر مع الشرح بالتفصيل الأسماء الشرعية لعلم التوحيد.

٥- اذكر أسماء علم التوحيد عند الفرق الإسلامية مع الشرح.

٦- موضوع علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة يدور على أمور. اذكر هذه الأمور تفصيلًا.

٧- يشترط للتكليف بالتوحيد أربعة شروط، اذكرها مع الشرح.

٨- لعلم التوحيد فضل جليل من جهة: موضوعه، ومعلومه، ومن جهة الحاجة إليه، تكلم عن هذا الفضل من كل جهة منها تفصيلًا.

١٠-تكلم عن أنواع أدلة علم لتوحيد بشيء من التفصيل مع سوق الأدلة.

١١- مر علم التوحيد في وضعه وتدوينه بطورين هما: طور الرواية، وطور التدوين، تكلم عن كلا الطورين بالتفصيل.

١٢- اذكر ثمرات علم التوحيد باعتبار المكلف مع الشرح.

١٣- اذكر ثمرات علم التوحيد باعتبار العلم نفسه وعلوم الإسلام الأخرى.



الفصل الثاني

خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة

المبحث الأول: **التوقيفية (الربانية).**

المبحث الثاني: **الغيبية.**

المبحث الثالث: **الوسطية.**

المبحث الرابع: **العقلانية.**

المبحث الخامس: **الفطرية.**

المبحث السادس: **الشمولية.**



تمهيد

امتازت مناهج أهل السنة والجماعة في مسائل الدين أصوله وفروعه بخصائص جعلتها تستولي على ناصية الحق ومعاقد التوفيق.

ويتجلَّى هذا بوضوح في العقيدة، حيث تجمع إلى الاقتباس من مشكاة القرآن والسنة، والوقوف عندهما، والتسليم لهما، الاتساق مع العقل والفطرة، والشمولية في الفهم والتطبيق، مع التوازن والوسطية، وفيما يأتي تفصيل لهذه الخصائص المباركة في عقيدة أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول
التوقيفية (الربانية)

وتعني أن أهل السنة لا يقتبسون عقيدتهم إلا من مشكاة النبوة، قرآنًا وسنة، لا عقل ولا ذوق ولا كشف، ولا يجعلون شيئًا من ذلك معارضًا للوحي؛ بل هذه إن صحت كانت معضدة لحجة السمع، فالوحي هو الأصل المعتمد في تقرير مسائل الاعتقاد.

قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: «وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنّة أمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقًا لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه، وإن وجدوه مخالفًا لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني، وهو واحد زمانه في المعرفة: «ما حدثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتي بهما، وإلا رددته في نحره»، أو كلام هذا معناه»[1].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم، إن لم تكن ثابتة فيما جاء به رسول الله ﷺ؛ بل يجعلون ما بُعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه»[2].

«فالذين يزعمون أنهم يستمدون شيئًا من الدين عن طريق العقل والنظر، أو علم الكلام والفلسفة، أو الإلهام والكشف والوجد، أو الرؤى والأحلام، أو عن طريق أشخاص يزعمون لهم العصمة غير الأنبياء، أو الإحاطة بعلم الغيب «من أئمة أو رؤساء

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٢٢٤).
(٢) مجموع الفتاوي (٣/ ٣٤٧).

أو أولياء أو أقطاب أو أغواث... أو نحوهم»، أو يزعمون أنه يسعهم العمل بأنظمة البشر وقوانينهم؛ من زعم ذلك فقد افترى على الله أعظم الفرية»(١).

أسباب التوقيفية:

وأما الأسباب التي حملت أهل السنة على الوقوف عند النصوص وعدم تجاوزها فيمكن إجمالها فيما يأتي:

أولًا: تواتر النصوص الآمرة باتباع الكتاب والسنة ولزومها.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟** ﴾ [الحشر:٧]، وقوله تعالى: ﴿ **أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء:٥٩]. قال عطاء: «طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة»(٢).

وقال ابن القيم: «روى أبو داود في مراسيله عن النبي ﷺ أنه رأى بيد بعض أصحابه قطعة من التوراة فقال: «**كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابًا غير كتابهم الذي أنزل على نبيهم**»(٣)؛ فأنزل الله ﷻ تصديق ذلك: ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [العنكبوت:٥١]، فهذا حال من أخذ دينه عن كتاب منزل على غير النبي، فكيف بمن أخذه عن عقل فلان وفلان، وقدّمه على كلام الله ورسوله»(٤).

ثانيًا: ثبوت كمال الدين وتمام تبليغ الرسالة:

فالرسول ﷺ قد أوقف أمته على أصول ومسائل العقيدة بحيث لم يترك من

---

(١) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر العقل ص٣٣.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٧٢)، وتفسير الطبري (٥/ ١٤٧).

(٣) المراسيل لأبي داود (٤٥٤) عن يحيى بن جعدة. وراجع أثر ابن عباس في النهي عن سؤال أهل الكتاب، رواه البخاري (٢٦٨٥).

(٤) جلاء الأفهام لابن القيم ص١٧٩-١٨١.

تفاصيلها شيئًا إلا بيَّنه، وهذا المعنى من ضرورات إكمال الدين الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]؛ إذ العقيدة هي أهم ما في الدين.

نقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن الخطابي قوله: «وكان الذي أنزل عليه -أي النبي ﷺ- من الوحي وأمر بتبليغه هو كمال الدين وتمامه، لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [المائدة:٣]، فلم يترك شيئًا من أمور الدين؛ قواعده وأصوله، وشرائعه وفصوله، إلا بيّنه وبلّغه، على كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه؛ إذ لا خلاف بين فرق الأمة أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال، ومعلوم أن أمر التوحيد وإثبات الصانع لا تزال الحاجة ماسة إليه أبدًا في كل وقت وزمان، ولو أخّر عنه البيان لكان التكليف واقعًا بما لا سبيل للناس إليه، وذلك فاسد غير جائز»[١].

وقال ابن القيم: «فعرَّف - أي النبي ﷺ- الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، وأبدأ وأعاد واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله، حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين، وانجابت سحائب الشك والريب عنها، كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله، ولا إلى من بعده؛ بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب... وعرَّفهم الطريق الموصل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدع حسنًا إلا أمرهم به، ولا قبيحًا إلا نهاهم عنه، كما قال: «**ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه**»[٢]، قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٧/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٩)، وهناد في الزهد (١/ ٢٨)، والحاكم في المستدرك (٢١٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٩) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفيه انقطاع في إسناده يُعلم من علل الدارقطني (٥/ ٢٧٣ رقم ٨٧٥)، ومعناه مشهور في الشريعة لا يحتاج مثله لإسنادٍ. ومن ذلك حديث المطلب بن حنطب=

تركنا محمدﷺ، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا وهو أذكرنا منه علمًا»[١].

وعرّفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتمّ تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدع بابًا من العلم النافع للعباد المقرّب لهم إلى ربهم إلا فتحه، ولا مشكلًا إلا بيّنه وشرحه، حتى هدى الله به القلوب من ضلالها، وشفاها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها، فأيّ بشر أحقّ بأن يُحمَد منه؟ وجزاه عن أمته أفضل الجزاء»[٢].

ويقول ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في الاعتقاد كله، في صفات الله وأسمائه، إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يُسلَّم له ولا يناظر فيه»[٣].

ثالثًا: حرمة القول على الله بغير علم.

لقد حرَّم الله تعالى الكلام بلا علم مطلقًا، وخصَّ القول عليه بلا علم بالنهي، فقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾ [الإسراء:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٣].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل من أثبت لله ما نفاه عن نفسه، أو نفى عنه ما أثبته لنفسه من المعطلة والممثلة؛ فإنه قال على الله غير الحق، وذلك مما زجر الله عنه بقوله للنصارى: ﴿ **يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ** ﴾ [النساء:١٧١]، وبقوله: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ**

=أن رسول الله ﷺ قال: «ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا شيئًا مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه». رواه الشافعي في الأم (٧/ ٢٢٩) بإسنادٍ لا بأس به.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٠٨٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧).

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ص١٧٩-١٨١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ١١٧، ١١٨).

قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧]، وقال عن الشيطان: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٦٩]، وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]. فإن من قال غير الحق، فقد قال على الله ما لا يعلم؛ فإن الباطل لا يُعلم إلا إذا عُلم بطلانه، فأما اعتقاد أنه الحق فهو جهل لا علم، فمن قاله فقد قال ما لا يعلم»[١].

مظاهر التوقيفية:

والتوقف عند النصوص ودلالاتها كانت له آثار ومظاهر في منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد، وقطع النزاع حولها، فمن ذلك:

١- الرد إلى الوحي عند النزاع، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩]. قال مجاهد رحمه الله: «كتاب الله وسنة نبيه، ولا تردوا إلى أولي الأمر شيئًا»[٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «ما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات، والقدر، والوعيد، والأسماء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله، ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف: فما كان من معانيها موافقًا للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان فيها مخالفًا للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم»[٣].

٢- حبس اللسان عن الكلام في العقيدة إلا بدليل هاد من الكتاب والسنة، واعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين،

---

(١) مجموع الفتاوي (١٢/ ٤٦٤، ٤٦٥).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٧٣)، وتفسير الطبري (٥/ ١٤٧).

(٣) مجموع الفتاوي (٣/ ٣٤٧).

والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [الحجرات:١]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة»(١)، وقال مجاهد رحمه الله: «لا تفتئتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضيه الله على لسانه»(٢).

«فلابد من الالتزام بالكتاب والسنة ومعقولهما لفظًا ومعنى، فلا يستعمل في التعبير عن العقيدة إلا الألفاظ التي جاءت في الكتاب والسنة، ويجب أن تستعمل هذه الألفاظ فيما سيقت فيه من المعاني المرادة بها في الكتاب والسنة، فهو توقيف في مصادر العقيدة، وفي ألفاظها وأساليب التعبير عنها»(٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن الله من صفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات؛ بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول»(٤).

٣- التسليم لله تعالى وللرسول ﷺ، من غير تعرض لنصوص الوحيين بتحريف أو تأويل أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل، وترك نَصْب شَرَك التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل، ومجانبة الجدال والمراء في نصوص العقيدة ومعاقدها الكلية، فإن بدا ما ظاهره التعارض بين العقل والنقل فمرده إلى الوهم في قطعية أحدهما ثبوتًا أو دلالة.

٤- سد باب الابتداع والإحداث في الدين، ورد جميع ما خالف سنة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فمستند المشروعية -أبدًا- هو موافقة الشريعة المطهرة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (٢٦/ ١٣٢)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٦).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٠٩).
(٣) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لإبراهيم البريكان ص٦٢، ٦٣.
(٤) مجموع الفتاوي (٥/ ٤٣٢).

نضل ما تمسكنا بالأثر»[١].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما أحسن ما جاء عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة أنه قال: عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، فإن السنة إنما جعلت ليُستنَّ بها، ويُقتصر عليها، وإنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتحمق، فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى، وبتفصيلها -لو كان فيها- أحرى، وإنهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حدثٌ حدثَ بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان»[٢].

٥- وأخيرًا فإن هذه التوقيفية والربانية لها أثرها العظيم في عصمة أهل السنة وعلومهم من الخطأ والزلل والانحراف والاضطراب في فهم العقيدة، وترك التخليط في مصادر التلقي والمرجعية، وتصفيتها من كل نفَس كلامي مردود، أو شوب فلسفي مذموم، أو دَخَل مسلكي مبتَدَع؛ فالعقيدة ترجع إلى مصدر موثوق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الوحي الذي تكفَّل الله تعالى بحفظه.

قال قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف، وقرنًا عن قرن، إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا

---

(١) المرجع السابق (١/ ٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٧).

إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث»[١].

كما أن من ثمرات التوقيفية أنها ضمانة لتوحيد كلمة الأمة على منهج واحد، عندما تلتقي على هذا الوحي الإلهي بما فيه من موازين لا تضطرب ولا تتأرجح ولا تتأثر بالهوى والدوافع الذاتية.

قال قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف»[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد. ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء وإن قلَّ؛ بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟»[٣].

وإذا كان أهل السنة يستقون عقيدتهم من نبع واحد هو الوحي المعصوم، حتى صارت التوقيفية من أخص خصائص العقيدة عندهم؛ فإن أهل الأهواء والبدع قد تعددت مشاربهم، وخلطوا في مصادر عقائدهم، فتراهم يستدلون بالعقليات والأوهام، والظنون، والذوق، وآراء الرجال، والفلسفات، والروايات الضعيفة، وما لا أصل له، وغير ذلك من المصادر المنحرفة، وما كان من النصوص موافقًا لأصولهم

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٢٦).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٢٤، ٢٢٥).

البدعية وأهوائهم الردية أثبتوه، وما كان منها مخالفًا لأقوالهم وآراء كبرائهم تأولوه وردوه، فلم يكن اعتمادهم في الحقيقة على الكتاب والسنة؛ بل على أصولهم البدعية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه، والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه. ولهذا لما أصلت الرافضة عداوة الصحابة ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تأولوه، ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلم ولا يكلم أحدًا، ولا يرى بالأبصار، ولا هو فوق عرشه مباين لخلقه، ولا له صفة تقوم به، أولوا كل ما خالف ما أصلوه، ولما أصلت القدرية أن الله سبحانه لم يخلق أفعال عباده ولم يقدرها عليهم أولوا كل ما خالف أصولهم، ولما أصلت المعتزلة القول بنفوذ الوعيد، وأن من دخل النار لم يخرج منها أبدًا، أولوا كل ما خالف أصولهم، ولما أصلت المرجئة أن الإيمان هو المعرفة، وأنها لا تزيد ولا تنقص، أولوا ما خالف أصولهم، ولما أصلت الكلابية أن الله سبحانه لا يقوم به ما يتعلق بقدرته ومشيئته، وسموا ذلك حلول الحوادث، أولوا كل ما خالف هذا الأصل، ولما أصلت الجبرية أن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل بوجه من الوجوه، وأن حركات العباد بمنزلة هبوب الرياح وحركات الأشجار، أولوا كل ما جاء بخلاف ذلك. فهذا في الحقيقة هو عيار التأويل عند الفرق كلها»[1].

ولما سار أهل السنة في طريق الوحي المعصوم، وصلوا إلى جنة الحق، وعصموا من الخطأ والزلل والاضطراب، وكانوا أمة واحدة لا تفرق بينهم ولا اختلاف في مسائل الاعتقاد. ولما تنكب غيرهم الطريق، فخالفوا أمر رب العالمين، باتباع الصراط المستقيم، وعدم اتباع سبل الشياطين، وخالفوا أمر النبي الأمين، فولجوا الأبواب

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ٢٣٠-٢٣٢).

المفتحة، وهتكوا الستور المرخاة، تحقق فيهم وعيده سبحانه لمن خالف أمره وأمر نبيه ﷺ، فتفرقوا عن سبيله واختلفوا، وزلوا واضطربوا، ووقعوا في التناقض، وأتوا بالعجائب، فهم في أمر مريج، يبدع بعضهم بعضًا، ويفسق بعضهم بعضًا، ويكفر بعضهم بعضًا، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد.

قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: «وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعًا وأحزابًا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضًا؛ بل يرتقون إلى التكفير يكفّر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدًا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولم تتفق كلماتهم ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[سورة الحشر:١٤]»(١).

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٢٢٥).

المبحث الثاني

الغيبية

«الغيب في كلام العرب: كل ما غاب عنك»[(١)].

وقال الراغب الأصفهاني: «الغيب: مصدر غاب الشيء بمعنى استتر عن العيون، يقال: غاب عني كذا، واستُعمِل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان، بمعنى الغائب.

والغيب: هو ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداهة العقول، بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة، وإنما يعلم بخبر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام»[(٢)].

والغيبية كأحد خصائص العقيدة الإسلامية تعني قيام العقيدة على التسليم بوجود الغيب، كما تعني وجوب الإيمان بكل ما ورد في النصوص الشرعية من أمور الغيب، وعدم رد شيء منها أو تأويلها.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣]: «آمنوا بالجنة والنار، والبعث بعد الموت، وبيوم القيامة، وكل هذا غيب»، وقال أنس ﷺ: «الذين يؤمنون بالغيب: آمنوا بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر، وجنته، وناره، وآمنوا بالحياة بعد الموت، فهذا كله غيب»[(٣)].

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣]: «اختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا، فقالت فرقة: الغيب في هذه الآية: الله سبحانه، وضعّفه ابن العربي، وقال آخرون: القضاء والقدر، وقال آخرون: القرآن وما فيه من الغيوب، وقال آخرون: الغيب كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهتدي إليه العقول من

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٦٣)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (١٠/ ١٥١-١٥٣).

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص٣٦٦-٣٦٧، وانظر: تفسير البيضاوي (١/ ١٠٤)، وتفسير أبي السعود (١/ ٥٣).

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٠١).

أشراط الساعة، وعذاب القبر، والحشر، والنشر، والصراط، والميزان، والجنة، والنار، قال ابن عطية: وهذه الأقوال لا تتعارض؛ بل يقع الغيب على جميعها، قلت: وهذا هو الإيمان الشرعي المشار إليه في حديث جبريل ؑ، حين قال للنبي ﷺ: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت[1]... وذكر الحديث»[2].

مظاهر ودلائل الغيبية:

والغيبية واحدة من الركائز الكبرى والخصائص العظمى في العقيدة، حيث إن كثيرًا من مسائل العقيدة وقضاياها يقع في نطاق الغيب، ولذلك شواهد كثيرة في الشرع، فمن ذلك:

١- أن الباري ﷻ ابتدأ كتابه العزيز بذكر هذه الركيزة كخاصية من خواص المؤمنين اللازمة، وصفة من صفاتهم البارزة.

قال تعالى: ﴿ **الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ** ﴾ [البقرة:١-٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ: «ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن ويقال إنها أول سورة نزلت بالمدينة، افتتحها الله بأربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وبضع عشرة آية في صفة المنافقين»[3].

٢- ما ورد في فضل المؤمنين بالغيب وعظم أجرهم، وبيان أن الإيمان بالغيب هو أفضل الإيمان وأعظم مقامات الدين.

فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: تذاكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقونا به من الخير

---

(١) رواه مسلم (٨)، من حديث عمر ؓ، وروى البخاري ومسلم نحوه من حديث أبي هريرة ؓ.
(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٦٣).
(٣) مجموع الفتاوي (٧/ ٢٠٠).

فقال عبد الله (يعني ابن مسعود): «إن أمر محمدﷺ كان بيّنًا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن بإيمان قط أفضل من إيمانٍ بغيب»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران:١٧٩]: «فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله، فإن آمنتم به وأيقنتم فلكم أعظم الأجر والكرامة»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «الإيمان بالغيب أجل المقامات على الإطلاق»[(٣)].

وكما أن الإيمان بالغيب يقوم على أساس متين من الشرع، فهو يقوم كذلك على أساس متين من الفطرة والعقل.

فالإيمان بالغيب حاجة فطرية عند الإنسان؛ بل هو من خصائص الإنسان الفطرية التي يتباهى بها؛ إذ يشترك مع سائر الحيوانات في إدراك المحسوسات، ويتميز عنها بالإيمان بالغيب كما جاء به الوحي، دون دخول في الخيالات الباطلة، والأوهام الزائفة، والخرافات والشطحات.

«ولو كانت نزعة الإيمان بالغيب والتطلع إليه من ناحية طرفيه: الماضي والآتي، عنصرًا من عناصر الفكرة الدينية وحدها، لكان الإنكار لما وراء الحس إلحادًا فحسب، ولو كانت هي النتيجة الختامية لتقدم العلوم واتساع أفقها، لكان هذا الإنكار نقصًا في العلم وقصرًا في النظر، وكفى. أما وتلك النزعة بنت الغريزة والجبلة، فإن الأمر أعظم من ذلك وأخطر: إنه نكسة في فطرة الإنسان ترده إلى مستوى الحيوان الأعجم، ولا نقول إلى مستوى الطفولة الغافلة، فإن كثيرًا من الأطفال ذوي الفطر السليمة لا

---

(١) رواه الحاكم (٣٠٣٣)، وصححه، وابن منده في كتاب الإيمان (١/ ٣٧١)، بإسناد صحيح.

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٢٢٠).

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم (١/ ٤٣٧).

يقنعون بالأمر الواقع المشاهد، ولا يقفون في تعليله عند حلقة من حلقات أسبابه وغاياته القريبة؛ بل يصعدون دائمًا إلى أسبابه الأولى، ويسترسلون في تعريف نتائجه الأخيرة، فهذه صورة مصغرة من تلك النزعة الفكرية الإنسانية التي هي أبدًا في حركة وتقدم يأبيان الوقوف والجمود»[1].

كما أن الأمور الغيبية التي تضمنتها العقيدة لا تناقض العقل – وإن حار فيها – ولا وسيلة له لإنكارها والتكذيب بوجودها، وليس فيها شيء يضطر الإنسان إلى رفضها والتخلي عنها بعد بلوغه أي مرحلة من مراحل الارتقاء الفكري والعلمي.

فهناك أمور لا يستطيع العقل أن يصل إليها، لأنها لا تقع في محيط تجربته وعمله، ولا تستطيع الأدوات التي يحصِّل بها المعرفة، وهي أدوات الحس، أن تصل إليها؛ لأنها خارجة عن نطاق المحسوسات وإن كان في إمكان العقل أن يعقلها حين تُبيَّن له، فهذه تلقَّن للعقل تلقينًا عن طريق الوحي، ويكون دور العقل أن يعلمها، لا بطريق التجربة أو الحس، ولكن عن طريق التيقن من صدق الخبر وصدق المُخْبِر، وهو مدعو إلى القيام بعملية التيقن هذه بكل الوسائل التي يملكها... وهي مُؤدية إلى الغاية الصحيحة حين يستقيم العقل.

وباستقراء استعمالات العرب لكلمة الغيب ومشتقاتها، نجد أنها تقابل الشهادة وليست مقابلة للشيء الموجود أو الشيء المعقول، وقد جمع الله تعالى بين الكلمتين كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾، فكل منهما تقابل الأخرى كما أنها أيضًا ليست مقابلة للشيء الواقع كما يظن بعض الناس، حيث يكون عندهم الإيمان بالغيب إيمانًا بغير الواقع. فليس الغيب معدومًا، ولا هو الذي يحكم العقل باستحالته، أو يكون غير واقعي.

ومن هنا يتبين خطأ الذين يعتبرون الإيمان بالغيب إيمانًا بشيء غير معقول، أي

---

(١) الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. محمد عبد الله دراز ص٩٥.

مخالفًا للعقل، أو مخالفًا للواقع، أو إيمانًا بشيء معدوم؛ وذلك لأن الغيب ليس مقابلًا للموجود في لغة العرب، ولا مقابلًا للمعقول بمعنى ما يقبله العقل، ولا مقابلًا للشيء الواقعي، وإنما هو مقابل للشهادة، أي الشيء الحاضر المشهود(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفون فيه -أي في العقل- قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية -بزعمهم- اعتقدوها حقًّا وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أنه ليس كل شيء يمكن علمه بالقياس، ولا كل شيء يحتاج فيه إلى القياس، فلهذا قال الأئمة: ليس في المنصوصات النبوية قياس، ولا تعارض بالأمثال، ولا تدرك بالعقول. وأما كونها لا تعارض بالأمثال المضروبة فهذا يعني أن المنصوص لا يعارضه دليل عقلي صحيح، وأما أنها لا تدرك بالعقول فإن نفس الغريزة العقلية التي تكون للشخص قد تعجز عن إدراك كثير من الأمور لا سيما الغائبات، فمن رام بعقل نفسه أن يدرك كل شيء كان جاهلًا، لا سيما إذا طعن في الطرق السمعية النبوية الخبرية، وهذا هو الذي يسلكه من الفلاسفة ومن يشبههم من أهل الكلام»(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته؛ بل أخبارهم قسمان: أحدهما ما تشهد به العقول والفطر. الثاني: ما لا

---

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين للشيخ مصطفى صبري (٢/ ٧٢)، ففيه تفصيل ومناقشات حول هذه الفكرة.

(٢) مجموع الفتاوي (٣/ ٣٣٩).

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٧/ ٣٢٦).

تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر، وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالًا في العقول أصلًا، وكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين: إما يكون الخبر كذبًا عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسدًا، وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح، قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[سبأ:٦]، وقال تعالى:﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ [الرعد:١٩]»[١].

وإذا كان الإيمان بالغيب من خصائص المؤمنين بصفة عامة، فإن أهل السنة تميزوا في هذا الباب بقبول كل ما ورد على لسان الرسل الكرام من أمور الغيب إيمانًا وتصديقًا وإيقانًا، وتجنبًا للشبهات والشكوك الناشئة عن إقحام العقول في مجال غير مجالها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإيمان بالغيب لا يتم إلا بالإيمان بجميع ما أنزله الله تبارك وتعالى»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الثاني: قبول ما غاب للحق، وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله، من أمور المعاد وتفصيله، والجنة والنار، وما قبل ذلك من الصراط والميزان والحساب، وما قبل ذلك من تشقق السماء وانفطارها، وانتثار الكواكب، ونسف الجبال، وطي العالم، وما قبل ذلك من أمور البرزخ ونعيمه وعذابه، فقبول هذا كله إيمانًا وتصديقًا وإيقانًا هو اليقين، بحيث لا يخالج القلب فيه شبهة ولا شك ولا تناس ولا غفلة عنه، فإنه إن لم يهلك يقينه أفسده وأضعفه»[٣].

وإذا كان موقف أهل السنة هو التسليم الكامل والإيمان التام بكل مسائل الغيب كما ورد بها النقل، وذلك من خصائص عقيدتهم؛ فإن أهل البدع لم يقفوا من هذه المسائل ولا

---

(١) الروح لابن القيم ص٦٢.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ص١٣٧.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٤٠٢).

من تلك الخصيصة موقف أهل السنة؛ بل عارضت طوائف منهم كثيرًا من أمور الغيب بعقولهم المريضة وآرائهم الفاسدة، فردوا بعضها وأولوا بعضها، وخلطت طوائف أخرى بين أمور الغيب والخرافات والأوهام التي لا يقبلها عقل صحيح ولا فطرة سليمة.

ومن أمثلة ما أنكره أصحاب العقول الفاسدة ما يلي:

١- عذاب القبر ونعيمه:

قال ابن القيم رحمه الله:

«وأما أقوال أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل والمِريسي من خرج عن سمة الإيمان فإنه يعذب بين النفختين والمسألة في القبر إنما تقع في ذلك الوقت، وأثبت الجبائي وابنه البلخي عذاب القبر ولكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم.

وقال كثير من المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر، ونكير وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل، والنكير تقريع الملكين له.

وقال بعض المعتزلة: إن الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها، قالوا: وسبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشي عليه، لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب. وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأسًا، مثل ضرار بن عمرو ويحيى ابن كامل وهو قول المريسي، فهذه أقوال أهل الخزي والضلال»[1].

٢- رؤية الله تعالى:

وكذا أنكروا رؤية الله تعالى في الآخرة، فذهبت المعتزلة والجهمية وغيرهم إلى

(١) الروح لابن القيم ص٥٧، ٥٨.

وجوب نفي رؤية الله تعالى؛ بل كفروا من لم يعتقد ذلك.

قال القاضي عبد الجبار: «الرؤية بالأبصار على الله مستحيل» «ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية»[١].

قال ابن النحاس رحمه الله: «وخالفوا في ذلك المعتزلة والجهمية، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وطوائف من المرجئة، وطوائف من الزيدية، الذين ذهبوا إلى القول بأن الله تعالى لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يجوز عليه ذلك»[٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «والجهمية والمعتزلة يقولون: من أثبت لله الصفات وقال إن الله يرى في الآخرة، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، فإنه مجسم مشبه والتجسيم باطل»[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون»[٤].

٣- حوض النبي ﷺ:

وأنكر المعتزلة حوض النبي ﷺ.. الثابت بالقرآن والسنة.

قال الإمام السفاريني رحمه الله: «خالفت المعتزلة فلم تقر بإثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة؛ بل وبظاهر القرآن»[٥].

٤- الشفاعة:

وأنكر المعتزلة والخوارج الشفاعة لأهل الكبائر.

---

(١) المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار (١/ ٢٢٠).
(٢) رؤية الله تبارك وتعالى لابن النحاس ص٢٥.
(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/ ١٠٧).
(٤) حادي الأرواح لابن القيم ص١٩٦.
(٥) لوائح الأنوار السنية للسفاريني (٢/ ١٧٣).

قال القاضي البيضاوي: «تمسكت المعتزلة بهذه الآية[١] على نفي الشفاعة لأهل الكبائر، وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار، ويؤيد هذا أن سياق الخطاب معهم، والآية نزلت ردًا لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم»[٢].

ومن أمثلة ما أثبته أصحاب العقول التائهة ما يلي:

أدخل الصوفية في أمور الغيب الخرافات والأوهام مما لم يأت في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ونذكر بعض أقوالهم في الإلهام والإسراءات والمعاريج الصوفية، وهي من مصادر التلقي عندهم، وهذه الأقوال غيض من فيض، ونقطة في بحر الخرافات والأوهام الذي غرقوا فيه، وجعلوا يغرفون منه معتقداتهم وتصوراتهم وآراءهم.

قال ابن عربي: «... فإن المَلَك قد ينزل على الولي التابع بالاتباع، وبإفهام ما جاء به النبي مما لم يتحقق هذا الولي بالعلم به، وإن كان متأخرًا عنه بالزمان، أعني متأخرًا عن زمان وجوده، فقد ينزل عليه بتعريف صحة ما جاء به النبي وسقمه، مما قد وُضع عليه، أو توهم أنه صحيح عنه، أو ترك لضعف الراوي وهو صحيح في نفس الأمر، وقد ينزل عليه الملك بالبُشرى من الله بأنه من أهل السعادة والفوز، وبالأمان...»[٣].

ويقول إبراهيم الدسوقي: «عليكم بتصديق القوم في كل ما يدَّعون، فقد أفلح المصدِّقون، وخاب المستهزئون، فإن الله تعالى يقذف في سر خواص عباده ما لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل... فما للعاقل إلا التسليم، وإلا فاتوه وفاتهم، وحرم فوائدهم، وخسر الدَّارين»[٤].

وقال الشعراني: «قد صرَّح المحققون بأن لأولياء الإسراء الروحاني إلى السماء،

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة:٤٨].

(٢) تفسير البيضاوي (١/ ٦٠).

(٣) الفتوحات المكية لمحيي الدين بن عربي (٣/ ٣١٦).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٣١٦).

بمثابة المنام يراه الإنسان، ولكل منهم مقام معلوم لا يتعداه، وذلك حين يكشف له حجاب المعرفة، فكل مكان كشف له فيه الحجاب حصل المقصود به، فمنهم من يحصل له ذلك بين السماء والأرض، ومنهم من يحصل له ذلك في سماء الدنيا، ومنهم من ترقى روحه إلى سدرة المنتهى، إلى الكرسي، إلى العرش»(١).

وقال أبو يزيد البسطامي: «عرج بروحي، فخرقت الملكوت، فما مررت بروح نبي إلا سلمت عليه، وأقرأتها السلام، غير روح محمدﷺ، فإنه كان حول روحه ألف حجاب من نور...»(٢).

وقال إبراهيم الدسوقي: «أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي كلمته...»(٣).

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان للشعراني ص٥٢.

(٢) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص١١١- ١١٢.

(٣) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٠٧.

المبحث الثالث
الوسطية

«الوسَط اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه، وأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب؛ ومنه الحديث: **«خيار الأمور أوساطها»**[1]؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ** ﴾ [الحج:١١]، أي على شك، فهو على طرف من دينه غير متوسط فيه ولا متمكن، فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك في مثل قوله تعالى وتقدس: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا** ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي عدلًا فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه»[2].

وعليه فإن الوسطية تعني التوازن بين الأمور المتقابلة، والتوسط بين الأطراف المتباعدة على ما تقتضيه النصوص الشرعية. والوسطية من أظهر خصائص العقيدة الإسلامية، «والصور التي تأتي شاهدًا على ذلك تعزُّ على الحصر، فإن كل ما في العقيدة الإسلامية ناطق بهذا التوازن الدقيق،... ومن ذلك:

التوازن بين ما يتلقاه الإنسان عن طريق الوحي وبين ما يتلقاه عن طريق وسائل الإدراك البشري، والتوازن بين طلاقة المشيئة وثبات السنن الكونية، والتوازن بين المشيئة الإلهية الطليقة، ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة، والتوازن في

---

(١) جاء في كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٤٦٩، ٤٧٠):

«خير الأمور أوسطها وفي لفظ: أوساطها. قال ابن الغرس: ضعيف انتهى. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٢٥٢)، والسلسلة الضعيفة (٥/ ٣٤٩)، وقال في المقاصد: وللعسكري عن الأوزاعي أنه قال: ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب؛ الغلو أو التقصير، ولأبي يعلى بسند جيد عن وهب بن منبه قال: إن لكل شيء طرفين ووسطًا، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوساط من الأشياء».

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٢٩٥، ٢٩٦).

مصادر المعرفة بين الوحي والعقل.. وبين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب.. وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين القيم المادية والقيم المعنوية»[(١)].

وسطية الأمة المحمدية بين الأمم:

وقد وصف الله هذه الأمة بأنها الأمة الوسط فقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي عدولًا خيارًا، ومن لازم وسطيتهم عدالتهم؛ ولذا صح أن يكونوا شهداء على الناس يوم القيامة؛ لأن الشاهد لابد أن يكون عدلًا حتى تقبل شهادته، ووسطية هذه الأمة هي كونها على الحق بين باطل من غلا وباطل من جفا، إذ الحق وسط بين باطلين؛ باطل الغلو وباطل الجفاء[(٢)].

قال شيخ الإسلام: «إن الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة... فالمسلمون في صفات الله تعالى وسط بين اليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، فوصفوا الخالق بالصفات التي تختص بالمخلوق وهي صفات النقص فقالوا: إن الله فقير، وإن الله بخيل، وإن الله تعب لما خلق العالم فاستراح، وبين النصارى الذين شبهوا المخلوق بالخالق، فوصفوه بالصفات المختصة بالخالق فقالوا هو الله، والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص، ونزهوه أن يكون شيء كفوًا له في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن صفات النقص مطلقًا، ومنزه في صفات الكمال أن يماثله فيها شيء من المخلوقات.

وكذلك هم في الأنبياء وسط، فإن اليهود كما قال -تعالى- فيهم: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]. وكذلك كانوا يقتلون الأنبياء، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، والنصارى غلوا فأشركوا

---

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) انظر: الرسالة الصفدية لابن تيمية (٢/ ٣١٠)، والجواب الصحيح له (١/ ٧).

بهم ومن هو دونهم قال الله فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، والمسلمون آمنوا بهم كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم، فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم، ومن سب نبيًا من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء، وفي استتابته نزاع، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

وكذلك المسلمون وسط في النَّسخ، فإن اليهود قالوا: ليس لرب العالمين أن يأمر ثانيًا بخلاف ما أمر به أولًا، والنصارى جوزوا لرءوسهم أن يغيروا شريعة المسيح فيحللوا ما شاءوا ويحرموا ما شاءوا، والمسلمون قالوا رب العالمين يأمر بما يشاء له الخلق والأمر، وليس لأحد من الخلق أن يغير دينه ولا يبدل شرعه، ولكن هو يحدث من أمره ما يشاء فينسخ ما يشاء، ويثبت ما يشاء.

وكذلك في الشرائع كالحلال والحرام، فإن اليهود حرمت عليهم طيبات أحلت لهم عقوبة لهم، وعليهم تشديد في النجاسات يجتنبون أشياء كثيرة طاهرة مع اجتناب النجاسة، والنصارى لا يحرمون ما حرمه الله ورسوله؛ بل يستحلون الخبائث ويباشرون النجاسات، وكلما كان الراهب أكثر ملابسة للنجاسات والخبائث كان أفضل عندهم، والمسلمون أباح الله لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، وهم وسط في سائر الأمور»[١].

مظاهر وسطية أهل السنة:

أولى هذه الأمة بالاتصاف بالوسطية من كان مثلها في كمال عقيدتها وصفائها

---

(١) الرسالة الصفدية لابن تيمية (٢/ ٣١٠-٣١٣).

ونقائها وهم أهل السنة والجماعة، فهم أهل التوسط والاعتدال بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والجفاء، وهم وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة وسط في الملل.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة، والسنة في الإسلام كالإسلام في الملل»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هم - أي أهل السنة والجماعة - الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم»[٢].

وباستقراء مواقف الفرق من أبواب العقيدة المختلفة تظهر الطرفية الشديدة لدى أهل الأهواء والبدع، ولا تجد فرقة من الفرق إلا وقد خالفت أهل السنة والجماعة في هذا الأصل العظيم، فإما أن تغلو في جانب، أو تُفَرِّط في جانب، وهذا الخلل في التوازن مطَّرد عند جميع أهل البدع في أبواب الاعتقاد، قلَّ ذلك أو كثر.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تقدم أن دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه. وإذا كان الإسلام - الذي هو دين الله - لا يقبل من أحد سواه، قد اعترض الشيطان كثيرًا ممن ينتسب إليه؛ حتى أخرجه عن كثير من شرائعه؛ بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها عنه، حتى مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[٣].

وقد تعددت مظاهر وسطية أهل السنة والجماعة الدالة على كثرة فضائلهم وعلو شأنهم في الدين، ومن أهم هذه المظاهر:

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٣١٠).
(٢) مجموع الفتاوي (٣/ ١٤١)، وانظر أيضًا نفس المصدر (٣/ ٣٧٣-٣٧٥).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٨١).

أولًا: وسطيتهم في أسماء الله وصفاته:

فهم وسط في باب الأسماء والصفات بين الجاحد والمعطل المنكر للأسماء والصفات، والمثبت لها على نحو ما عليه صفات المخلوقين وأسماؤهم، حيث أثبوا الله ما أثبته لنفسه من أسمائه وصفاته وأثبته له رسولهﷺ، ونفوا عنه ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسولهﷺ من النقص والعيب المنافي لكماله المقدس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهم وسط في باب صفات الله ﷻ بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله، من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتًا لصفات الكمال، وتنزيهًا له عن أن يكون له فيها أندادًا وأمثالًا، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١]، وهو رد على الممثلة: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] رد على المعطلة»(١).

ثانيًا: وسطيتهم في أفعال الله ﷻ:

فهم وسط بين القدرية الذين نفوا القدر وقالوا الأمر أُنف، وأنكروا علم الله ومشيئته وخلقه لأفعال العباد، وبين الجبرية الذين أنكروا أن يكون للعبد فعل وإرادة، وقالوا الإرادة إرادة الله والفعل فعله، فأثبت أهل السنة والجماعة إرادة الله التي هي صفته وإرادة العبد التي هي صفته، وليست إرادة الرب عين إرادة العبد، وأثبتوا فعل الرب الذي هو خلق فعل العبد وأثبتوا للعبد فعله الذي هو متعلق الثواب والعقاب، وليس فعل الرب هو عين فعل العبد.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «وهم وسط في باب أفعال الله بين المعتزلة المكذبين بالقدرة، والجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله، والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه»(٢)

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١/ ٧)، والرسالة الصفدية له (٢/ ٣١٣).

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (١/ ٧)، والرسالة الصفدية له (٢/ ٣١٣).

ثالثًا: وسطيتهم في الوعد والوعيد:

فهم وسط في هذا الباب بين الوعيدية من المعتزلة والخوارج الذين خلدوا مرتكبي الكبائر في النار، والمرجئة الذين لا يقولون بتعذيب أحد من فساق الأمة، وقال أهل السنة إنهم في الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة، وإن شاء عذبهم في النار بقدر معاصيهم ثم أدخلهم الجنة فضلًا منه تعالى ورحمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهم وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار.. [1]، وبين المرجئة الذين لا يجزمون بتعذيب أحد من فساق الأمة، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية»[2].

رابعًا: وسطيتهم في أسماء الدين والإسلام والإيمان:

أسماء الدين هي الحدود الشرعية التي علق الشارع عليها أحكامه في الدنيا والآخرة، وهم وسط في هذا الباب بين الوعيدية من المعتزلة والخوارج حيث أخرجوا مرتكبي الكبيرة عن مسمى الإيمان، وقالوا إن فساق الأمة المحمدية ليسوا مؤمنين على خلاف بينهم. وبين المرجئة الذين جعلوا مرتكب الكبيرة مؤمنًا كامل الإيمان، إيمانه كإيمان أبي بكر وعمر؛ بل كإيمان الملائكة والأنبياء، فلا تضر معصية مع الإيمان، كما لا تنفع طاعة مع الكفر وتوسط أهل السنة والجماعة فقالوا مرتكب الكبيرة فاسق بكبيرته مؤمن بإيمانه لكنه ناقص الإيمان، وأطلقوا لفظ الإيمان حيث ورد به النص، وأطلقوا ضده حيث ورد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد الوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ، وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان، ويكذبون

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٢٧٨)، وانظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١/ ٨).
(٢) الرسالة الصفدية لابن تيمية (٢/ ٢١٣)، والجواب الصحيح له (١/ ٨).

بالوعيد والعقاب بالكلية»[1].

خامسًا: وسطيتهم في أصحاب رسول الله ﷺ:

فهم وسط بين من غلا في بعضهم حتى جعله إلهًا أو معصومًا أو نبيًا، وأضافوا إليه من الصفات ما لا يليق نظيره إلا بالله أو نبي من أنبيائه، ومن جفا فيهم فكفرهم واستحل سبهم ولعنهم ودماءهم، وأما أهل السنة فدانوا الله بحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ، واعتذروا عما جرى بينهم من الخلاف بأنه حصل عن اجتهاد منهم في طلب الحق، فمن أصاب منهم فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد وخطؤه معفو عنه، وسكتوا عما جرى بينهم، وأحسنوا الظن بهم، ولم يجعلوا ولاية بعضهم مناقضة لولاية الآخر؛ بل تولوا جميعهم، ودانوا الله بالترضي عنهم.

قال شيخ الإسلام: «وهم أيضًا في أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم وسط بين الغالية الذين يغالون في علي رضي الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما، وأن الصحابة فسقوا وكفروا، والأمة بعدهم كذلك، وربما جعلوه نبيًا أو إلهًا، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما، ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما، ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما، وقدحوا في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته»[2].

سادسًا: وسطيتهم في المنقول والمعقول:

فهو وسط بين المعتزلة ومن تبعهم من المتكلمين الذين غلوا في المعقول حيث قدموه على المنقول، وبين الأشعرية الذين جفوا عن المعقول فنفوا العلل والحكم التي جعلها الله مناطًا لأحكامه وشرائع دينه، وقالوا إنما يأمر وينهى بمحض الإرادة فقط لا

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٢٧٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٧٨، ٢٧٩).

لعلة ولا لحكمة، وتوسط أهل السنة والجماعة فلم يقبلوا من المنقول إلا ما صح سنده وصحت دلالته، ولا من المعقول إلا ما كان صحيح البناء ولم يعارض كتاب الله وسنة رسولهﷺ وإجماع سلف الأئمة وأئمتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الموضع غلط فيه طائفتان من الناس: غالية غلت في المعقولات حتى جعلت ما ليس معقولًا من المعقول وقدمته على الحس ونصوص الرسولﷺ، وطائفة جفت عنه فردت المعقولات الصريحة وقدمت عليها ما ظنته من السمعيات والحسيات، وهكذا الناس في السمعيات نوعان، وكذلك هم في الحسيات الباطنة والظاهرة نوعان. فيجب أن يعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضًا؛ بل يصدق بعضه بعضًا ... وأن ما علم بمعقول صريح لا يخالفه قط خبر صحيح ولا حس صحيح، وكذلك ما علم بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل وحس، وكذلك ما علم بالحس الصحيح لا يناقضه خبر ولا معقول»[1].

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (٣/ ١٣٣).

المبحث الرابع

العقلانية

ومع أن مدار العقيدة على الإيمان والتسليم للنصوص، فإن هذا لا يعني إلغاء العقل وإهداره، ومناقضته.

وعليه فإنه يقصد بالعقلانية موافقة عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل الصريح، واهتمامها به، وإعلاء منزلته ومكانته، وتوفير طاقته وتصريفها فيما يفيد.

قال شيخ الإسلام: «والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون لا يقولون على الله إلا الحق، ولا ينقلون عنه إلا الصدق، فمن ادعى في أخبارهم ما يناقض صريح المعقول كان كاذبًا، بل لابد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح، أو ذلك المنقول ليس بصحيح، فما علم يقينًا أنهم أخبروا به يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه، وما علم يقينًا أن العقل حكم به يمتنع أن يكون في أخبارهم ما يناقضه، بل الأنبياء عليهم السلام قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل بطلانه، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول[1]»[2].

مظاهر العقلانية:

ومن مظاهر العقلانية في العقيدة الإسلامية بصفة عامة، وعقيدة أهل السنة بصفة خاصة ما يلي:

أولًا: احترام عقيدة أهل السنة للعقل والحث على التعقل:

رفع الوحي من قيمة العقل وحث على التعقل، وأثنى على العقلاء، فقال تعالى:

---

(١) المحالات: المستحيلات عقلًا، كاجتماع النقيضين: الموت والحياة. والمحارات: ما لا يدخل تحت فهم العقل وإدراكه، لكنه ليس مستحيلًا في العقل يحكم بامتناعه.

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (٣/ ١٣٦).

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

كما عنيت كثير من الآيات بالدعوة إلى التعقل كما جاء في مثل قوله تعالى: ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود:٥١]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ [محمد:٢٤].

ويخص الوحي العقلاء بالتذكر مثنيًا عليهم فيقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الرعد:١٩] [الزمر:٩]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر:٢١].

- عن أبي العلاء قال: «ما أعطي عبد بعد الإسلام أفضل من عقل صالح يرزقه»(١).

- وقال مطرف: «ما أوتي أحد من الناس أفضل من العقل»(٢).

- وعن يوسف بن أسباط قال: «العقل سراج ما بطن، وملاك ما علن، وسائسُ الجسد، وزينة كل أحدٍ، ولا تصلح الحياة إلا به، ولا تدور الأمور إلا عليه»(٣).

ويخصهم الوحي بطلب التقوى منهم فيقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [البقرة:١٩٧].

ويخصهم بالخطاب عند التشريع وبيان الأحكام تقديمًا لهم فيقول سبحانه: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩].

- وعن أبي مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: **«استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلِني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**(٤).

قال النووي رحمه الله: «ولا يختص هذا التقديم بالصلاة؛ بل السنة أن يقدم أهل الفضل

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٩٤٢).

(٢) المصدر السابق (٣٥١٣٩).

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٣٩).

(٤) رواه مسلم (٤٣٢).

في كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس، كمجالس العلم والقضاء، والذكر، والمشاورة، ومواقف القتال، وإمامة الصلاة، والتدريس، والإفتاء، وإسماع الحديث، ونحوها.. ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم، والعقل، والشرف، والسن، والكفاءة في ذلك الباب، والأحاديث الصحيحة متعاضدة على ذلك»[1].

كما يخصهم بالانتفاع عند النظر في ملكوت الله والتدبر في آياته فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:١٩٠]، ويقول: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

- وعن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة**»[2].

قال ابن حجر رحمه الله: «قال النووي: يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن، وكثرة التجارب، وقوة العقل»[3].

- وقال عمر ﷺ: «حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله»[4].

كما أمر ﷻ بالنظر في كتابه والتدبُّر في آياته واستخراج الأحكام منها؛ فقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، وقال: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣].

وذمَّ ﷻ إغلاق العقل وحجبه عن التدبُّرِ؛ فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ١٥٥).
(٢) رواه البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).
(٣) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٨٧).
(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٩٤٣).

ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨].

وعني الخطاب القرآني والنبوي بسوق الأدلة العقلية النقلية على المسائل العقدية، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

ثانيًا: ذم التقليد الأعمى الذي هو حجاب العقل وغطاء الفهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٠].

قال القرطبي رحمه الله في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: «قال ابن عطية: أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد، وذكر فيه غيره خلافًا كالقاضي أبي بكر بن العربي، وأبي عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الشافعي.

قال ابن درباس في كتاب الانتصار له: وقال بعض الناس يجوز التقليد في أمر التوحيد وهو خطأ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف:٢٣]، فذمهم بتقليدهم آبائهم وتركهم اتباع الرسل، كصنيع أهل الأهواء في تقليدهم كبراءهم وتركهم اتباع محمد ﷺ في دينه؛ ولأنه فرض على كل مكلف تعلم أمر التوحيد والقطع به، وذلك لا يحصل إلا من جهة الكتاب والسنة»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وقد ذم الله سبحانه التقليد في غير موضع من كتابه كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٢١٢).

قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣]. وهذا في القرآن كثير يذم فيه من أعرض عما أنزله وقنع بتقليد الآباء»(١).

وروي عن أبي حنيفة أنه كان يقول: «لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي». وكان إذا أفتى يقول: «هذا رأي النعمان بن ثابت-يعني نفسه-، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب»(٢).

وجاء في إيقاظ الهمم: «وروي عن عصام بن يوسف أنه قال: كنت في مأتم فاجتمع فيه أربعة من أصحاب أبي حنيفة: زفر بن الهذيل، وأبو يوسف، وعافية بن يزيد، وآخر، فكلهم أجمعوا أنه لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا مالم يعلم من أين قلناه. انتهى. قلت: ومعنى قوله: (من أين قلناه) أي مالم يعلم دليل قولنا وحجته»(٣).

وكان الإمام مالك يقول: «ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ»(٤).

وعن الشافعي أنه كان يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، وفي رواية: «إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط». وقال يومًا للمزني: «يا إبراهيم لا تقلدني في كل ما أقول، وانظر في ذلك لنفسك؛ فإنه دين» وكان يقول: «لا حجة في قول أحد دون رسول الله ﷺ وإن كثروا، ولا في قياس ولا في شيء، وما ثم إلا طاعة الله ورسوله بالتسليم»(٥).

وقال حرملة بن يحيى: قال الشافعي: «ما قلت وقد كان النبي ﷺ قد قال بخلاف قولي مما يصح فحديث النبي ﷺ أولى، لا تقلدوني»(٦).

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ١٨٨).

(٢) عقد الجيد لأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ص٣٢، وإيقاظ الهمم لصالح العمري ص٥٢.

(٣) إيقاظ الهمم لصالح العمري ص٥٢.

(٤) عقد الجيد لأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ص٣٢.

(٥) المصدر السابق ص٣٢.

(٦) إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٢٨٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن تحدث عن فتنة الإمام أحمد وموقف الإمام فيها: «فأما أن المسلمين يثبتون عقيدتهم في أصول الدين بقوله -أي الإمام أحمد- أو بقول غيره من العلماء فهذا لا يقوله إلا جاهل.

وأحمد بن حنبل نهى عن تقليده وتقليد غيره من العلماء في الفروع، وقال: لا تقلد دينك الرجال؛ فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا. وقال: لا تقلدني، ولا مالكًا، ولا الثوري، ولا الشافعي، وقد جرى في ذلك على سنن غيره من الأئمة، فكلهم نهوا عن تقليدهم، كما نهى الشافعي عن تقليده وتقليد غيره من العلماء، فكيف يقلَّد أحمد وغيره في أصول الدين!

أصحاب أحمد مثل أبي داود السجستاني، وإبراهيم الحربي، وعثمان بن سعيد الدارمي، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والبخاري، ومسلم، وبقي بن مخلد، وأبي بكر الأثرم، وابنيه صالح وعبد الله، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ومحمد بن مسلم ابن وارة، وغير هؤلاء الذين هم من أكابر أهل العلم والفقه والدين، لا يقبلون كلام أحمد ولا غيره إلا بحجة يبينها لهم، وقد سمعوا العلم كما سمعه هو، وشاركوه في كثير من شيوخه، ومن لم يلحقوه أخذوا عن أصحابه الذين هم نظراؤه. وهذه الأمور يعرفها من يعرف أحوال الإسلام وعلمائه»[(١)].

ثالثًا: توجيه العقل إلى مجالاته النافعة، وكفه عن الخوض فيما لا يطيقه.

والمنهج الذي سار عليه القرآن ـ وهو المنهج الأقوم ـ أن يجيب الناس عما هم في حاجة إليه، وما يستطيع إدراكهم البشري بلوغه ومعرفته، فلا يبدد الطاقة العقلية التي وهبها الله لهم فيما لا ينتج ولا يثمر، وليس في هذا حجر على العقل أن يعمل، ولكن فيه توجيهٌ لهذا العقل أن يعمل في حدوده، وفي مجاله الذي يدركه، فلا جدوى من الخبط في التيه، ومن إنفاق الطاقة فيما لا يملك العقل إدراكه؛ لأنه لا يملك وسائل إدراكه.

---

(١) مجموع الفتاوي (٦/ ٢١٥، ٢١٦).

فمن توجيهات القرآن الكريم للعقل: الأمر بالنظر والتدبُّر في آياته سبحانه، قال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾ [ق:٦]، وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١].

ومن ثَمَّ نصب الله ﷻ العلامات والبراهين لهداية العقل على ما ينفع، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:١٦].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فخلق لهم العلامات، ونصب لهم المسجد الحرام، وأمرهم أن يتوجهوا إليه، وإنما توجههم إليه بالعلامات التي خلق لهم، والعقول التي ركَّبها فيهم، التي استدلوا بها على معرفة العلامات، وكلُّ هذا بيانٌ ونعمةٌ منه جلَّ ثناؤه»[١].

وأمر الله ﷻ أهل العلم برد النظير إلى نظيره، والاجتهاد في استنباط الأحكام من القواعد العامة للشريعة، وترك الباب مفتوحًا أمام العقل لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، ولو شاء لأنزل حكم كلِّ شيء على الخصوص والأعيان، لكنه أنزل قواعد عامة تشتمل على أحكام طائفة من الأفراد؛ فكان هذا توجيهًا منه ﷻ إلى الاستفادة بالعقل فيما يُثْمر ويُنتج.

وسارت السنة في ركاب الكتاب في هذا المجال، فوردت النصوص النبوية تحث العقل على العمل، وتحجبه عن الركود والكسل، وتُعلي من شأن الاجتهاد والنظر في النصوص الشرعية لاستخراج الأحكام، وبيان فقه النوازل المستجدَّة في حياة الناس، وجعلت خير الناس من تعلَّمَ العلم وعَلَّمَه، فقد ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال ﷺ: **«فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»**، ثم قال رسول الله ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير»**[٢]. وفي هذا توجيه العقل إلى مجاله النافع المثمر؛ بل جعلت السنة

---

(١) الرسالة للشافعي ص٣٨.

(٢) رواه الدارمي (٢٨٩)، والترمذي (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

للمجتهد المخطئ أجرًا على اجتهاده، وللمصيب أجرين على الاجتهاد والإصابة، قال ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[1].

وحظر الشرع على العقل الخوض فيما يضره الخوض فيه، ليوفر طاقته فيما يطيق ويحسن.

وخوض العقل في أمور الإلهيات باستقلال عن الوحي مظنة الهلاك وسبيل الضلال.

فثبت النهي في الكتاب والسنة عن الخوض في حقيقة الذات، وكنه الصفات، والقدر، وورد ذلك عن الصحابة والتابعين، وأئمة أهل السنة.

فمن ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله»[2].

قال المناوي في فيض القدير: «(تفكروا في آلاء الله) أي أنعمه التي أنعم بها عليكم. قال القاضي: والتفكر فيها أفضل العبادات. (ولا تفكروا في الله) فإن العقول تحير فيه... والنظر إلى ذات الله يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل، فالصواب أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذاته وصفاته؛ لأن أكثر العقول لا يحتمله»[3].

ولعل من أشهر ما ورد في ذلك، ما أثر عن الإمام مالك رحمه الله حين جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، (الرحمن على العرش استوى)، كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكًا وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء- يعني العرق- قال: وأطرق القوم وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه قال: فسري عن مالك فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالًا، وأمر به فأخرج»[4].

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) العظمة لابن حيان الأصبهاني (١/ ٢١٠). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٧٥).

(٣) فيض القدير للمناوي (٣/ ٢٦٣).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٦٦٤)، وذكرها البيهقي في كتاب الأسماء والصفات بسندين آخرين إلى مالك: عن عبد الله بن وهب وعن يحيى بن يحيى (٤٠٨)، وقد جود ابن حجر طريق ابن وهب فقال: «وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب...» فذكره، الفتح (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧)، وذكره البغوي بدون سند في شرح السنة (١/ ١٧١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «قال القرطبي: الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشبه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلف أمته إلى طرق مبتدعة، واصطلاحات مخترعة، وقوانين جدلية، وأمور صناعية، مدار أكثرها على آراء سوفسطائية، أو مناقضات لفظية، ينشأ بسببها على الآخذ فيها شبه ربما يعجز عنها، وشكوك يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالًا عنها أجدلهم لا أعلمهم، فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها، وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها. ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعًا من المحال لا يرتضيها البله ولا الأطفال، لما بحثوا عن تحيز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفات الله تعالى وتعديدها. واتحادها في نفسها، وهل هي الذات أو غيرها، وفي الكلام هل هو متحد أو منقسم، وعلى الثاني هل ينقسم بالنوع أو الوصف، وكيف تعلق في الأزل بالمأمور مع كونه حادثًا، ثم إذا إنعدم المأمور هل يبقى التعلق، وهل الأمر لزيد بالصلاة مثلًا هو نفس الأمر لعمرو بالزكاة؟ ذلك مما ابتدعوه مما لم يأمر به الشارع وسكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم؛ بل نهوا عن الخوض فيها لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تعلم كيفيته بالعقل؛ لكون العقول لها حد تقف عنده **ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات**، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان حجب عن كيفية نفسه مع وجودها، وعن كيفية إدراك ما يدرك به، فهو عن إدراك غيره أعجز»[1].

ولذا رجع كثير من أئمة أهل البدع -كما ذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ - عن عقيدتهم الباطلة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في آخر حياتهم، حيث وجدوا فيه ضالتهم المنشودة، وأجابت لهم على ما يدور في أذهانهم من سؤالات، وما يختلج في صدورهم

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٤٩، ٣٥٠).

من حيرة واضطرابات. «كما حصل للإمام أبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) حيث رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في «الإبانة عن أصول الديانة» بعد الاعتزال ثم التلفيق، والباقلاني (ت٤٠٣هـ) في «التمهيد»، ومثله أبو محمد الجويني (ت٤٣٨هـ) والد إمام الحرمين في «رسالة في إثبات الاستواء والفوقية»، ومثله إمام الحرمين (ت٤٧٨هـ) في «الرسالة النظامية»، والشهرستاني (ت٥٤٨هـ) في «نهاية الإقدام»، وفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) في «أقسام اللذات»، وغيرهم كثيرون»[1].

أما فيما يتعلق بالقدر فمما ورد في ذلك:

- عن أبي هريرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال: **«أبهذا أُمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه»**[2].

- وعن أبي بكر عبد الرحمن رفع الحديث إلى علي ﷺ أنه سأله فقال: «يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ فقال: طريق مظلم فلا تسلكه. فقال: يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ فقال: بحر عظيم فلا تلجه. فقال: يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ فقال: سر الله فلا تكلفه»[3].

- وقال وهب بن منبه: «نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه»[4].

- وعن زياد بن عمر القرشي عن أبيه قال: كنت جالسًا عند ابن عمر، فسئل عن

---

(١) المنهج السلفي د. مفرح بن سليمان ص٤٣٩.

وراجع مصادره: مجموع الفتاوي (٤/ ٧٢، ٧٣)، ودرء التعارض لابن تيمية (١/ ١٥٧، ١٧٠)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥٦، ١٥٩، ومقدمة شعيب الأرناؤوط على كتاب أقاويل الثقات لمرعي بن يوسف الكرمي ص١٣ـ ٢٢.

(٢) رواه الترمذي (٢١٣٣) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه الآجري في الشريعة ص٢٠٢، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٦٢٩).

(٤) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص٦٩.

القدر، فقال: «شيء أراد الله أن لا يطلعكم عليه، فلا تريدوا من الله ما أبى عليكم»[(١)].

ومما ورد النهي عن الخوض في أمره الروح والغيب الذي لا يدركه العقل، ولا يصل إلى حقيقته، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

رابعًا: أهل السنة والجماعة وسط بين: المهملين للعقل، والمقدسين له.

فكثير من جهلة المتصوفة ألغوا عقولهم، وساروا وراء أذواقهم وأوهامهم، وزعموا أنه لا تحصل الأحوال الكاملة إلا مع غياب العقل بالجنون والسكر والوله! وكثير من المتكلمة عظموا عقولهم وآراءهم، وزعموا أن الأنبياء لم يعرفوا الحق الذي عرفوه، وعقيدة أهل السنة أن: «الأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة»[(٢)].

ومن أبرز الفرق البدعية التي غلت في العقل ورفعته فوق قدره المعتزلة، القائلين بالتحسين والتقبيح العقلي.

فالعقل عندهم يعلم العلم الكامل بحسن الفعل أو قبحه، ومن ثَمَّ فهو الحاكم عليه بالحسن والقبح، والفعل حسن أو قبيح في نفسه: إما لذاته، وإما لصفة حقيقية توجب ذلك، وإما لوجوه واعتبارات هو عليها على خلاف بينهم في ذلك.

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «ذهبت المعتزلة إلى أن الأفعال تنقسم إلى حسنة وقبيحة، فمنها ما يدرك بضرورة العقل كحسن إنقاذ الغرقى والهلكى، وشكر النعم، ومعرفة حسن الصدق، وكقبح الكفران، وإيلام البريء، والكذب الذي لا غرض فيه، ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الذي فيه ضرر، وقبح الكذب الذي فيه نفع، ومنها ما يدرك بالسمع كحسن الصلاة والحج وسائر العبادات، وزعموا أنها متميزة بصفة ذاتها عن غيرها بما فيها

---

(١) رواه الآجري في الشريعة ص٢٣٥، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١١/ ٣١٣).

(٢) مجموع الفتاوي (٣/ ٣٣٩).

من اللطف المانع من الفحشاء الداعي إلى الطاعة، لكن العقل لا يستقل بدركه»[١].

فجميع الأفعال عند المعتزلة - ما عدا العبادات المحضة- إما إنه قد ثبت قبحها والعقاب عليها عقلًا، أو ثبت حسنها والثواب عليها عقلًا.

وقالوا - بناء على ذلك-: إن الإنسان مكلّف قبل ورود الشرع، حيث قالوا: إنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر، وأن يعلم أيضًا حُسن الحسن وقُبح القبيح، ويجب عليه الإقدام على الحسن، والإعراض عن القبيح كل ذلك يجب قبل ورود الشرع به، فإن قَصَّر في ذلك استوجب العقوبة أبدًا[٢].

وكان من آثار غلوّهم -أيضًا- في الاعتماد على العقل أنهم أخذوا يؤولون صفات الله ﷻ بما يوافق عقولهم القاصرة؛ حتى نفوا جميع الصفات.

ومن آثار ذلك أيضًا طعنهم في كبار الصحابة، حتى زعم واصل بن عطاء: أن إحدى الطائفتين من أصحاب الجمل وأصحاب صفّين فاسقة[٣].

وبناء على ما أصّلوه من أصول ومعتقدات فاسدة مبناها على عقول قاصرة وأهواء فاسدة، أخذوا يردّون الأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدّعون أنها مخالفة للمعقول، وقد أدّى هذا المنهج العقلاني المنحرف إلى جملة من البدع والمعتقدات الفاسدة: كإنكار عذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله ﷻ في الآخرة... وغير ذلك من البدع التي لا تدخل تحت حصر.

وخالفت الأشاعرة أهل السنة في مسألة التحسين والتقبيح العقلي، وكانوا فيه على طرف النقيض من المعتزلة حيث قالوا: إن العقل لا يدل على حسن شيء، ولا على قبحه قبل ورود الشرع، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع، وموجب السمع، ولو عكس

---

(١) المستصفى للغزالي (١/ ٤٥).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٦، ٤٧).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٣).

الشرع فحَسَّنَ ما قبّحه، وقَبَّحَ ما حسّنه لم يكن ذلك ممتنعًا.

واتفقوا مع أهل السنة في أنه لا يجب على الله شيء من جهة العقل، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود الشرع[(١)].

وعليه فمن انضبط بمنهج أهل السنة في دراسة العقيدة وعلم التوحيد، اهتدى عقله، واستنار رأيه، وسلم ذهنه من الانحراف، وأنجى نفسه من محارات الفلسفة، وخيالات المتصوفة، وجهالات المتكلمة، وشطحات الفرق جميعًا، ووقف على الحجج البينة، والأدلة القاطعة، والبراهين الظاهرة، في مسائل العقيدة، وكثر صوابه، وقل خطؤه، واجتمعت عنده محاسن الفرق خالصة من كل كدر، وأمن من شرور البدع.

خامسًا: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول:

وأخيرًا فإن أئمة أهل السنة والجماعة يرفعون شعار «العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح»، وبلغ من اهتمامهم ببيان هذه القضية وتجليتها، أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ صنف كتابًا مستقلًّا في بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وهو كتابه الجليل، الفريد في بابه: «درء تعارض العقل والنقل»، وبيّن فيه رَحِمَهُ اللَّهُ بطلان دعوى التعارض بين العقل والنقل بيانًا شافيًا كافيًا، وردّ مذهب القائلين بذلك ونقضه من وجوه كثيرة، كما أوضح ضعف استدلالاتهم ومخالفتها للعقل والنقل معًا.

وإن وقع تعارض ظاهر فإما الخلل في موازين العقل أو لضعف في دليل الشرع، فإن لم يظهر خلل في ميزان العقل أو ضعف في دليل الشرع، فإن الشرع مقدم على العقل لعصمة الشرع دون العقل.

وقد سبق قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة

---

(١) انظر: المحصول للرازي (١/ ١٥٩-١٩٢).

والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلًا، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة»[1].

وأما أهل الأهواء فيدعون إمكانية حدوث التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، ويضيفون إلى هذا الأصل الباطل أصلًا آخر أشد بطلانًا، وهو: وجوب تقديم العقل على النقل عند حدوث هذا التعارض المزعوم.

يقول الرازي في كتابه: «تأسيس التقديس»: «الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية، فكيف يكون الحال فيها؟

اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

- إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين، وهو محال.

- وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين، وهو محال.

- وإما أن يصدّق الظواهر النقلية، ويكذّب الظواهر العقلية، وذلك باطل لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ، وظهور المعجزات على يد محمد ﷺ، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهمًا غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معًا وأنه باطل.

- ولما بطلت الأقسام الأربعة[2] لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية

(١) مجموع الفتاوي (١١/ ٤٩٠).

(٢) هكذا في المطبوعة، ولعل الصواب: الأقسام الثلاثة.

القاطعة[١] بأن هذه الدلائل النقلية: إما أن يقال: إنها غير صحيحة[٢]، أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها.

ثم إن جوّزنا التأويل: اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم نجوِّز التأويل فوَّضنا العلم بها إلى الله تعالى. فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات»[٣].

وقد اشتهر هذا القانون عند الأشاعرة، وأصبح عندهم من القضايا المسلمة، وأدّى إلى كثير من البدع والانحرافات، مثل: نفي العلو عن الله تعالى، ونفي الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله ﷻ: كالاستواء، والنزول، والمجيء، وكلام الله إذا شاء متى شاء، وغيرها..، وكذلك نفي الصفات الخبرية: كالوجه، واليدين، وغيرها..[٤].

وقد أدى هذا المنهج المنحرف أيضًا إلى ردِّ الكثير من الأحاديث الصحيحة، والطعن في رواتها وإن كانوا من الصحابة ﷺ، أو التابعين رحمهم الله، أو مَن اتفق أئمة المحدثين على عدالتهم.

---

(١) لا يوجد ضابط ظاهر - عند الأشاعرة- لقطعية الدلائل العقلية، فبعضهم يتوهم ما ليس بقطعي قطعيًا، ويقدمها على الأدلة النقلية عند التعارض، ويُعَدُّ هذا من أبرز مظاهر الخلل في هذا المنهج.

(٢) الأدلة النقلية تشمل نصوص الكتاب والسنة معًا، ولا يصح إطلاق إمكان عدم الصحة جزافًا، إذ الحكم على الحديث بالصحة أو الضعف فنّ لا يتقنه إلا أهله المتمهرون به وفق قواعد وضوابط دقيقة.

(٣) أساس التقديس للرازي ص١٧٢، ١٧٣.

(٤) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٢/ ٨١٨-٨٢١).

المبحث الخامس

الفطــرية

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم:٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره»[١].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجِّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء»**[٢].

- وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: **«ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا؛ كل مال نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا»**[٣].

قال النووي رحمه الله: «قوله تعالى: «وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم» أى: مسلمين، وقيل: طاهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية. وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد في الذر، وقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف:١٧٢]»[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله في كلامٍ له عن الفطرة: «بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه، فإذا مُكِّنَ من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة، فارتضاعه ضروري إذا لم يوجد معارض، وهو مولود على أن يرضع؛ فكذلك هو مولود على أن يعرف الله، والمعرفة ضرورية لا محالة إذا لم يوجد معارض...»[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٩٧).

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص ٣٠٠-٣٠٢.

وبناءً على ما تقدم فإن الإيمان فطري عند أهل السنة والجماعة خلافًا لأهل الأهواء، فالمقلدون من العوام الذين ليس لهم أهلية النظر والاستدلال، مسلمون وإن عجزوا عن إقامة الأدلة وإيضاح البراهين.

قال السفاريني في منظومته:

فالجازمون من عوام البشر فمسلمون عند أهل الأثر

قال ابن حامد: «لا يشترط أن يجزم عن دليل، يعني: بل يكفي الجزم ولو عن تقليد»[(١)].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به...**»[(٢)]: «وفيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف، أن الانسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقادًا جازمًا لا تردد فيه كفاه ذلك، وهو مؤمن من الموحدين، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها، خلافًا لمن أوجب ذلك وجعله شرطًا في كونه من أهل القبلة، وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به، وهذا المذهب هو قول كثير من المعتزلة وبعض أصحابنا المتكلمين، وهو خطأ ظاهر فإن المراد التصديق الجازم وقد حصل؛ ولأن النبي ﷺ اكتفى بالتصديق بما جاء به ﷺ ولم يشترط المعرفة بالدليل، فقد تظاهرت بهذا أحاديث في الصحيحين يحصل بمجموعها التواتر بأصلها والعلم القطعي»[(٣)].

وقال ابن حجر: «وفي كتب النبي ﷺ إلى هرقل وكسرى وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى التوحيد، إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التواتر المعنوي الدال على أنه ﷺ لم يزد في دعائه المشركين على أن يؤمنوا بالله وحده ويصدقوه فيما جاء به عنه، فمن فعل ذلك قبل منه سواء كان إذعانه عن تقدم نظر أم لا، ومن توقف منهم نبهه حينئذ على النظر، أو

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٢٦٩).

(٢) رواه مسلم (٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٢١٠، ٢١١).

أقام عليه الحجة إلى أن يذعن أو يستمر على عناده»[١]

مظاهر الفطرية:

ومن مظاهر فطرية العقيدة عند أهل السنة خاصة أنها جاءت سهلة واضحة، لا عسر فيها ولا تعقيد، ووردت النصوص وأقوال السلف وأهل السنة بالنهي عن الغلو والتشدد في أمر الدين أصولًا وفروعًا، وعن التكلف في طلب علم ما حجب علمه.

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»[٢].

وترجم البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب الدين يسر، وقول النبي ﷺ: **أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»[٣].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: باب الدين يسر، أي دين الإسلام ذو يسر، أو سمي الدين يسرًا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم، ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم. وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم. قوله: «**أحب الدين**» أي خصال الدين؛ لأن خصال الدين كلها محبوبة لكن ما كان منها سمحًا أي سهلًا فهو أحب إلى الله، ويدل عليه ما أخرجه أحمد بسند صحيح من حديث أعرابي لم يسمه أنه سمع رسول ﷺ يقول: «**خير دينكم أيسره**»[٤]، أو الدين جنس أي أحب الأديان إلى الله الحنيفية، والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتنسخ، والحنيفية

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٥٣، ٣٥٤).
(٢) رواه البخاري (٣٩).
(٣) صحيح البخاري كتاب الإيمان (١/ ٢٣).
(٤) رواه أحمد (١٥٥٠٦).

ملة إبراهيم... والسمحة السهلة، أي أنها مبنية على السهولة»[١].

وترجم الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه: «باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء:١٧١]»[٢].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «صدر الآية يتعلق بفروع الدين وهي المعبر عنه في الترجمة بالعلم وما بعده يتعلق بأصوله. فأما التعمق فمعناه التشديد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه، وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق...»[٣].

وعن أبي العالية عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[٤].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا[٥].

قال النووي: «المتنطعون أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»[٦].

وقال الخطابي: «المتنطع المتعمق في الشيء، المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام، الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم»[٧].

وقال ابن حجر: «ومما ذمه السلف -وعليه ينطبق حديث ابن مسعود رفعه: «**هلك المتنطعون**»، ورأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته: الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع، وهي نادرة الوقوع جدًّا، فيصرف فيها

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٣، ٩٤).

(٢) صحيح البخاري بتحقيق د. مصطفى البغا (٦/ ٢٦٦١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٧٨).

(٤) أخرجه أحمد (١٨٥٤)، والنسائي (٣٠٥٩)، وابن ماجه (٣٠٢٩). وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم.

(٥) رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢٢٠).

(٧) عون المعبود للعظيم آبادي (١٢/ ٢٣٥، ٢٣٦).

زمانًا كان صرفه في غيرها أولى... وأشد من ذلك البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس؛ كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف. والكثير منه لم يثبت فيه شيء فيجب الإيمان به من غير بحث، وأشد من ذلك ما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة»[1].

قال ابن مسعود ﷺ: «من عَلِمَ فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم؛ فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿ **قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ** ﴾ [ص:٨٦]»[2] الحديث.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «نُهينا عن التَّكلُّف»[3].

- وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله؟**»[4].

قال ابن حجر: «قال ابن بطال: في حديث أنس الإشارة إلى ذم كثرة السؤال لأنها تفضي إلى المحذور، كالسؤال المذكور فإنه لا ينشأ إلا عن جهل مفرط»[5].

وترجم الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الاعتصام من «صحيحه»: «باب: ما يُكرهُ من كثرة السؤال، ومَنْ تَكلَّف ما لا يَعْنِيهِ، وقوله تعالى: ﴿ **لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ [المائدة:١٠١]»، و«باب: ما يُذْكرُ من ذمِّ الرأي وتَكلُّفِ القياس ﴿ **وَلَا تَقْفُ** ﴾ لا تقل ﴿ **مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء:٣٦]»[6].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٦٧) بتصرف يسير.
(٢) رواه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).
(٣) رواه البخاري (٧٢٩٣).
(٤) رواه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٦).
(٥) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٧٣).
(٦) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٥٨).

ومما وردت نصوص الشرع بالنهي عن الخوض فيه، التفكر في ذات الله تعالى وكنه صفاته، وقد سار أهل السنة على هذا النهج، فآمنوا بصفات الله تعالى كما جاءت في الكتاب والسنة، وكفوا عن الخوض في كنه هذه الصفات وكيفيتها، وكلامهم في هذا الباب كثير معروف.

- قال حافظ المشرق أبو بكر الخطيب البغدادي: «**أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها**، وإجراؤها على ظواهرها، ونفي **الكيفية والتشبيه عنها**، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، **فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف**، فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول إن معنى اليد القدرة، ولا إن البصر العلم، ولا نقول إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]»[1].

- وقال حافظ المغرب ابن عبد البر في التمهيد: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع، والجهمية، والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة،

---

(١) الكلام على الصفات للخطيب البغدادي ص٢٠-٢٣، ورواه الذهبي في السير (١٨/ ٢٨٣، ٢٨٤) في ترجمة الخطيب البغدادي، وابن قدامة في ذم التأويل (١٥) عن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفراني عن الخطيب.

ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون به بما ينطق كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله»[١].

- وقال أيضًا: «لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة - وهم أهل الفقه والحديث - في نفي القياس في التوحيد، وإثباته في الأحكام»[٢].

وكل من تعمق وخاض في حقيقة الذات أو الصفات من أهل الأهواء، وتكلف الوقوف على كُنْهها، والوصول إلى حقيقتها لم يجد ما يشفي؛ بل زاده ذلك شكًّا وحيرة واضطرابًا.

ومما وردت أقوال أهل السنة بالنهي عن الخوض فيه القدر، ومن ذلك:

ما جاء عن الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ قال: «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل. والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان. فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا أو فكرًا أو وسوسة، فإنه تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال عز من قائل: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين»[٣].

وخالفت القدرية والجبرية ومن لفَّ لفهم في هذا الباب، وأطالوا النزاع فيه، وخاضوا فيما ليس لهم الخوض فيه، فوقعوا في التخبط والتناقض، فقال بعضهم: إن الأمر أُنُفٌ يعني أن الله لا يعلم به إلا بعد وقوعه، وهؤلاء تبَرَّأَ منهم ابن عمر[٤]، ومنهم من قال: إن أفعال العباد ليست مخلوقة، وأنكر بعضهم إرادة الإنسان ومشيئته، إلى آخر ما خالفوا فيه، مما يُعْلم بطلانه بيقين، ومخالفته للثابت في القرآن والسنة، والمجمع عليه عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٤٥).
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص٧٤.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، حققه وراجعه جماعة من العلماء، وخرج أحاديثه الشيخ الألباني، ص٢٤٩.
(٤) كما في صحيح مسلم (٨).

المبحث السادس

الشمـــولية

الشمولية وتكون في المعنى والتطبيق، والمراد بالشمولية في المعنى: شمول العقيدة للتصور الكامل للقضايا الكبرى التي ضل في تصورها كثير من الناس، والمراد بالشمولية في التطبيق: اتساع نطاق آثار هذه العقيدة لحياة المسلم من جهاتها المختلفة، بحيث تتكامل هذه الآثار وتتفاعل في صياغة الحياة صياغةً ربانية.

ولذلك؛ فإن العقيدة الإسلامية -كأثر لهذا الشمول العام في الإسلام- عقيدة شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان وقواعده وما يتفرع عن ذلك، وشاملة في نظرتها للوجود كله، تعرف العبد على الله والكون والحياة والإنسان معرفة صحيحة شاملة.

مظاهر وصور الشمولية:

إن أركان الإيمان كلها مترابطة ارتباطًا وثيقًا، يكمل كل منها الآخر، وقد جاءت النصوص القرآنية لتؤكد على الارتباط بين الإيمان بالله والإيمان بالملائكة، وتقرن الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر، وتجعل الإيمان بالرسل أمرًا لا يتجزأ، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعًا؛ بل كفر بالله تعالى؛ لأنهم جميعًا جاءوا برسالة واحدة من عند الله تعالى.

وإذا كانت الشمولية إحدى الخصائص الجلية في العقيدة الإسلامية بشكل عام، فإنها ظاهرة جلية عند أهل السنة بشكل خاص.

وهي تعني عدم الاقتصار على طلب علمها وممارسة أعمالها والتحقق بمقتضياتها في باب دون باب، وفي أصل دون أصل، إذ ليس شيء من العقيدة مهجورًا، والجمع بين علمها ومقتضياتها وآثارها في القلب والجوارح، هو تحقيق العبودية، ولهذه الشمولية مظاهر وصور متعددة من أهمها ما يلي:

العناية بأنواع التوحيد كافة:

سواء في ذلك التوحيد العلمي الخبري (توحيد الربوبية)، أو التوحيد الطلبي الإرادي العملي (توحيد الألوهية)، وعدم إغفال عرض أحدهما لحساب الآخر، وبيان مدى الترابط بينهما، والتوجيه إلى التفكر والتدبر مع إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، وبيان كونها توقيفية.

يقول ابن القيم رحمه الله: «وتأمل حال العالم كله علويه وسفليه بجميع أجزائه تجده شاهدًا بإثبات صانعه وفاطره ومليكه، فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العالم وجحده لا فرق بينهما، بل دلالة الخالق على المخلوق، والفعال على الفعل، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزاكية المشرقة العلوية والفطر الصحيحة أظهر من العكس، فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه... وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: كيف يُطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأفهام شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قال أبو محمد عبد الله بن أحمد الخليدي... «ولسنا نقول إن الله يُعرف بالمخلوقات؛ بل المخلوقات كلها تُعرف بالله، لكن معرفته تزيد بالنظر في مخلوقات الله».

وسئل عبد الرحمن بن أبي حاتم عن رجل يقول: عرفت الله بالعقل والإلهام فقال: «من قال عرفت الله بالعقل والإلهام فهو مبتدع، عرفنا كل شيء بالله».

---

(١) التفسير القيم ص٥٠-٥١ باختصار.

وسئل ذو النون المصري: بماذا عرفت ربك؟ فقال: «عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي».

وقال عبد الله بن رواحة:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

إلى آخره. وكان هذا بين يدي النبي ﷺ فلم ينكره عليه، فدل على صحة قول علمائنا: إن الله يعرف بالله، والأشياء كلها تعرف بالله»[1].

ولما كان توحيد الربوبية بهذه المثابة كان هو الأساس الذي ابتني عليه توحيد الله عز وجل في الإلهية، فإن الخالق المالك المدبر هو المستحق وحده بأن يُتوجه إليه بالعبادة والخشوع والخضوع والذكر والدعاء والخوف والرجاء والحمد والشكر.

فالعبادة لا يصح أن تكون لغير الرب تعالى؛ إذ كيف يُعبَد من لم يخلق ولم يرزق ولم يدبر أمر الخلق؟.

قال ابن القيم: «فاسم «الرب» له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية وافترقوا بصفة الإلهية، فألهه وحده السعداء وأقروا له طوعًا بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية والتذلل والخضوع إلا له»[2].

ولكون توحيد الربوبية كالأساس لتوحيد الألوهية فقد أولاه القرآن عناية بالغة، فلا تكاد سورة من سوره تخلو من ذكره أو الإشارة إليه، وكثيرًا ما يُلزم السياق القرآني المشركين بما أقروا به من توحيد الربوبية فيجعله برهانًا واضحًا على وجوب إفراده سبحانه

---

(١) مجموع الفتاوي (٢/ ٢) حاشية.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٣، ٤٤).

بالإلهية، فإن الذي يستحق العبادة هو من كان ربًّا خالقًا ومالكًا مدبرًا، وأما من لا شأن له في خلق ولا تدبير فلا يصلح أن يكون إلهًا معبودًا؛ حيث لم يصلح أن يكون ربًّا مقصودًا.

ولهذا تسوق الآيات الدلائل الشاهدة على ربوبيته تعالى لكل شيء، ثم ينتقل منها إلى الدعوة لعبادته وحده.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢].

وقال جل شأنه في نفس السورة: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤].

ويقول جل شأنه في سورة النحل بعد أن ذكر آيات ربوبيته في الخلق والتدبير: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل:١٧، ٢٢]، فنفى الإلهية عن كل ما يُدعى من دونه لأنه لا يخلق شيئًا بل هو مخلوق، ولأنه ميت غير حي، ولا يدري متى يبعث.

«ويطول بنا المقام لو أردنا استقصاء ما جاء في الكتاب العزيز من آيات الربوبية التي سيقت برهانًا على توحيد الإلهية، وحسبنا أن نعلم أن معظم السور مليئة من هذه

الآيات لمن تدبرها»[1].

وأما عن توقيفية العقيدة والعبادة فقد جاء الشرع بذم البدع من وجوه كثيرة، منها:

القرآن الكريم:

مثل قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [النحل:٩].

وقوله عز وجل: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ** ﴾ [الأنعام:١٥٩].

السنة الشريفة:

ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[2].

وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[3].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[4].

وروى الترمذي وصححه، وأبو داود وغيرهما من حديث العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها

---

(١) دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص٣٣.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) رواه مسلم (١٧١٨).

(٤) رواه مسلم (٢٦٧٤).

العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال ﷺ: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لولاة الأمور وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[١].

آثار السلف الصالح:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم»[٢]، وقال: «القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[٣]، وعن أبي بكر الصديق ﷺ: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ»[٤].

وعن أبي إدريس الخولاني رَحِمَهُ الله: «لأن أرى في المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها أحب إلي من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها».

وما نقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين في ذم البدع والتحذير من أهلها كثير جدًّا.

الاهتمام بتوحيد الأسماء والصفات بجانبيه النظري والعملي:

إن لتوحيد الأسماء والصفات شأنًا عظيمًا وأثرًا كبيرًا في القلوب، والعلم بأسماء الله وصفاته أشرف العلوم؛ فإن شرف العلم بشرف المعلوم، ولما كان ربنا تبارك وتعالى أشرف معلوم كان العلم الذي يعرف بالله هو أشرف العلوم، وكانت النصوص المعرفة بالله وأسمائه وصفاته أفضل النصوص، ولذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن،

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٦٦٩٤).
(٢) رواه البيهقي في الشعب (٢٢١٦).
(٣) رواه الدارقطني في العلل (٨٢٧).
(٤) مسلم (١٧٥٩).

وكانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله عز وجل.

هذه القواعد صاغها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في ثلاث نقاط فقال:

«إنا نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، وأن تلتزموا بثلاث جمل من كتاب الله:

الأولى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، فتنزهوا رب السماوات والأرض عن مشابهة الخلق.

الثانية: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، فتؤمنوا بصفات الجلال والكمال الثابتة في الكتاب والسنة على أساس التنزيه كما جاء: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، بعد قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

الثالثة: أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا نص الله عليه في سورة طه حيث قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]»[١].

ومع هذا المنهج الصحيح لفهم الأسماء والصفات فلابد أن ينضم إليه العناية بآثارها القلبية والتعبد لله عز وجل ودعائه بها، حتى يتم الإيمان بالأسماء والصفات كما آمن بها سلف الأمة الذين جمعوا بين الفهم والعمل، ونظروا إلى كل اسم من أسماء الله عز وجل بأن فيه حقًّا من العبودية لله عز وجل على العباد يتعبدون لله سبحانه وتعالى به.

وهذه الآثار التي يورثها الإيمان بأسماء الله وصفاته يبينها ابن القيم فيقول: «والأسماء الحسنى والصفات العُلى مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح. فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضرر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا ولوازم التوكل

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٥٣.

وثمراته ظاهرًا. وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطنًا ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي من موجباتها، وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العُلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»[1].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجماع ذلك: أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة وبصفات ربوبيته تارة، فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبة الخاصة والشوق إلى لقائه والأنس والفرح به والسرور بخدمته والمنافسة في قربه والتودد إليه بطاعته واللهج بذكره والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همه دون ما سواه. ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه والافتقار إليه والإستعانة به والذل والخضوع والانكسار له.

وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته وإلهيته في ربوبيته، وحمده في ملكه، وعزه في عفوه، وحكمته في قضائه وقدره، ونعمته في بلائه، وعطاءه في منعه، وبره ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميته، وعدله في انتقامه، وجوده وكرمه في مغفرته وستره وتجاوزه، ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه، وعزه في رضاه وغضبه، وحلمه في إمهاله، وكرمه في إقباله، وغناه في إعراضه، وأنت إذا تدبرت القرآن وأجرته من

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ١٠٥).

التحريف وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين، أشهدك مَلِكًا قيومًا فوق سماواته على عرشه يدبر أمر عباده، يأمر وينهى، ويرسل الرسل، وينزل الكتب، ويرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويُعز ويُذل، ويخفض ويرفع، يرى من فوق سبع ويسمع ويعلم السر والعلانية، فعال لما يريد، موصوف بكل كمال، منزه عن كل عيب، لا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ليس لعباده من دونه ولي ولا شفيع»(١).

فتبين مما سبق أن الإيمان بأسماء الله عز وجل وصفاته ليس هو المعرفة النظرية والتسليم المجرد بها، ونفي التحريف الكلامي والشبهات البدعية التي اكتنفتها وفقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى تدبر مدلولاتها وآثارها ومقتضياتها والتعبد لله عز وجل بها.

الاهتمام ببيان حقيقة الكفر وشعبه، كالاهتمام ببيان الإيمان وشعبه:

يقول ابن رجب: «وهذه المسائل: أعني مسائل الإيمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدًّا، فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، ثم خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان. وقد صنف العلماء قديمًا وحديثًا في هذه المسائل تصانيف متعددة»(٢).

سد الطرق الموصلة إلى الشرك كافة.

ولقد عني أهل السنة في كتبهم ومؤلفاتهم وفتاواهم بهذا الأمر أعظم عناية،

---

(١) الفوائد لابن القيم ص٦٧، ٦٨.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢٩.

وأولوه كل رعاية.

يقول الشيخ محمد خليل هراس: «ولما كان هذا النوع من التوحيد[1] هو أخطر أنواع التوحيد وأشرفها، فقد احتاط له الشرع أعظم الحيطة، ونفى عنه كل شائبة شرك، وحرم كل وسيلة مفضية إلى الإخلال بقواعده؛ حتى يبقى مصون الحمى بعيدًا عن عوامل الزيغ والانحراف، فنهى عن الألفاظ التي توهم الندية والمساواة بين الله وبين أحد من خلقه كقولك مثلًا: أنا في حمى الله وفلان، أو: أنا متوكل على الله وعلى فلان، أو: ما شاء الله وفلان، وبيّن أن المخرج من ذلك هو أن يعطف بثم لا بالواو، وكذلك نهى عن الألفاظ التي فيها تعظيم لغير الله أو نسبة تأثير إليه كقولك: وحياتك أو وحياة أبيك أو لولا فلان لكان كذا ولولا صياح الديك لسرقنا اللصوص، ونهى أيضًا عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى تعظيمها وعبادتها وقد استفاض عنه ﷺ أنه قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[2].

ونهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لما في ذلك من التشبه بعبادها حيث يتحرون السجود لها في هذه الأوقات.

ونهى عن شد الرحال إلى مكان من الأمكنة بقصد التقرب إلى الله بالعبادة فيه إلا المساجد الثلاثة التي هي المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى.

ونهى أن يقوم الناس بعضهم لبعض على جهة التعظيم، فقال ﷺ لأصحابه لما رآهم قاموا له: «**لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا**»[3].

ونهى ﷺ أصحابه عن الغلو فيه والمبالغة في مدحه، فقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت**

---

(١) يعني: توحيد الألوهية.

(٢) رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٣) رواه أحمد (٢١٦٧٧)، وأبو داود (٥٢٣٠).

النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»[١].

وقال للوفد الذين قالوا: «أنت سيدنا وابن سيدنا»: «**إنما السيد الله**»[٢].

وقال للرجل الذي قال له: «ما شاء الله وشئت»: «**أجعلتني لله ندًّا بل ما شاء الله وحده**»[٣].

وقال للرجل الذي دخل عليه فأخذته رعدة من هيبته: «**هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة**»[٤].

ونهى عن إشراف القبور وتجصيصها، وبناء القباب عليها، وإيقادها بالسرج، والعكوف عليها؛ خشية الافتتان بها والوقوع في تعظيمها.

وأنكر ﷺ على معاذ بن جبل ﷺ حين دخل عليه فسجد له.

ونهى عن الوفاء بالنذر في مكان يُعبَد فيه صنم أو يُقام فيه عيد من أعياد الجاهلية.

ولقد نهج الخلفاء الراشدون ﷺ سنة نبيهم ﷺ في الحيطة للتوحيد والمحافظة على حماه المقدس، حتى إن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ أمر بقطع الشجرة التي بايع الصحابة رسول الله ﷺ تحتها على الموت عام الحديبية لما علم أن بعض الناس يذهبون إليها ويتعمدون الصلاة عندها.

وقال مرة وهو يستلم الحجر الأسود: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»[٥].

وعزل خالدًا ﷺ عن القيادة في وقت كانت الآمال كلها معلقة به ليتمم ما بدأه من الانتصارات على الروم؛ ولكنه خشي أن يفتتن به الناس فعزله وولى مكانه أبا عبيدة

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٠٦)، وأحمد (١٥٨٧٢)، وهو في صحيح الجامع (٣٧٠٠).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وأحمد (١٨٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد وذكره في الصحيح برقم ١٣٩.

(٤) رواه ابن ماجه (٣٣١٢)، والحاكم في المستدرك (٣٧٣٣) وصححه، وذكره الألباني في الصحيحة (١٨٧٦) «لعن الله اليهود...».

(٥) رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

بن الجراح ﷺ.

وهذا علي ﷺ يقول لأبي الهياج الأسدي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول اللهﷺ، أن لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته ولا صورة إلا طمستها»[١].

وعلى هذا النهج الواضح من المحافظة على التوحيد سار السلف الصالح وأئمة الهدى من بعدهم، لم يسمحوا لأحد أن يخرق سياج التوحيد أو يستبيح بيضته»[٢].

وقضية الحكم والتشريع وثيقة الصلة بقضية التوحيد؛ بل هي من صلب قضية التوحيد.

إنها تنشأ عن الرضا بالله تعالى ربًّا، وبمحمدﷺ نبيًّا، وبالإسلام دينًا.

إن قضية التحاكم إلى دين الله ﷻ والالتزام بشرعه هي جزء من توحيد الله ﷻ في ربوبيته وألوهيته؛ فتوحيد الله ﷻ يقتضي إفراده ﷻ بالأمر كما يفرد سبحانه بالخلق، لذا قرن الله بينهما فقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فكما أنه سبحانه هو الذي خلق، فهو الحقيق سبحانه بأن يأمر شرعًا وقدرًا.

يقول الشيخ بكر أبو زيد: «إن تحكيم شرع الله من أعظم الواجبات، قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]»[٣].

ويقول الشيخ عمر الأشقر: «إن دعوة التوحيد تقتضي الالتزام بالمنهج الحق، وأما الاعتراف بالله ربًّا ومعبودًا والتوجه إليه في الصلاة والصوم والدعاء، والاستكبار عن الالتزام بشرعه في أمور السياسة والاقتصاد والحكم والتربية فهذا من جنس ضلال المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة آخرى»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٩٦٩).

(٢) دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص٥٩-٦٢ باختصار.

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة للشيخ بكر أبو زيد ص٨٠-٨١.

(٤) التوحيد محور الحياة للأشقر ص٣٤.

الاعتناء بعقيدة الولاء والبراء:

وذلك بالتوجيه إلى تحقيق الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وتحقيق البراء من كل ما يخالف هذه العقيدة، وكل من يخالفها، كل بحسبه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾، إلى قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٣٨ – ١٤٤].

يقول الشيخ صالح الفوزان: «من أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم»[(١)].

والمتأمل لكتاب الله عز وجل يدرك دون عناء مقدار ما أولى القرآن هذه القضية من عناية واهتمام.

يقول الشيخ حمد بن عتيق: «فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى أوجب ذلك وأكد إيجابه وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»[(٢)].

---

(١) الولاء والبراء ص٣.

(٢) سبيل النجاة والفكاك ص٣١.

مواجهة الانحرافات العقدية المعاصرة:

ومن ذلك مواجهة صور الشرك الواقع، والبدع القائمة، والانحرافات الماثلة في واقع مجتمعات المسلمين.

وهذا الاهتمام بمواجهة الانحرافات العقدية المعاصرة كما هو نهج سلف هذه الأمة فهو نهج أنبياء الله ﷻ، فهم يبدأون أولًا بترسيخ قاعدة العبودية لله ﷻ والدعوة إلى توحيد الإلهية، ثم ينطلقون من قاعدة التوحيد إلى إبطال ومحاربة الانحرافات التي يواجهونها في أممهم، لذا تتنوع اتجاهات دعوتهم بعد تأصيل الأصل المشترك لكل النبوات، وهو توحيد الله ﷻ.

كما ذكر الله ﷻ عن شعيب عليه السلام في قوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [هود:٨٤].

وكذا في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء:١٧٦-١٨١].

وذكر سبحانه عن لوط عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء:١٦٠-١٦٦].

فهذا هدي أنبياء الله ﷻ، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

فلا يصلح أن تنحصر المواجهة في بعض القضايا وبعض القواعد التي واجه بها

السلف الصالح الانحرافات التي عاصروها وكانت فريضة الوقت حينئذ مع إغفال الانحرافات التي تواجهنا في هذا العصر، والحرب التي تستهدف أصل الإسلام وتسعى لتنحيته من الوجود.

فليس من الشمولية الوقوف عند بعض المعارك التاريخية التي طُويت صفحاتها واندثرت فتنتها، مع التخلي عن محاربة الانحرافات المعاصرة، والتي أجلب العدو فيها بخيله ورجله، وذلك لمجرد أن السلف الصالح بسطوا القول في هذه ولم يبسطوه في الأخرى، وما ذاك إلا لعدم قيام الداعي إلى ذلك.

وليس المراد الإهمال المطلق لهذه القضايا وإنما تناولها تناولًا مجملًا يكفل بيان الحق من ناحية، وتجنب إحياء الفتن القديمة وتجديد المعارك المندثرة من ناحية أخرى، ثم الانشغال بمواجهة فتن العصر المستجدة ومشاكله الراهنة.

على أنه يلزم وجود طائفة من أهل الاختصاص الشرعي تتوسع في فهم ودراسة هذه الانحرافات وتفاصيلها، وأقوال الفرق فيها وشبهاتها والردود على تلك الشبهات، فهذا يدخل في فروض الكفايات، والله أعلم.

أسئلة الفصل الثاني

من الباب الثاني

أولًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- التوقيفية تعني أن أهل السنة لا يقتبسون عقيدتهم إلا من مشكاة النبوة قرآنًا وسنة.

٢- من الأسباب التي حملت أهل السنة على عدم الوقوف عند النصوص: تواتر النصوص الآمرة باتباع الكتاب والسنة ولزومها.

٣- من مظاهر التوقيفية: حبس اللسان عن الكلام في العقيدة مطلقًا.

٤- ليس من مظاهر التوقيفية: سد باب الابتداع في الدين.

٥- من مظاهر التوقيفية والربانية: أثرها العظيم في عصمة أهل السنة وعلومهم من الخطأ والزلل والانحراف والاضطراب.

٦- الغيب في كلام العرب يعني قيام العقيدة على التسليم بوجود الغيب.

٧- ليس من مظاهر ودلائل الغيبية: ما ورد في فضل المؤمنين بالغيب وعظم أجرهم.

٨- عذاب القبر ونعيمه مما أنكره أصحاب العقول الراشدة.

٩- رؤية الله تعالى في الآخرة مما أنكره أصحاب العقول الفاسدة.

١٠- لم ينكر المعتزلة حوض النبي ﷺ وشفاعته.

١١- أدخل الصوفية في أمور الغيب بعض الخرافات والأوهام.

١٢- ليس من مظاهر وسطية أهل السنة: قولهم في الأسماء والصفات.

١٣- أهل السنة وسط بين القدرية والخوارج في باب أفعال الله ﷻ.

١٤- أهل السنة في باب الوعد والوعيد وسط بين المعتزلة والخوارج والمرجئة.

١٥- أهل السنة يسوون بين الصحابة وغيرهم في الفضل.

١٦- أهل السنة وسط في موقفهم من المعقول والمنقول بين المعتزلة والجهمية.

١٧- من مظاهر العقلانية في العقيدة الإسلامية: احترامها للعقل والحث على التدبر والتفكر.

١٨- ليس من مظاهر العقلانية في العقيدة السنية: كفها للعقل عن خوضه فيما لا يطيق.

١٩- صريح المعقول قد يخالف صحيح المنقول.

٢٠- من مظاهر فطرية العقيدة عند أهل السنة خاصة أنها جاءت صعبة معقدة.

٢١- التفكر في ذات الله تعالى وكنه صفاته مما ورد فيه الثواب الجزيل.

٢٢- لا خلاف بين سائر أهل السنة وفقهاء الأمصار في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الإحكام.

٢٣- من مظاهر الشمولية في عقيدة أهل السنة والجماعة: العناية بالتوحيد كافة.

٢٤- لم يعتن أهل السنة في كتبهم بسد الطرق الموصلة إلى الشرك.

٢٥- لا يدخل الاعتناء بالولاء والبراء في مظاهر شمولية عقيدة أهل السنة.

٢٦-ليس من مظاهر الشمولية في عقيدة أهل السنة والجماعة: مواجهة الانحرافات العقدية المعاصرة.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١- التوقيفية تعني أن أهل السنة والجماعة لا يقتبسون عقيدتهم إلا من:

أ- القرآن. ب-السنة. ج- كليهما معًا.

٢- من أسباب التوقيفية الحاملة على الوقوف عند النصوص:

أ- التعارض بين الأدلة. ب-حرية القول على الله بغير حق.

ج-تواتر النصوص الآمرة باتباع الكتاب والسنة. د-ما ورد في ب، ج.

٣- من مظاهر التوقيفية:

أ- التسليم لله ولرسوله. ب-سد باب الابتداع في الدين.

ج- الرد إلى الوحي عند النزاع. د-جميع ما سبق.

٤- من مظاهر دلائل الغيبية:

أ- ابتداء الله كتابه بذكر هذه الركيزة الإيمانية.

ب-ما ورد في فضل المؤمنين بالغيب وعظيم أجرهم.

ج-عذاب القبر ونعيمه. د- ما ورد في أ، ب.

٥- مما أنكره أصحاب العقول الفاسدة:

أ- رؤية الله تعالى في الآخرة. ب-عذاب القبر ونعيمه. ج- ما ورد في أ، ب.

٦- أنكر المعتزلة:

أ- حوض النبي ﷺ. ب-شفاعة النبي ﷺ. ج-كليهما معًا.

٧- أهل السنة وسط في باب أفعال الله ﷻ بين:

أ- الشيعة والخوارج. ب-القدرية والجبرية. ج-الصوفية والفقهاء.

٨- احترام العقل والحث على التدبر والتفكير من مظاهر:

أ- الوسطية. ب-العقلانية. ج-الغيبية.

٩- التفكر في ذات الله ﷻ مما وردت النصوص:

أ- بالأمر به. ب-بالكف عن الخوض فيه.

ج- لم يرد بشأنه شيء من النصوص عن علماء الأمة.

١٠- الاعتناء بعقيدة الولاء والبراء من مظاهر:

أ- فطرية العقيدة. ب- شمولية العقيدة. ج- عقلانية العقيدة.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ - ما المقصود بمصطلح التوقيفية من بين مصطلحات العقيدة عند أهل السنة والجماعة؟

٢- ما هي الأسباب التي حملت أهل السنة على الوقوف عند النصوص وعدم تجاوزها؟

٣- ما هي مظاهر التوقيفية في عقيدة أهل السنة والجماعة؟

٤ - عرف الغيب لغة واصطلاحًا وتكلم عن الغيبية كأحد خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة.

٥ - اذكر مظاهر ودلائل الغيبية في عقيدة أهل السنة والجماعة.

٦ - عدد بعض الأمثلة التي أنكرتها العقول الفاسدة من الغيبيات مع الشرح.

٧- اذكر بعض الأمثلة لما أثبته أصحاب العقول التائهة من الصوفية مما أدخلوه على باب الغيبيات.

٨- عرف الوسطية لغة واصطلاحًا، ثم بين معنى وسطية الأمة المحمدية بين الأمم.

٩- تعددت مظاهر وسطية أهل السنة والجماعة، اذكر هذه المظاهر تفصيلًا.

١٠ - ما المقصود بالعقلانية وما مظاهرها في العقيدة الإسلامية عامة وعقيدة أهل السنة والجماعة خاصة؟

١١ - ماذا يعني قولهم: إن صريح المعقول لا يخالف صحيح المنقول؟

١٢ - عرف الفطرية، واذكر طرفًا من أقوال أئمة السلف عنها، واذكر مظاهرها.

١٣ - عرف الشمولية، واذكر مظاهرها وصورها تفصيلًا.

١٤ - بين السبل لمواجهة الانحرافات العقدية المعاصرة.

الفصل الثالث

قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد

المبحث الأول: الإيمان والتسليم والتعظيم لنصوص الوحيين.

المبحث الثاني: جمع النصوص في الباب الواحد ورد المتشابه إلى المحكم.

المبحث الثالث: اشتمال الوحي على مسائل التوحيد بأدلتها.

المبحث الرابع: حجية فهم السلف الصالح لنصوص الوحي.

المبحث الخامس: الإيمان بالنصوص على ظاهرها ودرء التأويل.

المبحث السادس: درء التعارض بين العقل والنقل.

المبحث السابع: موافقة النصوص لفظا ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ.

المبحث الثامن: الكف عما سكت عنه الله ورسوله وأمسك عنه السلف.

تمهيد

لم يفرد السلف الأوائل مؤلفات خاصة في قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد؛ بل اكتفوا بما ورد في ثنايا كتب العقائد من تقعيدات وتأصيل، ومناظرات ورد للشبه والأباطيل، يظهر ذلك في كتب أهل السنة والجماعة المتقدمين عامة، ويظهر بوضوح في مثل كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، إلا أن الدراسات المعاصرة عنيت بتحرير تلك القواعد، وبيان الضوابط، والكشف عن مناهج السلف والأئمة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، وفي الرد على أهل البدع والإلحاد[1].

وفيما يلي تنبيه على أهم تلك القواعد والضوابط المنهجية في تقرير مسائل الاعتقاد، كما أشارت إليها كتب المتقدمين، وجمعتها ورتبتها كتب المتأخرين.

(١) من تلك الدراسات رسالة الماجستير للدكتور عثمان علي حسن بعنوان «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد».

المبحث الأول

الإيمان والتسليم والتعظيم لنصوص الوحيين

لقد تقدم أن أدلة مسائل التوحيد من أقوى الأدلة ثبوتًا وأصرحها دلالة، وعامة مسائل الاعتقاد -لأجل هذا- متفق عليها بين سلف الأمة.

والله تعالى أمر بالدخول في شرائع الإيمان كافة، ونهى عن الإيمان ببعض والتكذيب ببعض، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾[البقرة:٢٠٨] وأمر المؤمنين أن يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران:٧].

وفي الحديث: «**إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضًا؛ بل يصدِّق بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه**»[1].

«فينبغي للمسلم أن يقدر قدر كلام الله ورسوله، فجميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به، فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، وليس الاعتناء بمراده في أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس»[2].

فكل ما أمر به الشارع أو نهى عنه، أو دلَّ عليه وأخبر به، فحقه التصديق والتسليم مع الإجلال والتعظيم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج:٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[الحج:٣٢].

وما كان -من أمر الله- متعلقًا بعمل فحقه الامتثال بلا تردد، والاتباع بلا هوى.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦٦٦٣)، وابن ماجه (٨٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٦٧٠٢): «إسناده صحيح». اهـ. وأصل الحديث في صحيح مسلم (٢٦٦٦)، عن عبد الله ابن عمرو قال: هَجَّرْتُ إلى رسول الله ﷺ يومًا، قال: فسمعَ أصواتَ رجلين اختلفا في آيةٍ، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعرفُ فِي وجههِ الغضبُ، فقال: «إنما هلكَ مَنْ كان قبلكم باختلافهم في الكتاب».

(٢) الإيمان لابن تيمية ص٣٣ باختصار.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[الأحزاب:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[القصص:٥٠].

والسنة صنو الكتاب في وجوب التسليم والتعظيم، قال الأوزاعي(١) للزهري: يا أبا بكر، حديث رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لطم الخدود**»(٢)، و«**ليس منا من لم يوقر كبيرنا**»(٣) وما أشبه من الحديث ما معناه؟ فأطرق الزهري ساعة، ثم رفع رأسه فقال: «من الله ﷻ العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»(٤).

وورد ذلك عن الزهري عقب روايته لحديث : «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...**»، والحديث رواه الأوزاعي عن الزهري، ثم قال : فقلت للزهري : ما هذا؟ فقال : «على رسول الله ﷺ البلاغ وعلينا التسليم»(٥) . وفي رواية : «من الله العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم، أَمِرُّوا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت»(٦). زاد في لفظ:

---

(١) في أصل الرواية «قال رجل للزهرى»، قال ابن حجر: «وهذا الرجل هو الأوزاعى» انظر تغليق التعليق (٥/ ٣٦٦)، وسيأتي ما يؤكد ذلك بعد قليل.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٨٢٣)، وهناد في الزهد (١٣٢١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٥)، والترمذي (١٩٢٠)، وأبو داود (٤٩٤٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقد صححه النووي في الرياض، والألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٥)، وحسنه العراقي والسيوطي. انظر: الجامع الصغير (٥٤٤٥).

(٤) السنة للخلال (٣/ ٥٧٩)، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (٢/ ١١١)، وأدب الإملاء والاستملاء للسمعاني (ص/ ٢٦)، وتغليق التعليق لابن حجر (٥/ ٣٦٥ – ٣٦٦)، وانظر: كتاب خلق أفعال العباد للبخاري (ص/ ٧٦)، والصحيح له (قبل رقم / ٧٥٣٠) في كتاب التوحيد، والتمهيد لابن عبد البر (٦/ ١٤)، والاعتقاد للبيهقي ص٢٥١، والصواعق المرسلة (٢/ ٧٣٧)، (٤/ ١٤٣٢)، وشرح الطحاوية ص٢١٩، والرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي بن سلطان الهروي الحنفي ص٤٨، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٠٤).

(٥) صحيح ابن حبان (١/ ٤١٤ رقم ١٨٦)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٥٢٠).

(٦) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٩).

«من الله القول، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، أَمِرُّوا حديثَ رسول الله ﷺ كما جاء بلا كيف»[(١)] . وقال مرة : «وكانوا يجرون الأحاديث عن رسول الله ﷺ كما جاءت تعظيمًا لحرمات الله»[(٢)] .

وورد نحو ذلك عن الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك لما سُئل عن الاستواء، فقال : «مجهول معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق»[(٣)] .

وقال ابن تيمية: «هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك»[(٤)].

ومثل هذا قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ حين سئل عن الاستواء، فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة...»[(٥)].

«والإنسان إذا علم أن الله تعالى أصدق قيلًا، وأحسن حديثًا، وأن رسوله هو رسول الله بالنقل والعقل والبراهين اليقينية، ثم وجد في عقله ما ينازعه في خبر الرسول، كان عقله يوجب عليه أن يسلم موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه، فإن العامّي يصدق لأهل الاختصاص ما يقولونه دون اعتراض، وإن لم يتضح له وجهه، وإذا اتضح ازداد نورًا على نور.. فكيف حال الناس مع الرسل وهم الصادقون المصدَّقون؛ بل لا يجوز أن يخبر الواحد منهم خلاف ما هو الحق في نفس الأمر»[(٦)].

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٣٤٦).
(٢) الاعتقاد للبيهقي ص٢٥١.
(٣) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦٦٥)، (٩٢٨)، وانظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٥٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٠٦) والمجهول هو الكيفية، والمعقول هو المعنى.
(٤) مجموع الفتاوي (٥/ ٣٦٥).
(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٣٩٨)، والبيهقي في الاعتقاد (١/ ١١٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٦)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٣٦٥).
(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ١٤١).

فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، شاكًّا زائغًا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذِّبًا»[١].

وبضدها تتميز الأشياء، فأين هذا المنهج السديد، والتقعيد الرشيد، الذي سار عليه أهل السنة، من مثل قول عمرو بن عبيد -إمام المعتزلة-: «لو كانت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾[المسد:١] في اللوح المحفوظ، لم يكن لله على العباد حجة!»[٢].

أو قوله في حديث الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة.. الحديث**»[٣]، قال -قبح الله قوله-: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدَّقته، ولو سمعت ابن مسعود يقول هذا لما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا»[٤].

وأخيرًا فإن في التزام هذه القاعدة إثبات عصمة المرسلين، وتحقيق متابعة الرسول فيما أخبر وأمر، ومجانبة مسالك المغضوب عليهم والضالين الذين ردوا على أنبيائهم، وحصول رتبة الراسخين، والنجاة من مذاهب المبتدعين، ودفع توهم التعارض بين النقل والعقل.

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٣٣، ٢٤٢).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢/ ١٨٢)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢/ ١٧٠)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ١٠٤، ١٠٥).

المبحث الثاني
جمع النصوص في الباب الواحد وإعمالها

إن معقد السلامة من الانحراف عند بيان قضية عقدية وتفصيل أحكامها هو جمع ما ورد بشأنها من نصوص الكتاب والسنة على درجة الاستقصاء، مع تحرير دلالات كلٍّ، وتصحيح النقل عن النبي ﷺ، واعتماد فهم الصحابة والثقات من علماء السلف الصالح ﷺ، فإن بدا ما ظاهره التعارض بين نصوص الوحيين عند المجتهد -لا في الواقع ونفس الأمر-، فينبغي الجمع بين هذه الأدلة برد ما غمض منها واشتبه إلى ما ظهر منها واتضح، وتقييد مطلقها بمقيدها، وتخصيص عامها بخاصها، فإن كان التعارض في الواقع ونفس الأمر فبنسخ منسوخها بناسخها -وذلك في الأحكام دون الأخبار فلا يدخلها نسخ-، وإن لم يكن إلى علم ذلك من سبيل، فبرده إلى عالمه تبارك وتعالى.

قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[آل عمران:٧].

وفي الحديث قوله ﷺ: «**نزل الكتاب الأول من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زاجرًا وآمرًا، وحلالًا وحرامًا، ومحكمًا ومتشابهًا، وأمثالًا، فأحِلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا**»(١).

قال ابن عباس ﷺ: «يؤمن بالمحكم ويدين به، ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به،

---

(١) أخرجه ابن حبان (٧٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٦)، والحاكم في المستدرك (٢٠٣١)، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وصححه الحاكم، والألباني في الصحيحة برقم: ٥٨٧.

وهو من عند الله كله»[1].

وقال الربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا عبد الله، ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله، وما استأثر عليك به من علم فكله إلى عالمه، لا تتكلف فإن الله يقول لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[ص:٨٦]»[2].

وإذا اتضح هذا؛ فإنه لا يجوز أن يؤخذ نص وأن يطرح نظيره في نفس الباب، أو أن تعمل مجموعة من النصوص وتهمل الأخرى؛ لأن هذا مظنة الضلال في الفهم، والغلط في التأويل، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا»[3].

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض، فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين، إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة، بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها..»[4].

ومما يلتحق بهذا المعنى جمع روايات الحديث الواحد والنظر في أسانيده وألفاظه معًا وقبول ما ثبت، وطرح مالم يثبت، وكما قيل: والحديث اذا لم تجمع طرقه لم تتبين علله، ثم النظر في الحديث بطوله وفي الروايات مجتمعة.

وقد كانت لأهل البدع مواقف خالفوا بها إجماع أهل السنة بسبب مخالفتهم لهذا الأصل العظيم، فكانوا يجتزئون من النصوص بطرف، مع إغضاء الطرف عن بقية

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٨٦).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٣٦).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (٢/ ٢١٢).

(٤) الموافقات للشاطبي (١/ ٢٤٥، ٢٤٦).

الأطراف، فصارت كل فرقة منهم من الدين بطرف، وبقي أهل السنة في كل قضية عقدية وسطًا بين طرفين، فهم -مثلًا- وسط في باب الوعيد بين غلاة المرجئة القائلين بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، وبين الوعيدية من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد عصاة الموحدين في النار، كما أنهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين المرجئة القائلين بأن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان، وبين الوعيدية القائلين بتكفيره -كما هو عند الخوارج- أو بجعله بمنزلة بين المنزلتين -كما هو عند المعتزلة-، وهم وسط في باب القدر بين القدرية النفاة لمشيئته تعالى وخلقه أفعال العباد، وبين الجبرية النفاة لقدرة العبد واختياره ومشيئته ونسبة فعله إليه حقيقة، والقاعدة الهادية عند اشتباه الأدلة: «أن من رد ما اشتبه إلى الواضح منها، وحكَّم محكمها على متشابهها عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس»[1].

واتفق لأهل السنة والجماعة «موافقة طريقة السلف من الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث والفقه في الدين، كالإمام أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، وإسحاق، وغيرهم، وهي رد المتشابه إلى المحكم، وأنهم يأخذون من المحكم ما يفسر لهم المتشابه ويبينه لهم، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضًا، ويصدق بعضها بعضًا، فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره»[2].

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤١، ٤٢].

وقد حكى الباقلاني الإجماع على منع التعارض بين الأدلة الشرعية في نفس الأمر

---

(١) تفسير ابن كثير بتصرف يسير (١/ ٣٤٥).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٢٩٤).

مطلقًا، كما روى الخطيب البغدادي عنه ذلك فقال: «يقول الباقلاني: وكل خبرين علم أن النبي ﷺ تكلم بهما، فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين؛ لأن معنى التعارض بين الخبرين والقرآن من أمر ونهي وغير ذلك، أن يكون موجب أحدهما منافيًا لموجب الآخر، وذلك يبطل التكليف إن كانا أمرًا ونهيًا، وإباحة وحظرًا، أو يوجب كون أحدهما صدقًا والآخر كذبًا إن كانا خبرين، والنبي ﷺ منزه عن ذلك أجمع، ومعصوم منه باتفاق الأمة، وكل مثبت للنبوة»[١].

- ولما خالف أهل البدع هذه القاعدة كفَّر بعضهم بعضًا، حيث آمن بعضهم بنصوص وكفروا بأخرى، فقد آمن -مثلًا- الوعيدية: من الخوارج والمعتزلة بنصوص الوعيد[٢]، وكفروا بنصوص الوعد، وقابلهم المرجئة فآمنوا بنصوص الوعد[٣] وكفروا بنصوص الوعيد، وأهل السنة والجماعة آمنوا بكل وجمعوا بين النصوص، واعتمدوا على قول الله تعالى: ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[الأعراف:١٥٦].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:٤٨].

وكذا الجبرية آمنوا بما كفر به القدرية، وكفروا بما آمن به القدرية، والحق الإيمان بجميع النصوص، واعتقاد نفي التعارض بينها، قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[التكوير:٢٨، ٢٩]، فأثبت مشيئة للإنسان مقيدة بمشيئة الرحمن.

---

(١) الكفاية للخطيب البغدادي ص٤٣٣.

(٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة:٨١] وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[النساء:١٤] وقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات» يعني نمام، متفق عليه، وقوله «لا يدخل الجنة قاطع، يعني قاطع رحم» متفق عليه.

(٣) ومن ذلك قوله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» مسلم، وقوله: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرمه الله على النار» مسلم.

فأُتلفت -بحمد الله- النصوص واجتمعت، وزالت الشبه وارتفعت الحجب وانقلعت.

«وقد استعمل هذه القاعدة كثير من أئمة العلم والدين في كسر المبتدعة وتفنيد شبهاتهم، كصنيع الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الرسالة، وفي كتاب مختلف الحديث، وكذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على الجهمية، والإمام ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب مختلف الحديث، والطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مشكل الآثار، وغير هؤلاء كثير من أئمة السنة»[1].

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (١/ ٣٤٨).

المبحث الثالث

اشتمال الوحي على مسائل التوحيد بأدلتها

إن المصدر الذي تؤخذ منه مسائل أصول الدين هو الوحي، فكل ما يلزم الناس اعتقاده أو العمل به، قد بينه الله تعالى بالوحي الصادق عن طريق كتابه العزيز، أو بالواسطة من كلام المصطفى ﷺ، أو ما يرجع إليهما من إجماع صحيح، أو عقل صريح دل عليه النقل وأرشد إليه.

قال تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ** ﴾[النحل:٨٩].

وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ** ﴾[الإسراء:٩].

وفي الحديث قوله ﷺ: «..**وايم الله، لقد تركتكم على البيضاء، ليلها ونهارها سواء**»، قال أبو الدرداء: صدق رسول الله ﷺ، تركنا والله على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء[١]، وفي رواية أخرى: «**لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[٢].

وفي صحيح مسلم لما قيل لسلمان الفارسي ﷺ: «قد علَّمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة! فقال: أجل..»[٣].

ودخول مسائل التوحيد وقضاياه في هذا العموم من باب الأولى؛ بل «من المحال أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب»[٤].

والرسول ﷺ بيَّن مسائل التوحيد تارة بأدلتها النقلية مباشرة كأحوال البرزخ،

(١) أخرجه ابن ماجه (٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٩) من حديث أبي الدرداء ﷺ. وقد حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦٩٢)، والدارمي (٩٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤). وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢).

(٤) مجموع الفتاوي (٥/ ٧، ٨).

ومسائل اليوم الآخر، وتارة يجمع إلى الأدلة النقلية الأدلة العقلية ويرشد إليها، فإما أن تكون أدلة مسائل علم التوحيد أدلة نقلية، أو أدلة نقلية عقلية.

وبهذا الأصل المبارك اعتصم أهل السنة والجماعة، فصدروا عن الوحي في تعلم التوحيد في مسائله وأدلته، «ولم ينصبوا مقالة ويجعلوها من أصول دينهم وجمل كلامهم، إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول؛ بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة، هو الأصل يعتقدونه ويعتمدونه»[(١)].

وردوا عند التنازع في مسألة ما إلى نصوص الوحي، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا** ﴾[النساء:٥٩]، ومعنى الرد إلى الله سبحانه: «الرد إلى كتابه، ومعنى الرد إلى رسوله ﷺ: الرد إلى سنته بعد وفاته، وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين»[(٢)].

وفي إعمال هذه القاعدة نظر إلى الوحي بعين الكمال، واستغناء به عن غيره، واعتماد عليه، وتجنب اللوازم الباطلة لمذهب من يعوِّل على العقل أو الذوق دون الشرع، وتحقيق للإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ، ونجاة من مسالك أهل الأهواء الذين يتقدمون بين يدي الله ورسوله بعلومهم وعقولهم وأذواقهم، وحسم لمادة التقليد الباطلة، مع تحقيق الاجتماع والألفة ونبذ الاختلاف والفرقة.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٤٧).

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني ص٥٩٣.

المبحث الرابع

حجية فهم الصحابة والسلف الصالح

إذا اختلف أهل القبلة وتنازعوا الحق والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، فإن أجدر الفرق بالصواب وأولاها بالحق وأقربها إلى التوفيق من كان في جانب أصحاب محمد ﷺ، وإذا كان الكتاب الكريم حمال أوجه في الفهم مختلفة؛ فإن بيان أصحاب نبينا ﷺ له حجة وأمارة على الفهم الصحيح. أبر الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأصحها فطرة، وأحسنها سريرة، وأصرحها برهانًا، حضروا التنزيل وعلموا أسبابه، وفهموا مقاصد الرسول ﷺ وأدركوا مراده، اختارهم الله تعالى -على علم- على العالمين سوى الأنبياء والمرسلين، «فكل من له لسان صدق من مشهور بعلم أو دين، معترف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة ﷺ»(١).

«فمن أخبرنا الله ﷻ أنه علم ما في قلوبهم، فرضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم، أو الشك فيهم البتة»(٢).

قال قتادة رحمه الله -في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[سبأ:٦]: «أصحاب محمد ﷺ»(٣).

وقال سفيان رحمه الله -في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[النمل:٥٩]-: «هم أصحاب محمد ﷺ»(٤).

وفي منزلة علمهم واجتهادهم وفتاواهم قال الشافعي رحمه الله: «..فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًّا وخاصًّا، وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا،

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص١٦٥.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ١١٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٠).

ومن أدركنا ممن يرضى أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيها لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله»(١).

وأفضل علم السلف ما كانوا مقتدين فيه بالصحابة.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا تجد إمامًا في العلم والدين، كمالك، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ومثل الفضيل وأبي سليمان، ومعروف الكرخي، وأمثالهم، إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة، وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة، وهم يرون الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب»(٢).

ثم إن التابعين وتابعيهم قد حصل لهم من العلم بمراد الله ورسوله ما هو أقرب إلى منزلة الصحابة ممن هم دونهم؛ وذلك لملازمتهم لهم، واشتغالهم بالقرآن حفظًا وتفسيرًا، وبالحديث رواية ودراية، ورحلاتهم في طلب الصحابة وطلب حديثهم وعلومهم مشهورة معروفة، «ومن المعلوم أن كل من كان بكلام المتبوع وأحواله وبواطن أموره وظواهرها أعلم، وهو بذلك أقوم كان أحق بالاختصاص به، ولا ريب أن أهل الحديث أعلم الأمة وأخصها بعلم الرسول ﷺ»(٣).

والمسلمون في شأن العقيدة يحتاجون إلى «معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة، بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، فإن الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة، عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه،

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٨٠)، ونسبه إلى الشافعي في الرسالة البغدادية القديمة.
(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص١٦٥.
(٣) مجموع الفتاوي (٤/ ٩١).

فإن المعاني العامة التي يحتاج إليها عموم المسلمين، مثل معنى التوحيد، ومعنى الواحد والأحد والإيمان والإسلام، ونحو ذلك... فلابد أن يكون الصحابة يعرفون ذلك، فإن معرفته أصل الدين»[١].

فمذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم، لا كما يدعيه المخالفون، باختلاف نحلهم ومذاهبهم، فتارة يقول أهل السياسة والملك: إنهم لم يمهدوا قواعد الحكم والسياسة والتدبير لانشغالهم بالعلم والعبادة، وتارة يدعي أهل التصوف أنهم ما حققوا المقامات والأحوال لانشغالهم بالجهاد والقتال وهكذا.

والحق أن «كل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلّة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا»[٢].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن عرف قدر السلف، عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام، وكثرة الجدل والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة؛ لم يكن عيًّا، ولا جهلًا، ولا قصورًا، وإنما كان ورعًا وخشية لله، واشتغالًا عما لا ينفع بما ينفع»[٣].

وفي تحديد مفهوم السلف، قال سبحانه: ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾[التوبة: ١٠٠]، فالسلف اسم يجمع الصحابة فمن بعدهم ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وفي الصحيح: «**خير الناس قرني، ثم الذين**

(١) مجموع الفتاوي (١٧/ ٣٥٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٩، ٢٠).

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب ص٥٨.

يلونهم، ثم الذين يلونهم..»[١].

وهذه الخيرية خيرية علم وإيمان وعمل، ولقد حكى ابن تيمية رحمه الله الإجماع على خيرية القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة[٢].

ولقد اعتصم أهل السنة والجماعة بحجية فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين فعصمهم هذا من التفرق والضلال، فقالوا بما قال به السلف، وسكتوا عما سكتوا عنه، ووسعهم ما وسع السلف.

أما أهل الضلال والابتداع، فمذهبهم الطعن في الصحابة وتنكب طريق السلف، قال الإمام أحمد رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يذكر أحدًا من الصحابة بسوء، فاتهمه على الإسلام»[٣].

فالصحابة يكفرهم الرافضة تارة، والخوارج أخرى، والمعتزلة يقول قائلهم وهو عمرو بن عبيد -عليه من الله ما يستحق- : «لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان، على شراك نعل ما أجزت شهادتهم!»[٤].

وصدق أبو حاتم الرازي رحمه الله حين قال: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر»[٥].

ورضي الله عن أبي زرعة الرازي حيث قال : «إذا رأيتَ الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديقٌ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآن والسُّنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليُبْطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[٦].

---

(١) صحيح البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوي (٤/ ١٥٧، ١٥٨).

(٣) الصارم المسلول لابن تيمية (٣/ ١٠٥٨).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ١١٩).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٩).

(٦) الكفاية للخطيب ص٩٧.

المبحث الخامس
الإيمان بالنصوص على ظاهرها ورد التأويل

ويقصد بظاهر النصوص مدلولها المفهوم بمقتضى الخطاب العربي، لا ما يقابل النص عند متأخري الأصوليين، والظاهر عندهم ما احتمل معنى راجحًا وآخر مرجوحًا، والنص هو ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، «فلفظة الظاهر قد صارت مشتركة، فإن الظاهر في الفطر السليمة، واللسان العربي، والدين القيم، ولسان السلف، غير الظاهر في عرف كثير من المتأخرين»[1]، فالواجب في نصوص الوحي إجراؤها على ظاهرها المتبادر من كلام المتكلم، واعتقاد أن هذا المعنى هو مراد المتكلم، ونفيه يكون تكذيبًا للمتكلم، أو اتهامًا له بالعيّ وعدم القدرة على البيان عما في نفسه، أو اتهامًا له بالغبن والتدليس وعدم النصح للمكلف، وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى وحق رسوله الأمينﷺ.

ومراد المتكلم يُعلم إما باستعماله اللفظ الذي يدل بوضعه على المعنى المراد مع تخلية السياق عن أية قرينة تصرفه عن دلالته الظاهرة، أو بأن يصرِّح بإرادة المعنى المطلوب بيانه، أو أن يحتف بكلامه من القرائن التي تدل على مراده، وعلى هذا فصرف الكلام عن ظاهره المتبادر -من غير دليل يوجبه أو يبين مراد المتكلم- تحكم غير مقبول سببه الجهل أو الهوى، وهذا وإن سماه المتأخرون تأويلًا إلا أنه أقرب إلى التحريف منه إلى التأويل[2]، ولا يسلم لهذا المتأول تأويله حتى يجيب على أمور أربعة:

أحدها: أن يبين احتمال اللفظ لذلك المعنى الذي أورده من جهة اللغة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٣/ ١٧٥).

(٢) التأويل: هو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ. لسان العرب لابن منظور (١/ ٢٦٤).

الثاني: أن يبيِّن وجه تعيينه لهذا المعنى أنه المراد.

الثالث: أن يقيم الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره؛ لأن الأصل عدمه، قال ابن الوزير رَحِمَهُ اللهُ: «من النقص في الدين رد النصوص والظواهر، ورد حقائقها إلى المجاز من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب للتأويل..»[1].

الرابع: أن يبيِّن سلامة الدليل الصارف عن المعارض، إذ دليل إرادة الحقيقة والظاهر قائم، وهو إما قطعي، وإما ظاهر، فإن كان قطعيًّا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلابد من الترجيح[2].

ومما يدل على إعمال الظواهر أنه لا يتم بلاغ ولا يكمل إنذار، ولا تقوم الحجة ولا تنقطع المعذرة بكلام لا تفيد ألفاظه اليقين، ولا تدل على مراد المتكلم بها؛ بل على خلاف ذلك، فينتفي عن القرآن -والعياذ بالله- معنى الهداية، وشفاء الصدور، والرحمة، التي وصف الله تعالى بها كتابه الكريم، ومعاني الرأفة والرحمة والحرص على رفع العنت والمشقة عن الأمة، التي وصف الله تعالى بها نبيهﷺ في كتابه العزيز، وهو الذي ترك الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فلا التباس في أمره ونهيه، ولا إلغاز في إرشاده وخبره، باطنه وظاهره سواء،كيف لا، وهو القائل: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم..**»[3].

ودلالته ﷺ للأمة في شأن اعتقادها أهم أعماله، وأولاها بالإيضاح والإفهام بلسان عربي مبين، والجزم واقع بأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فهموها على وجهها الذي يفهمه العربي، بغير تكلف ولا تمحل في صرف ظواهرها، ومن كان باللسان العربي أعرف

(١) إيثار الحق لابن الوزير ص١٢٩.

(٢) مجموع الفتاوي (٦/ ٣٦٠-٣٦٢)، والصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ٢٨٨-٢٩٠)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٤/ ١٠٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ففهمه لنصوص الوحي أرسخ، وقد قال عمر ﷺ: «يا أيها الناس، عليكم بديوان شعركم في الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم»(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «لم يكن في الصحابة من تأول شيئًا من نصوصه -أي نصوص الوحي- على خلاف ما دل عليه، لا فيما أخبر به الله عن أسمائه وصفاته، ولا فيما أخبر به عما بعد الموت..»(٢).

وفي إنكار التأويل الكلامي ومناهج الفلاسفة ومن تأثر بهم من المتكلمين، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلًا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل - ولو كان مستكرهًا - ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم، وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف»(٣).

ويقول ابن القيم رحمه الله مبينًا خطورة التأويل فأصل خراب الدين والدنيا، إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دل عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل، وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل، وليس هذا مختصًّا بدين الإسلام فقط؛ بل سائر أديان الرسل لم تزل على الاستقامة والسداد حتى دخلها التأويل، فدخل عليها من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد(٤).

---

(١) الموافقات للشاطبي (٢/ ٨٨).

(٢) مجموع الفتاوي (١٣/ ٢٥٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٦٧).

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم (٤/ ٢١٦).

ففي لزوم الإيمان بالنصوص على ظاهرها ودفع التأويل المتعسف بغير دليل موافقة لنصوص الكتاب والسنة لفظًا ومعنى، مع بعد عن التكلف في الدين، والقول على الله بغير علم، والافتراء على رسوله الأمين، فضلًا عن ما في ذلك من مصلحة سد باب الخروج على العقيدة ببدعة محدثة، وسد باب الخروج على الشريعة، والاجتراء على الحرمات، والتهاون بالطاعات والوقوع في المنكرات، بصرف ألفاظ الوعد والوعيد عن حقيقتها وظاهرها، ودعوى أن كل ذلك غير مراد.

«وهذه القاعدة تفيد بطلان مذهب المفوضة في الصفات، الذين يفوضون معاني النصوص إلى الله، مدعين أن هذا هو مذهب السلف، وقد علم براءة مذهب السلف من هذا المذهب بتواتر الأخبار عنهم بإثبات معاني هذه النصوص على الإجمال والتفصيل، وإنما فوضوا العلم بكيفيتها لا العلم بمعانيها»[1].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين: إن في القرآن آيات لا يعلم معناها، ولا يفهمها رسول الله ﷺ، ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس، وهذا لا ريب فيه»[2].

بل كان قول أهل العلم: من الله البيان، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم.

ومما يشهد للصحابة في فهمهم مراد الله ومراد نبيه ﷺ، والأخذ بظواهر النصوص، وتفسيرها بما يظهر منها: قول ابن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا

(١) القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين ص٣٥.

(٢) مجموع الفتاوي (١٣/ ٢٨٥).

أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[١].

وقال مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار»[٢]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»[٣].

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»[٤].

فلم يتوقف الصحابة عن تفسير النصوص والأخذ بظواهرها؛ ويستثنى من ذلك النصوص الخاصة بصفات الله تعالى، فقد أخذوا بظواهرها فأثبتوها دون تفسير أو تكييف لمعناها.

قال الذهبي: «قال سفيان[٥] وغيره: قراءتها -أي آيات الصفات- تفسيرها، يعني أنها بينة واضحة في اللغة، لا يبتغى بها مضايق التأويل والتحريف»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٠).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٦).

(٥) وهو الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ، روى ذلك عنه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٣١)، والدارقطني في الصفات ص٤١، ٤٢، وانظر: الاعتقاد للبيهقي ص١١٨، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١/ ١١٤، ١١٥).

(٦) العلو للذهبي ص٢٥١.

المبحث السادس

درء التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل

مما ينبغي اعتقاده أن نصوص الكتاب والسنة الصحيحة والصريحة في دلالتها، لا يعارضها شيء من المعقولات الصريحة، ذلك أن العقل شاهد بصحة الشريعة إجمالًا وتفصيلًا، فأما الإجمال، فمن جهة شهادة العقل بصحة النبوة وصدق الرسول ﷺ، فيلزم من ذلك تصديقه في كل ما يخبر به من الكتاب والحكمة.

وأما التفصيل، فمسائل الشريعة ليس فيها ما يرده العقل؛ بل كل ما أدركه العقل من مسائلها فهو يشهد له بالصحة تصديقًا وتعضيدًا، وما قصر العقل عن إدراكه من مسائلها، فهذا لعظم الشريعة، وتفوقها، ومع ذلك فليس في العقل ما يمنع وقوع تلك المسائل التي عجز العقل عن إدراكها، فالشريعة قد تأتي بما يحير العقول لا بما تحيله العقول.

فإن وجد ما يوهم التعارض بين العقل والنقل، فإما أن يكون النقل غير صحيح أو يكون صحيحًا ليس فيه دلالة صحيحة على المدعى، وإما أن يكون العقل فاسدًا بفساد مقدماته.

فمن احتج -مثلًا- في إنكار الصفات الإلهية بأن لازم ذلك إثبات آلهة مع الله، فقد احتج بعقل غير صحيح؛ بل لا يجوز تسمية ذلك عقلًا أصلًا؛ إذ لا يجوز في العقل وجود موجود مجرد عن الصفات؛ بل هو من أعظم الممتنعات العقلية؛ لأنه يستلزم رفع النقيضين، حيث يقال: هو موجود ولا موجود، ولا يقال هذا في حق المخلوق، فلا يستلزم إثبات المخلوق متصفًا بصفات السمع والبصر والكلام والحياة أن يتعدد المخلوق، بحيث تكون كل صفة منها إنسانًا قائمًا بنفسه، وهذا معلوم البطلان في حق المخلوق، وبطلانه في حق الخالق أظهر وأولي فهذا عقل فاسد لا يقاوم النقل الصحيح

الصريح من آيات الصفات وأحاديثها.

وقد يكون النقل مكذوبًا والعقل صحيحًا، كما في حديث يروى عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «قيل يا رسول الله: مم ربنا؟ قال: من ماء مرور، لا من أرض، ولا من سماء، خلق خيلًا فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق...»[1].

ففي هذا الكذب وأمثاله لا يقال إنه يعارض دليل العقل، فلا يصلح أن يكون دليلًا فضلًا عن أن ينسب إلى الشرع ليعارض به العقل، علاوة على أن الأدلة الشرعية تنقضه وتبطله.

وقد يكون النقل صحيحًا، إلا أنه لا يدل على المعنى المدعى، فيتوهم التعارض بين المنقول والمعقول، كما في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني**... الحديث»[2].

فمن فهم من الحديث أن الله تعالى يمرض أو يجوع ويعطش لم يفهم معنى الحديث لأن الحديث فسره المتكلم به، وبين المراد منه، وهو أن العبد هو الذي جاع وعطش ومرض، وأن الله تعالى منزه عن ذلك.

«والمقصود هو بيان أنه إذا ظهر تعارض بين الدليلين النقلي والعقلي، فلابد من أحد ثلاثة احتمالات:

الأول: أن يكون أحد الدليلين قطعيًّا والآخر ظنيًّا، فيجب تقديم القطعي نقليًّا كان أو عقليًّا، وإن كانا ظنيين فالواجب تقديم الراجح، عقليًّا كان أو نقليًّا.

الثاني: أن يكون أحد الدليلين فاسدًا، فالواجب تقديم الدليل الصحيح على

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي حسن الكناني (١/ ١٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٩).

الفاسد سواء أكان نقليًّا أم عقليًّا.

الثالث: أن يكون أحد الدليلين صريحًا والآخر ليس بذاك، فهنا يجب تقديم الدلالة الصريحة على الدلالة الخفية، لكن قد يخفي من وجوه الدلالات عند بعض الناس ما قد يكون بينًا وواضحًا عند البعض الآخر، فلا تعارض في نفس الأمر عندئذٍ.

أما أن يكون الدليلان قطعيين -سندًا ومتنًا- ثم يتعارضان، فهذا لا يكون أبدًا، لا بين نقليين، ولا بين عقليين، ولا بين نقلي وعقلي»[١].

وخلاصة اعتقاد أهل السنة في هذا الباب «أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه»[٢].

وقد أعمل الصحابة ﷺ هذا الأصل، وتلقاه عنهم التابعون، وتواترت عبارات أهل العلم بهذا المعنى.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم»[٣].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «كل شيء خالف أمر رسول الله ﷺ سقط، ولا يقوم معه رأي ولا قياس، فإن الله تعالى قطع العذر بقول رسول الله ﷺ ، فليس لأحد معه أمر

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (١/ ٣٦٦).

(٢) درء التعارض لابن تيمية (١/ ٢٣١، ٢٣٢).

(٣) مجموع الفتاوي (١٣/ ٢٨).

ولا نهي غير ما أمر هو به»[1].

وقال الإمام مالك رحمه الله: «أوكلما جاء رجل أجدل من الآخر، رد ما أنزل جبريل على محمد ﷺ»[2].

ومن ثمرات الالتزام بهذه القاعدة، إثبات عصمة الشرع الحكيم إذ ليس فيه ما يخالف العقل الصحيح، وسد باب التأويل والتفويض، واستقامة الحياة على الوجه الأتم الأكمل عند نفي التعارض بين وحي الله تعالى وخلقه، فتنعم البشرية بهدي الله وشرعه وتنتفع بما أنعم على خلقه.

---

(١) الأم للشافعي (٢/ ١٩٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٤٤).

المبحث السابع
موافقة النصوص لفظًا ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ

لاشك أن متابعة الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى أكمل وأتم من متابعتها في المعنى دون اللفظ، ويكون ذلك باعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص، فيثبت ما أثبته الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «إن النبي ﷺ كان يحافظ على ألفاظ القرآن تقديمًا وتأخيرًا، وتعريفًا وتنكيرًا كما يحافظ على معانيه، ومنه قوله وقد بدأ بالصفا: «**أبدأ بما بدأ الله به**»[(٢)]، ومنه بداءته في الوضوء بالوجه ثم اليدين اتباعًا للفظ القرآن[(٣)] ومنه قوله في حديث البراء ابن عازب: «آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت»[(٤)] موافقة لقوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ**﴾[الأحزاب:٤٥]»[(٥)].

ولهذا منع جمع من العلماء نقل حديث الرسول ﷺ بالمعنى، ومن أجازه اشترط أن

---

(١) مجموع الفتاوي (١٦/ ٤٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ**﴾ [المائدة:٦].

(٤) عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ: علمه ما يقول إذا أوى إلى فراشه، فكان مما علمه أن يقول: «**اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت**» قال البراء: فردَّدتها على النبي ﷺ فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: «**لا، ونبيك الذي أرسلت**». رواه البخاري (٢٤٧، ٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠).

(٥) بدائع الفوائد، ابن القيم (٤/ ٩١٢-٩١٣).

يكون الناقل عالمًا بما يحيل المعنى من اللفظ، مدركًا لأساليب العرب حتى يستبين الفروق، وأما شأن العقيدة خاصة فهو أعظم وأخطر؛ لذا كان هدي أهل السنة والسلف مراعاة الألفاظ ومعانيها معًا.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه في الله وصفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات؛ بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول»[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها، فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه.

والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع، ثم قد يجعل اللفظ حجة بمجرده وليس هو قول الرسول الصادق المصدوق وقد يضطرب في معناه، وهذا أمر يعرفه من جربه من كلام الناس، فالاعتصام بحبل الله يكون بالاعتصام بالقرآن والإسلام كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[آل عمران: ١٠٣]. ومتى ذكرت ألفاظ القرآن والحديث وبين معناها بيانًا شافيًا فإنها تنتظم جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة، وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس، وهي محفوظة مما دخل في كلام الناس من الباطل كما قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] وقال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[هود:١] وقال: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[يونس:١]، وفيه من دلائل الربوبية والنبوة والمعاد ما لا يوجد في كلام أحد من العباد، ففيه أصول الدين المفيدة لليقين، وهي أصول دين الله ورسوله لا

(١) مجموع الفتاوي (٥/ ٤٣٢).

أصول دين محدث ورأي مبتدع»[١].

والألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة إما أن تكون اصطلاحات متعينة للدلالة على الحق ولا تستعمل في غير هذا، فليزم استعمالها فيما اصطلح عليه من المعاني الصحيحة، وهكذا الأمر فيما استعمله السلف الصالح من الألفاظ الشرعية.

وإما ألا تتعين للدلالة على الحق، بل تكون مجملة تحتمل حقًا وباطلًا، فإذا عرف مراد صاحبها وكان موافقًا للمعنى الصحيح، قُبل منه المعنى، ومنع من التكلم باللفظ المجمل، وعُلِّم الألفاظ الشرعية في ذلك.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد؛ بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه حتى يعرف مراده، فإن أراد به حقًّا قبل، وإن أراد به باطلًا رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقًا ولم يُرد جميع معناه؛ بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها، فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره، ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها، أو بين مراده بها بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي»[٣].

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: «والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من

(١) النبوات لابن تيمية ص٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) التدمرية لابن تيمية بتحقيق محمد السعوي ص٦٥، ٦٦.

(٣) مجموع الفتاوي (١٢/ ١١٤).

الألفاظ والمعاني. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحًا قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها[(١)] ونحو ذلك»[(٢)].

وإنما توجه القول بمنع استعمال هذه الألفاظ المحتملة سدًّا لباب التلبيس الذي قد يدخل منه أهل البدع على عامة الناس، فيروجوا بضاعتهم الفاسدة.

قال الإمام أحمد رحمه الله في مقدمة كتاب الرد على الجهمية: «يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من الفتن»[(٣)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله معلقًا على كلام الإمام أحمد: «والمقصود هنا قوله: يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم. وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس هو الذي يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة، وتلك الألفاظ تكون موجودة مستعملة في الكتاب والسنة وكلام الناس لكن بمعان أخر غير المعاني التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معان أخر فيحصل الاشتباه والإجمال، كلفظ العقل والعاقل والمعقول، فإن لفظ العقل في لغة المسلمين إنما يدل على عرض إما مسمى مصدر عقل يعقل عقلًا، وإما قوة يكون بها العقل وهي الغريزة، وهم يريدون بذلك جوهرًا مجردًا قائمًا بنفسه، وكذلك لفظ المادة والصورة، بل وكذلك لفظ الجوهر، والعرض، والجسم، والتحيز، والجهة، والتركيب، والجزء، والافتقار، والعلة، والمعلول، والعاشق، والعشق، والمعشوق، بل ولفظ الواحد في

---

(١) وذلك مثل مخاطبة أهل الكلام والفلسفة في أبواب البحث والمناظرة لإقامة الحجة عليهم بما التزموه من أصول.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٣٩).

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص٦.

التوحيد، بل ولفظ الحدوث والقدم، بل ولفظ الواجب والممكن، بل ولفظ الوجود والموجود والذات، وغير ذلك من الألفاظ »[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم، ثم ركبوها وألفوها تأليفًا طويلًا بنوا بعضه على بعض، وعظموا قولهم وهولوه في نفوس من لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقة وغموضًا لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعاني المشتبهة، فإذا دخل معهم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته فأخذ يعترض عليهم، قالوا له: أنت لا تفهم هذا، وهذا لا يصلح لك، فيبقى ما في النفوس من الأنفة والحمية يحملها على أن تسلم تلك الأمور قبل تحقيقها عنده، وعلى ترك الاعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعامة ما يلبس به هؤلاء النفاة -أي نفاة الصفات- ألفاظ مجملة متشابهة، إذا فسرت معانيها وفصل بين ما هو حق منها وبين ما هو باطل زالت الشبهة، وتبين أن الحق الذي لا محيد عنه هو قول أهل الإثبات للمعاني والصفات»[٣].

وكذا فإن منع استعمال هذه الألفاظ المحتملة قطع لما تفضي إليه من التنازع والاختلاف في الأمة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن كثيرًا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلًا عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٢٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٩٥).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٢٢٧).

يلزم أن من خالفه يكون مخطئًا؛ بل يكون في قوله نوع من الصواب، وقد يكون هذا مصيبًا من وجه وهذا مصيبًا من وجه، وقد يكون الصواب في قول ثالث. وكثير من الكتب المصنفة في أصول علوم الدين وغيرها، تجد الرجل المصنف فيها في المسألة العظيمة كمسألة القرآن والرؤية والصفات والمعاد وحدوث العالم وغير ذلك، يذكر أقوالًا متعددة، والقول الذي جاء به الرسول وكان عليه سلف الأمة ليس في تلك الكتب؛ بل ولا عرفه مصنفوها ولا شعروا به، وهذا من أسباب توكيد التفريق والاختلاف بين الأمة، وهو مما نهيت الأمة عنه كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[آل عمران: ١٠٥، ١٠٦]، قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»[1].

---

(١) مجموع الفتاوي (١٢/ ١١٤، ١١٥).

المبحث الثامن
الكف عما سكت عنه الله ورسوله وأمسك عنه السلف

كل مسألة من المسائل الشرعية -ولا سيما مسائل الاعتقاد- لا يحكم فيها، نفيًا أو إثباتًا إلا بدليل، فما ورد الدليل بإثباته أثبت، وما ورد بنفيه نُفي، وما لم يرد بإثباته ولا بنفيه دليل توقفنا، ولم نحكم فيه بشيء؛ لا إثباتًا ولا نفيًا، ولا يعني هذا أن المسألة خلية عن الدليل، بل قد يكون عليها دليل، لكن لا نعلمه، فالواجب التوقف: إما مطلقًا أو لحين وجدان الدليل.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ما لم يرد به الخبر إن علم انتفاؤه نفيناه وإلا سكتنا عنه فلا نثبت إلا بعلم ولا ننفي إلا بعلم...فالأقسام ثلاثة: ما علم ثبوته أثبت، وما علم انتفاؤه نفي، وما لم يعلم نفيه ولا إثباته سكت عنه، هذا هو الواجب، والسكوت عن الشيء غير الجزم بنفيه أو ثبوته»[١].

وقد وردت كثير من نصوص الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة السلف وأهل السنة بالأمر بالكف عما لم يرد في الشرع، والسكوت عما سكت عنه الله ورسوله وأمسك عنه السلف، وترك الخوض فيما لا علم للإنسان به من دليل أو أثر.

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾[الإسراء:٣٦] قال قتادة: «لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله سائلك عن ذلك كله»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان**

---

(١) المصدر السابق (١٦/ ٤٣١، ٤٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧).

قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[(١)].

وقال ﷺ: «إن الله ﷻ فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها»[(٢)].

وقال ابن مسعود ﷺ: من عَلِمَ فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم؛ فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿ **قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ** ﴾[ص:٨٦] الحديث[(٣)].

وترجم الإمام البخاري ﷺ في كتاب الاعتصام من «صحيحه»: «باب: ما يُكرهُ من كثرة السؤال، ومَنْ تكلَّف ما لا يَعْنِيهِ، وقوله تعالى: ﴿ **لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾[المائدة:١٠١]»، و«باب: ما يُذْكرُ من ذمِّ الرأي وتَكَلُّفِ القياس ﴿ **وَلَا تَقْفُ** ﴾ لا تقل ﴿ **مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾[الإسراء:٣٦]»[(٤)].

وسأل رجل أبا حنيفة ﷺ: ما تقول فيما أحدثه الناس في الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: «مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة»[(٥)].

وروى اللالكائي بسنده عن أبي إسحاق قال: سألت الأوزاعي فقال: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٢) رواه الدارقطني في سننه (٤٢)، والحاكم في المستدرك (٧١١٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٧٨) وصححه.

(٣) رواه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٥٨).

(٥) ذم الكلام للهروي (٤/ ٢١٣).

سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»[١].

وقال إبراهيم النخعي: «لو بلغنى عنهم -يعنى الصحابة- أنهم لم يجاوزوا بالوضوء ظفرًا ما جاوزته به، وكفى على قوم وزرًا أن تخالف أعمالهم أعمال أصحاب نبيهم ﷺ»[٢].

وقال الشعبي: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول». وقال أيضا: «ما حدثوك به عن أصحاب محمد ﷺ فخذه وما حدثوك به عن رأيهم فانبذه في الحش»[٣].

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله: «ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة، لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا، وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر»[٤].

وقال ابن رجب رحمه الله: «فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد والرقائق، والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولًا، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهّمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عُني واشتغل»[٥].

---

(١) المصدر السابق (٣١٥).

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ١٥١).

(٣) المصدر السابق (٤/ ١٥٢).

(٤) الصارم المنكي، لابن عبد الهادي ص٤٢٧.

(٥) فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب ص١٥٠.

أسئلة الفصل الثالث

من الباب الثاني

أولًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- السنة ليست صنوًا الكتاب في وجوب التعظيم والتسليم.

٢- قال الإمام أبو حنيفة: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

٣- قال الطحاوي: «من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم».

٤- قال عمرو بن عبيد: «لو كانت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ في اللوح المحفوظ لم يكن لله على العباد حجة».

٥- آمن الجبرية بما كفر به القدرية وكفروا بما آمن به القدرية.

٦- آمن الجبرية والقدرية بكل ما جاء عن الله وعن رسوله دون تعطيل.

٧- تؤخذ مسائل أصول الدين من كلام المعتزلة، فهم أدرى بمعقولاتها.

٨- كان النبي ﷺ يبين مسائل التوحيد تارة بأدلته النقلية مباشرة وتارة يجمع إلى الأدلة النقلية الأدلة العقلية.

٩- قال قتادة في قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾: هم أصحاب محمد ﷺ.

١٠- قال الأوزاعي: «إذا رأيت الرجل يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام».

١١- قال أبو حاتم الرازي: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر».

١٢- من قواعد الاستدلال وضوابطه في مسائل الاعتقاد: الإيمان بوجوب تأويل

نصوص الوحيين.

١٣- قال ابن تيمية: «كان في الصحابة من تأوَّل شيئًا من نصوص الوحي».

١٤- قال ابن القيم: «وأصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه».

١٥- مذهب السلف الصالح اعتماد تأويل الصفات خشية الوقوع في التشبيه.

١٦- إذا كان أحد الدليلين العقلي والنقلي قطعيًا، والآخر ظنيًا فيجب تقديم القطعي منهما.

١٧- لا يجوز نقل حديث رسول الله ﷺ بالمعنى قولًا واحدًا.

١٨- قال الشعبي: «عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول».

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١- السنة النبوية......الكتاب في وجوب التعظيم:

أ- صنو. ب- تختلف عن. ج- تفارق.

٢- قال مالك: «الاستواء غير......، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»:

أ- معلوم. ب- مجهول. ج- متخيل.

٣- «من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم» هذا من أقوال:

أ- أبي حنيفة. ب- سفيان. ج- الزهري.

٤- «لو كانت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ في اللوح المحفوظ لم يكن لله على العباد حجة» هذا من قول:

أ- عمرو بن عبيد. ب- الزهري. ج- سفيان بن عيينة.

٥- ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ قال ...هم أصحاب رسول الله ﷺ.

أ- الأوزاعي. ب-عمرو بن عبيد. ج-سفيان.

٦- «لم يكن في الصحابة من تأوّل شيئًا من نصوص الوحي»، هذا من كلام:

أ- ابن القيم. ب-ابن تيمية. ج-ابن رجب.

٧- «علامة أهل البدع الوقوع في أهل الأثر»، هذا من كلام:

أ- أبي حاتم الرازي. ب-ابن كثير. ج-ابن تيمية.

٨- إذا كان أحد الدليلين-العقلي والنقلي-صريحًا والآخر ليس كذلك وجب:

أ- تقديم الدلالة الخفية على الدلالة الصريحة.

ب-تقديم الدلالة الصريحة على الدلالة الخفية. ج- الترجيح بينهما.

٩- رواية الحديث بالمعنى:

أ- لا تجوز اتفاقًا. ب-تجوز اتفاقًا. ج-منع منها بعض العلماء.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١- من قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد: جمع النصوص في الباب الواحد وإعمالها. اشرح هذا تفصيلًا مع سوق الأدلة.

٢- قام الإجماع على منع التعارض بين الأدلة الشرعية في نفس الأمر مطلقًا. اشرح هذا.

٣- من قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد: اشتمال الوحي على مسائل التوحيد بأدلتها التفصيلية. اشرح هذا مع ذكر الأدلة.

٤- ما معنى قولهم: أجدر الفرق بالصواب وأولاها بالحق وأقربها إلى التوفيق من كان في جانب أصحاب محمد ﷺ ؟

٥- من قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد: الإيمان بالنصوص على

ظاهرها ورد التأويل. اشرح هذا مع ذكر الأدلة.

٦- وضح المراد بدرء التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل.

٧- إذا وجد تعارض بين الدليلين النقلي والعقلي فلابد من أحد ثلاثة احتمالات. اذكرها مع الشرح.

١٠- وضح المراد بأن موافقة النصوص لفظًا ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ.

١١-اختلف أهل العلم في حكم نقل حديث النبيﷺ بالمعنى، فصل القول في ذلك.

١٢- كل مسألة من المسائل الشرعية-ولا سيما مسائل الاعتقاد-لا يحكم فيها نفيًا أو إثباتًا إلا بدليل، اشرح مع ذكر الأدلة المؤيدة لما تقول.

البَابُ الثَّالِثُ

مجمـل اعـتقاد أهل السنة والجماعة



الباب الأول: مبادئ ومقدمات

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مبادئ علم الإيمان ومقدماته

- أوَّلُ الواجباتِ، وأعظمُ المهماتِ: توحيدُ ربِّ الأرضِ والسموات.
- والتوحيدُ شرطُ صحةِ العباداتِ، والسببُ لقَبولِ الطاعات.
- وهو أصلُ دعوةِ النبيين والمرسلين، وغايةُ خلقِ الإنسِ والجنِّ أجمعين.
- **أسماؤهُ**: أسماءُ هذا العلمِ - لشرفِهِ- كثيرةٌ، وألقابُهُ - لجلالته- شهيرة.
- «**فالإيمانُ**» و«**السُّنَّةُ**»، و«**التوحيدُ**» و«**العقيدةُ**»، و«**أصولُ الدِّينِ**» و«**الشريعةُ**»، وأوَّلها إطلاقًا وتصنيفًا «**الفقهُ الأكبر**»، وكلٌّ أسماءٌ شرعيةٌ حميدةٌ.
- و«علمُ الكلامِ» و«الفلسفةُ» أسماءٌ بِدْعِيَّةٌ ذميمة.
- **حَدُّه**: هو العلمُ بالأحكامِ الشرعيةِ الإيمانيةِ المستمدُّ من الأدلَّةِ المرضيَّةِ، وردُّ الشبهاتِ وقوادحِ الأدلَّةِ الخلافيَّةِ.
- **نِسبتُه**: علمُ التوحيدِ أصلٌ، وما سواه فرعٌ، قائمٌ بنفسه، ولا يُغني عنه غيره.
- **حُكمُه**: منه فرضُ عَينٍ، ومنه فرضُ كِفايةٍ.
- فأمَّا فرضُ العينِ: فمعرفةُ ما تَصِحُّ به العقيدةُ بالأدلةِ الإجمالية، وهو ما تُسألُ عنه جميعُ البَرِيَّة.
- وأمّا فرضُ الكفايةِ: فما زادَ على ذلكَ مِنَ التفصيلِ، والتدليلِ والتعليلِ، والقدرةِ على إلزام المعاندين، وإفحام المخالفين.
- **فَضلُه**: وكما أنَّ الإيمانَ أفضلُ الأعمالِ؛ فإنَّ عِلمَه أفضلُ العلومِ؛ متعلَّقًا وموضوعًا، ومَعلومًا واستمدادًا.
- فأمَّا متعلَّقُه: فبالله الحيِّ القيومِ المتعال، المتفردِ بصفاتِ الجلال، ونعوتِ الجمالِ والكمال.

- **وموضوعه**: رَبُّ العالمين، وصفوةُ خلق الله أجمعين، من حيث ما يجب ويجوز ويمتنع، ورسالاتُهم من حيث ما يجب اعتقاده على المكلفين.
- **ومعلُومُه**: الأحكامُ المتعلقةُ بالمسائلِ الاعتقاديةِ.
- **واستمدادُهُ**: من الفطرةِ السَّويَّةِ، وصحيحِ المنقولِ، والإجماعِ المقبولِ، وصريحِ المعقولِ.
- **غايتُه**: بالنسبة للمكلَّفين:

تصحيحُ العقيدةِ، وإفرادُ الله وحْدَهُ بالعبادةِ، والترقِّي من الإيمان المجمَلِ إلى المفصَّلِ، ومن حالِ التقليدِ إلى حالِ اليقينِ والإذعان، والتصديقُ عن حُجَّةٍ وبرهانٍ، وانشراحُ الصدرِ واستقرارُ الفكرِ، والتحقُّقُ بأعمالِ القلب، وتحرُّكُ الجوارحِ بما يُرضي الرَّبَّ، والنجاةُ في الدنيا من البدع والشبهات، والنجاةُ في الآخرة من الخلود في النَّار، ودخولُ الجنَّات.

- وبالنسبة لمجتمعات المسلمين:

فالحياةُ الطيبةُ، والبركاتُ المتتابعةُ، وازدهارُ الحضاراتِ، وأمنُ المجتمعاتِ، واستخلافُ المؤمنين، والتمكينُ لهذا الدِّين.

- وبالنسبةِ للعلمِ نفسِهِ، وعلومِ الإسلامِ:

فحفظُ العلمِ بحفظِ قواعدِه، وإدراكُ أصولِهِ ومسائلِه.

وتحصيلُ القدرةِ على إرشاد المسترشِدِين، وتعليمُ الراغبين، ونفيُ تحريفِ الغالين، وانتحالِ المبطلين، وتأويلِ الجاهلين، وإقامةُ الحجةِ على المخالفين، وفي ذلك إقامةُ الدِّين.

- **واضِعُهُ**: الأئمةُ الفحولُ الثقاتُ العدولُ؛ كالأربعةِ المتبوعين، ومَن حذا حذوَهم مِن أعيانِ السلفِ الصالحين.

الفَصْلُ الثَّانِي

فضل الإسلام وأهله

- الدِّينُ الحقُّ هو الإسلامُ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩]، وهو الاستسلامُ بالتوحيدِ الخالصِ للهِ، والاتباعُ الكاملُ لرسولِهِ ﷺ، والبراءةُ من الشركِ وأهلِه.

- والإسلام العام هو دينُ الأنبياءِ والمرسلين، قال تعالى عن نوحٍ عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[يونس: ٧٢]، وقال اللهُ تعالى لإبراهيمَ عليه السلام: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١]، وقال إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[البقرة: ١٢٨]، وبالإسلامِ أوصى إبراهيمُ ويعقوبُ عليهما السلام قائلَين: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢]، وموسى عليه السلام يقولُ: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[يونس: ٨٤]، وقال الحواريُّون لعيسى عليه السلام: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٥٢].

- والرسالةُ الخاتمةُ المَرْضيَّةُ هي الإسلامُ، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

- ولا يَسَعُ أحدًا أن يتديَّنَ بغيرِ الإسلامِ الذي أنزلَهُ اللهُ على خاتمِ الأنبياءِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥].

- وفي الصحيح: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

- إذ الإسلامُ دينُ الفطرةِ، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ

﴿ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ٣٠].

- وهو دينُ الهدى والرحمةِ، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩].
- وهو دينُ اليسرِ ونفيِ الحرجِ، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[الحج: ٧٨].
- وهو دينُ التحرُّرِ من كلِّ عبوديةٍ لغيرِ الله، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ٦٤].
- وهو دينُ العلمِ والعقلِ، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[ص: ٢٩].
- والمسلمون هم خَيرُ أمَّةٍ أُخرجت للنَّاسِ، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[آل عمران: ١١٠].
- وهم الأمَّةُ الوسَطُ، والشهداءُ العدولُ على جميعِ الأممِ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[البقرة: ١٤٣].

الفَصْلُ الثَّالِث

أهل السنة والجماعة وخصائصهم

- وخيرُ المسلمين: «أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ»، وهم الصَّحَابةُ ﷺ ومن تبعهم بإحسانٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.
- وهم السَّلَفُ الصالحُ، وأهلُ الاتِّباعِ والأثرِ، وأهلُ الحديثِ والخبرِ، وهم الفِرقةُ الناجيةُ، والطائفةُ المنصورةُ، أسماؤهم كريمةٌ، ونسبتهم شريفة.
- وكلُّ مَنْ رضيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دِينًا، وبمُحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورَسُولًا، ملتزمًا بالإسلامِ جملةً، محكِّمًا شريعتَهُ استسلامًا وانقيادًا، وبَرِئَ من كلِّ مذهبٍ بِدْعيٍّ - فهو من أهلِ السُّنةِ والجَماعةِ.
- وهذا يشملُ جمهورَ الأُمَّةِ الذين لم يخالفوا السنةَ في أمرٍ كليٍّ، ولم يَنْضَووا تحتَ رايةٍ بِدْعيَّةٍ، ولم يُكَثِّروا سَوادَ فرقةٍ غيرِ مَرْضيَّةٍ.
- وهم وَسَطٌ بين فِرَقِ الأُمَّةِ جميعًا.
- لا يختصُّ بهم مكانٌ، ولا يخلو عنهم زمانٌ.
- لا يَخرجون في عقيدتهم عمَّا كان عليه النَّبيُّ ﷺ والصَّحابةُ ﷺ.
- أهلُ العنايةِ بالقرآنِ، وأهلُ الرِّعايةِ لسُنَّةِ خيرِ الأنام ﷺ.
- وهم أهلُ الاجتماعِ على الاتِّباعِ، النابذون للفُرْقَةِ والابتداعِ.
- يُوالُون بالحقِّ، ويُعادون بالحقِّ، وبه يَحكُمون.
- لَا تَنفكُّ سِيَرُهم حسنةً، كما أنَّ عقيدتَهم قويمةٌ، وشَرِيعَتَهم مُسْتقيمةٌ.
- أخلاقُهم رَبَّانيَّـةٌ، ومسالكُهم وَسَطيَّـةٌ، وتربيتُهم إيمانيةٌ.

- لا يخالفون في التربيةِ والسلوكِ هدي المعصومِ ﷺ؛ فبأدبِهِ يتأدبون، وعلى أَثَرِه يعملون، وعن سنَّتِهِ لا يحيدون.
- يُعَلِّمون ويُربُّون، ويأمُرون وَينهَون، وإلى الله تعالى يَدْعون، وعليه يَدُلُّون، وفي سبيلِه يُجاهِدُون.
- لا تزالُ طائفتُهم مجاهدةً بالحُجَّةِ والبيانِ، وباليدِ والسِّنانِ، ظاهرةً منصورةً ، لا يَضُرُّها مَنْ خَذَلَها أو خَالفَها حتى تَقُومَ الساعةُ.
- أعيانُهم قُدوةُ السائرين، وأئمتُهم منارُ الحائرين، وحُجَّةُ الله على الخلقِ أجمعين.
- وهم في الفضلِ متفاوتون، وعلى كثرةِ فَضَائِلِهم فَلَيسَ بينهم مَعْصُومٌ إلا النبيُّ المعصومُ ﷺ.
- بميزانِ الشريعةِ يَحكُمون، وبإقامةِ الدِّين يتواصَون، فيَنْهَونَ عن تَرَخُّصٍ جافٍ وَتَنَطُّعٍ غالٍ، وَتَهوُّرٍ واندفاعٍ أو عجزٍ وانقطاعٍ.
- يَسْأَلون اللهَ العافيةَ، ولا يتعرَّضُونَ للبلَاءِ، فإذا نَزلَ بِهم قَدَرُ الله كانوا هُمُ الرِّجالَ، يَثْبُتونَ ويُثَبِّتون.
- يَعتزِلُون المعاصي، ولا يُخَالِطُون النَّاسَ إلا في خير.
- سَرِيرَتُهم نَقِيَّةٌ، ولا يقولون بالتَّقِيَّةِ، يُدارون النَّاسَ ولا يداهنونهم.
- يَصِلُون مَنْ قَطَعَهم، ويُعطُون مَنْ مَنعَهم، ويَعْفُون عمَّن ظَلَمهم.
- يأخذون العفوَ، ويأمرون بالعُرفِ، ويُعرِضُون عن الجاهِلين.
- يَصْبِرون ويَحْلُمون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون.
- بمحبةِ الله تعالى يشتهرون، ومن خشيةِ الله يُشفقون، وبقلَّةِ الضَّحِكِ وَالفَرَحِ بالدنيا يُميَّزون.
- يَحِرِصُون على الصلاة مع الجماعةِ، ويُواظِبون على البرِّ والطَّاعةِ.
- بقيام اللَّيلِ يتشرَّفون، وبِوجلِ القلوبِ ودَمْعِ العيونِ وكثرةِ الصيامِ والذكرِ يُعرَفون، إذا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ.

- يكُفُّون ألسنتَهم: صمتُهم طويلٌ، ونُطقُهم قليلٌ، والحكمةُ تجري في كلماتهم.
- يُفتِّشون سرائرَهم، ويَحفظون جوارحَهُم، ويُلْهَمون السَّدادَ في أعمالِهم.
- يَبْذُلُون الصَّدقةَ بِسَخَاءٍ، ويَجودُونَ بِكلِّ عَطَاءٍ.
- يَشْكُرونَ في السَّرَّاءِ، ويتَصبَّرون في الضَّرَّاء، ويتضرَّعون عند نزولِ البلاءِ.
- يُغَلِّبون الرَّجاءَ في الشِدَّةِ، وَيغْلِبُهم الخوفُ في الرَّخاءِ.
- يُكْثِرُون التَّوبَةَ والاستِغْفَارَ، وَيتَهيئون للعَرْضِ على العزيزِ الغَفَّارِ.
- بالإخْلاصِ يَعْملُون، ومِن الرِّياءِ يَفْرَقُون ويُحذِّرون، وقلوبَهم كُلَّ ساعة يَتفقَّدون.
- وبالجملةِ فإنَّ الخيرَ فيهم غالبٌ، كما أنَّ الشرَّ في مخالفيهم غالبٌ.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

منهج التلقي والاعتصام بالكتاب والسنة

- وأهلُ السُّنةِ يتلقَّون عقيدتَهم عن صَحائِح المنقولِ، والإجماعِ المتلقَّى بالقَبولِ، وصَرائحِ المعقولِ، والفِطرَةِ القوِيمَة.
- ويعتقدون أن الحُجَّةَ القَاطِعَةَ والمَرجِعَ الأعلى كتابُ الله تعالى والسُّنَّةُ النَّبويَّةُ الصحيحةُ، ولو كانت آحادًا.
- ولا يُقدِّمون على كلامِ الله تعالى وكلامِ رسولِه ﷺ كلامَ أحدٍ كائنًا مَنْ كان.
- ويعتقدون السُّنَّةَ حُجَّةً بنفسِها في مسائلِ العقيدةِ والأحكام.
- ويتلقَّوْن نصوصَ الكتابِ والسنةِ بالتعظيمِ والاستسلام.
- ويعتقدون اشتمالَهَا على جَميعِ مسائلِ الدِّينِ ولاسيما الإيمان.
- ويأخذونها مأخذَ التَّعْوِيلِ عليها والاعتماد.
- ويَعتَنون بجَمعِ النُّصوص في كلِّ باب.
- ويفهمونها بفَهم النَّبيِّ ﷺ والصحابةِ الثِّقات، والأئمةِ الأثبات.
- يفسِّرون الكتابَ والسنةَ بهما، ثمَّ بأقوالِ الصحابةِ ومن سارَ على مِنهَاجِهم، فإن لم يتيسرْ فبما صحَّ من لغةِ العربِ ولَهَجَاتِهم.
- ويفهمونها على ظاهِرها المقبولِ، ويَدْرَءون باطلَ التَّأوِيل.
- ويَدفعون ما ظاهِرُهُ التعارضُ بين صحيحِ النَّقلِ وصريحِ العقلِ.
- ويَعتقدون أنَّ النُّصوصَ لا تأتي بمُحَالاتِ القَبولِ، وقد تأتي بما تَحارُ فيه العُقول.
- فإن وقعَ ما ظاهرُه التعارُضُ فَمَرَدُّه إلى الوَهمِ في صحَّةِ العقلِ، أو الثُّبوتِ والدَّلالةِ في النقل.
- ويَكُفُّون عما سكت عنه اللهُ ورسولُه، وأمسَكَ عنه الصحابةُ ومن تبعهم بإحسانٍ.

- فهم مُجمِعون على توحيدِ مَصدَرِ التلقِّي، وتَجرِيدِهِ عن كلِّ شَوبٍ كلاميٍّ مَردُودٍ، أو فَلسَفيٍّ مذمومٍ، أو مَسلَكيٍّ مُبتَدَع.
- ويَعتمدون ألفاظَ ومصطلحاتِ الكتابِ والسنةِ عندَ تقريرِ مسائلِ الاعتقادِ وأصولِ الدينِ، ويُعبِّرون بها عن المعاني الشرعيَّة، وَفقَ لغةِ القرآنِ، وبيانِ الرسولﷺ.
- ولا عصمةَ لأحدٍ بعدَ النَّبيِّﷺ إلا لإجماعِ الأمَّةِ إذا انعقدَ، وليس لآحادِها عصمة.
- ويَعتقِدون أنَّ الإجماعَ في الأحكامِ حُجَّةٌ قاطعةٌ، وأنَّ الخلافَ السائغَ موطنٌ للسَّعة.
- وما اختُلِف فيه وجبَ ردُّه إلى الكتابِ والسنةِ، مع الاعتذارِ عن المُخطِئ من الأئمةِ، فلا يُعصَمون ولا يُؤثَّمون.
- وكلُّ ما لم يَرِدْ بشأنِه دليلٌ من نقلٍ صحيحٍ صريحٍ، أو إجماعٍ مُنعَقِدٍ، فهو من مسائلِ الاجتهادِ، فلا يُثَرَّبُ على المُجتَهِدِ فيها وإن أخطأ، إذا كان الحقُّ قصدَه واجتَهَدَ في طلبِه.
- ولا يَعُدُّون من مسائلِ الاجتهادِ ما وردَ فيه خلافٌ شاذٌّ، أو جرى مَجرَى الزَّلةِ والهَفْوَةِ من أقوالِ العلماءِ، فلا يُتَابَعون عليها، ولا يُشَنَّع عليهم بسببها.
- ويَعتنون بالتفريقِ بين مسائلِ الاجتهادِ التي يسوغُ فيها الخلافُ، ولا يُضيَّقُ فيها على المخالِفِ، وبينَ المسائلِ التي لا يَسوغُ فيها خِلافٌ.
- ولا تَعارُضَ لديهم بين تَركِ الإنكارِ والتَّضييقِ على المخالفِ في المسائلِ الاجتهاديَّة، وبين التحقيقِ العلميِّ لها وبيانِ ضعفِ دليلِ المخالِفِ، والتحذيرِ من مذهبه.
- والفِراسةُ الصادِقةُ حقٌّ.
- و الرؤيا الصالِحةُ حقٌّ.
- وكلُّ ذلك ليسَ من مصادرِ التلقِّي أو التشريع.
- والكرامةُ لأولياءِ الله حقٌّ.
- وأفضلُ الكرامةِ الدَّوَامُ على الطاعةِ والاستقامة.

- وخَرْقُ العادةِ لا يدلُّ بمجردِه على الولاية.
- وكلُّ مؤمِنٍ وَلِيٌّ للرحمن بقَدْرِ ما فيه من تقوى وإيمان.
- ولا عصمةَ للمُكاشَفَاتِ والمُخَاطَباتِ - إن ادُّعِيَتْ- ونحوِها من الأحوال.
- ونقلُ مَصدَرِيَّةِ التشريعِ من الوحيِ إلى الهوى من أخطرِ مناهجِ البِدعِ والإلحاد.
- وتمامُ الفقهِ في الدينِ يكونُ بالعلمِ والعملِ معًا، وبهما وبالصبرِ واليقينِ تُنالُ الإمامةُ في الدِّين.
- والالتزامُ بمنهجِ أهلِ السنَّة بالجملةِ وعندَ تقريرِ مسائلِ الإيمانِ خاصةً؛ يُثمرُ صدقَ الانتسابِ إلى السَّلفِ، ويُوَحِّدُ الصفَّ، ويَجمعُ الكلمةَ، ويُكثِّرُ الصوابَ، ويُقلِّلُ الخطأَ، ويُحقِّقُ التَّمكِينَ، ويحصِّلُ النَّجاةَ والفلاحَ في الدنيا والآخرة.

الباب الثاني: حقيقة الإيمان وأركانه

الفَصْلُ الأَوَّلُ

حقيقة الإيمان بالله تعالى

• الإيمانُ بالله تَعالى ومَلائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ والقَدَرِ خَيرِه وَشرِّهِ؛ عَقيدةُ المسلمين المتَّبعِين لسُنَّةِ خاتمِ النبيين وإمامِ المرسلين، اتفقتْ عليه كَلِمَتُهم، واجتَمَعَتْ عَليهِ أئمتُهُم، وَتَلَقَّاه خَلَفُهم عن سَلَفِهِم.

• والإيمانُ بالله والنطقُ بالشَّهادتين أوَّلُ واجبٍ على المكَلَّفِين.

• والمؤمنونُ أهلُ ولايةِ الله، يُحِبُّهم ويحِبُّونَهُ، ويُدَافِعُ عَنهُم فينصُرُهم وَينصُرونَه، لهُمُ الأمنُ في الدُّنيا والآخرةِ وهم مهتدون.

• والحجَّةُ في معرفةِ الإيمانِ ونقيضِهِ هو بيانُ الله ورسولِه ﷺ.

• **والإيمانُ الشرعيُّ**: اسمٌ لمعنًى ذي شُعَبٍ وأجزاء، له أدنى وأعلى، فأعلاها: قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأدناها: إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والاسمُ يتعلَّقُ ببعضِها كما يتعلَّقُ بجميعِها.

• والإيمانُ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، ومِنهُ باطنٌ ومنهُ ظاهرٌ:

• **فالباطنُ**: ما استقرَّ في القلبِ وهو أصلُ الإيمانِ.

• **والظَّاهرُ**: ما بدا على اللِّسَانِ وجوارحِ الإنسانِ.

• **والإيمانُ الباطنُ على ضَربين: قَولٌ وَعَمَلٌ**:

• **فالأَوَّلُ: قولُ القَلْبِ**: وهو علمٌ وتصديقٌ وَيقِينٌ واعتِقَادٌ.

والثاني: عَمَلُ القَلْبِ: وهو الإخلاصُ للهِ والتعظيمُ، والقبولُ والتسليمُ، والإذعَانُ له والوَلاءُ، والخوفُ مِنهُ والرَّجاءُ، والمحبةُ والحياءُ، والإجلالُ والتُّقَى، والإخبَاتُ والرِّضا، والتفكُّرُ والصَّبرُ، والصِّدقُ والشُّكرُ، والخضوعُ والخشيةُ، والتألُّهُ والإنابةُ، والتوكُّلُ

والاستعانةُ، ونحوُ ذلك.

- وأعمالُ القلوبِ أصلُ كُلِّ خيرٍ، وعنها يَصْدُرُ كُلُّ بِرٍّ، وهي على العبدِ ألزمُ وأوجَبُ، وفي الآخرةِ أنفعُ وأثوبُ.
- وإذا زالَ قولُ القَلْبِ أو عَمَلُهُ بالكُلِّيَّةِ؛ فأهلُ السُّنَّةِ مُجمِعُون على زوالِ الإيمانِ بالكُلِّيَّةِ.
- وما في القلوبِ من الإيمانِ هو الأصلُ لعملِ جوارحِ الإنسانِ.
- **والإيمانُ الظَّاهرُ على قسمين: قولٌ وعملٌ:**

فالأول: قولُ اللِّسانِ:

- وهو الإقرارُ بِشَهادةِ «أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله» وما يُؤَدِّي مُؤَدَّاهَا.
- ومعناها: التزامُ العبوديةِ لله دونَ سِواه، والتزامُ الطَّاعة لرسولِ الله واتباعِ هداه، تصديقًا لخبرِه وانقيادًا لشرعِه.
- فمَنْ أقرَّ بِلسَانِه وَكذَّبَ بِجَنَانِهِ كَانَ مُسْلِمًا في الظاهِرِ مُنَافِقًا في الباطِنِ.
- **ومِن قول اللِّسان:** الدُّعَاءُ والذِّكْرُ، والحمدُ والشُّكْرُ، والاستِعَاذةُ والاستِغَاثةُ، والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المُنكَرِ، وتِلاوةُ القُرآنِ، وتدريسُ العِلمِ، وَنَحْوُ ذلِك.
- **الثاني: عَمَلُ الجَوَارِحِ:** بالصَّلاةِ والزَّكَاةِ والصِّيامِ، والحَجِّ والجِهادِ وَصِلَةِ الأرحَامِ، وبِرِّ الوالدينِ والدعوةِ، والتحاكُمِ والقَضَاءِ والحِسْبَةِ، ونحوِ ذلك.
- وكما لا يَنفعُ ظاهرٌ لا باطِنَ لهُ، وإن حُقنت به الدِّمَاءُ، وعُصِمت به الأموال؛ فلا يُجزِئُ باطنٌ لا ظاهِرَ لهُ؛ إلا إذا تَعَذَّرَ بِعَجْزٍ أو إكراهٍ، وخوفِ هلاكٍ؛ فَتخَلُّفُ العملِ ظَاهِرًا مع عَدَمِ المانعِ دليلٌ على فسادِ الباطِنِ وخُلُوِّهِ من الإيمان.
- وإذا وُجِدَ المُقتَضِي وعُدِمَ المَانِعُ؛ فقدْ وُجدَ الشَّيءُ ولا بُدَّ.

الفَصْلُ الثَّانِي

العلاقة بين الإسلام والإيمان

- والإسلامُ والإيمانُ عِندَ الإطلاقِ والتَّجْرِيدِ يَتَرادفَان، وعِندَ الاقتِرَانِ والتَّقييـدِ يفترقـان: فالإسلامُ هو الأقوالُ والأعمالُ الظَّاهرةُ، والإيمانُ هـو الاعتِقَـادَاتُ والأعـمالُ البَاطِنـةُ، ولا بدَّ من اجتماعِهما في العبد؛ فلا يكفي إسلامٌ بدونِ إيمان، ولا إيمانٌ بدون إسلام.
- ومراتِبُ الدِّين ثلاثةٌ؛ أوَّلـها: الإسلامُ، وثانيها: الإيمانُ، وثالثها: الإحسانُ في الاعتقاداتِ الباطِنةِ والأعمالِ الظَّاهرةِ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

مراتب الإيمان

- وإذا كَانَ أَصْلُ الإيمانِ التَّصْدِيقَ والانقيادَ جُملةً وعلى الغيبِ؛ فإنَّ كَمالَه الواجِبَ: فِعلُ الأركانِ والمفروضاتِ، وتركُ الكبائرِ والمحرَّماتِ، وكَمالَه المستَحَبَّ: فِعلُ المندوباتِ وتركُ المكروهاتِ والورعُ عن الشُّبُهاتِ.
- والإيمانُ يَزدادُ بِطاعاتِ القلبِ واللسانِ والجوارِحِ، وينقُصُ بِمَعاصِيها، فكَانَ مراتِبَ ودَرجَاتٍ.

وأُولى مراتِبِه: الإيمانُ المانِعُ من الخُلودِ في النِّيرانِ، وقد يُسمَّى «**أصلَ الإيمان**» أو«**مُطلَقَ الإيمان**» أو«**الإيمانَ المجمَل**»، وحَقِيقتُه: التزامُ العبادةِ لله تعالى وَحْدَه، فلا يُتوجَّهُ بالشَّعَائِرِ إلا إليه، وإفرادُهُ بالطَّاعَةِ والانقيادِ؛ فلا يُرْجَعُ في التَّحْرِيمِ والتَّحْلِيلِ إلَّا إليهِ، وإنْ أخَلَّ صاحبها -الظَّالِمُ لنفسه- بالواجباتِ وَقَارفَ السيئاتِ، ما دام مُجتَنِبًا للنواقضِ المكفِّرات.

وأوسَطُها: الإيمانُ المانعُ من دُخولِ النِّيرانِ، وقد يُسمَّى «**الإيمانَ الواجب**» أو«**الإيمانَ المطلق**» أو «**الإيمانَ المفصَّل**»:

- وَيتَضمَّنُ مُطْلَقَ الإيمانِ، وزِيادَةَ فِعْلِ الواجباتِ، وَتَرْكِ المحرَّماتِ، وهذا كمالُه الواجِبُ، وأهلُهُ في الفَضْلِ على مراتب.
- وصاحِبُها الـمُقْتَصِدُ أولُ منازِلِهِ الـجَنَّةُ، فلا يلجُ النَّارَ أبدًا.
- وانتفاءُ الإيمانِ المطلقِ لا يَلْزَمُ منه نَفْيُ مُطْلَقِ الإيمان.

وأعلاها: الإيمانُ الـمُرَقِّي لصَاحِبِه في دَرَجِ الجِنانِ، وقد يُسمَّى: «**الإيمانَ الـمُستَحَب**»

أو «**الإيمانَ الكامِلَ بِالـمُسْتَحبَّاتِ**».

- ويُطلَبُ فيه تحقيقُ الإيمانِ المطلقِ مع الازديادِ من فعلِ المستحبَّاتِ، وتَوَقِّي المكروهاتِ، وهذا كمالُه المستحبُّ.
- وصاحبُها السابقُ بالخيراتِ إلى أعلى الجنات.
- ويدلُّ على تِلكَ المراتبِ قولُهُ تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ**﴾[فاطر: ٣٢]؛ فالأولُ: الـمُسْلِمُ صَاحِبُ مُطْلَقِ الإيمانِ، والثاني: المؤمنُ صاحبُ الإيمانِ الـمُطْلَقِ، والثالثُ: الـمُحْسِنُ صاحبُ الإيمانِ الكاملِ بِالمستَحبَّاتِ.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

الاستثناء في الإيمان

- الاستثناءُ في الإيمانِ هو: قولُ أنا مؤمنٌ إن شَاءَ اللهُ.
- وأكثرُ أهلِ السُّنةِ يُجيزونَ الاستثناءَ في الإيمانِ المُطْلَقِ؛ خَوفًا من تزكيةِ النَّفْسِ وورعًا، ويَمنَعونَهُ في مُطْلَقِ الإيمانِ إن كان تردُّدًا وشَكًّا.
- والجازِمُون بالإيمانِ من عَوامِّ أهلِ المِلَّةِ مسلمونَ عند أهلِ السُّنَّةِ.

الفَصْلُ الخَامِسُ

حكم مرتكب الكبيرة

- والكبائرُ من أُمورِ الجاهِليَّةِ، وهي من قوادِحِ الإيمانِ ونواقِصِه، ومرتكِبُها فاسقٌ.
- وفاسِقُ أَهلِ القِبْلَةِ لا يستحِقُّ اسمَ الإيمانِ الـمُطْلَقِ؛ وإنما مَعَهُ مُطْلَقُ الإيمانِ.
- وأئمَّةُ أهْلِ السُّـنَّةِ على إثباتِ التبعيضِ في الاسمِ والحُكْمِ، فيكونُ مع الرَّجُلِ بَعْضُ الإيمانِ - لَا كُلُّهُ- وَيَثْبُتُ لَهُ من حُكمِ أهلِ الإيمانِ وثوابِهم بِحَسَبِ مَا مَعهُ، كما يَثْبُتُ لَهُ مِن العِقَابِ بِحَسَبِ ما عَليه.
- ولا يَكْفُرُ أحدٌ من أَهْلِ القِبْلَة بِذنبٍ إلَّا إذا ارتكبَ ما يَنقُضُ الإيمان.
- وأهلُ الكبائرِ تنالُهُمُ الشفاعةُ، وهم دَاخِلون تَحتَ المشيئةِ، وقد يعفو اللهُ عنهم لتوحيدِهم، أو لحَسَناتٍ ماحِيةٍ، أو لمصائبَ مُكَفِّرةٍ، ونحوِها، وكلُّ ذَلِكَ محضُ فَضْلِه تعالى.
- ومَنْ عُوقِبَ بِذَنبِه من أهلِ الكبائرِ فإلى أمَد، وفي النَّارِ لا يُـخَلَّد.

الفَصْلُ السَّادِسُ

الحكم على أهل القبلة

- ومن صلَّى إلى القِبلةِ فهو مِنْ أهلِ المِلَّةِ، يُصَلَّى وراءَهُ وعليهِ، ويُحكَمُ له بالإسلامِ في الظَّاهِرِ والله يَتولَّى السَّرائر.
- ومَن ظاهِرُهُ الإسلامُ فاختِبارُ حالِه أو التوقُّفُ في إسلامه بدعة.
- ولا نُنَـزِّلُ أحدًا من أهل القبلة جنَّةً ولا نارًا إلا بدليلٍ شرعيٍّ، ونَرْجُو للمُحْسِنِ ونُبَشِّرُه ولا نُؤَمِّنُه، وَنخَافُ على المُسيءِ ولَا نُقَنِّطُه.
- وإنَّما الأعمالُ بالخواتيم.
- وكُلُّ مَنْ لم تبلُغْهُ الدَّعوةُ؛ فإنَّه لم تقمْ عليه الحُجَّةُ، وهو من أهل الفَتْرَةِ الذين يُمْتَحَنُونَ في الآخِرَةِ، بما يَكْشِفُ عِلمَ الله فيهم بِسَبْقِ السَّعَادَةِ أو الشَّقاوَةِ.
- ومَنْ ماتَ من أطْفَال المؤمنين ففي الجنَّةِ بالإجماعِ، وفيمن ماتَ مِنْ أطْفالِ المشركِينَ نزاعٌ عند أَهلِ الاتِّباعِ.

الفَصْلُ السَّابِعُ

أبواب الإيمان وأقسام التوحيد

- الإيمانُ بالله تعالى يَتَضمَّنُ الإيمانَ بوجودِ الله تعالى وَوَحدَانيَّتِه، وبِربُوبيَّتِه، وبأسمائِهِ الحسنى وصفاتِه العُلا، وبألوهيتِه جلَّ وعلا.
- والتوحيدُ اعتقادُ أنَّ اللهَ تعالى واحدٌ أحدٌ في ذاتِه وأسمائِهِ؛ فلا سَمِيَّ له، متفرِّدٌ بصفاتِه فلا مِثْلَ له، متفرِّدٌ بأفعالِه فلا نظيرَ له، متفرِّدٌ باستحقاقِ العبادةِ وحدَهُ فلا شريكَ لَه، ومن ثمَّ طاعتُهُ وعبادتُهُ بما أمرَ، واجتنابُ ما عنه نهى وزَجَر.
- وجماعُ الإيمانِ والتوحيدِ أن يُفرِدَ العبدُ ربَّه باعتقاداتٍ تقومُ بقلبِه، وأقوالٍ تجري على لسانِه، وأفعالٍ تَحصُلُ بجوارحِه.
- ولما كانت حقيقةُ الإيمانِ والتوحيدِ تَكمُنُ في تصديقِ الخبرِ والانقيادِ والتنفيذِ للأمرِ فقد ناسبَ ابتناءه على ركنين أن ينقسمَ إلى قسمين: قسمٌ يتعلقُ بتصديقِ الأخبارِ والمعرفةِ والإثباتِ، وآخرُ يتعلقُ بالانقيادِ بالطاعات.
- ولما وقعَ الخللُ في إفرادِه تعالى بصفاتِ الرُّبوبيَّةِ، ونشأ الإلحادُ في أسمائِه وصفاتِه العَلِيَّة، وظهرَ الشركُ والابتداعُ في عبادةِ الله تعالى-اعتنى السَّلفُ بالردِّ في كلِّ جانبٍ، وبيانِ وجهِ الحقِّ في كلِّ بابٍ.
- واقتضى الاستقراءُ للنصوصِ وحسنُ الترتيبِ والتصنيفِ أن يُبوَّبَ في الإيمانِ والتوحيدِ بابان على الإجمالِ: التوحيدُ العِلميُّ الخبريُّ، والتوحيدُ القَصدِيُّ الطَّلَبيُّ، وثلاثةٌ على التفصيلِ: توحيدٌ في الربوبيةِ والألوهيةِ والأسماءِ والصفاتِ، وهي في الحقيقةِ متلاحمةٌ ، وفي قلبِ الموحِّدِ تَقَعُ مجتمعةً وغيرَ مُتَزايِلَة.
- وكما أنه ليسَ في هذا التصنيفِ توقيفٌ، فإنَّه ليسَ في الإيمانِ والتوحيدِ تعديدٌ، والعبرةُ بالمقاصدِ والمعاني لا بالألفاظِ والمباني.

الفصل الثامن

أدلة الإيمان بوجوده تعالى

- اللهُ تعالى أزليٌّ فلم يسبقْهُ عدمٌ، أبديٌّ فلا يلحقُه فناءٌ، فوجوده تعالى ذاتيٌّ، والأدلةُ على ذلك لا يحصرُها عدٌّ ولا يُحيط بها حدٌّ، تبدأُ من أصغر ذرَّة ولا تنتهي عند أكبر مَجرَّة، وهي أنواعٌ منوَّعة:

منها: **الفِطرةُ المستقيمة:**

- إذ العلمُ بالله أوَّلُ الأوَّليَّاتِ، وأظهرُ المسَلَّماتِ، وأرسَخُ الضروريَّات.
- والإيمانُ في أصلهِ فِطريٌّ وَهْبيٌّ ضرورِيٌّ، قال ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»، وتفاصيلُه تتوقَّف على العِلمِ بالوَحي.
- ويزدادُ بالعملِ والتفكُّرِ.
- والرسلُ إنما يُنبِّهون العبادَ إلى ما هو مَركُوزٌ في فِطَرِهم، ويذكِّرونهم بما أُخذت عليه مواثيقُهُم، ويدعُونهم إلى موجَبِها تفصيلًا وتكميلًا.

ومنها: **دلالةُ العقلِ الصريحةُ:**

- فبَدَاهةُ العقلِ تَقْضي أنه يستحيلُ أن يُوجِدَ الشيءُ نفسَه، كما يستحيلُ أن يُوجَدَ شيءٌ بلا مُوجِدٍ، كما يقرِّرُ أنَّ العَدَمَ لا يَخلقُ شيئًا، وأنَّ فاقدَ الشيءِ لا يعطيهِ. قال تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾[الطور: ٣٥].
- والعقلُ يقضي بأن لكلِّ مخلوقٍ خالقًا، وكما أن الصنعةَ تدلُّ على صفةِ صانِعِها، فإن صنعةَ الكوْنِ المحْكَمةَ تدلُّ على صفاتِ بارِيها ومُبدِعِها.

ومنها: **إجماعُ الأمم** :

- ومع اختلافِ الخَلقِ في الاعتقاداتِ لم يُنقلْ عن أحدٍ إثباتُ شريكٍ لله تعالى في خلقِ

المخلوقاتِ، ومُماثِلٍ له في جميعِ الصفاتِ، فَضْلًا عن إنكارِ وجودِه بالكلِّيةِ، وفي كلِّ لغةٍ وعلى كلِّ لسانٍ تَهتِف البَرِيَّـةُ باسم «الله»، قالَ تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[إبراهيم: ١٠].

ومنها: **آياتُ الله المنظورةُ:**

- فوجودُ هذا الخلقِ وتسويَتُه أظْهرُ دليلًا، وتقديرُ كلِّ خلقٍ بمقدارٍ أجْلَى بُرهانًا، وهدايةُ كلِّ خلقٍ إلى غايتِهِ أصرحُ بيانًا، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[الأعلى: ١ - ٣].

ومنها: **إجابةُ الدعواتِ الملهُوفَةِ:**

- فالمؤمنُ والكافرُ والبَرُّ والفاجرُ يَشهدون بوقوعِ إجابةِ دعوةِ المضطرِّين عند توجُّهِهم بدعاءِ ربِّ العالمين، وليس من شرطِ هذا الدَّليلِ اطِّرادُ الإجابـةِ الحالَّـةِ في كـل استغاثةٍ؛ لموانـعَ حائلةٍ أو لِحِكَمٍ بالغةٍ.

ومنها: **آياتُ الرُّسل القاهرةُ:**

- ولا سِيَّما المعجزةُ الخالدةُ في الدَّلالةِ على الرحمن، وهي القرآنُ المتلوُّ باللسانِ، والمسمُوعُ بالآذان، والمحفُوظُ بالجَنانِ.

ومنها: **دلالةُ النقلِ الصحيحةُ:**

- ولا يُعرِّف بالله مثلُ الله، وقد تَعرَّفَ إلى عبادِه بوَحْيِه وشرعِه، والشَّرائعُ كافةً والرُّسلُ عامَّةً جاءت بالخبرِ عن الله تعالى.

والإلحادُ في وجوده تعالى خروجٌ عن أصلِ الخِلْقَة، ومُقتضَى الفِطرَةِ، وبَداهَةِ العُقولِ، وصَراحةِ النُّقول، وإجماعِ الأممِ.

الفصل التاسع

الإيمان بصفات الربوبية

- قد دلَّ القرآنُ على انفرادِ الله تعالى بصفةِ الرُّبوبيَّةِ، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢].
- والإيمانُ بِرُبوبيَّةِ الله تعالى يعني: إفرادهُ بأفعالِ الرَّبِّ، ومُقتضَياتِ الرُّبوبيَّةِ من الخلقِ والتقديرِ، والمُلكِ والتدبيرِ.
- قالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[الرعد: ١٦].
- وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[الإسراء: ١١١].
- وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾[يونس: ٣١].
- والشركُ في الرُّبوبيَّةِ باطلٌ بالنقلِ والعقلِ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام: ١٦٤]، وقالَ تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون: ٩١].
- ومَن صحَّ إيمانُهُ بالربوبيَّةِ هَدَاهُ -ولا بُدَّ- إلى الإيمانِ بالألوهيَّةِ، فأفرَدَ اللهَ تعالى بالطاعةِ والعبوديَّةِ.
- فالإقرارُ بالربوبيَّةِ وحدها لا يكفي للبراءةِ من الشركِ والدخولِ في الإيمانِ. قالَ تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[الفرقان: ٣].
- ومَن تحقَّق بهذا الإيمانِ فوحَّدَ اللهَ في ربوبيَّتِهِ تمهَّدَ له طريقُ عبادتِهِ، واستَنارَ عقلُه، واطمأنَّ قلبُه، ورَضِيَ بالقضاءِ والقَدَرِ، فانشرحَ صَدْرُه، وتوكَّلَ على الله حقَّ توكُّلِه.

الفَصْلُ العَاشِرُ

الإيمان بأسماء الله وصفاته

- والعلمُ والإيمانُ بالأسماءِ والصفاتِ، أشرفُ العلومِ وأفضلُ الأعمالِ.
- وهو طريقُ معرفةِ الله وتعظيمِه، وتمجيدِه ودُعائِه.
- وسبَبُ زيادةِ الإيمانِ والترَقِّي في دَرَجِ الجِنَانِ.
- ورأسُ إقامةِ الدِّينِ، وحصولِ الرِّفْعَةِ والتَّمْكينِ.
- وهو مِعرَاجُ السالكين إلى أخلاقِ الصالحين.
- وأهلُ السُّنَّةِ بأسماءِ الله وصفاتِه يؤمنون.
- وعن مُشابهةِ الخَلقِ ربَّهم يُنزِّهون.
- وعن إدراكِ الكيفيةِ طَمَعَهم يَقْطَعون.
- وعَلى ما يليقُ بجلالِه وكمالِه من الحقائقِ والمعاني يُثبِتُون.
- وبقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] يستدلُّون وعليه يَعتمِدُون.
- وقد دلَّ القرآنُ على تفردِه تعالى بالأسماءِ الحسنى والصِّفاتِ العُلا، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[الروم: ٢٧].

الفَصْلُ الحَادِي عَشَرَ

قواعد الإيمان بالأسماء والحسنى

- أسماءُ الله كلُّها حسنى سواءٌ انفردَتْ، أو اقترَنَتْ، أو تَضَايَفَتْ.
- والإيمانُ بأسمائِه تعالى يَتضمَّنُ ثلاثةَ أمور: الإيمانُ بالاسمِ، وما دلَّ عليه من معانٍ، وما يقتضيه من آثارٍ، فمثلًا يؤمن بأنه عليمٌ، وذو علمٍ محيطٍ، وأنه يُدبِّر الأمرَ وَفقَ عِلمه.
- وأسماءُ ربِّنا تعالى تَوقيفيَّةٌ، جاءت بها أدلَّـةٌ وَفيَّةٌ.
- وأسماءُ الله تعالى تدلُّ على العَلَميَّةِ والوَصفِيَّةِ، أعلامٌ مترادفةٌ وأوصافٌ متباينةٌ.
- وكما أنّ أسماءَه تعالى تدلُ على صفاته، فهي مشتقة من بعض صفاته.
- ولا تنحصر عِدَّتُها في تسعٍ وتسعين ، ولا يُحصيها عدُّ العادِّين.
- وأسماؤه تعالى كلُّها فاضلةٌ؛ لكنَّها على التَّحقِيق متفاضِلَة.
- ولا يخرج من أسماءِ الله ما تَقَارَب معناه إذا اختلفَ مَبْناه.
- والإلحادُ فيها يكونُ بإنكارِها بعد ثُبوتِها، أو إنكارِ ما دلَّت عليه، وبابتِدَاعٍ في اشتِقَاقَاتها وإنشائِها، أو بتشبيهِها بأسماءِ المخلوقين وصفاتِهم، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٨٠].

الفَصْلُ الثَّانِي عَشَرَ

قواعد الإيمان بالصفات العلا

- صفاتُ الله عُليا كلُّها، ثَنَاءٌ كلُّها، كمالٌ كلُّها، تَوقِيفيَّةٌ كلُّها.
- وبابُ الصِّفاتِ أوسعُ من بابِ الأسماءِ، وأوسعُ منها بابًا الإخْبَارُ، وأفعالُه تعالى صادرةٌ عن أسمائِه وصفاتِه.
- ولا يُحيط بالصِّفاتِ أحدٌ، ولا يأتي عليها عَدٌّ، وهي مُتفاضِلةٌ تفاضُلًا لا يَستلزِم نَقصًا، وتفسير بعضِها ببعضٍ لا يَستلزِم تماثُـلًا.
- والصِّفاتُ منها **ثُبُوتيٌّ** ومنها **سَلبِيٌّ أو منفيٌّ**، والثُّبُوتيَّة منها **ذاتيٌّ وفِعْليٌّ**، وهي مدحٌ وكمالات.
- **والذاتيةُ**: لا يُتَصوَّرُ انفِكَاكُها عن الذَّات أزلًا ولا أبدًا، ويلزمُ عن نفيِها نقصٌ، ولا تتعلقُ بالمشيئة، والفِعليَّةُ على خلافِ ذلك.

والذاتيَّـةُ منها مَعنوِيٌّ: كالسَّمعِ والبصرِ، والقُدرةِ والعلم.

- **ومنها خَبَرِيٌّ**: كالوَجهِ واليدَين، والقَدَمِ والعين.
- **والفِعليَّـةُ**: كالضَّحِكِ والمجيءِ، والنزولِ والاستِواء.
- **والمنفِيَّةُ**: كالموتِ والنومِ، والنسيانِ والعَجْز.
- وليس في المنفيِّ منها كمالٌ ولا مدحٌ إلا بإثباتِ كمالِ أضدَادِها.
- وطريقةُ الوحيِ في الصفاتِ: الإجمالُ عند النفي والتفصيلُ في الإثباتِ.
- والقولُ في الصفاتِ كالقولِ في الأسماءِ، والقولُ في الصفاتِ كالقولِ في الذَّات.
- والقولُ في بعضِ الصفاتِ كالقولِ في البَاقِيَات.
- والاشتراكُ في الأسماءِ والصفاتِ لا يَستلزِمُ تَماثُلَ المسمَّيات والموصُوفَاتِ.
- وليس في العَقليَّاتِ ما يُخالفُ منهجَ الإثباتِ.

- والواجبُ في نصوصِ الصفاتِ إجراؤها على ظاهرِها اللائقِ بجلاله تعالى والمعلومِ بمُقتَضَى الخطابِ والبَيَان، وما يُفهَمُ منَ السِّياق.
- فالأسماءُ والصفاتُ إذا أُضيفَت إلى الربِّ اختصَّت به، فكما تَثبُتُ له ذاتٌ لا كالذَّوات ، تَثبُتُ له أسماءٌ وصفاتٌ لا يماثِلُها ما للمخلوق من أسماءٍ أو صفاتٍ.
- وكما أنَّ له تعالى ذاتًا على الحقيقةِ، وأفعالًا على الحقيقةِ؛ فكذلك له صفاتٌ على الحقيقة.
- والتفويضُ عند الخَلَف يَشمَلُ المعاني الحقيقيَّةَ، وهو مِن البِدعِ الرَّدِيَّةِ، إلا أن يُقصَدَ به تفويضُ عِلْمِ الكيفيَّةِ.
- ومذهبُ أهلِ السُّنةِ في الصِّفاتِ وَسَطٌ بين فِرَقِ أهلِ القبلَةِ: إثباتٌ بلا تمثيلٍ، وتَنزِيهٌ بلا تعطيلٍ؛ إذ كلُّ ممثِّلٍ مُعطِّلٌ وهو كَمَنْ يعبدُ صنمًا، وكلُّ مُعطِّلٍ مُمثِّلٌ وهو كَمَنْ يعبد عَدَمًا.
- والتكذيبُ بالصفاتِ كفرٌ، وإثباتُ التَّشبيهِ والتَّمثيلِ بالمخلوقين كفرٌ.
- وتأويلُ الخَلَفِ مَظِنَّةُ التَّلَفِ، ولا يُقبلُ إلا لظاهرٍ خالَفَ سائرَ المنقولاتِ، فيُفسَّر بما يُوافقها.
- واعتمادُ تأويلِ الصفاتِ كأصلٍ بِدْعةٌ كُلِّيةٌ، وتأويلُ بعضِها زَلَّةٌ علميةٌ، تُردُّ على قائلِها، ولا تُهدَرُ مكانتُهُ بسببِها.

الفَصْلُ الثَّالِثَ عَشَرَ

ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات

- والإيمانُ بالأسماءِ والصفاتِ مُقتَضٍ لآثارِهِ في العبادةِ والدِّينِ كاقتضائِها لآثارِها في الخلقِ والتَّكوينِ.
- والإيمانُ بها على وجهِها الصحيحِ يُثمِرُ أنواعًا من العبوديَّة.
- فعلمُ العبدِ بجلالِ الله وعظمتِهِ وقوتِهِ يُثمِرُ عبوديَّةَ الخُضوعِ والإنابةِ، والخشوعِ والاستقامةِ.
- وعلمُه بسمعِهِ وبصرِه وإحاطتِه تعالى يُثمرُ عبوديَّةَ حفظِ اللسانِ والجوارحِ وخَطرَاتِ القلبِ والحياء.
- وعلمُه بغناه وكرمِه وإحسانِه ورحمتِه تعالى يُثمرُ عبوديَّةَ الرَّجاءِ وأنواعًا من عبوديةِ الظاهرِ والباطن.
- وعلمُه بصفاتِ إلـهيَّته وأمرِه ونهيِه يُثمرُ عبوديةَ المحبةِ الخالصةِ، والشوقِ إلى لقائِه، والأنسِ به، والمنافسةِ في قُربه، والتَّوَدُّدِ إليه بطاعتِه، واللَّهَجِ بذِكرِه والفِرارِ إليه، ثم إنه لا يُنازِعُ ربَّهُ في صفاتِ ألوهيتِه، فلا يَحكُمُ إلا بما أنزلَ اللهُ، ولا يتحاكمُ إلا إلى ما أنزلَ اللهُ، ولا يُحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ، ولا يُحِلُّ ما حرَّم اللهُ.
- وكلُّ ما يحبُّه اللهُ فهو من آثارِ أسمائِه وصفاتِه ومُوجَبِها، وكلُّ ما يَبْغَضُهُ فهو مما يُضادُّها ويُنافيها.

الفَصْلُ الرَّابِعَ عَشَرَ

إفراد الله تعالى بصفات الألوهية

- الأُلوهيَّةُ نِسْبَةٌ للإله المعبُودِ المحبوبِ، المرجُوِّ المطلوبِ، الذي تَذِلُّ وتَخضَعُ له القلوبُ، فتطمَئِنُّ بذِكرِهِ، وتَسْكُنُ إلى قضائِه وقدرِه، تعبدُه وتتوكَّلُ عليه وإليه تُنِيب.
- والإيمانُ بالألوهيةِ: هو إفرادُ الله بالعبادةِ وَحْدَهُ لا شريكَ له.
- وفي تفرُّدِهِ تعالى بصفة الإلـهيَّة، قالَ الله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣]، وقالَ تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: ١٩].
- والعبادةُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحِبُّه اللهُ ويرضاه من الأقوالِ والأفعالِ الظاهرةِ والباطنةِ، أداءً بغايةِ الحبِّ وكمالِه، وخضوعًا بغايةِ الذُّلِّ وتمامِه، تعظيمًا لذاتِه، وحَذَرًا من عقوبتِهِ، ورجاءً في رحمتِهِ.
- وإفرادُهُ تعالى بالعبادةِ هو أصلُ دينِ الإسلامِ، وحقُّ الملِكِ العَلَّام، وغايةُ خلقِ الأنامِ، وفَيْصَلُ التَّفرقَةِ بين الكفَّارِ وأهلِ الإسلامِ، لُبُّ دعوةِ النَّبيِّين، وأولُ خطابٍ للناسِ أجمعين، وهو العِصمةُ في الدُّنيا والنجاةُ في الآخرة، فهو أولُ الدِّين وآخرُه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].
- والإيمانُ بالألوهيةِ مُتضمِّنٌ للإيمانِ بالربوبيةِ، وبالأسماءِ والصفاتِ العَليَّة.
- وتتضمَّنُ شهادةُ «أن لا إلهَ إلا اللهُ»: إفرادًا له تعالى بأفعالِهِ وتَعرُّفًا إليه بأسمائِه وصفاتِه، والإخلاصَ في إفرادِه تعالى بالعبادةِ، حبًّا ورغبةً، وذُلًّا ورَهْبةً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة: ٥].
- وتتضمَّنُ شهادةُ «أن محمدًا رسولُ الله»: اليقينَ برسالتِه، والحبَّ والتوقيرَ لشخصيَّتِه، والتصديقَ لخبرِه، والاتِّباعَ لأمرِه، والاجتنابَ لنَهيِه، وألَّا يُعبدَ اللهُ إلا بما شرعَ، مع البراءةِ مِنَ

البِدَعِ، ومِن كلِّ تَقليدٍ مَلومٍ، أو اتباعٍ لم يُشرعْ مَذمومٍ.

- وبالنُّطقِ بالشهادتينِ إقرارًا بمعناها يَثبُتُ عَقْدُ الإسلامِ في أحكامِ الدُّنيا.
- ومِن الإيمانِ بالألوهيةِ: إفرادُهُ تعالى بدعاءِ العبادةِ والمسألةِ، فما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ فلا يُطلبُ إلا مِنَ الله.
- والذبح والنَّذرُ، والطَّوافُ والسَّعْيُ، والخوفُ والتوكُّلُ، ونحُوُها عبادةٌ لا تُصْرَفُ إلا لله.
- وليس على الأرضِ بُقعةٌ، تُقصَدُ لعبادةِ الله بالصلاة فيها والذكرِ والدعاءِ ونحوِها إلا المساجدُ والمشاعرُ.
- والتوسُّلُ منه مشروعٌ وممنوعٌ، فأمّا المشروعُ فهو ما كانَ بأسماءِ الله وصفاتِه وأفعالِه، أو بالأعمالِ الصَّالحةِ، أو بدعوةٍ صالحةٍ، والممنوعُ ما عَدَاه مما لم يَشْرَعْهُ اللهُ.
- والبركةُ من الله وحدَهُ، والتبرُّكُ توقيفِيٌّ، فلا يَثبُتُ إلا بدليلٍ.
- وكلُّ ذريعةٍ إلى الشِّركِ في عبادةِ الله أو الإحْدَاثِ في دينِ الله يجبُ سَدُّها، والوسائلُ لها أحكامُ المقاصد.
- ومِن توحيدِ العبادةِ إفرادُهُ تعالى بالطَّاعةِ والانقيادِ والحُكْمِ والتشريعِ، فلا حلالَ إلا ما أحلَّه اللهُ، ولا حرامَ إلا ما حرَّمَهُ اللهُ، ولا دينَ إلا ما شرعَهُ الله.
- وموالاةُ أهلِ الإيمانِ ومُعادَاةُ أهلِ الكفرانِ من أصولِ الدِّينِ وشُعَبِ الإيمان.
- ومَن وَالَى على ملَّةٍ غيرِ ملَّة الإسلامِ فقد هدمَ الدِّينَ وصارَ من الظالمين.
- وأَولى الناسِ بالموالاةِ أطوَعُهم لله، وهم -بعد الرُّسُلِ- أصحابُ رسولِ اللهﷺ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ.
- وللعبادةِ والعبوديَّةِ أنواعٌ وأحكامٌ.
- فأنواعُها ثلاثةٌ: في الجَنَان، واللِّسان، وسائرِ جوارحِ الإنسان، ولكلٍّ عبوديةٌ تخصُّهُ.

الفَصْلُ الخَامِسَ عَشَرَ

ثمرات الإيمان بالألوهية

- وإفرادُه تعالى بالأُلوهيَّةِ له آثارُهُ المرْضيَّةُ الدنيويةُ والأُخرويَّةُ:
- فأمَّا في الدُّنيا: فهوُ يُورثُ الحياةَ الطيِّبَةَ، بتحقيقِ العبوديَّةِ وبتذوُّقِ طَعمِ الإيمانِ وحلاوتِهِ، والأنسِ بالله والتلذُّذِ بطاعتِه، وطمأنينة النفسِ بحُسْنِ التوكلِ والاعتمادِ، والتعلقِ بالله دونَ الأسباب، وتحقيقِ عباداتِ القلبِ، وتصحيحِ عبادةِ الجوارحِ وإقامتِها على وَجهِها، وتحصيلِ الاستخلافِ في الأرضِ والتَّمكينِ للدِّين، ويُعقِبُ حُسْنَ الخاتمة.
- وأمَّا في الآخرةِ: فالتثبيتُ عندَ سؤالِ الملَكَين، والنجاةُ مِنْ عذابِ القبرِ، والأَمنُ يومَ الفَزَعِ، وتكفيرُ السيئاتِ، والجوازُ على الصِّراطِ، ودخولُ الجنةِ، والنجاةُ من النَّارِ، وفوقَ ذلكَ كُلِّه قول ربِّنا تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة: ٧٢].

الفصل السادس عشر

الإيمان بالملائكة

- والإيمانُ بالغيبِ عقيدةُ الموحِّدين، ومِن أعظمِ مقاماتِ المؤمنين.
- وهو ضرورةٌ فِطرِيَّةٌ، وعقيدةٌ شرعيَّةٌ.
- ولا يتمُّ إلا بالإيمانِ بجميعِ ما أنزلَ الرحمنُ.
- ومِن الإيمانِ بالغيبِ: الإيمانُ بالملائكةِ، وأنهم عبادُ الله النُّورانِيُّون المكرَمُون.
- لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحونَ ولا يتناسلون.
- على الطاعةِ مَفطُورُون، وعن العبادةِ لا يَفتُـرون.
- والإيمانُ بهم إجمالًا ركنُ الإيمانِ، ويجبُ تفصيلًا فيمنْ وَرَدَ ذِكرُهم في السُّنَّة والقرآن.
- منهم جبريلُ الموكَّلُ بالوحيِ الذي به حياةُ قلوبِ البشرِ، ومنهم ميكائيلُ الموكَّلُ بالمطَرِ، ومنهم إسرافيلُ الموكَّلُ بالصُّورِ، ومنهم ملكُ الموتِ الموكَّلُ بقبضِ أرواحِ البشرِ، ومنهم مالكٌ الموكَّلُ بالنارِ، ومنهم زَبَانِيَةُ دارِ البَوَارِ، ومنهم مُقدَّمُ خَزَنَةِ خيرِ دارٍ، ومنهم الموكَّلون بزيارةِ البيتِ المعمُورِ، ومنهم السيَّاحون في البلادِ يتتبعون مجالسَ الذِّكْرِ، ومنهم الباعِثُون في قلوبِ العبادِ الخيرَ، ومنهم حَمَلَةُ العرشِ، ومنهم الحَفَظَةُ، ومنهم الكِرَامُ الكَتَبَـةُ.
- أعدادُهمُ العظيمةُ لا تُحصَى، وأعمالُهمُ الجليلةُ لا تُستَقصَى، هم أولياءُ المؤمنين في الدُّنيا والآخرةِ، بالخيرِ يأمُرون، ويَعِدونَ ويدعُون، وعن الشرِّ ينهَونَ ويُحذِّرون، وللمؤمنين يستغفرونَ، وعليهم يُصلُّون، وعلى دعائِهم يؤمِّنون، وبالجنَّةِ يُبشِّرون.
- والمؤمنون مِن نَظَرِ الملائكةِ يستَحيُون، وبحبِّهم يَأمرون، وبالنَّهيِ عن أذاهم يتواصَون.
- والإيمانُ بالملائكةِ عِصمةٌ بإذنِ الله مِن الوَهْمِ والخُرافةِ، وزيادةٌ في العلمِ بعظمةِ الله وقُدرتِهِ، وهو يُورثُ الاستقامةَ، ويقوِّي الصبرَ، ويُوجِب الذِكْرَ، ويدعو إلى الفِكْرِ، ويُعينُ على الشُّكْرِ.

الفَصْلُ السَّابِعَ عَشَرَ

الإيمـان بـوجـود الجـن

- ومِن الإيمانِ بالغيب الإيمانُ بوجودِ الجنِّ والشيطان.
- وأنَّ خلقَهم كان قبلَ خلقِ الإنسانِ، وأصلَ خلقِهم مَارِجُ النِّيران.
- يَحيَون ويموتُون، ويَتَناكَحُون ويتناسَلون، وفيهم مؤمنون، ومنهم قَاسِطون، فمَن آمنَ فقدْ تحرَّى رَشَدًا، ومنْ كفرَ فقدْ صارَ لجهنَّمَ حَطَبًا.

الفَصْلُ الثَّامِنَ عَشَرَ

الإيمــان بالكــتب المــنزلــة

- ومِنْ أركانِ الإيمانِ: الإيمانُ بما أنزلَ اللهُ على أنبيائهِ مكتوبًا في الألواحِ، أو مسموعًا من مَلَكٍ أو من وراءِ حِجَابٍ، سواءٌ جَمَعَهُ اسمُ الصحيفةِ أو الكتابِ، وكلٌّ كلامُ اللهِ بلا ارتياب.
- أنزلَها اللهُ تعالى حُجَّةً على العالمين، ومَحَجَّةً للسالِكين.
- وأَوَّلُها ذكرًا في كتابِ الله صحفُ إبراهيمَ، ثم التوراةُ وهي صُحُفُ موسى أو غيرها، وآتى اللهُ داودَ زَبُورًا، ثم الإنجيلُ على عبدِه ورسولِه عيسى، وآخرُها نزولًا القرآنُ على النَّبيِّ العَدنَانِ؛ ليكونَ نورًا للعالَمين، ونذيرًا للعاصين، وهدًى ورحمة للمسلمين.
- وجَحْدُ واحدٍ منها كجَحدِها جميعًا.
- وقد اتفقتْ في أصولِ الإيمانِ، ومكارمِ الأخلاقِ، وكلِّياتِ الدِّينِ، والإخبارِ عن السَّابقِين واللَّاحقين، وإن اختلفتْ في أحكامِ أفعالِ المكلَّفين.
- يَنسَخُ اللَّاحقُ منها السابقَ كليًّا أو جزئيًّا.
- وَكُتُبُ الله تعالى إمَّا مفقُودةٌ غيرُ موجودةٍ، وإمَّا مُحرَّفةٌ غيرُ محفُوظةٍ إلا المحفُوظَ بحفظِ الله، وهو النَّاسِخُ الخاتِمُ، والمهَيمِنُ الحاكِمُ، النُّورُ المبينُ والذِّكرُ الحكيمُ، وهو القرآنُ العظيم.
- وَيَتَعَيَّنُ في الجملةِ احترامُها بتعظيمِ أُصولِها، ومَعرفةِ حكمةِ الله في إنزالِها وتَشرِيعها، مع الحَذَرِ من قراءتِها لما تَقَدَّم مِن تَحرِيفها ونَسخِها.
- والقرآنُ كلامُ الله حروفُه ومَعانِيه، منه بَدَأَ وإليه يَعُودُ، مُنَزَّلٌ غيرُ مخلُوقٍ، ولا نُخالفُ جماعةَ المسلمين.
- وحَقُّ القرآنِ العظيمِ: الإيمانُ به وتحكِيمُهُ، والتهجُّدُ به وتَرتِيلُه، وحِفظُهُ وتدبُّرُهُ، وتعلُّمُهُ والعملُ بهِ، وتَعليمُهُ.
- وما آمَنَ بالقرآنِ مَن كذَّب شيئًا من أخبارِه، أو استحلَّ شيئًا من مُحرَّماتِه، أو اعتقدَ تحريفَه أو نقصانَه.

الفَصْلُ التَّاسِعُ عَشَرَ

الإيمان بالرسل

- ومِنْ أركانِ الإيمانِ: الإيمانُ بالنبيِّنَ والمرسَلين، وأنهم صَفوَةُ خلقِ الله أجمعين، وقد أُسِّسَ جميعُ الدِّينِ على التَّصديق بِنُبوَّةِ النبيِّين.
- يجبُ الإيمانُ بهم إجمالًا، وبمن وردَ ذكرُهم في القرآنِ تَفصِيلًا.
- والتكذيبُ وتركُ الإيمانِ بواحدٍ منهم كالتكذيبِ بجميعِهم.
- والنُّبوَّةُ سابقةٌ على الرسالةِ، وكِلتَاهما وَهْبِيَّةٌ لا كَسْبيَّةٌ، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ ولا عَكْس.
- وهم أعلمُ الخَلقِ، وأعدلُهم طريقةً، وأكمَلُهم خُلُقًا، وأصدقُهم لَهجَةً، ما ليَّـنَتِ الشدائدُ منهم صُلْبًا، ولا وَهَّنتِ المكائدُ لهم عَزْمًا، نفوسُهُم عن الدنيا راغبةٌ، ونيرانُ خَوفِهم من رَبِّهِمْ لَمْ تزل مُتوقِّدةً، ومدَامِعُ عُيونهم لم تبرحْ مُترَقْرِقَةً، ثم إنَّ لهم النصرَ والعَاقِبَة.
- تمكَّن بعضُهم من الدنيا فلم تتبدَّلْ لهم طريقةٌ، ولم تتغيَّرْ لهم خليقةٌ، يقينُهم بربِّهم باهرٌ، وتَسلِيمُهم له ظَاهِرٌ.
- أجرى اللهُ على أيديهم الآياتِ البَوَاهرَ، والتي على مِثلِها آمَنَ الغائِبُ والحَاضِرُ.
- وانقضَتْ مُعجزاتُهم بانقضاءِ أعمارِهم، إلا معجزةَ الدَّهرِ، وشعارَ الفخرِ: القرآنَ الكريمَ، مَضَى عليه أربعةَ عَشَرَ قرنًا من الزمانِ وإعجازُه جديدٌ، وهَرَمَ شبابُ الزمانِ ورَونَقُهُ إلى مزيدٍ، تَقضَّتِ السُّنونُ والأَعوَامُ وتصرَّمتِ الليالي والأيامُ، ولن يأتِيَ أحدٌ بسورةٍ من مثلِه، ولو كانَ الجنُّ والإنسُ بعضُهم لبعضٍ ظَهيرًا.

الفَصْلُ العِشْرُونَ

ما يجب وما يجوز ويمتنع في حق الرسل

- حَفِظَ اللهُ أنبياءَه بحِفْظِه، وعصمَهم في ظَواهِرِهم وبَواطِنِهم؛ فالكبائرُ والدَّنايا في حقِّهم مَمنُوعةٌ، والصَّغائرُ -إن وَقَعَت- فهي نادرةٌ مَغفُورة.
- يستحِيلُ عليهم مطلقًا الكَذِبُ والخيانةُ، والسَّهوُ والنسيانُ في أمرِ البَلَاغِ والرِّسالة.
- ويجوزُ في حقِّهم الحياةُ والموتُ، والصحَّةُ والمرضُ، والغنى والفقرُ، والأكلُ والشربُ، والجِماعُ والنَّومُ، وإنجابُ الذُّريَّةِ، وسَائِرُ الأقدَارِ الكَونيَّةِ والأَعرَاضِ البشريَّةِ، والتي لا تُنقِصُ رُتَبَهم العَلِيَّةَ.
- وأوَّلُهم نُبُوَّةً آدمُ، ونوحٌ أوَّلُ المرسلين، ومحمدٌ خاتَمُهم، عليهم الصلاةُ والسلامُ أجمعين.
- ومنهم طائفةٌ مخصُوصةٌ، وبالعزمِ موصوفةٌ، أسماؤهم مجموعةٌ في سُورَتَي «الأحزاب والشُّورى».
- وأَفضَلُهُم على الإطلاقِ ختامُ الرُّسلِ باتِّفَاقٍ، وكُلُّ تَفضِيلٍ باعثُهُ التعصبُ أو التنقصُ لرُسلِ الله فهو ممنوعٌ.
- وهم إخوةٌ لِعَلَّاتٍ، دينُهُم واحدٌ وشرائعُهم متعدِّدَةٌ.
- والأنبياءُ اختُصُّوا دون البشرِ بالوَحيِ والعِصمَةِ، ولا تنامُ قلوبُهم ، ويُـخيَّرون عند الموتِ، ويُقبَـرُون حيثُ يموتون، وهم في حياةِ البرزخِ في قبورِهم يُصَلُّون، ولا تأكلُ الأرضُ أجسادَهم، وهم مُكرَمون.
- أقام اللهُ بِبَعثتهم الحُجَّةَ، وأظهرَ بسيرتهم المحَجَّةَ، وأعلَى بهم مَنارَ التوحيدِ، وأصلحَ برسالتِهم أحوالَ العبيدِ.
- وكلُّ نبيٍّ بَشَّرَ بمحمدٍ ﷺ ، وبالإيمانِ به أُخِذَ عليه الميثاقُ.
- وَصِفَتُهُ ﷺ في التوراةِ والإنجيلِ أنه يضعُ عنهم إِصرَهُم، ويَفُكُّ عنهُم كلَّ وَثاقٍ.

الفصل الحادي والعشرون

خصائص النبي ﷺ وحقوقه

- خصَّ اللهُ نبيَّنا محمدًا ﷺ بختمِ النُّبوةِ والرسالةِ، قالَ تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠].
- ورسالتُه ﷺ للناسِ كافَّةً، وللثقلين عامَّةً، قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[سبأ: ٢٨]، وقالَ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].
- ولم يَمُتْ نبيُّنا ﷺ إلا وأكملَ اللهُ لَهُ الدِّينَ، وأتمَّ عليهِ نعمةَ النصرِ والتمكينِ، وأنزلَ اللهُ عليه قولَه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].
- كما خصَّه ربُّه بالإسراءِ والمِعرَاجِ، وجعلَ القمرَ لأجلِه في انشقاقٍ، وجعل في رِيقِهِ وعَرَقِهِ البركةَ والعِلاجَ، بدَعوَتِهِ يُستَقَى المطرُ، وإليه انقادَ الشَّجَرُ، وعليه سَلَّم الجملُ والحجرُ، نُصِرَ بالرُّعْب مَسِيرَة شَهْر، سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ، صاحبُ الشفاعةِ العظمى، وحاملُ لواءِ الحمدِ يومَ القيامةِ ﷺ.
- دلائلُ نُبُوَّتِهِ زادتْ على الحدِّ، وشمائلُهُ لا يأتي عليها العَدُّ.
- فالإيمانُ به أوَّلُ حُقوقِه، مع طاعتِهِ واتِّباعِه، وتعظيمِهِ وتَوقِيرِه، ومحبَّتِهِ ومَيْلِ القلب إليه، والتَّحَاكُمِ إليه والرِّضى بِشَرِيعتِه، وإنزالِه مَنزِلَتَه من غيرِ غُلُوٍّ ولا جَفَاءٍ، والصَّلاةِ والسَّلامِ عليه، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

الفصل الثاني والعشرون

الإيمان باليوم الآخر

- ومن أركانِ الإيمانِ: الإيمانُ باليومِ الآخرِ ومُقدِّماتِهِ وأَشرَاطِهِ.
- وكلُّ من ماتَ فقدْ قامتْ قيامتُهُ الصغرى.
- وعند الاحتِضَارِ تَنزِلُ ملائكةٌ تُبشِّر المؤمِنَ بلقاءِ الرحمنِ وبمَقعَدِه في الجِنَان، وقد يُفتَنُ عند الموتِ الإنسانُ، وإنما الأعمالُ بالخَواتِيم.
- والقبرُ أوَّلُ منازِلِ الآخرةِ، وبالله يُستَعَاذُ من ضمَّتِهِ وفِتنتِهِ، وأحاديثُ عذابِه ونعيمِه متواترةٌ، وأنكَرَتْها الملاحِدَةُ والمتَفَلْسِفَةُ وطائفةٌ من المبتَدِعَةِ، وكذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمِهِ، ومن أهلِ الإيمانِ من يؤمِّنه اللهُ فتنةَ القبرِ وعذابَهُ.
- والأحكامُ في دارِ البَرزَخِ تجري على الأَرْواحِ، والأبدانُ تبعٌ لها.
- وبَين يَدَيِ السَّاعةِ أشراطٌ وعلاماتٌ.
- منها صغرى وقدْ وقعتْ: كبعثةِ النبيِّ ﷺ ووفاتِه، وانشقاقِ القمرِ حالَ حياتِه.
- ومنها ما يقعُ ويتكرَّرُ وقوعُه كخروجِ الدجَّالين الفتَّانين، ووقوعِ الخَسْفِ والزَّلازِلِ والبَرَاكين، وتَدَاعِي الأممِ على المسلمين.
- ومنها ما لم يقعْ ويُنتَظرُ: كانحِسارِ الفُراتِ عن جبلٍ من ذَهَبٍ، وعودةِ جزيرةِ العربِ جناتٍ وأنهارًا، وفَتحِ روميَّةَ، وظهورِ المهديِّ.
- ومنها كُبرى وهي: ظهورُ الدجَّالِ ثم نزولُ عيسى بنِ مريمَ عليه السلام، ثم خروجُ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ، والدُّخانُ، ثم تخرجُ الشَّمسُ من مَغرِبِها، وعندَها لا تُقبلُ توبةٌ، وتَخرُجُ الدَّابَّةُ، ثم النَّارُ التي تحشرُ الناسَ وهي آخرُ الأَشرَاطِ الكُبرى، وأوَّلُ الآياتِ المؤذِنَة بِقِيَامِ القِيَامة.
- ويكونُ بعدَها اندِرَاسُ الإسلامِ، ورَفعُ القرآنِ، وعودةُ البشرِ إلى عبادةِ الأَوْثَانِ، وهَدمُ بيتِ الله الحرام، وقَبضُ أرواحِ أهلِ الإيمان.

- ويومَ القيامةِ تُقبَضُ وتُدَكُّ الأرضُ دكًّا، وتَنفَطِرُ وتُطوَى السماءُ طيًّا، وَتُكوَّرُ الشمسُ، ويَخسِفُ القمرُ، وتُفجَّرُ البحارُ والأنهارُ تَفجِيرًا.
- ثم يُنفخُ في الصُّورِ نَفْخَتان أو ثلاثٌ فيها يَفزَعُون، وأُخرَى بها يَمُوتون إلا مَن شاءَ اللهُ، ثم ثالثةٌ فإذا هم قيامٌ يَنظرون، كما بَدَأهم يَعُودون.
- والبَعثُ والنُّشُور حقٌّ، بالشَّرعِ والعَقلِ وإجماعِ المسلمين والكِتَابِيِّين.
- وأوَّلُ مَن تَنشَقُّ عنه الأرضُ خيرُ الخَلقِ ﷺ، ثمَّ يُحشرون إلى أرضِ المَوْقِفِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وأوَّلُ مَنْ يُكسَى إبراهيمُ عليه السلام، فأمَّا المؤمنون فيُحشَرون رُكبَانًا إلى الرحمنِ وَفدًا، وأمَّا الكفَّارُ فعلى وُجوهِهم عُميًا وبُكمًا وصُمًّا، إلى جهنمَ وِردًا.
- ثمَّ يُجمَعُونَ ليومِ الجمعِ العظيمِ.
- ثمَّ يحصُلُ اللقاءُ، ويأتي ربُّك والمَلَكُ صفًّا صفًّا.
- ثمَّ يكونُ عَرضُ العبادِ على الله تعالى، لا تَخفى منهم خَافِيَةٌ، ولخُصُوصِ المؤمنين عَرضٌ لمعاصِيهم لتَقرِيرِهم بها، وسَترِها عليهم ومَغفِرَتِها، وهو الحسابُ اليسير.
- وأمَّا الحسابُ العسيرُ فهو المناقَشةُ، ومنْ نوقِشَ الحسابَ عُذِّبَ، ومِن أهلِ الجنَّةِ من يدخُلُها بلا حسابٍ، ولا سَبْقِ عذابٍ.
- ويُجاءُ بكتابِ الأعمالِ، وفيه الحقيرُ والجليلُ من الأقوالِ والأفعالِ.
- ويُؤتى بالشهداءِ من الملائكةِ الحَفَظةِ، والكِرامِ الكَتَبَـةِ، والأسماعِ والأبصارِ، وسائرِ الجوارحِ والأَبْشَارِ، وعندها يُقتَصُّ للمظلومِ من الظالمِ.
- ثم تَطَايَـرُ الكتبُ وتُنشَر الصحُفُ، فمِن آخذٍ باليمينِ نَسألُ اللهَ مِنْ فضلهِ، ومِنْ آخذٍ بالشمالِ مِنْ وراءِ ظَهرِه، عاملَنا اللهُ بعفوه.
- ثم تُنصبُ المَوَازينُ ليومِ القيامةِ، فمن ثَقُلَتْ موازينُه فأولئك هم المفلحون، ومنْ خفَّتْ موازينُه فأولئك هم الخاسرون.

- وينصرِف الناسُ إلى ظُلْمةٍ دون الصراطِ، فيُفرَقُ بين المؤمنين والمنافقين ثم يُعطَون النورَ كلٌّ بحسَبِه.
- ولنبيِّنا يومَ القيامةِ الكوثرُ، ومنه يُمَدُّ حوضُه، مَنْ شَرِبَ منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا.
- ماؤهُ أشدُّ بياضًا من اللبنِ، وأبردُ من الثَّلج، وأحلى من العسلِ، وريحه أطيبُ من المسكِ، وآنيتُه كَعَدَدِ نجومِ السماءِ.
- والصراطُ جِسرٌ مَضرُوبٌ على مَتْنِ جهنمَ، يَرِدُهُ الناسُ بأعمالِهم، فناجٍ مسلَّمٌ، وناجٍ مَخدُوشٌ، وآخرُ في نارِ جهنمَ مَكدُوسٌ، والنبيُّ ﷺ قائمٌ عليه يقولُ والملائكةُ: «ربِّ سلِّمْ سلِّمْ».
- وَبعدَه يكونُ الاقتِصَاصُ فيما بينَ أهلِ الجنةِ مِن المظالم.
- ومِن الإيمانِ باليومِ الآخِرِ الإيمانُ بالشَّفاعةِ، وهي ثابتةٌ بشَرطَيها: إذنُهُ تعالى للشَّافِعِ، ورضاهُ عن الشافعِ والمشفُوعِ له.
- ومنها الشفاعةُ العُظمى لنبيِّنا ﷺ، وهي لفَصْلِ القضاءِ، وهي المقامُ المحمود.
- ومنها شفاعتُه ﷺ في استفتاحِ بابِ الجنَّة، وغيرها من الشفاعات.
- ومنها الشفاعةُ في المؤمنين وعُصاةِ الموحِّدين، وهي له ولسائرِ الملائكةِ والنبيِّينَ والصالحين.
- وأسعدُ الناسِ بشفاعتِه ﷺ: من قالَ لا إلَه إلا اللهُ خالصًا مِن قلبِهِ.
- ويخرجُ من النارِ أقوامٌ بشفاعةِ ربِّ العالمين.
- ومن الإيمانِ باليومِ الآخرِ: الإيمانُ برؤيةِ المؤمنين لربِّهم يومَ القيامة، وبحجابِ الكفارِ يوم الحسرةِ والندامة.
- ومن الإيمانِ باليومِ الآخرِ: الإيمانُ بالجنَّة والنَّار.
- فالجنةُ مُسْتَقَرُّ الأبرَارِ، والنارُ مأوى الفُجَّار.
- مخلوقتان الآن دائمتان لا تَفنَيان.
- والجنةُ ونعيمُها درجاتٌ، والنارُ وعذابُها دَرَكَات.

- ولكلٍّ خَزَنَةٌ وأبوابٌ، للجنةِ ثمانيةُ أبوابٍ، وللنَّار سبعةٌ بلا ارتيَابٍ.
- أوَّلُ الخلقِ دخولًا الجنةَ: هذه الأمةُ وهم نِصفُ أهلِها أو يزيدون.
- وأوَّلُها دخولًا: نبيُّهاﷺ، وآخرُها دخولًا: عُصَاتُها.
- وأكثرُ أهلِها: الفقراءُ والضعفاءُ.
- وجميعُ أهلِها برحمةِ الله يدخُلُونها.
- وأكثرُ الخَلقِ -من غيرِ أمَّتِنا- يدخلون النارَ.
- وأكثرُ أهلِها النساء.
- ومَن ماتَ على غيرِ التوحيدِ والإيمانِ ففي النارِ خالدٌ أبدًا.
- ومنْ دخلَها من عُصاةِ الموحِّدين لم يُخلَّدْ فيها أبدًا.
- فإذا صار كُلٌّ إلى دارِه وقَرَارِه؛ ذُبِحَ الموتُ، فلا موتَ أبدًا.
- والإيمانُ باليومِ الآخرِ يَبعَثُ على الطاعةِ حِرصًا، ومِن المعصِيَة هربًا، وعلى الاستقامةِ دَوامًا، وفي مَتاعِ الدُّنيا وزَهرَتِها زُهدًا، ولأجرِ الآخرةِ طَلَبًا، وعلى المشقَّاتِ والمكروهاتِ صَبْرًا.

الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ

الإيمـان بالقـضـاء والقــدر

- ومِنْ أركانِ الإيمانِ: الإيمانُ بالقضاءِ والقَدَرِ خيرِه وشرِّه، حُلوِهِ ومُرِّهِ، وأنه مِنَ الله الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا، وكان أمرُه قَدَرًا مقدُورًا.
- وأصلُ القدرِ سِرُّ الله تعالى في خَلقِه، طَوَى عِلمَه عن عبادِه، ونهاهم عن مَرامِه.
- **والإيمانُ به مراتبُ أربعٌ:**
- **أوّلها**: الإيمانُ بعلمِ الله المحيطِ بما كانَ وما يكونُ، وما لم يكنْ لو كانَ كيفَ يكونُ، يعلمُ ما تُكِنُّ صُدُورُ خَلْقِهِ وما يعلنون، وأحوالَهم وأعمالَهم ومآلَهم الذي إليه يَصيرُون، ثمَّ أَخرجَهم إلى هذه الدَّارِ، فأمَرَهم ونَهاهُم وابتَلاهم، حتى ظهرَ فيهم سَابِقُ عِلْمِه، وبَالِغُ حِكمَتِه ﴿**وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا**﴾[الأحزاب: ٤٠]، موصوفٌ بكمالِ العلمِ، فلا يَلْحَقُه نسيانٌ ولا وَهمٌ.
- **الثانيةُ**: الإيمانُ بكتابةِ مقاديرِ الخَلائقِ، وفقًا للعِلمِ السَّابِقِ، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ**﴾[الحج: ٧٠]، وهو اللَّوحُ المحفوظُ، وهو أُمُّ الكتابِ، فما مِن كَائنٍ إلا وهو مكتوبٌ مَرقُومٌ قبلَ أن يخلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ، ثمَّ كَتَبَ السُّعداءَ والأَشقياءَ وأرزاقَهم، وأَعمالَهم وآجالَهم، وهم في بطونِ أمَّهاتِهم، وهو تَقْدِيرٌ دَهرِيٌّ عُمُرِيٌّ، وفي ليلةِ القدرِ تقديرٌ حَوْليٌّ، وإنفاذُ المقدُورِ على العبدِ في وقتِه المحدودِ تقديرٌ يوميٌّ، ولكلِّ نبأ مُستقَرٌّ وسوفَ تعلمون.
- **الثالثةُ**: الإيمانُ بمشيئتِه تعالى النَّافِذَةِ، فما شاءَ كانَ وما لم يشأْ لم يَكُنْ، يهدي من يَشاءُ فَضْلًا، ويُضِلُّ مَن يشاءُ عَدْلًا، لا رادَّ لقضائِه ولا مُعَقِّبَ لحُكمِه، ولا غَالِبَ لأمرِه، وللعبادِ مشيئةٌ فمَنْ شاءَ منهم الاستِقامةَ اتَّـخذَ إلى ربِّه سبيلًا، ومنْ شاءَ منهم الغِوايَةَ اتَّـخذَ الشيطانَ دليلًا.

- ومنْ شاءَ فمشيئةُ الله قَبلَ مشيئتِه، وإرادتُه تعالى قبلَ إرادتِه، قالَ تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩] ومَشيئتُه تعالى قائمةٌ على عِلمِهِ وحِكمَتِه.
- **الرابعةُ**: الإيمانُ بأنه تعالى خَالِقُ كلِّ شيءٍ، قالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الرعد: ١٦]، وهو تعالى خَالِقُ العبادِ وأفعالِهم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦].
- وتوكُّلُ القلبِ على الربِّ لا يُنافي الاكْتِسَابَ وتَعاطِي الأسبابِ، بل هو مِن أعظمِ الأَسبابِ.
- والتوكُّلُ على الأسباب شركٌ في التوحيد، وإهدارُها أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراضُ عنها بالكلية قدحٌ في النقل.
- وما أصابَ العبدَ لم يكن ليُخطِئَهُ وما أخطَأَهُ لم يكن ليُصِيبَهُ، وما قَضَى اللهُ تعالى كائنٌ لا محالةَ، والشقيُّ الجَهُولُ مَن لَامَ حالَهُ، والقَدَرُ إنما يُحتجُّ به عندَ المصائبِ والآلامِ لا عِند المَعَايبِ والآثام.
- والشَّـرُّ لا يُنسبُ إلى الله تعالى لتمامِ رَحمتِه وحكمتِه، فإن نُسِبَ إلى مقضِيَّاتِه مِن وجهٍ فهو منه عدلٌ وخير.
- والإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ يثمرُ اعتمادَ القلبِ على الربِّ عندَ مُباشرةِ السببِ، والرضا بِمُرِّ القضاءِ، واحتسابَ الأجرِ بالصَّبرِ أو بالشُّكر.

الباب الثالث: نواقض الإيمان ونواقصه

الفَصْلُ الأَوَّلُ

معنى الكفر وأقسامه

- الكفرُ يكونُ بارتكابِ نواقضِ الإيمانِ، ويُطلقُ عليها الذنوبُ المكفِّراتُ وهي: أقوالٌ أو أفعالٌ أو اعتقاداتٌ، حَكَمَ الشارعُ بأنها تُبطِلُ الإيمانَ، وتُوجبُ الخلودَ في النِّيران.
- وسائرُ المعاصي والسَّيئاتِ تَنقصُ الإيمانَ ولا تَنقُضُه.
- والكفرُ عدمُ الإيمانِ، وكما يكونُ بالاعتقادِ والقولِ يكونُ بالعملِ، وسواءٌ أكانَ العملُ قلبيًّا أم بدنيًّا.
- وكما يكونُ الكفرُ بالفعلِ، يكونُ بالتَّركِ والامتناعِ، والشَّكِ والارتيَابِ.
- والكفرُ والشركُ والفِسقُ والظُّلمُ تُطلقُ في الشرعِ ويُرادُ منها الأكبرُ أو الأصغرُ.
- **فالأكبرُ**: يُخرِجُ صاحبَه من المِلَّةِ، ويَرفَعُ عَن دمِهِ ومالِهِ العِصمَةَ، وبعد إقامة الحجة تجري عليه أحكامُ الكفَّارِ في الدنيا، وهو في الآخرةِ في النارِ من الخَالِدين، ولا تَنفَعُه شفاعةُ الشَّافِعين.
- **والأصغرُ**: صَاحِبُهُ من أهلِ المِلَّةِ في الدُّنيا والآخرةِ، وأمْرُه في الآخرةِ إلى الله، إن شاءَ عذَّبَهُ وإن شاءَ عفا عنهُ، وهو ممَّن يَصْلُحُ أن تُدرِكَه الشفاعةُ يومَ القيامةِ.
- والكفرُ الأصغرُ قد يُطلقُ ويُرادُ كُفرُ النِّعمةِ، أو كفرٌ دونَ كفر، قالَ تعالى: ﴿هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[النمل: ٤٠].
- وعليه فلا يَمتَنِعُ أنْ يجتَمِعَ إيمانٌ وكفرٌ غيرُ ناقلٍ عن المِلَّةِ في الشخصِ الواحِدِ، ولا يلزمُ مِن قيامِ شُعبةٍ مِن شُعَبِ الكُفرِ بالعبدِ أن يَصيرَ كافرًا الكُفرَ المطْلَقَ، حتى تقومَ به حقيقةُ الكُفر.
- وكما أنَّه لا تُوجدُ حقيقةُ الإيمانِ التي تَنفَعُ العبدَ إلا بوُجُودِ أصلِهِ، فلا يَخرُج العبدُ من الإسلامِ إلا عند وجودِ حقيقةِ الكُفرِ الأكبر.

الفَصْلُ الثَّانِي

ضوابط إجراء الأحكام

- الكفرُ والتَّكفِيرُ حُكْمٌ شرعِيٌّ، والحُكْمُ بهما حقُّ الله تعالى وحدَهُ.
- ومنْ ثَبَتَ إسلامُه بيقينٍ لم يَزُلْ بالشكِّ، والإسلامُ الصَّرِيحُ لا يُنقَضُ إلا بالكُفرِ الصريح.
- والخطأُ في نَفيِ التَّكْفِيرِ أو التَّفسِيقِ أو التَّبدِيعِ أهونُ من الخطأ في إثباتِها.
- والأحكامُ في الدُّنيا تجري على الظاهرِ وآخرِ الأمرِ، فمن كانَ ظاهرُهُ الإيمانَ حُكِمَ له به، ومن كان ظاهِرُهُ خلافَه حُكمَ عليه به، والاطِّلاعُ على القلوبِ مَوْكُولٌ إلى علَّامِ الغُيوب.
- وعلى العُمُومِ لا التعيينِ يُقطعُ لموتى المسلمين بالنجاةِ من الخلودِ في النَّارِ، ويُقطع لموتى أهلِ الكُفرِ والإلحادِ بالخلودِ في النار.
- وكلُّ وَعيدٍ وَرَدَ على ارتكابِ مَنهِيٍّ بإطلَاقٍ لا يَستلزِمُ بالضَّرُورةِ الحُكْمَ به على فاعِلِه أو مُرتَكِبِه على التعيينِ، وسواءٌ أكان المنهيُّ عنه قولًا أم فعلًا أم اعتقادًا.
- فالحُكْمُ المطْلَقُ لا يَستلزِمُ الحُكمَ المعيَّنَ؛ فلا تَجري الأحكامُ على الأَعْيَانِ إلا بعدَ قيامِ الحُجَّةِ بتَحقُّقِ الشروطِ، عِلمًا وَقَصْدًا واختيارًا، وانتفاءِ المَوانِع.
- ومَن لم يَفهمْ الدَّعوةَ لم تَقُمْ عليه الحجَّةُ.
- والعُذْرُ جارٍ في أصولِ الدينِ وفُروعِه، ومواطنِ الإجماعِ والخلافِ على حَدٍّ سواءٍ.
- وعلى الرَّاجحِ وفي الجملةِ حيثُ أَمكَنَ الجهلُ فالأصلُ العُذرُ حتَّى تقومَ الحُجَّةُ وتَبِينَ المحجَّةُ.
- وكلُّ تَأوِيلٍ انطَوَى على تَكذِيبِ الرَّسولِ، أو جَحْدِ أصلٍ لا يقومُ الدِّينُ إلا به، ولا يُعذَرُ صاحِبُهُ، كالفَلاسِفةِ والباطنيَّةِ في تَأويلَاتِهم -فإنَّ صاحبَه يَكْفُرُ، وأمَّا مَن لم يكنْ كذلك فبَينَ أن يأثَمَ صاحبُهُ ولا يَكفُرُ، كعوامِّ المرْجِئَةِ والمعْتزِلةِ وغيرِهم في

تَأويلَاتِهم، وبَيْنَ أن لا يأثمَ ولا يُبَدَّعَ ولا يُكفَّرَ كالمجتهدين في تأويلاتِهم في فروعِ العقيدةِ والشريعة.

- والإكراهُ عُذرٌ مُعْتَبرٌ يَمنعُ من إجراءِ الأحكامِ، وقدْ قالَ تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ**﴾[النحل: ١٠٦].
- والتكفِيرُ بما يَئولُ إليه المقالُ ليسَ بُكفْرٍ في الحالِ، ولا يصحُّ تكفيرٌ أو تبديعٌ بِلازمِ القولِ أو المذهبِ، إلا أن يُلتزَم.
- والحكمُ على المعيَّنين في الجملة مَوكُولٌ إلى القُضاةِ المعتَبَرِين، والكبارِ الرَّاسِخِين، من أئمةِ الفقهِ في الدِّين.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

أنواع النواقض وأقسامها

- والنَّواقضُ قد تكونُ قلبيَّةً أو قوليَّةً أو عَمَليَّةً.
- وهي تنقسمُ أيضًا إلى نَواقِضَ في التوحيدِ والإلـهياتِ، وأخرى في النُّبوَّاتِ، وثالثةٍ في الغَيبيَّات، ورابعةٍ في أبوابٍ مُتفرِّقاتٍ.
- فأما النَّواقِضُ القلبيَّةُ في التوحيدِ فمنها ما يُناقِضُ اعتقادَ القلبِ وقولَه، ومنها ما يُناقِضُ عملَهُ.

فأما نَواقِضُ اعتقادِ القلبِ فهي:

- التَّشريكُ بَينَ الله وبين أحدٍ مِن خَلقِه في صفاتِ الرُّبوبيَّة، كالخَلقِ والمُلْكِ والتَّدْبيرِ وعِلمِ الغَيبِ، أو اعتقادُ وَحدةِ الوُجودِ، أو حُلُولِه تعالى في مخلوقاتِه.
- اعتقادُ ألوهيةِ غيرِ الله، أو استِحقَاقِه للعبادةِ من دونِ الله، أو معَ الله.
- الشكُّ في الله تعالى، أو في رسولِهﷺ، أو في كِتَابه، أو في شريعتِه وحُكمِه.
- الإلحادُ في أسمائِه تعالى وصفاتِه بِجَحدِها وإنكارِها، أو بِتَسمِيَةِ الأصنامِ بأسمائِه تعالى، أو وَصْفِه تعالى بالنَّقائِصِ أو القَبَائِحِ، أو تَشبِيهِه تعالى بِخَلقِه في الصِّفاتِ، تعالى اللهُ عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا.

وأما نواقضُ عملِ القلبِ فمنها:

- كُفْرُ الإباءِ والاستِكبَارِ وهو كُفْرُ إبليسَ وأعداءِ الرُّسلِ، وحَقِيقَتُه تَركُ الانقيادِ لأمرِ الله تعالى.
- ومنها: شِركُ النيَّـةِ والإرادةِ والقَصْدِ، ومنه أكبرُ، ومنه أصغر.
- وَمِنها: شِركُ المحبَّـةِ، كأن يُحِبَّ مخلوقًا كحُبِّ الله.
- **وأما النواقضُ القوليَّةُ في بابِ التوحيدِ فمنها:** سبُّ الله تعالى والاستِهزَاءُ به، أو سبُّ

كتابِه، وهما مَـحِلُّ إجماع.

ومن النَّواقضِ العمليَّةِ في بابِ التوحيدِ:

- الشركُ في العبادةِ والنُّسُكِ؛ فمن صَرَفَ شيئًا مِن العبادةِ لغيرِ الله كأن ذَبَحَ أو نَذَرَ أو طافَ أو صلَّى لغيرِ الله تعالى أو دعا غيرَه، فقد كفرَ أو أشركَ، ولا يُشترَطُ أن يَعتَقِدَ في مَعبُودِه صفاتِ الرُّبوبيَّة.
- ومنها: الحُكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، ومنه أكبرُ ومنه أصغر.
- فمَن تركَ الحُكمَ بما أنزلَ اللهُ في واقعةٍ أو وقائعَ لهوًى، أو رِشوَةٍ، أو خوفٍ، أو مصلحةٍ دنيويَّةٍ، أو نحوِ ذلك، مع الإقرارِ بخَطَئِه، ويَقِينِه بمَعصِيَتِه، فهو كفرٌ أصغرُ، وكفرٌ دون كُفْر.
- ومن تركَه مُستَحِلًّا تَبدِيلَه، أو التشريعَ من دونِه، أو جَحْدًا لوُجُوبِه، أو رأى أنه مُخـيَّـرٌ فيه، أو أنَّ حُكْمَ الله لا يَصلُحُ، أو أنَّ حُكْمَ غيرِه أَصلَحُ، أو أنه مُساوٍ لحُكْم الله؛ فهو كافرٌ خَارِجٌ مِن المِلَّة، وذلك بعدَ إقامةِ الحُجَّـةِ وإزَالَـةِ الشُّبهَة.
- والسَّعيُ لإقامةِ سُلطانِ الشريعةِ في البلادِ وفي قلوبِ العبادِ على المِنهَاجِ الرَّبَّانيِّ فَرْضٌ شرعيٌّ، وعملٌ مرضيٌّ، ويَتأَتَّى بالاعتصامِ بالكتابِ والسنة بفهمِ سلفِ الأمَّةِ، تَصفِيَـةً لما أصابَ العَقَائِدَ من الشَّوَائِب، وتربيةً على مَنهَجِ أهل السنةِ اللَّاحِب.
- والاستِحْلَالُ الذي اتَّفقَ أهلُ السنةِ على تكفيرِ صاحِبه، تارةً يكون بعَدَمِ اعتقادِ الحُكمِ الشرعيِّ، وهذا يَئولُ إلى كُفرِ التَّكذِيب، وهو نَاقِضٌ لرُكنِ التصديقِ في الإيمان، وتارةً يكونُ بردِّ الحُكْمِ على الله ورسولِه وعدم التزامِه أو قَبولِه، وهذا يئولُ إلى كُفْرِ الإباءِ والاستِكبَارِ، وهو نَاقِضٌ لركنِ الانقياد.
- والتحاكُمُ إلى غيرِ ما أنزلَ اللهُ رضًا واختِيارًا نِفاقٌ لا يَجتمعُ مع الإيمان.
- وكلُّ ما أُحدِثَ من الأقوالِ والأفعالِ ومَناهِجِ الحكمِ على خلافِ الشريعةِ فهو ردٌّ،

لا حُرمَةَ له، ولا أَثَرَ يَترَتَّبُ عليه، إلا ما دعتْ إليه الضَّرُورةُ.

ومن النَّواقِضِ القلبيَّة في بابِ النُّبوَّات:

- اعتقادُ أنَّ لأَحَدٍ طريقًا إلى الله غيرَ مُتابَعَةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، أو لا يجبُ عليه اتِّباعُهُ، أو أنَّ لغيرِه خروجًا عن اتباعِه.
- ومنها: ادِّعاءُ النُّبوَّةِ لنفسِه أو اعتقادُها في غيرِه، أو تَجوِيزُها بَعْدَ خَتْمِها، أو إنكارُ خَتمِها.
- ومنها: إنكارُ الكُتُبِ المنـزَّلَةِ إجمالًا، أو إنكارُ بَعضِها مما يَجبُ الإيمانُ به تفصيلًا، وكلُّ ذلك يُناقِضُ قولَ القلب.
- ويُغضُ وكَراهِيةُ ما جاءَ به الرسولُ، مما يُنافي عملَ القلبِ من المحبَّةِ والرضا والقبول.

ومن النَّواقضِ القوليَّةِ في بابِ النُّبوَّات:

- سبُّ الأنبياءِ عامةً، أو نبيِّنا ﷺ خاصةً، فمن استَخفَّ بنبيِّنا ﷺ أو بأحَدٍ من الأنبياءِ، أو أَزْرَى عليهم، أو آذَاهُم فهو كافرٌ بالإجماع.

ومن النَّواقِضِ العَمليَّةِ في بابِ النُّبوَّات:

- الاستهانةُ العَمليَّةُ بالمصحفِ، كأن يَضعَه تحتَ قَدَمَيْه أو يُلقِيه في القَاذُورَات، أو السعيُ إلى تغييرِه وتَبدِيلِه بزيادةٍ أو نُقصَان.

ومن النَّواقِضِ القلبيَّة والقوليَّةِ في الغَيبيَّات:

- إنكارُ الملائكةِ أو الجنِّ، أو السَّبُّ أو الاستِهزَاءُ بشيءٍ من ذلك، وهو تَكذِيبٌ للوحيِ وخَرقٌ للإجماعِ.
- ومنها: إنكارُ البَعثِ، والوَعدِ والوَعِيدِ، أو الاستِهزَاءُ والسبُّ لشيءٍ من ذلك.

نَواقِضُ أخرى

- ومنها ما هو مُتَّفقٌ عليه، ومنها ما اختُلِفَ فيه.
- **فمِنَ المتفقِ عليه مما يُناقِضُ قولَ القلبِ**: إنكارُ معلومٍ من الدِّينِ بالضَّرُورةِ، ومنه إنكارُ حجابِ المرأةِ أصلًا، واستِبَاحَةُ التعرِّي مطلقًا.
- **ومما يُناقِضُ اعتقادَ القلبِ وعملَه**: النِّفاقُ، وهو القولُ والفعلُ بخلافِ ما في القلبِ.
- ومنه مكفِّرٌ وهو الأكبر، وغيرُ مكفِّرٍ وهو الأصغرُ، وهو من جِنسِ المَعاصي.
- **ومما يُناقضُ عملَ القلبِ**: بعضُ أنواعِ مُوالاةِ الكفَّار، فمن وَالَى كافرًا لِكُفرِه فقد نَقَضَ أصلَ إيمانه بالله ورسولِه، ومن ذلك مُتابَعتُهم في التَّحليلِ والتَّحريمِ والتشريعِ، والتَّشبُّه بهم في أمورِ دينهم.
- ومُظاهَرَةُ الكفارِ على المسلمين مراتبُ منها ما يَنقُضُ الإيمانَ ومنها دونَ ذلك.
- ومنه: الدعوةُ إلى وحدةِ الأديانِ، أو دعوى صِحَّةِ التديُّنِ بها جميعًا أو بأيِّها، أو جوازِ التحوُّلِ من الإسلامِ إليها.
- والعَلمانِيَّةُ التي تعني عَزلَ الدِّين عَنِ الحياةِ كلًّا أو جزءًا هي والإيمانُ ضِدَّان لا يجتمعان، إذ هي في حقيقتِها ردٌّ لمرْجِعِيَّةِ الوَحْيِ ومناقضةٌ للتوحيدِ والاتِّبَاعِ للنبيِّ ﷺ.

ومما اختُلِف فيه من النَّواقِض:

- سبُّ الصحابةِ ﭫ: والصحيحُ أن من سبَّ جميعَهم أو معظَمَهم ورَمَاهم بالكُفرِ كَفَرَ، بخلافِ مَن سبَّ بعضَهم من غيرِ طَعنٍ في دينِهم ﭫ.
- السِّحرُ: والصحيحُ أنَّ السِّحْرَ المتضمِّنَ فعلًا أو قولًا أو اعتقادًا يَقتَضِي الكُفرَ هو كُفرٌ، وإلَّا فَلَا، وتعلُّمَه وتَعلِيمَه إذا تضمَّن ما يَقتَضِي الكُفرَ فهو كُفرٌ، وإلَّا فلا.
- التَّنجِيمُ: والصحيحُ أنَّ التَّنجِيمَ الذي يتضمَّنُ عبادةَ النُّجومِ، أو اعتقادَ تَصرُّفِها في الكَونِ، أو ادَّعاءَ علمِ الغَيبِ فهو كفرٌ، وإلا فلا.
- وتركُ الصلاةِ تَكاسلًا من غيرِ جُحودٍ مُختَلَفٌ في حكمِه بينَ أهلِ السنةِ، ومَنْ كفَّر تاركَ الصَّلاةِ مُطلقًا لم يَتَّهم مُخالِفَهُ بالإرجاءِ، ومن لم يُكفِّر تاركَ الصَّلاةِ لم يَرْمِ مُخالِفَهُ بالخُروج.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

نواقص الإيمان

- ونَواقِصُ الإيمانِ: أقوالٌ وأفعالٌ واعتِقَاداتٌ حَكَمَ الشَّارعُ بأنها تَنقُصُ الإيمانَ ولا تَنقُضُه.
- ونَواقِصُ الإيمانِ منها: الشركُ الأصغرُ، والكَبَائرُ، والصَّغائر.
- فأما الشركُ الأصغرُ: فهو ما وردَ في النصوص تسميتُه شركًا ولم يبلغْ حدَّ الشركِ الأكبرِ، فهو كالوسيلةِ للأكبرِ.
- وكما أنَّ الأكبرَ يُحْبِطُ جميعَ العملِ؛ فإنَّ الأصغرَ لا يُحْبِطُ إلَّا ما اقترنَ بهِ مِن عملٍ.
- ويُفرَّقُ بين الشِّرك الأصْغَر والأكْبَر بأمورٍ منها:
- صَرِيحُ النَّصِّ عليه، كقولِهِ ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**».
- وما فَهِمَه الصحابةُ من نصوصِ الوحيِ، كقولِهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» وقولِهِ ﷺ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**».
- ومما يدلُّ عليه مجيئُهُ مُنكَّرًا غيرَ مُعرَّفٍ، كقولِهِ ﷺ: «**إِنَّ الرُّقَى والتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَـةَ شِرْكٌ**».
- والأصغرُ أكبرُ من الكَبائِرِ وأخطرُ، وتعلُّقُهُ بالإيمانِ أظهرُ وأكثر.
- والكَبائِرُ ما استَتبَعتْ لعنةً أو حدًّا في الدُّنيا، أو عقوبةً في الآخرةِ، ومنها: قتلُ النفسِ، والرِّبا، والزِّنا، والقَذْفُ، والتَوَلِّي يومَ الزَّحْف.
- والصَّغَائِرُ ما لم يَبلُغْ حدَّ الكبائرِ، ومن اجتنبَ الكبائرَ غُفِرَتْ له الصَّغائرُ.

ومِن نَواقِصِ الإيمان:

- يَسِيرُ الرياءِ في العباداتِ، وتَصوِيرُ ذواتِ الأروَاحِ مِن المخلُوقاتِ، والصلاةُ -تبركًا- بين القبورِ وإليها، واتِّـخاذُها مَسَاجِدَ والبناءُ عليها، والحَلِفُ بغيرِ الله تعالى، والاستِشفَاعُ بالخَلقِ على الله تعالى، والتَّسمِيةُ بما يَختصُّ بالله تعالى من أسمائِه وصفاتِه، والتَّعبِيدُ بغيرِ أسمائِه، والرُّقَى البِدعِيَّةُ، والتمائم، وإتيانُ الكهَّانِ البدعِيُّ، والتَّشاؤمُ، والتعصُّبُ للحِزبِيَّاتِ الجاهليَّـةِ، والقَوميَّاتِ العُنْصُريَّـةِ، والتَّشبُّه بأهلِ المِلَل الرَّديَّةِ فيما لا يتعلقُ بأمورِهم الديـنِيَّة، وهذه الأمورُ منها ما هو وسيلةٌ للشِّرك، ومنها دونَ ذلك.

الباب الرابع: مسائل متفرقات

الفصل الأول

عقيدة أهل السنة في آل البيت رضي الله عنهم

- وآلُ بيتِ النَّبيِّ ﷺ هم الذين حَرُمَتْ عليهم الصَّدقةُ، من آلِ عَليٍّ وآلِ جَعْفَرٍ، وآلِ عَقِيلٍ، وآلِ العبَّاسِ، وبَني الحارثِ بنِ عبدِالمطَّلب رضي الله عنهم أجمعين.
- ومِن آلِ بيتِه ﷺ: الزوجَاتُ الطاهِرَاتُ الـمُطهَّراتُ الـمبرَّآتُ، والحَليلَاتُ في الدُّنيا وفي أعلى الجنّاتِ، هُنَّ أمَّهاتُ المؤمنين اللَّائي أذهبَ اللهُ عَنهُنَّ كلَّ رِجْسٍ، ونزَّهَهُنَّ عن كلِّ دَنَسٍ، ولا سِيَّما خَدِيجَةُ رضيَ اللهُ عنها التي انفَرَدَتْ به فلَمْ يَنكِحْ عليها، وعَائِشَةُ رضيَ اللهُ عنها التي انفردَ بها فلم يَنكِحْها غيرُه.
- ومِن آلِ بيتِه: الذين جلَّلَهم بالكِساءِ؛ عليٌّ وفَاطِمةُ، والحَسَنُ والحُسَينُ، وذريتهما رضي الله عنهم أجمعين.
- وهم الأخيارُ الأبرارُ، والذُّرِّيةُ الأطهارُ، أَشرَفُ بَيتٍ حَسَبًا، وأكرَمُهم نَسَبًا.
- وأهلُ السُّنَّةِ بحبِّهم إلى الله تعالى يَتقرَّبون، وبحمايَتِهم والذَّبِّ عَن أعراضِهم يَتديَّنون، وبِبُغضِ مَن أَبغَضَهم أو قَدَحَ فيهم يُجاهِرون، وبِوصِيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ بمَودَّتِهم يَعملون.
- يُوَالُونهم ويُجِلُّونهم، ويتبرَّءون من طريقةِ النَّواصِب.
- ولا يَغلُون فيهم ولا يعصمُونهم، ويتبرَّءون من طريقةِ الرَّوافِض.
- يرفعون مُحسِنَهم، ويقولون لمسيئِهم بقول نبيِّهم ﷺ: **«مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»**.
- ومَن جمعَ بينَ طِيبِ النَّسبِ وصالحِ العملِ؛ فقدْ جمعَ الخَيرَين، وحازَ الفضلَين.

الفَصْلُ الثَّانِي

عقيدة أهل السنة في الصحبة ﵃

- وأَصحَابُ خيرِ خَلقِ الله، أرضى الخَلقِ عندَ الله بعدَ أنبياءِ الله.
- هُم السَّلفُ السابِقُ بالإيمانِ، وهم أهلُ مَرضَاةِ الرحمن.
- محبتُهم طاعةٌ وإيمانٌ، وبغضُهم نفاقٌ وطغيانٌ.
- أبرُّ هذه الأمَّةِ قلوبًا، وأَرسَخُهم إيمانًا، وأَعمَقُهم عِلْمًا، وأقلُّهم تكلُّفًا، بالصُّحبةِ والنُّصرةِ سَبَقوا سَبْقًا بعيدًا، وبتَزكِيَةِ الله ورَسُولِه لهم بَلَغُوا شأنًا عظيمًا.
- أعلاهم قدرًا، وأكثرُهم أجرًا، وأثقلُهم ميزانًا: الصِّدِّيقُ الأكبرُ، ثم الفاروقُ الأشهرُ، وعلى هذا إجماعُ المؤمنين من الصحابةِ والتابعين.
- ثم ذو النُّورَينِ عُثمانُ، ثم عليٌّ أوَّلُ منْ آمنَ منَ الغِلمان.
- وهمُ الخلفاءُ الأربعةُ الرَّاشِدون، وهمُ الأئمةُ المهدِيُّون، ومِن بعدهم باقي العشرةِ المبشَّرِين.
- ومن ورائِهم السَّابقون الأوَّلون من المهاجِرينَ الأبرارِ، ثمَّ مِن الأنصارِ الأخيارِ.
- ثمَّ أهلُ بدرٍ، أهلُ الأجرِ ومغفرةِ الوِزرِ، ثمَّ أهلُ أُحُدٍ الذين استجابوا لله والرسولِ من بعد ما أصابَهم القَرْحُ والـجَهْدُ.
- ثم أهلُ بَيعةِ الرِّضوانِ الذين حُرِّموا على النِّيران.
- ثمَّ مَنْ آمَنَ مِن قبلِ الفتحِ وأنفقَ وهاجرَ وجاهَدَ.
- ثمَّ مَنْ آمَنَ مِن بعدِ الفتحِ وأنفقَ وجاهَدَ، وكُلًّا وعدَ اللهُ الحسنى.
- فَفَرضٌ على كلِّ مُسلِمٍ محبَّتُهم، والتَّرضِّي عن جميعِهم، وبُغضُ من يَبغضُهم ، وبغيرِ الخيرِ يذكُرهم.

- وكما هم في الفضلِ متفاوتون، فهم في الحبِّ متفاضِلون.
- ويَتعيَّن الاقتِدَاءُ بهم، والاهتِدَاءُ بهَديِهم، دون غُلوٍّ في أقدارِهم، فليسوا بمَعصومِين، أو تنقُّصٍ لمنـزِلَتهم، فليسوا كآحادِ المؤمنين.
- ويجبُ الكفُّ عما شَجرَ بينهم، والدعاءُ والاستغفارُ لهم.
- فلا يُذكَرونَ إلا بالجميلِ، ومَنْ ذَكَرَهم بسوءٍ فهو على غيرِ السَّبِيل، وقد تعرَّضَ للعقاب الوبيلِ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الواجب نحو العلماء

- العلماءُ الربانيُّون هم الرُّعاةُ الصالِحون، والدُّعاةُ الصادِقون.
- أخشى الناسِ لله، وأعرفُهم بشرعِه وهُداه، وهم الأولياءُ وَوَرَثةُ الأنبياءِ، وهم أهلُ الحديثِ والأثرِ، وأهلُ الفِقهِ والنَّظَرِ، وهم أهلُ الاتباعِ والذِّكرِ، وعلى التحقيقِ هم أُولُو الأمرِ.
- خلفاءُ الرسولِ ﷺ في أمَّتِه، والمُحْيُون لما ماتَ من سُنَّتِهِ، يَدعون مَن ضلَّ إلى الهدى ويَصبرون منهم على الأذى.
- بِهِم قامَ الكتابُ وبه قاموا، وبِهِم نطقَ الكتابُ وبه نطقوا.
- فرضَ اللهُ - في المعروفِ - طاعتَهم، وأمرَ بمحبَّتِهم، وجعلَهم بمَنـزِلةِ الموقِّعين عن ربِّ العالمين.
- إليهم يُرجعُ في المُلِـمَّاتِ، وعن فتاويهم يُصدَر في المُهمَّات.
- تُنشَرُ حَسناتُهم، وتُدفَنُ سَيئاتُهم، وتُرعَى حُقوقُهم؛ إذ لحومُهم مسمومةٌ، وعادةُ الله في هتكِ مُنتقِصيهم مَعلومَةٌ.
- وأفضلُ العلماءِ علماءُ السَّلفِ مِن الصحابةِ والتابعين وتابعيهم، وأئمةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في القُرونِ المفضَّلةِ الثلاثةِ، ولا سِيَّما الأئمةُ الأربعةُ، أصحابُ المذاهبِ الفِقهيَّةِ المتبُوعَةِ، والكَلِمَةِ الماضِيةِ المسمُوعَةِ.
- اجْتَمَعَت كلمتُهم في مسائلِ الإيمانِ والعقيدةِ، وإن اختلفتْ في بعضِ فروعِ الشريعة.
- والحَذَرَ الحَذَرَ مِن تَتَبُّعِ واتِّباعِ زلَّاتِهم، أو دَعوى عِصمَتِهم، أو إسقاطِ مَنـزِلَتِهم.
- والحَذَرَ الحَذَرَ ممن اتخذوا الدِّينَ حِرفةً وصَنعةً، لا عبادةً وقُربةً، يأمرون بالخيرِ ولا يفعلونه، وينهَون عن المنكرِ ويَنتَهِكونه، ويقولون الباطلَ ويُزَيِّنونَهُ، ويكتمون الحَقَّ و بالباطلِ يَلْبِسُونه.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

الإمـــامـــة

- نَصْبُ الإمامِ الأعظمِ واجبٌ كفائيٌّ بالكتابِ والسُّنةِ، وإجماعِ أهلِ السنة.
- والإمَامَةُ عَقدٌ بينَ الأمَّةِ والأَئِمَةِ موضوعٌ لخلافةِ النُّبوَّةِ في حراسةِ الدِّين وسياسةِ الدُّنيا.
- تَثبُتُ الإمامةُ بإجماعِ الرعيَّةِ، أو بِبَيعةِ أهلِ الحَلِّ والعَقْدِ أو بالعهدِ، ومن تَغلَّبَ حتى اجتمعتْ عليه الكلمةُ انعقدتْ إمامتُه، ووجبتْ في المعروفِ طاعتُه.
- وللأمَّةِ على أئمتِها تَحكِيمُ شريعتِها، وحِياطَةُ عقيدتِها، والمحافظةُ على وَحدتِها، إقامةً لواجبِ الأمرِ والنهيِ، ونشرًا لأعلامِ الجهادِ، وجمعًا للزَّكاةِ والصدقاتِ، وتحرِّيًا للأمانةِ في اختيارِ الكفاءات.
- وللأئمةِ حقُّ السمعِ والطاعةِ في المَنشَطِ والـمَكْرَه، وفي كلِّ طاعةٍ ومباحٍ يُشرعُ، دون كلِّ معصيةٍ أو ظلمٍ يُمنع.
- ولهم حقُّ النصحِ إذا أخطئوا، والإعانةِ إذا أصابوا، تُـقَال عَثْرَتُهم، وتُستَرُ عورتُهم، ولا يُطْمَعُ في دنياهم، وبالصلاحِ يُدعى لهم.
- ويَحرُمُ الخروجُ على الأئمةِ ما داموا مُسلِمين، ولكتابِ الله ولسنةِ نبيِّه ﷺ محكِّمين، يُصبَرُ عليهم وإن جاروا، ويُحجُّ ويُـجَاهَدُ معهم وإن ظلموا وفسقوا، وتُلزَمُ جماعتُهم وإن ضَربوا الظُّهورَ وأخذوا الدُّثُور.
- ويَنتَقِض عَقدُ الإمامةِ بانتقاضِ أحدِ أركانِه، كفقدِ الإمامِ أو باختلالِ أحدِ شروطِه كجنونِه أو رِدَّته.
- ولا يَلزَمُ من انتقاضِ العَقدِ كفرُ الأئمةِ، وإنما انعدامُ الشرعيَّةِ، وهذا لا يعني المُـنَابَذةَ العَمَلِيَّـةَ؛ فإن لذلك شروطًا لا بدَّ من توافرِها، وإلا كانت تغريرًا بالأنفسِ والأموالِ،

فلا بدَّ من استيفاءِ الشرعيَّةِ، وعدمِ الإضرارِ بالأمَّةِ، وحَصرِ المواجهةِ مع أعدائِها فحَسْب، مع ترتيبِ الأوْلَوِيَّاتِ، ووضوحِ الرَّايَاتِ، وسلامةِ الوَلاءاتِ، وتحقُّقِ المصلحةِ بإعزَازِ الدِّينِ، والدَّفعِ عن المستضعفين.

- وتقديرُ هذا كلِّه مما يُسلَّم إلى العلماءِ الراسخين، ومَن دخلَ في طاعتِهم من أصحابِ الشَّوْكةِ القادِرين.
- وإذا خلا المكانُ أو الزمانُ عن الإمامِ الحقِّ لفقدِه شرعًا أو حِسًّا؛ فالأمرُ مسلَّمٌ إلى أهل الحَلِّ والعَقدِ في الأمةِ، ويَتَعَيَّنُ الاجتماعُ على الحقِّ وموافقةُ السُّـنَّةِ، وتركُ التفرُّقِ في المِلَّةِ، والعملُ على إقامةِ الفرائضِ في الأمة.
- فلا تَسقطُ جمعةٌ عن أهلِ وُجوبِها، ولا يتخلَّفُ عن جماعةٍ أحدٌ من أهلِها، ولا يُتخلَّى عن واجبِ الأمرِ بالمعروفِ في المجتمعاتِ، والنهيِ عن المُنكرَاتِ، ولا تُستبَـاحُ أموالُ المسلمين أو الذمِّيِّين أو المعَاهَدين أو المستأمَنين ودِماؤهم وأعراضُهم إلا بحقِّها.
- وهذا يُعقِبُ عصمةً وأمنًا، وانضِباطًا واطمِئنانًا، وقوةً في المجتمعاتِ وتماسكًا.

الفَصْلُ الخَامِسُ

الموقف من الابتداع وأهله

- كلُّ مُحْدَثةٍ في الدينِ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.
- وأهلُ السُّنةِ يُؤَكِّدون على توقيفيَّةِ العبادةِ، وسدِّ ذرائعِ الابتداعِ، وردِّ جميعِ ما خالفَ السنة.
- فمُستَنَدُ المشروعيةِ هو موافقةُ الشريعةِ المطهَّرةِ، بفَهمِ وتطبيقِ الصحابةِ البرَرَةِ، وأهلِ الحديثِ المهَرَة.
- والأُسوةُ الحسنةُ لهذه الأمةِ هو رسولُ الله ﷺ، فإذا صحَّتْ سُنَّتُهُ بلا مُعارِضٍ، فلا يَحِلُّ لأحدٍ رَدُّها لقولِ أحدٍ من الخَلْقِ.
- وأهلُ البدعِ النَّاكِصون عن الاتباعِ أهلُ جهلٍ وتعصُّبٍ، وغُلُوٍّ وهوًى، يُجادِلون بغيرِ حقٍّ، ويُجادِلون في الحقِّ بعدما تبين.
- يَجتمِعون على تنقُّصِ منهجِ السلفِ، ويُجمِعون على عداوةِ أهلِ السُّنةِ.
- مُختلِفونَ في الكتابِ، مُخالِفونَ في الكتابِ، مُتَّفِقونَ على مُخالفةِ الكتابِ.
- يَزعمونَ أنَّ النصوصَ لا تفي بمسائلِ الإيمانِ.
- ويستدِلُّون بالكَشفِ والذَّوقِ والمنامَاتِ.
- ويَعتَمِدون الوَاهيَ من الرِّواياتِ.
- ويَترُكونَ الاحْتِجَاجَ بصحيحِ الآحادِ.
- يُقدِّمونَ واهيَ العقلِ على صحيحِ النقلِ، ويُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه.
- ويَقتبِسونَ من أديانِ غيرِ المسلمين، ويتأثَّرون بمناهجِ وثقافاتِ غيرِ المؤمنين.
- وفِرَقُ الخارجين عن السُّنةِ -كالخوارِجِ والشِّيعةِ والمعتزِلةِ والمرْجئةِ وغيرِهم- مُتوعَّدون في الجملةِ، فحُكمُهم حُكمُ أهلِ الوعيدِ، يتوجَّهُ عذابُهم، وقد يَغفِرُ اللهُ لبعضِهم لجهلِهم، أو بأعمالٍ لهم صالحةٍ، أو بتوبةٍ ماحيةٍ، أو بمصائبَ مُكفِّرةٍ، أو بشفاعةٍ مقبولةٍ، ونحوِ ذلك.
- والفِرَقُ الخارجةُ عن الإسلامِ كالباطِنيَّةِ والرافضةِ والقاديانيَّةِ والبَهائيَّةِ كفَّارٌ في الجملةِ، وحكمُهم حُكْمُ المرْتدِّين.

الفَصْلُ السَّادِسُ

معاملة أهل البدع

- وأهلُ السُّنةِ تتفاوتُ معاملتُهم مع المخالِفِ من أهلِ البدعِ:

فتارةً يُبيِّنون الحقَّ ويُبدُون النُّصحَ بلا مُحابَاةٍ، وتارةً يأخذونهم بالتَّألُّفِ والمُدَارَاةِ، وثالثةً يعاملونهم بالهَجْرِ والمُجَافَاةِ، وذلك بِناءً على تفاوتِ مَراتِبِ البدعِ في نفسِها، واختلافِ حالِ أهلِها، ووفقًا للمصالحِ والمفاسدِ المترتبةِ في الزمانِ والمكانِ؛ إذ كلُّ ذلك من مسائلِ السياسةِ الشرعيَّةِ التي تُبْنَى على تحصيلِ المصالحِ وتكمِيلِها، ودَفعِ المفاسدِ وتقلِيلِها.

- ويَعتبِرون -أوَّلَ الأمر- أنَّ المخالفَ منهم مَحَلُّ دعوةٍ بالحِكمَةِ والموعظةِ الحسنةِ، ويتلطَّفون بهم في ردِّهم إلى الجادَّةِ، وأنوارِ السُّنَّة.
- ويَقبلُون الحقَّ مِـمَّن جاءَ به، وبه يَعرفونَ الرِّجالَ، ويُنصِفُون المخالِفَ، فَيقبَلُون ما في كلامِه مِن حقٍّ ويَردُّون الباطِل.
- ويَضبِطون ردَّهم على أهلِ البدعِ بحُسنِ القَصدِ، ونُصرةِ الحقِّ، ونُصحِ وهدايةِ الخَلقِ، والرحمةِ والرِفق.
- ويَنهَون عن المناظرةِ مَن لم يكنْ في العلم مَتِينًا، وفي الفَهمِ عَمِيقًا، وفي الحُجَّةِ بليغًا، ويَردُّون البدعةَ بالحقِّ، ويَنقُضونَ باطلَها مِن الأصلِ.
- ويَأمُرون قبلَ المناظرةِ بمعرفةِ حالِ الخَصْمِ مذهبًا وقولًا وأدِلَّةً وكُتُـبًا.
- ويمتنعون عن مناظرةِ أهلِ السَّفسَطةِ والمغالَطة.
- ويحرِّرون مواطِنَ الخلافِ، ويُحيطون بردودِ أهلِ البدعِ بعضِهم على بعض.
- ويُظهِرون أوَّلًا تعارضَ الباطلِ، وتَنَاقُضَ أدِلَّتِه وفسادَ لَوازِمه.
- ويَعتنون بألفاظِ أدلَّتِهم وتَحريرِها، ومراعاةِ سِياقِها وَسِباقِها ولحاقِها.

- ويَجمعون بينَ المتماثلاتِ، ويُفرِّقون بينَ المختلفاتِ، ويستدلُّون بالأدلَّةِ المتَّفقِ على حُجِّيَّتِها.
- ويَتوقَّفون عندَ الإيهامِ.
- ويستَفصِلون عندَ الإجمالِ.
- ويعلمونَ أنَّ الاصطلاحاتِ الحادثةَ لا تُغيِّر من الحقائقِ الشرعيَّةِ شيئًا.
- ويُسَوِّغون -عندَ الحاجةِ- مخاطَبَةَ أهلِ الاصطلاحِ باصطلاحِهم الخاصِّ، وإقامةَ الحجَّةِ عليهم بجنسِ ما التزموهُ من الحججِ.
- ويسكتونَ عما سكتَ عنهُ اللهُ ورسولُه.
- وعند غلبةِ الظنِّ بعدمِ جدوى المناظرةِ والمحاوَرةِ فإنهم ينهَون عنها، ويأمرون بهَجرِهم، وتَركِ مُجالسَتِهم حيث لم تَتَحققْ مصلحةٌ، أو تحقَّقتِ المضرَّةُ، وعليه يُحمَل تحذِيرُهم من مُجالَسةِ أهلِ الأهواءِ والبِدعِ.
- ويَطلُبون من ولاةِ أمرِهم الأخذَ على أيدي أهلِ الأهواءِ بما يَنكَفُّ به شَرُّهم، وينقطعُ به عن أهلِ الإسلامِ ضَرَرُهم.
- وبالجملةِ فأهلُ البِدَعِ هم من أهلِ القِبْلةِ، ما لم ينتَقِلوا ببدعتِهم عن الإسلام إلى غيرِه بدليلٍ واضحٍ وبرهانٍ لائحٍ، إذ مِنهُم مَن بِدعَتُه مُكفِّرةٌ، ومنهم مَن بدعَتُهُ مُفسِّقةٌ، ولكلٍّ أحكامٌ.
- وكما يجوزُ الدعاءُ لجُملتِهم بالهدايةِ، فيجوز الدعاءُ على جملتِهم من جهةٍ أخرى، وفي المُعيَّنِ منهم خلافٌ وتفصِيل.
- وأهلُ السُّنةِ يُصَلُّون الجُمَعَ والأعيادَ خلفَ أهلِ القِبْلةِ، ومن لم يكنْ إلى بدعتِهِ داعِيًا وبها مُجاهِرًا.
- ويُصلُّونَ على أهلِ القبلةِ، وقد يَتركُ بعضُ أهلِ الفضلِ الصلاةَ على بعضِ أهلِ البِدَعِ زَجْرًا عن بِدعَتهِ.
- ومَن ثَبت كفرُهُ لم تَجُزِ الصَّلاةُ خلفَهُ، ولا عَليهِ.

- ويعتقدونَ أنَ الأصلَ في المسلمينَ السلامةُ.
- وأنه لا يُشرعُ للمأموم أن يَسأَلَ عن حالِ إمامِهِ إنْ كانَ مستورًا.
- والدَّاعِيةُ إلى البدعِ منهم تُردُّ شهادتُه إنكارًا عليه، ومن أهلِ السُّنةِ من قَبِلَها، ومن لم يكن دَاعِيةً فالرَّاجِحُ قَبولُ شهادتِه.
- والأصلُ في تلقِّي العلمِ عنهم المنعُ دَرْءًا للمفسدةِ، وَسَدًّا للذَّريعةِ، إلا عند الاضطرارِ إلى ذلك فيجوزُ مع الحَذَر.
- وتجوز الاستعانةُ بهم في الجهادِ حيثُ دَعَت الحاجةُ، شَرِيطَةَ أن يكونوا ممن يُحسِنون الرَّأيَ في أهل السُّنَّة، وأن يكونوا مأمونينَ ومُؤتَمنينَ، وإلَّا فلا، وفي التاريخِ والواقعِ شاهدٌ وعِبرةٌ.

الفَصْلُ السَّابِعُ

الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والجهاد

- أهلُ السنة يَعتقدون أن الدَّعوةَ إلى الله والأمرَ بالمعروفِ والجهادَ من أعظمِ القُرُبات، ومِن أَجَلِّ المُهِمَّـاتِ، وهي مَهَمَّةُ الأنبياءِ، وسَبِيلُ الأصفياءِ، ومِن أجلِها يبذلون النَّفسَ والنَّفيسَ، ويَجُودون بالغالي والرخيص.
- ويؤمنون بأن هَدفَهم من الدعوةِ والأمرِ والنهيِ والجهادِ هو: هدايةُ الناسِ للإيمان، وتعبيدُهم للواحد الدَّيان، وإخراجُهم من عبادةِ العبادِ إلى عبادة ربِّ العباد، وإخلاءُ العالَمِ مِن الفسادِ، وبَسطُ سُلطانِ الشريعةِ على البلادِ والعباد.
- وهم يُقِيمون بناءَ دعوتِهم على أصولٍ راسخةٍ، ومُنطَلَقاتٍ ثابتةٍ، يَقتدون بِهَدْيِ الأنبياءِ في الدعوةِ عامةً، ويَقفُون أَثَرَ المصطفى ﷺ وأصحابِهِ خاصَّةً.
- يُحقِّقون توحيدًا وإخلاصًا.
- ويَتَّبِعون أسْلافًا وآثارًا.
- ويَنشُرون علمًا وفقهًا.
- ويُربُّون أجيالًا.
- على بصيرةٍ بالإسلامِ عقيدةً وشريعةً.
- وعلى بصيرةٍ بالناسِ أصنافًا وأحوالًا.
- وعلى بصيرةٍ بالدعوةِ أصولًا وأسبابًا.
- يأمرون بالمعروفِ وينهَونَ عن المنكرِ، بفقهٍ وتَبَصُّرٍ.
- وكلُّ مُنكَرٍ موجودٍ في الحالِ، ظاهرٍ بغيرِ تَجسُّسٍ، معلومٍ بغيرِ اجتهادٍ، فالإنكارُ فيه واجبٌ، وحَسمُه بما يَنحَسِم به حتمٌ لازمٌ، ما لم يؤدِّ إلى مفسدةٍ أكبرَ أو تَفويتِ مصلحةٍ أعظم.

- وتقديرُ المصالح والمفاسدِ في هذا البابِ والترجيحُ بَينَها عند التَّعارُضِ مَوكُولٌ إلى أهل العلم الذين يُوثَقُ بهم فِقهًا ووَعيًا، ودِيانَةً ووَرَعًا.
- وزوالُ المُنكَرِ أو تَخفِيفُه مطلوبٌ شرعًا، وزَوالُه مع زوالِ مِثلِه من المعروفِ أو حصولِ مثله من المُنكَر مَوضِعُ نظرٍ واجتهاد.
- وزوالُ المُنكَرِ وحصولُ ما هو منه أكبرُ، أو فَوَاتُ معروفٍ أكبرَ مَمنُوعٌ شرعًا.
- ويَعتقدون أنَّ الجهادَ ذِروَةُ سَنَامِ الإسلامِ، وهو ماضٍ بالنَّفْسِ والمالِ إلى يومِ القيامة.
- وإنكارُ وجوبِه إنكارٌ لمعلومٍ من الدِّين بالضَّرُورةِ، وادِّعاءُ نسخِه أو تخصيصِه بجهادِ الكَلِمةِ بدعةٌ في الدينِ وضلالة.
- والجهادُ منه دفعٌ وطلبٌ، وقد شُرِعَ لردِّ اعتداءِ المُعتَدين، ولإزالةِ الفتنةِ عن المدعُوِّين، ولإرهاب أعداءِ الدِّين، ولإقامة وتقويةِ دولةِ المسلمين.
- فإن حَصَلَ تخلفٌ عن القيامِ بهِ؛ فإنما يكون بِقَدرِ العَجْزِ عنهُ، مع الأخذِ بلوازِمِ الإعدَادِ له.

الفَصْلُ الثَّامِنُ

الحرص على الوحدة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف

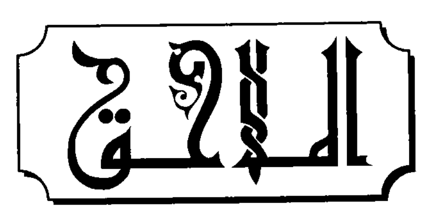
- إن السُّـنَّة مَقْرُونَةٌ بالجماعةِ والائتلافِ، كما أنَّ البدعةَ مقرونةٌ بالفُرْقَةِ والاختلاف.
- وأهلُ السُّنةِ والجماعةِ هُمُ الذين اعتصموا بالكتابِ والسُّنةِ، فجَمَعوا الكلمةَ، وحقَّقوا معاني الأخوة.
- فلم يتعصَّبوا لرايةٍ قومِيَّةٍ، أو دَعوةٍ إقليميةٍ.
- ولم يقدِّموا مصلحةَ طائفةٍ حِزبيَّةٍ، على مصلحةِ الأمَّةِ الكُليَّة.
- ويَعتقدون أنَّ من أمانةِ النصحِ للأمةِ الحَضَّ على الوَحدةِ، وطلبَ الاجتماع والائتلاف، والنهيَ عن الفُرقَة والاختلاف.
- ووقوعُ الخلافِ حقيقةٌ قَدَرِيَّـةٌ، وتَضييقُه بِتَجَنُّبِ أسبابِه والخروجِ منه احتياطًا للدِّين مهمَّةٌ شَرعِيَّـةٌ.
- فالاجتماع على ما اتفق أهلُ السُّنَّةِ عليه.
- والتَّعَاذُرُ والتَّغَافُر فيما اختلَفوا فيه؛ الفقهيَّاتُ والعَقَدِيَّاتُ في ذلك سواء.
- ومن خرجَ عن الجماعةِ، وجب ردُّه، دعوةً ونصحًا، وجِدالًا بالتي هي أحسنُ؛ إقامةً للحُجَّةِ، وإزالةً للشُّبهةِ، فإن تابَ وإلا عُومِلَ بما يَستحِقُّه.
- ومِن أسبابِ الاجتماع:
- جَمعُ الدِّين علمًا وعَملًا.
- والدعوةُ إلى جميعِ الدِّينِ عقيدةً وشريعةً.
- ودعوةُ جميعِ الخَلقِ من أمَّتَي الإجابةِ والدعوةِ.
- والحَذَرُ مِن الجِدالِ في الدِّينِ، والمِراءِ والخُصُوماتِ بغيرِ بُرهَانٍ مُبِين.
- والصِّدقُ في التآخي، والإغْضَاءُ وعدمُ الاستِقْصاء، وسَدُّ الخَلَلِ، والعفوُ عن الزللِ.

الخاتمة

- وفي الختامِ فإنَّ الوَصِيَّةَ: تصحيحُ العقيدةِ وإحسانُ العبادةِ؛ إذ هي غايةُ خَلقِ الثَّقَلَيْن.
- واجتِنَاءُ ثَمَرَتِها: التقوى، وتحصيلُ رِضَى الله تعالى في الدَّارَيْن.
- والعِنايَةُ بطريقها: العِلمُ، والاعتصامُ بسنَّة خَاتَم النبيين والمرسلين.
- ثم السَّعيُ في التمكين للدينِ وحراستِه، وتبليغِ حُجَجِه للسائلين وبيناتِه، وتبليغِ النِّصالِ إلى نُحُورِ المحاربين من أعدائِهِ، والهِينُ واللِّينُ مع أوليائه.

والحمدُ للهِ على الخِتامِ، والشُّكرُ للهِ على التَّمامِ

والصلاةُ والسلامُ على خَيرِ الأنامِ، محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه الأعلام



أولاً: فهرس تفصيلي لمسائل العقيدة.

ثانيًا: تعريف ببعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة.





فهرس تفصيلي

لمسائل العقيدة عند أهل

السنة والجماعة



منهج التقسيم والفهرسة

بعدما وقفنا فيما سبق على مفهوم أهل السنة والجماعة وأهم خصائصهم، وتناولنا بالدرس مبادئ عقيدتهم، وخصائصها، وضوابط الاستدلال عليها، فإنه يجدر أن نجمع المتناثر من موضوعات ومسائل الاعتقاد، فنؤلف بين أصولها وفروعها في نسق مترابط منسجم، وتقسيم متلاحم متزن، مرتبة على هيئة كتب، وأبواب، وفصول، ومباحث، ومطالب؛ لتكون تبصرة للمبتدي، وتذكرة للمنتهي. ولعل الله أن يقيض من أهل العلم والاتباع من ينظر في هذه الفهرسة فيضبطها ثم ينسج عليها كتابات منهجية منضبطة لتمثل في النهاية موسوعة عقدية مباركة.

ولقد كانت همة أكابر العلماء إلى العناية بالتأصيل والتفصيل مصروفة، ومن ذلك قول شيخ الإسلام في مجلس للتفقه: «أما بعد: فقد كنا في مجلس التفقه في الدين، والنظر في مدارك الأحكام الشرعية تصويرًا وتقريرًا، وتأصيلاً، وتفصيلاً، فوقع الكلام في... فأقول لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا مبني على أصل وفصلين..»[1].

وقد أعدت هذه الفهرسة بالنظر في جمهرة من كتب أهل السنة، المتقدمة والمعاصرة، واشتملت هذه الفهرسة التفصيلية لموضوعات العقيدة على تمهيد وأربعة كتب على النحو التالي:

- تمهيد: يشمل المبادئ والمقدمات.
- **الكتاب الأول** : حقيقة الإيمان عند أهل السنة ومخالفيهم.
- **الكتاب الثاني**: أركان الإيمان.
- **الكتاب الثالث**: نواقض الإيمان.
- **الكتاب الرابع**: متفرقات في باب الاعتقاد.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١/ ٥٣٤).



المبـــادئ والمقدمـــات

تنتظم فهرسة المبادئ والمقدمات في خمسة أبواب، كالتالي:

الباب الأول : مبادئ علم التوحيد.

الباب الثاني: قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد.

الباب الثالث: موقف أهل السنة من المناهج المختلفة.

الباب الرابع: قواعد في الرد على المخالفين ودحض شبهاتهم.

الباب الخامس: نتائج الالتزام بمنهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد.

وفيما يلي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث وقد حذفت المطالب في بعض المواطن طلبًا للاختصار.



الباب الأول
مبادئ علم التوحيد

المبحث الأول : فرض العين.

المبحث الثاني: فرض الكفاية.

الفصل الخامس: فضل علم التوحيد:

المبحث الأول : فضله من جهة موضوعه.

المبحث الثاني: فضله من جهة معلومه.

المبحث الثالث: فضله من جهة الحاجة إليه في الدنيا والآخرة.

الفصل السادس: استمداد علم التوحيد:

المبحث الأول : القرآن الكريم.

المبحث الثاني: السنة.

المبحث الثالث: الإجماع.

المبحث الرابع: العقل الصريح.

المبحث الخامس: الفطرة السوية.

الفصل السابع: نسبة علم التوحيد:

الفصل الثامن: واضع علم التوحيد:

المبحث الأول : طور الرواية قبل التدوين.

المبحث الثاني: طور التدوين والاستقرار.

الفصل التاسع: غاية علم التوحيد وفائدته وثمرته:

المبحث الأول : بالنسبة للمكلَّف

المبحث الثاني: بالنسبة للعلم نفسه، وعلوم الإسلام.

الفصل العاشر: مسائل علم التوحيد.

الباب الثاني

قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد

الباب الثالث

موقف أهل السنة من المناهج المخالفة

الباب الرابع

قواعد في الرد على المخالفين ودحض شبهاتهم

الفصل الرابع: الحق يقبل من أي جهة جاء.

الفصل الخامس: الحق لا يُعرف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله.

الفصل السادس: حكم كلام غير الشارع.

الفصل السابع: السكوت عما سكت الله عنه ورسوله.

الفصل الثامن: الامتناع عن مناظرة أهل السفسطة.

الفصل التاسع: الباطل لا يرد بالباطل بل بالحق.

الفصل العاشر: عدم الغلم بالدليل ليس علمًا بالعدم.

الفصل الحادي عشر: الاستدلال بالدليل المتفق عليه على المسألة المتنازع فيها.

الفصل الثاني عشر: الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات.

الفصل الثالث عشر: المعارضة الصحيحة هي التي يمكن طردها.

الفصل الرابع عشر: مسوغات مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم الخاص.

الفصل الخامس عشر: التوقف عند الإيهام والاستفصال عند الإجمال.

الفصل السادس عشر: طالب الحق يستفيد من رد أهل البدع بعضهم على بعض.

الفصل السابع عشر: القطعية والظنية من الأمور النسبية الإضافية.

الفصل الثامن عشر: الاصطلاحات الحادثة لا تغير من الحقائق شيئًا.

الفصل التاسع عشر: الحيدة عن الجواب ضرب من الانقطاع.

الفصل العشرون: في أحكام لازم المذهب.

الباب الخامس

نتائج الالتزام بمنهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد

الفصل الأول : تحقيق كمال الدين، وتمام النعمة، وقيام الحجة.

الفصل الثاني: التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة وتعظيمها.



الكتاب الأول

حقيقة الإيمان عند أهل السنة ومخالفيهم

تنتظم فهرسة حقيقة الإيمان ومسائله في سبعة أبواب كالتالي:

الباب الأول : حقيقة الإيمان وبيان الخلاف في مسماه.

الباب الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

الباب الثالث: درجات الإيمان ومراتبه.

الباب الرابع: نفي الإيمان وأثر المعصية فيه.

الباب الخامس: العلاقة بين الإيمان والإسلام.

الباب السادس: الاستثناء في الإيمان.

الباب السابع: مسائل متفرقة.

وفيما يلي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث ومطالب:



الباب الأول
حقيقة الإيمان وبيان الخلاف في مسماه

- الأدلة عليه.

ثانيًا: عمل القلب

- معناه: الحب والخضوع والانقياد والتسليم

- الأدلة عليه.

- نماذج من أعمال القلوب

العنصر الثاني: قول اللسان:

- علاقة قول اللسان بقول القلب وعمله.

- معنى الشهادتين.

- الأدلة عليه.

- حكم من لم يقر بالشهادتين مع القدرة.

العنصر الثالث: عمل الجوارح:

- العلاقة بين إيمان القلب وإيمان الجوارح.

- أثر عمل الجوارح في أعمال القلوب.

- الأدلة على دخول أعمال الجوارح في الإيمان عند الإطلاق.

- بيان أعمال الجوارح الواجبة.

- حكم ترك العمل مطلقًا.

الفصل الثالث: أقوال الفرق المخالفة في تعريف الإيمان، والرد عليها:

المبحث الأول : المرجئة:

المطلب الأول : نشأة الإرجاء وأصل الشبهة:

- متى حدث الإرجاء في الإسلام (المرجئة الأولى).

- أصل قول المرجئة ومنشأ غلطهم.

- الإيمان معنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعض.
- عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة بينهما.

المطلب الخامس: إنكار السلف عليهم، والرد على شبهاتهم

- الكلام عن الحقيقة والمجاز.
- مناقشة دعوى الترادف بين الإيمان والتصديق.
- حقيقة الإيمان المركبة، وكونه يتبعض، والأدلة على ذلك.
- مراتب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.
- الإيمان الظاهر مرتبط بأحكام الدنيا، والباطن مرتبط بأحكام الآخرة.

المبحث الثاني: الوعيدية (المعتزلة والخوارج):

المطلب الأول : أصل نزاع الخوارج والمعتزلة.

- جعل الإيمان معنى واحدًا لا يتجزأ ولا يتبعض.
- اتفاق المرجئة والوعيدية على هذا الأصل الفاسد.

المطلب الثاني: تعريف الإيمان عندهم:

- إدخال الطاعات كلها في الإيمان.
- الأعمال عندهم شرط صحة للإيمان.

المطلب الثالث: شبهات الوعيدية ورد أهل السنة عليهم.

- الذنوب لا تجامع الإيمان أبدًا؛ بل تنافيه وتفسده.
- متى بطل بعض الإيمان بطل كله كسائر المركبات.
- قول الخوارج: العاصي يكون كافرًا لأنه ليس إلا مؤمن وكافر.
- قول المعتزلة: العاصي في منزلة بين المنزلتين.

الباب الثاني
زيادة الإيمان ونقصانه

الباب الثالث

درجات الإيمان ومراتبه

الفصل الأول : مطلق الإيمان (أو) الإيمان المجمل:

المبحث الأول : تعريفه.

المبحث الثاني: منزلته وأهميته.

المبحث الثالث: أركانه.

الركن الأول: التصديق بخبر الرسول جملة وعلى الغيب.

الركن الثاني: الانقياد لأمر الرسول جملة وعلى الغيب.

المبحث الرابع: آثار تحققه في الدنيا والآخرة.

الفصل الثاني: الإيمان المطلق (أو) الإيمان المفصل (الواجب):

المبحث الأول : تعريفه.

المبحث الثاني: حقيقته، وفضيلته.

المطلب الأول: فعل الواجبات.

المطلب الثاني: ترك المحرمات.

المبحث الثالث: آثار تحققه في الدنيا والآخرة.

المبحث الرابع: جواز نفيه مع بقاء أصل الإيمان.

الفصل الثالث: الإيمان الكامل:

المبحث الأول : تعريفه.

المبحث الثاني: حقيقته، وفضيلته.

المطلب الأول: فعل المستحبات بعد الواجبات.

المطلب الثاني: ترك الشبهات والمكروهات بعد المحرمات.

الباب الرابع
نفي الإيمان وأثر المعصية فيه

أولاً: عند أهل السنة:

- لا يكفر المؤمن بفعل الكبائر إلا إذا استحلها.
- أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار، وهم تحت المشيئة.
- أهل الكبائر يستحقون الشفاعة.
- أسباب تخلف الوعيد، وتكفير السيئات.

ثانيًا: عند الفرق المخالفة:

- الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، والرد عليهم.
- المرجئة والرد عليهم.

الفصل الثاني: حال من يجتمع فيه أصل الإيمان وشعب كفر، أو أصل الإيمان وشعب نفاق:

المبحث الأول: الأدلة على اجتماع كفر وإيمان في قلب العبد.

المبحث الثاني: لا يجتمع في قلب العبد أصل الإيمان وأصل الكفر، وإنما أصل أحدهما وشعب من الآخر.

المبحث الثالث: حكم من يجتمع فيه إيمان وكفر.

المبحث الرابع: إنكار الطوائف المخالفة لاجتماع إيمان وكفر في قلب العبد.

الباب الخامس

العلاقة بين الإيمان والإسلام

الفصل الأول: أصل الإيمان والإسلام في لغة العرب وفي الاصطلاح الشرعي

المبحث الأول: الإيمان أصله من باب العلم والتصديق.

المبحث الثاني: الإسلام أصله من باب العمل والانقياد.

الفصل الثاني: النـزاع والاشتباه في مسمى الإيمان والإسلام:

المبحث الأول: أول نـزاع في حقيقة الإيمان والإسلام.

الباب السادس

الاستثناء في الإيمان

الفصل الأول : المقصود من الاستثناء في الإيمان.

الفصل الثاني: الأقوال في هذه المسألة:

المبحث الأول : الموجبون للاستثناء:

مأخذ الفرق التي توجبه:

المطلب الأول: باعتبار الموافاة.

المطلب الثاني: امتناع فعل كل المأمورات وترك كل المنهيات.

المبحث الثاني: المحرمون للاستثناء:

مأخذ الفرق التي تحرمه:

- قولهم: الاستثناء يقتضي الشك في الإيمان

المبحث الثالث: المفصلون:

المطلب الأول : كراهة السلف لهذه المسألة.

المطلب الثاني: اعتبارات جواز الاستثناء:

- الخوف من عدم القيام بواجبات الإيمان كلها
- عدم العلم بالعاقبة
- تعليق الأمور كلها -حتى المتيقن منها- بمشيئة الله تعالى

المطلب الثالث: اعتبار ترك الاستثناء:

- إذا عني أصل الإيمان.

الفصل الثالث: الاستثناء عند السلف في الإيمان دون الإسلام.

الفصل الرابع: حكم الاستثناء في الإسلام.

الفصل الخامس: حكم الاستثناء في الكفر.

الباب السابع
مسائل متفرقة

الفصل الأول : هل الإيمان مخلوق؟

الفصل الثاني: حكم إيمان المقلدين.

الفصل الثالث: حكم إيمان الأطفال.

الفصل الرابع: مصير من مات من أطفال المؤمنين والمشركين.

الفصل الخامس: من يقطع بإيمانه من أهل الإيمان.

الفصل السادس: حكم الشهادة لمعيَّن بالجنة أو النار.

الفصل السابع: حكم أهل الفترة.



الكتاب الثاني

أركـــان الإيمـــان

تنتظم فهرسة أركان الإيمان ومسائله في ستة أبواب كالتالي:

تمهيد.

الباب الأول : الإيمان بالله وتوحيده.

الباب الثاني: الإيمان بالملائكة.

الباب الثالث: الإيمان بكتب الله المنزلة.

الباب الرابع: الإيمان بالرسل.

الباب الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

الباب السادس: الإيمان بالقضاء والقدر.

وفيما يلي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث ومطالب:



تمهيد

الباب الأول

الإيمان بالله وتوحيده

- تأييد الرسل بالمعجزات.

المطلب الثالث: دلالة الآيات الكونية:

- دليل الخلق والحدوث.
- دليل الإلهام والهداية.
- دليل التقدير.
- دليل التسوية.

المطلب الرابع: دلالة إجماع الأمم.

المطلب الخامس: دلالة العقل:

- العدم لا يخلق شيئًا.
- الفعل مرآة لقدرة فاعله وبعض صفاته.
- فاقد الشيء لا يعطيه.

المبحث الثالث: طرق الهداية وبيان بأي شيء يعرف العبد ربه:

المطلب الأول : الطريقة العقلية (الكلامية):

- قانون العلّة وبيانه.
- قانون الوجوب وبيانه.
- قانون الحدوث وبيانه.
- قانون النظام وبيانه.
- قانون العناية وبيانه.

المطلب الثاني: الطريقة الشرعية (العقلية النقلية):

- جمعها بين الهدايتين العقلية والنقلية.
- دعوة القرآن للنظر النافع بهدف صلاح القوة النظرية والإرادية.

المبحث الثاني: توحيد الربوبية:

المطلب الأول : معنى توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ولا يقبل إلا به.

المطلب الثالث: دلالة توحيد الربوبية على توحيد العبادة.

المطلب الرابع: الأدلة على توحيد الربوبية:

- دليل التمانع بين الظن واليقين.
- دلالة القرآن العقلية على توحيد الربوبية.

المبحث الثالث: منهج القرآن في إثبات ربوبية الله تعالى ووحدانيته.

مفهوم كلمة «الرب» في الكتاب والسنة.

المبحث الرابع: الإقرار بالربوبية:

المطلب الأول: فطرية الإقرار بالربوبية.

المطلب الثاني: عدم كفاية الإقرار بالربوبية للبراءة من الشرك.

المطلب الثالث: الفرق بين مجرد الإقرار بالربوبية وبين توحيد الربوبية.

المطلب الرابع: إقرار المشركين بالربوبية رغم عبادتهم غير الله تعالى.

المبحث الخامس: الشرك في الربوبية:

المطلب الأول : الانحراف في تصور الربوبية.

المطلب الثاني: وقوع الشرك في بعض الربوبية.

المطلب الثالث: الشرك في الربوبية ينقض التوحيد.

المطلب الرابع: مظاهر الشرك في الربوبية.

المطلب الخامس: شبهات الملاحدة واللادينيين وردها:

- بطلان القول بالصدفة.

المطلب الثالث: حكم الوصف والتسمية والخبر.

- حكم اشتقاق المصدر والفعل والإخبار بهما عن الله.
- بيان عدم التلازم بين الإخبار بالفعل مقيدًا والتسمية به.
- بيان ما يوصف به الله تعالى من فعل لا يشتق منه اسم.

المطلب الرابع: حكم الألفاظ المجملة نفيًا وإثباتًا.

المطلب الخامس: أحكام التسلسل نفيًا وإثباتًا.

المبحث الرابع: قواعد دلالات الأسماء والصفات ومعانيها:

المطلب الأول : معنى الاسم والصفة والفرق بينهما.

المطلب الثاني: اشتقاق أسماء الله وصفاته ودلالتها على الوصفية.

المطلب الثالث: التفاضل بين الأسماء والصفات.

المطلب الرابع: اقتضاء الصفات والأسماء لآثارها.

المطلب الخامس: اعتبارات إطلاق الأسماء.

- امتناع إطلاق الأسماء على الله مع عدم ثبوت الصفة منها.
- بيان أسمائه تعالى المضافة التي لا تطلق بغير إضافة.

المطلب السادس: أنواع المضاف إلى الله.

- الأول: إضافة الصفة إلى الموصوف.
- الثاني: إضافة المخلوقات.
- الثالث: ما فيه معنى الصفة والفعل (الصفات الفعلية).

المطلب السابع: اتصافه تعالى بالأفعال في الأزل:

- بيان أن الله تعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال: صفات الذات والفعل.
- أولية الأسماء والصفات وحدوث متعلقاتها.

- أقسام أسمائه تعالى من طريق المعنى:

- ما دل من أسماء الله تعالى على صفاته الأزلية.
- ما دل من أسمائه تعالى على أفعاله.

- أقسام أسماء الله تعالى باعتبار دلالاتها:

- الدلالة العامة والخاصة للأسماء الحسنى.
- اختصاص أسماء الله بالدلالة على العلمية والوصفية بلا تنافٍ.
- أسماء الله تعالى أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار دلالتها على المعاني.
- أسماء الله تعالى مترادفة باعتبار دلالتها على الذات، وهي متباينة باعتبار دلالتها على المعاني.
- أسماء الله إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت الاسم والصفة والحكم، وإن دلت على وصف غير متعد تضمنت الاسم والصفة.
- دلالة الأسماء على الذات والصفات تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.

المبحث السابع: قواعد في صفات الله تعالى:

المطلب الأول : صفات الله تعالى من الأمور الغيبية.

المطلب الثاني: لا نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه.

المطلب الثالث: اعتبارات إطلاق الصفات:

- كل ما وصف الله به نفسه كمال مطلق لا يرد عليه النقص بحال.
- الدليل على كمال صفات الله من السمع والعقل والفطرة.
- إذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله ﷻ.
- حكم إطلاق ما ينقسم معناه من الصفات على الله.

المطلب الثالث: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها.

- ظواهر النصوص معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار.
- ظاهر النص هو ما يتبادر إلى الذهن من المعاني.
- يختلف الظاهر بحسب السياق وما يضاف إليه من الكلام وما يحيط به من القرائن.
- انقسام الناس في اعتقاد ظاهر النصوص إلى أربعة أقسام:

القسم **الأول** : السلف.

- آمنوا بظواهر النصوص على ما يليق بالله تعالى من معنى.
- إحكام السلف لأصول الدين لا سيما في باب الصفات.
- اعتصام السلف والأئمة بالألفاظ الشرعية في هذا الباب.
- بطلان قول من زعم أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

القسم **الثاني**: المشبهة.

- غلوا في الإثبات فجعلوا الظاهر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله تعالى.

القسم **الثالث**: المعطلة.

- غلوا في التنزيه فجعلوا المعنى المتبادر من النصوص تشبيهًا، فأنكروا ما دلت عليه من المعاني.

القسم **الرابع**: المفوِّضة.

- يفوِّضون علم معاني الصفات.
- التفويض من شر أقوال أهل البدع.
- بطلان مذهب المفوِّضة، وبراءة السلف من هذا المذهب.

- وجوه بطلان القول بالتأويل وأوجه فساده:

• تيسير القرآن للذكر ينافي حمله على التأويل المخالف لحقيقته وظاهره.

• التأويل يعود على المقصود من وضع اللغات بالإبطال.

• حمل الكلام على خلاف الظاهر ينافي قصد البيان والإرشاد والهدى.

• إلزام المؤولة بالمعنى الذي تأولوه نظير ما فروا منه.

• جناية التأويل على العلوم قاطبة وعلى أديان الرسل.

• المؤولة لا يمكنهم إقامة الدليل السمعي على مبطل أبدًا.

• التأويل يتضمن التشبيه والتعطيل.

• قولهم: إن أخبار الرسول ﷺ لا تفيد العلم، وغايتها أن تفيد الظن.

• قولهم: نصوص الوحي أدلة لفظية وهي لا تفيد اليقين.

• قولهم: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل.

المبحث الحادي عشر: الأقوال المبتدعة في باب الأسماء والصفات:

المطلب الأول: التمثيل:

- إثبات صفات الله على نحو يماثل صفات المخلوقين.

- الممثلة غلوا في جانب الإثبات وقصَّروا في جانب النفي.

- شبهة الممثلة في قياسهم الشاهد على الغائب.

- الأدلة على انتفاء التمثيل في باب الصفات:

• الدليل الفطري.

• الدليل العقلي.

• الأدلة السمعية.

- التقسيم إلى حقيقة ومجاز تقسيم محدث.
- الصفات الإلهية بين الحقيقة والمجاز.

- العلة والمعلول عند الأشاعرة:

- تعريف العلة عند الأشاعرة.
- التلازم بين العلة والمعلول عندهم تلازم عادي لا عقلي.

الطائفة الثانية: المعتزلة ومن تبعهم.

- بيان أن المعتزلة مشبهة في أفعال الله.
- المعتزلة يقولون إن أسماء الله مخلوقة.

الطائفة الثالثة: غلاة الجهمية والقرامطة والباطنية ومن تبعهم.

- الجهمية المعطلة يقولون بأنه ليس على العرش إله يعبد ولا فوق السماء إله يصلى له ويُسجد.
- المعتزلة والجهمية يسمون أهل السنة مشبهة وغلاتهم يسمون الرسل مشبهة أيضًا.
- تصريح كبار السلف بتكفير الجهمية وردتهم.
- الفرق بين الجهمية المتكلمة والجهمية المتفلسفة.

الطائفة الرابعة: غلاة الغلاة من الفلاسفة والقرامطة والباطنية.

- غلاة الغلاة لا يصفون الله بإثبات ولا بنفي.
- تهافت حجج المتفلسفة والمتكلمين.
- إنكار السلف الكلام في الجواهر والأعراض والأجسام.
- أسباب انتقاد السلف لطريقة المتكلمين والمتفلسفين.
- أقوال العلماء في حكم علم الكلام وحكم الفلسفة.

- لفظة «الدين» و«الإسلام» تأتي على معنى عام وآخر خاص.

- الأنبياء دينهم واحد وهو الإسلام وشرائعهم شتى.

المطلب الثاني: إفراد الله تعالى بالعبادة وفق ما شرع على لسان نبيه ﷺ.

- مادة العبادة غير مادة المعرفة.

- قوام العبودية أصلان لا تصح العبادة إلا باجتماعهما:

• الأصل الأول : المحبة.

• الأصل الثاني: الذل والخضوع.

- إطلاقات لفظة العبادة في الشرع:

• الأول: توحيد الله وهو عبادته وحده لا شريك له.

• الثاني: كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة

• الثالث: ما اصطلح عليه الفقهاء للتفرقة بينها وبين المعاملات

- شروط قبول العبادة من الموحد:

• الأول: الإخلاص.

• الثاني: المتابعة.

المطلب الثالث: توحيد العبادة هو تحقيق الشهادتين:

أولاً: شهادة أن لا إله إلا الله:

- مراتب الشهادة الأربعة:

• مرتبة العلم.

• مرتبة التكلم والخبر.

• مرتبة الإعلام والإخبار.

• مرتبة الأمر والإلزام.

ثانيًا: ليس لهم نصيب من الملك.

ثالثًا: ليس لهم شيء من التدبير.

- عدم النفع والضر.
- عدم الهداية للحق أو الاهتداء إليه.
- عدم امتلاك الرزق.
- عدم النصرة.

المطلب الثالث: إبطال عبادة الشركاء بدلالة اتصافهم بالنقص.

أولاً: عدم السمع والبصر.

ثانيًا: عدم القدرة على الكلام.

ثالثًا: حاجتهم للطعام والشراب، وأنهم مخلوقات مفتقرة فانية.

رابعًا: أفول آلهتهم واحتجابها.

خامسًا: عجزها عن الدفاع عن أنفسها والكيد بأعدائها.

سادسًا: ورودها النار.

المطلب الرابع: إبطال احتجاج المشركين بالشفاعة والزلفى.

المبحث الرابع: بم يثبت عقد الإسلام:

المطلب الأول: المقصود بالنطق بالشهادتين.

المطلب الثاني: الانتفاع بالشهادتين في الدنيا.

المطلب الثالث: الانتفاع بالشهادتين في الآخرة:

- الأحاديث الواردة في فضل كلمة التوحيد نوعان:

- النوع الأول: ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة.

• النوع الثاني: ما فيه أن من أتى بالشهادتين يحرم على النار.

- أقوال العلماء في المراد من هذه الأحاديث.

المبحث الخامس: فضل توحيد الألوهية:

المطلب الأول: من حيث مكانته في الدين:

- هو أصل دين الإسلام؛ فسائر الأعمال لا تصح ولا تقبل إلا به.

- هو دين الإسلام (على إطلاقه العام) الذي لا يقبل الله دينًا سواه.

- هو حق الله على العباد.

- هو الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق.

المطلب الثاني: من حيث أهميته في الدعوة:

- هو أول ما دعا إليه الأنبياء والرسل أقوامهم.

- هو أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين.

- هو معقد النجاة في الدنيا بعصمة الدم والمال.

- هو معقد النجاة في الآخرة بدخول الجنة والنجاة من النار.

المبحث السادس: من مقتضيات ولوازم الشهادتين:

المطلب الأول: توحيد القصد والتأله:

معناه: التوجه إلى الله تعالى وحده بسائر أنواع العبادات القلبية والقولية والعملية.

أولاً: أمثلة العبادات القلبية:

- التعظيم والإجلال - التأله - القبول

- التوكل - الإنابة - الإذعان والخضوع

- المحبة
- الإخبات
- الرضا
- الخوف والخشية
- الحياء
- الرجاء
- الإخلاص
- التقوى
- التفكر

ثانيًا: أمثلة العبادات القولية:

- الدعاء
- الحلف
- الاستغاثة
- تدريس العلم
- الذكر والاستغفار
- الاستعاذة
- الشكر
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- تلاوة القرآن

ثالثًا: أمثلة العبادات العملية:

- الصلاة
- الطواف
- الاعتكاف
- الزكاة
- الذبح
- صلة الأرحام
- الصيام
- بر الوالدين
- إغاثة الملهوف

المطلب الثاني: توحيد الطاعة والانقياد:

- معناه: إفراد الله تعالى بالطاعة والانقياد بقبول أمره وشرعه وتحكيمه دون غيره.
- موقع الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه من التوحيد.
  - تفرد الله تعالى بالأمر والحكم قدرًا وشرعًا.
  - حظر التحليل والتحريم على المخلوقين.
- صيغ إيجاب الحكم بما أنزل الله في القرآن:
  - الأمر الصريح.
  - الصيغة الطلبية.
  - الإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين.

- الإخبار بأن الفعل من مقتضى الإيمان.
- الإخبار بأن ترك الفعل يناقض الإيمان ويوقع في الكفر.
- الاستفهام التعجبي والإنكاري على ترك الفعل أو إتيان ضده.
- حمل الفعل المطلوب على المطلوب منه.

- خصائص الحكم بما أنزل الله:

- الربانية.
- الكمال والشمول.
- الوسطية.
- العصمة والثبات والبراءة من الهوى.
- العدالة والمساواة.

- اتفاق الشريعة والعقيدة في الخصائص والصفات:

- وحدة المصدر.
- وحدة الخصائص.
- وحدة الأهداف والغايات.
- وحدة الأسس والمقومات.
- وحدة الجزاء في الدنيا والآخرة.

- مقاصد الحكم في الإسلام:

- تحقيق العبودية والتوحيد.
- إقامة دين الله في الأرض.
- إصلاح الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: الولاء والبراء:

- الولاء والبراء في اللغة والشرع.

- منزلة الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية.
- الموالاة قسمان قلبي وظاهري والمعاداة كذلك.
- عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء.
  - الولاء والبراء لازم من لوازم التوحيد.
  - موالاة أهل الحق تقتضي المعاداة والتبري من أهل الباطل.
- من مقتضيات الولاء والبراء.
- منهج التعامل مع أهل الباطل.
- مظاهر الولاء للكفار.
- أحكام إقامة المسلم ببلاد الكفار.
- صور من المعاملات المباحة بين المسلم والكافر.
- الفرق بين الموالاة وبين البر والقسط والإحسان.
- معنى الموالاة على الدين في كلام العلماء.
- عوامل ضعف الموالاة في الله والمعاداة فيه:
  - دعوى الإكراه في عدم الموالاة في الله والمعاداة فيه.
  - دعوى الخوف على النفس والمال والأهل.
  - دعوى الاستضعاف.
  - صلة المداهنة والمداراة بالموالاة والمعاداة.
  - ما يقبل من الأعذار وما لا يقبل في هذه الصور.

الباب الثاني

الإيمان بالملائكة

المطلب الثاني: واجب المؤمن تجاه الملائكة:

- البعد عن الذنوب والمعاصي والاستحياء منهم.
- الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.
- النهي عن البصق عن اليمين في الصلاة.
- الإيمان بالملائكة كلهم وموالاتهم.

المطلب الثالث: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر.

المبحث الثالث: علاقة الملائكة بالكفار والفساق:

المطلب الأول : إنزال العذاب بالكفار.

المطلب الثاني: لعن الكفار.

المطلب الثالث: طلب الكفار رؤية الملائكة، أو إرسال الرسل منهم.

المطلب الرابع: لعن الملائكة لأصناف من العصاة الفساق.

المبحث الرابع: أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان.

الباب الثالث

الإيمان بكتب الله المنزلة

الفصل الأول : معنى الإيمان بالكتب وأهميته:

المبحث الأول : معنى الكتاب لغة وشرعًا.

المبحث الثاني: منزلة وحقيقة الإيمان بالكتب وأقسامه.

المبحث الثالث: حاجة الناس إلى الكتب السماوية.

المبحث الرابع: حكم الإيمان بالكتب وأدلته، وحكم من أنكر بعضها.

المبحث الخامس: كيفية الإيمان بهذه الكتب.

المبحث الرابع: بيان أقسام الإيمان بالرسل وحكم الكفر برسول واحد.

المبحث الخامس: تفاضل الأنبياء والرسل.

المبحث السادس: أولو العزم من الرسل.

الفصل الثاني: حاجة البشرية إلى الرسل والرسالات:

المبحث الأول : حاجة الناس إلى الرسل والأنبياء.

المبحث الثاني: علاقة العقل بالوحي.

المبحث الثالث: بم تثبت النبوة؟

المبحث الرابع: دين الأنبياء واحد وشرائعهم متعددة.

المبحث الخامس: أثر الإيمان بالرسل والرسالات في حياة المؤمن.

الفصل الثالث: وظائف الرسل:

المبحث الأول : البلاغ المبين وإقامة الحجة.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: التبشير والإنذار.

المبحث الرابع: إصلاح النفوس وتزكيتها.

المبحث الخامس: تقويم الفكر المنحرف.

المبحث السادس: سياسة الأمة وقيادتها.

الفصل الرابع: الوحي:

المبحث الأول : تعريف الوحي لغةً واصطلاحًا، وبيان الفرق بينه وبين الإلهام.

المبحث الثاني: النبوة منحة إلهية.

المبحث الثالث: رؤيا الأنبياء.

المبحث الرابع: طرق الوحي.

الفصل الثامن: معجزات الأنبياء:

المبحث الأول : معجزة صالح عليه السلام.

المبحث الثاني: معجزات خليل الله إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثالث: معجزات موسى كليم الرحمن عليه السلام.

المبحث الرابع: معجزات عيسى عليه السلام.

المبحث الخامس: نماذج من معجزات نبينا محمد ﷺ.

المطلب الأول : القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الإسراء والمعراج.

المطلب الثالث: انشقاق القمر.

المطلب الرابع: تكثيره ﷺ الطعام.

المطلب الخامس: تكثيره ﷺ الماء.

المطلب السادس: نبوع الماء من بين يديه ﷺ.

المطلب السابع: كف الأعداء عنه ﷺ.

المطلب الثامن: إجابة دعوته ﷺ.

المطلب التاسع: إبراؤه ﷺ للمرضى.

المطلب العاشر: إخباره ﷺ بالأمور الغيبية.

المطالب الحادي عشر: انقياد الشجر والحجر وتسليمه وكلامه له ﷺ.

المطلب الثاني عشر: حنين الجذع إليه ﷺ.

الفصل التاسع: المبشرات ببعثة نبينا محمد ﷺ.

المطلب الأول : دعوة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني: بشارة التوراة بنبينا محمد ﷺ.

المطلب الثالث: ثبوت عذاب القبر ونعيمه وصفته.

المطلب الرابع: أسباب عذاب القبر.

المطلب الخامس: المنجيات من فتنة القبر وعذابه.

الفصل الثاني: أشراط الساعة.

المبحث الأول : تعريف الأشراط والآيات.

المبحث الثاني: علامات الساعة الصغرى:

المطلب الأول : علامات الساعة التي وقعت:

- بعثة النبي ﷺ ووفاته.
- انشقاق القمر.
- نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى.
- توقف الجزية والخراج.

المطلب الثاني: العلامات التي وقعت وهي مستمرة، أو يمكن تكرارها:

- خروج الدجالين أدعياء النبوة.
- كثرة الفتن.
- وقوع الخسف والزلازل.
- ولادة الأمة ربتها.
- تطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان.
- إسناد الأمر إلى غير أهله.
- تداعي الأمم على المسلمين.

المطلب الثالث: العلامات التي لم تقع بعد:

- عودة جزيرة العرب جنات وأنهارًا.

- يوم الخروج. - الغاشية. - الحاقة.
- القارعة. - يوم الخلود. - يوم التلاق.
- يوم الفصل. - يوم الحساب. - يوم التناد.
- يوم الدين. - الواقعة. - يوم التغابن.

المبحث الثاني: النفخ في الصور.

المطلب الأول : تعريف الصور.

المطلب الثاني: الملك الموكل بالصور.

المطلب الثالث: صفة النفخ في الصور.

المطلب الرابع: عدد مرات النفخ في الصور.

المبحث الثالث: البعث والنشور.

المطلب الأول : تعريفه.

المطلب الثاني: حكم الإيمان به وأدلته.

المطلب الثالث: البعث والنشور في الكتب السابقة.

المطلب الرابع: المكذبون بالبعث وحججهم والرد عليها.

المطلب الخامس: أول من تنشق عنه الأرض.

المطلب السادس: حشر الخلائق.

المطلب السابع: صفة الحشر.

المطلب الثامن: أرض المحشر.

المبحث الرابع: أهوال يوم القيامة.

المطلب الأول : قبض الأرض وطي السماء.

المطلب الثاني: دك الأرض ونسف الجبال.

- إقامة الشهود.

المطلب الثاني: ما يُسأل عنه العباد:

- الكفر والشرك.
- علومهم وأعمالهم وأعمارهم في الدنيا.
- نعيم الدنيا.
- العهود والمواثيق.
- السمع والبصر والفؤاد.

المطلب الثالث: العباد وأنواع الحساب.

- الفرق بين الحساب والعرض وحكم الإيمان بهما.
- الحساب العسير.
- الحساب اليسير.
- من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

المبحث الثامن: الميزان:

المطلب الأول: تعريف الميزان.

المطلب الثاني: هل هو ميزان واحد أم موازين متعددة.

المطلب الثالث: حقيقة الميزان عند أهل السنة.

المطلب الرابع: الميزان عند أهل البدع.

المطلب الخامس: الأقوال في الموزون.

المبحث التاسع: الحوض:

المطلب الأول: الحوض في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالحوض وأدلته.

- آنية أهل الجنة.
- فرش أهل الجنة.
- خدم أهل الجنة.
- نساء أهل الجنة.
- الحور العين.

المبحث الحادي عشر: النار:

المطلب الأول : وجودها وبقائها:

- الجنة والنار مخلوقتان.
- الجنة والنار خالدتان لا تفنيان، والرد على القائلين بفناء النار.

المطلب الثاني: صفة النار:

- مكان النار.
- سعة النار.
- دركات النار.
- أبواب النار.
- وقود النار.
- شدة حرها.

المطلب الثالث: أهل النار:

- كثرة أهل النار.
- طعام أهل النار.
- شراب أهل النار.
- قيود أهل النار.
- عظم خلق أهل النار.

المطلب الرابع: صور من عذاب أهل النار:

- انضاج الجلود.
- الصهر.
- اللفح.
- السحب.
- تسويد الوجوه.
- إحاطة النار بالكفار.
- اطلاع النار على الأفئدة.
- اندلاق الأمعاء في النار.

الباب السادس
الإيمان بالقضاء والقدر

الفصل الرابع: تقدير الله أفعال العباد:

المبحث الأول: أفعال العباد مخلوقة مقدرة:

المطلب الأول: النصوص الدالة على أن أفعال العباد قد جفت بها الأقلام.

المطلب الثاني: علم الله بأهل الجنة وأهل النار، وكتابته لذلك.

المبحث الثاني: مراتب التقدير:

المطلب الأول: التقدير الأزلي.

المطلب الثاني: التقدير العمري.

المطلب الثالث: التقدير السنوي.

المطلب الرابع: التقدير اليومي.

الفصل الخامس: ثمار الإيمان بالقدر.

الفصل السادس: أسباب الضلال في القدر.

الفصل السابع: مذاهب المخالفين في القدر:

المبحث الأول: القدرية.

المبحث الثاني: الجبرية.

المبحث الثالث: المعتزلة.

المبحث الرابع: الأشاعرة.

الفصل الثامن: شبهات وجوابها:

المبحث الأول: معنى المحو والإثبات في الصحف وزيادة الأجل ونقصانه.

المبحث الثاني: كيف يخلق الله الشر ويقدره.

المبحث الثالث: الزعم بأن الإيمان بالقدر يقتضي ترك العمل وإهمال الأسباب.

المبحث الرابع: الزعم بأن كل شيء خلقه الله فقد رضيه وأحبه.

الكتاب الثالث

نواقــض الإيمــان

تنتظم فهرسة نواقض الإيمان في خمسة أبواب كالتالي:

الباب الأول : حقيقة الكفر وضوابط إجراء الأحكام.

الباب الثاني: نواقض الإيمان في باب التوحيد.

الباب الثالث: نواقض الإيمان في باب النبوات.

الباب الرابع: نواقض الإيمان في سائر الغيبيات.

الباب الخامس: نواقض الإيمان الأخرى.

وفيما يأتي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث ومطالب:



الباب الأول

تعريف الكفر وضوابط إجراء الأحكام

الفصل الأول : حقيقة الكفر عند أهل السنة:

المبحث الأول : تعريف الكفر والشرك ونواقض الإيمان.

المبحث الثاني: انقسام الكفر والشرك إلى أكبر وأصغر وحكم كل منهما.

المبحث الثالث: الكفر اعتقاد وقول وعمل.

المبحث الرابع: الكفر شعب ومراتب متعددة.

الفصل الثاني: ضوابط إجراء الأحكام وموانعه عند أهل السنة:

المبحث الأول : ضوابط إجراء الأحكام:

المطلب الأول : اعتبار المقاصد

المطلب الثاني: قيام الحجة

المبحث الثاني: موانع إجراء الأحكام:

المطلب الأول : الجهل

المطلب الثاني: الخطأ

المطلب الثالث: التأويل

المطلب الرابع: الإكراه

الباب الثاني

نواقض الإيمان في باب التوحيد

الفصل الأول : النواقض الاعتقادية في باب التوحيد.

المبحث الأول : ما يناقض قول (اعتقاد) القلب.

المطلب الأول : الشرك في الربوبية

المطلب الثاني: اعتقاد ألوهية غير الله تعالى

المطلب الثالث: الشك في حكم من أحكام الله ﷻ أو خبر من أخباره

المطلب الرابع: إنكار اسم أو صفة لله تعالى أو آية من القرآن.

المبحث الثاني: ما يناقض عمل القلب

المطلب الأول : كفر الإباء والاستكبار.

المطلب الثاني: الشرك الأكبر بعمل القلب كالمحبة والإرادة والقصد

الفصل الثاني: النواقض القولية في باب التوحيد

المبحث الأول: سب الله تعالى والاستهزاء به.

المبحث الثاني: حكم الحلف بغير الله تعالى.

الفصل الثالث: النواقض العملية في باب التوحيد

المبحث الأول : شرك العبادة والنسك

المطلب الأول : صرف العبادة لغير الله تعالى.

المطلب الثاني: الاستغاثة بغير الله تعالى.

المطلب الثالث: دعاء الموتى.

المبحث الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله

المطلب الأول : بواعث الإعراض عن حكم الله.

المطلب الثاني: أنواع الانحراف عن حكم الله وأحكامها.

المطلب الثالث: خطورة تبديل شرع الله ومظاهره وموقف القرآن منه.

الباب الثالث

نواقض الإيمان في باب النبوات

الفصل الأول : النواقض الاعتقادية في باب النبوات

المبحث الأول : ما يناقض قول (اعتقاد) القلب

الكتاب الرابع

متفرقات في باب الاعتقاد

الباب الأول : عقيدة أهل السنة في الصحابة وأهل بيت النبي ﷺ ، والعلماء.

الباب الثاني: الإمامة.

الباب الثالث: جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة.

الباب الرابع: موقف أهل السنة من كرامات الأولياء.

الباب الخامس: تواتر المسح على الخفين.

الباب السادس: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة ونبذ الافتراق والبدعة.

وفيما يلي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث ومطالب:



الباب الأول
عقيدة أهل السنة في الصحابة
وأهل بيت النبي ﷺ، والعلماء

الباب الثاني
الإمامة

المطلب الأول: الإسلام.

المطلب الثاني: البلوغ.

المطلب الثالث: العقل.

المطلب الرابع: الذكورة.

المطلب الخامس: القدرة وسلامة الحواس.

المطلب السادس: العدالة.

المطلب السابع: الحرية.

المطلب الثامن: القرشية.

المطلب التاسع: العلم المؤدي إلى الاجتهاد.

المطلب العاشر: الحنكة في أمور الحرب والسلم.

الفصل الثاني: حقوق وواجبات الإمام الأعظم:

المبحث الأول: حقوق الأمة على الإمام:

المطلب الأول: العمل على المحافظة على سلامة عقيدتها.

المطلب الثاني: الحكم والتحاكم إلى شريعة الله ﷻ.

المطلب الثالث: بذل الأسباب المؤدية إلى وحدة الأمة.

المطلب الرابع: إقامة واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: إقامة الجهاد.

المطلب السادس: جمع الزكاة والصدقات والخراج.

المطلب السابع: تحري الأمانة في اختيار أرباب المناصب.

المبحث الثاني: حقوق الإمام على الأمة:

المطلب الأول: السمع والطاعة.

المطلب الثاني: النصرة.

المبحث الأول : الخوارق المحمودة مع الدين (كرامات الأولياء).

المبحث الثاني: الخوارق المذمومة في الدين.

المبحث الثالث: المباح في هذا الباب.

الباب الخامس

تواتر المسح على الخفين

الفصل الأول : سبب إدراج هذه المسألة الفقهية ضمن مسائل الاعتقاد.

الفصل الثاني: مخالفة الرافضة لأهل السنة في هذه المسألة.

الباب السادس

وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة ونبذ الافتراق والبدعة

الفصل الأول: وجوب اتباع الكتاب والسنة وإجماع الأمة:

المبحث الأول: وجوب الاحتكام للكتاب والسنة والرجوع إليهما عند الاختلاف.

المبحث الثاني: وجوب طاعة الله ورسوله.

المبحث الثالث: الهوى والبغي والجهل جماع أسباب مخالفة أمر الله ورسولهﷺ.

الفصل الثاني: وجوب لزوم جماعة المسلمين وحرمة الفرقة:

المبحث الأول: افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة.

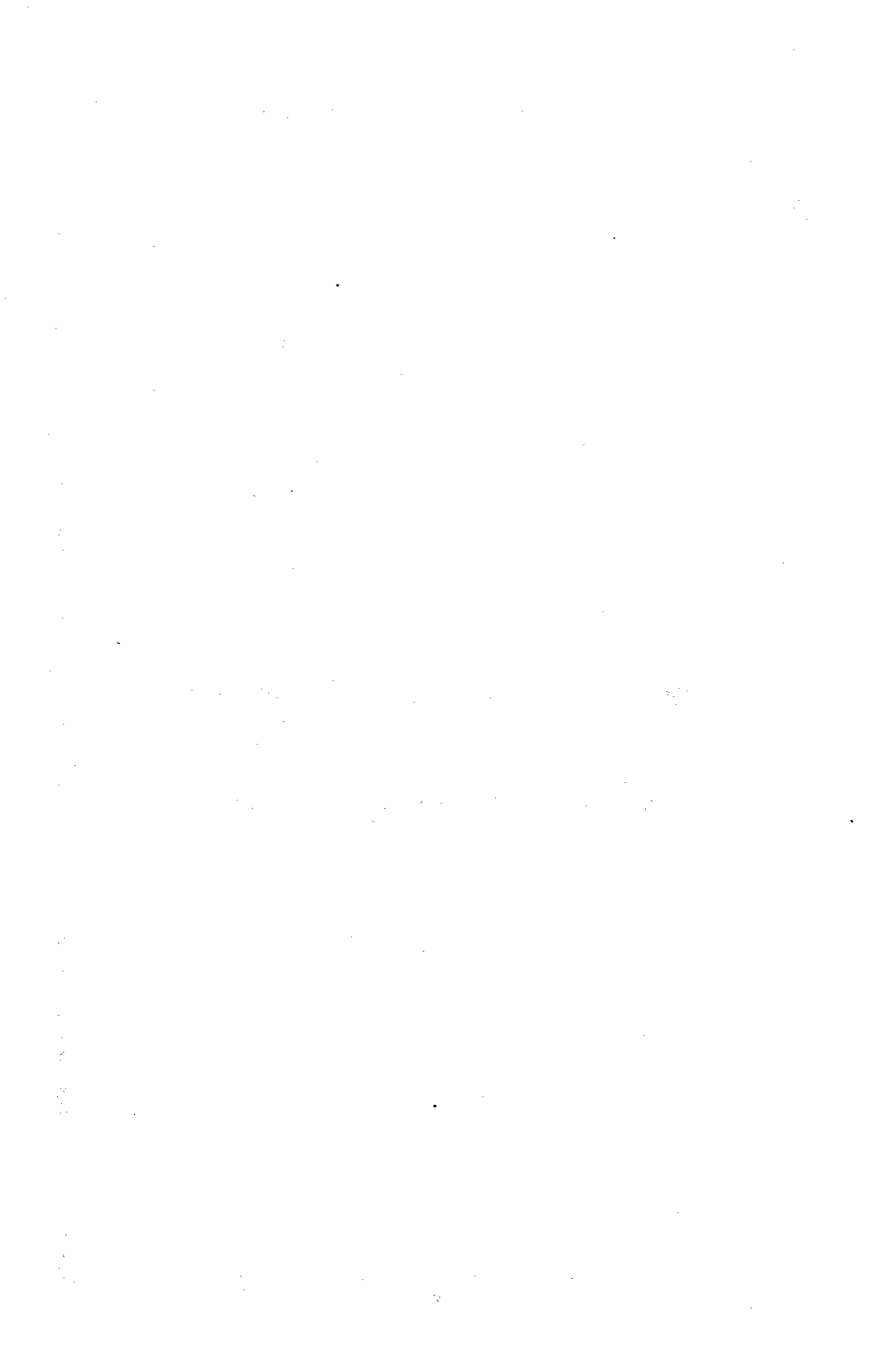
المبحث الثاني: الجماعة هي الاجتماع على منهج الحق من الاتباع وترك الابتداع.

المبحث الثالث: حرص أهل السنة على الاجتماع على السنة ومجانبة الابتداع والفرقة.

المبحث الرابع: حرمة الخروج على جماعة المسلمين.

الملحق الثاني

تعريف ببعض مصنفات العقيدة
عند أهل السنة والجماعة



تمهيد

بدأ علم الاعتقاد في التميز بالتدوين مع ظهور البدع واشتداد وطأة الفرق المبتدعة، فأخذ أئمة المسلمين في تصنيف كتب تتضمن المسائل التي اختلف فيها المنتسبون إلى الإسلام، والتي يترتب على الاختلاف فيها تبديع المخالف أو تكفيره، وبينوا فيها عقيدة السلف أهل السنة والجماعة، وردوا على المخالفين أهل البدع والأهواء.

لذلك فقد نشأت الكتابة في هذا العلم في صورة ردود على الفرق الضالة، فكتب الإمام أحمد بن حنبل [٢٤١هـ] كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية»، وكتب الإمام البخاري [٢٥٦هـ] كتابه «الرد على الجهمية»، وكتب الإمام عثمان بن سعيد الدارمي [٢٨٠هـ] كتابه «الرد على بشر المريسي». وفي الرد على الوعيدية -وهم الخوارج والمعتزلة- وعلى المرجئة كتب أبو عبيد القاسم بن سلام [٢٢٤هـ] كتابه «الإيمان»، وكذلك صنع أبو بكر بن أبي شيبة [٢٣٥هـ]. وكُتب الردود هذه تتناول بعض مسائل الاعتقاد.

ثم دُوِّنت الكتب التي تجمع معظم مسائل الاعتقاد المعروفة اليوم، ولكنها عرفت باسم كتب السنة، وذلك في مقابل مقالات المبتدعة، فمنها كتاب «السنة» لأبي بكر بن أبي عاصم [٢٨٧هـ]، و«السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل [ت:٢٩٠هـ]، و«السنة» لمحمد بن نصر المروزي [٢٩٤هـ]، و«السنة» لأبي بكر الخلّال [٣١١هـ]، وفي هذا التوقيت أيضًا ظهرت كتب تحمل اسم التوحيد ككتاب «التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» لأبي بكر محمد بن خزيمة [٣١١هـ]، وكتاب «التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد» لأبي عبد الله محمد بن إسحق بن منده [٣٩٥هـ].

كما سُميت كتب الاعتقاد أيضًا باسم كتب الشريعة، ككتاب «الشريعة» لأبي بكر الآجري [٣٦٠هـ]، وكتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»

لابن بطة [٣٨٧هـ]. وسمي الاعتقاد أيضًا بأصول الدين كما سمّاه أبو الحسن الأشعري [٣٢٤هـ] في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة».

ثم ظهر مصطلح الاعتقاد في أوائل القرن الخامس الهجري، فكتب أبو القاسم اللالكائي [٤١٨هـ] كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».

وفي كل الكتب السابقة يسوق المؤلفون ما يَرْوونه - في الأبواب المختلفة - عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين بأسانيدهم الخاصة، وعلى ذلك فهذه الكتب تعتبر من كتب السنة الأصلية، وذلك باستثناء «الإبانة» لأبي الحسن الأشعري، حيث ذكر اعتقاده في صورة متن بدون أسانيد.

وانتهت الطبقات التي كان رجالها يكتبون العقائد بطريقة الآثار المسندة، وتلا ذلك كتابة العقائد مجردة من الأسانيد في صورة متون؛ كلمعة الاعتقاد لابن قدامة، والعقيدة الواسطية لابن تيمية، أو في صورة شروح ككتابات ابن تيمية وابن القيم في الاعتقاد، أو في صورة قصائد منظومة؛ كالقصيدة النونية لابن القيم وقصيدة «الدُّرة المُضيّة» للسفاريني والتي شرحها بنفسه في «لوامع الأنوار البهية»، وقصيدة «سُلّم الوصول» لحافظ الحكمي والتي شرحها بنفسه في «معارج القبول».

وتعتبر رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية في اعتقاد أهل السنة ونقد مقالات الفرق الضالة - والتي استغرقت الاثني عشر مجلدًا الأولى من مجموع فتاويه - حلقة وصل مهمة في تدوين اعتقاد أهل السنة، إذ إنه قد جمع خلاصة كتابات مَن سبقه مِن السلف في ذلك، وعنه أخذ عامة مَن كتب في اعتقاد أهل السنة مِن بعده.

واتبع أهل السنة منهجًا ثابتًا في تدوين مسائل الاعتقاد، ألا وهو إثبات هذه المسائل بأدلتها من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأصبح اتباع هذا المنهج من خصائص أهل السنة. وذلك في مقابل منهج الفرق المبتدعة في اتباع قواعد الجدل والمنطق

لإثبات مسائل الاعتقاد بدعوى أنه يمكن إثبات صحة العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية.

وفي هذا المبحث نعرض لجملة من مصنفات أهل السنة في باب الاعتقاد، منذ أن بدأ تدوينها من لدن «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة [١٥٠هـ]، وحتى المتأخرين من الأئمة. وكي يتحدد نطاق الرصد الزمني فقد توقف الرصد عند مصنفات من وافته المنية قبل عام ١٤٢٢هـ، وذلك باعتبارها سنة الشروع في جمع مادة البحث.

وانتهجنا في عرض هذه المصنفات طريقة موحدة وهي عرضها بالتسلسل الزمني لوفاة المصنفين، استفتاحًا بالسلف المتقدمين وانتهاءً بالمتأخرين؛ ليتضح بذلك أنه لم يخل عصر من العصور من مصنَّفات لأهل السنة ترفع راية الحق وتعلي مناره، في مقابل مقالات أهل البدع.

وقد قسمنا هذا الملحق إلى قسمين:

الأول: ويتضمن دراسة تفصيلية لبعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة، وعرضت فيه بعض المصنفات العقدية المهمة عند أهل السنة والجماعة بشيء من التفصيل، وذلك من خلال الحديث عن مؤلف كل مصنف، وأهميته ومنهجه، ومباحثه، وأهم طبعاته، وذلك بناءً على الشرط المتقدم، وهو أن يكون المصنف قد توفي قبل عام ١٤٢٢هـ.

الثاني: ويتضمن دراسة مجملة لبعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة، وعرضت فيه بعض المصنفات العقدية المهمة عند أهل السنة والجماعة بشيء من الإيجاز، وذلك من خلال استيفاء البيانات الخاصة بكل مصنف، وهي: اسم المؤلف، وتاريخ وفاته، ودار النشر التي قامت بطبع الكتاب، وسنة النشر، ورقم الطبعة، واسم المحقق الذي اعتنى بالكتاب -إن وجد-، وأخيرًا نبذة عن محتويات الكتاب.

وقد أعرض هذا الرصد عن ذكر بعض المصنفات التي تبنت منهج أهل السنة على العموم إلا أن مصنفيها جنحوا في مسألة أو أكثر إلى رأي مخالف؛ مثل مصنفات ابن حزم، وابن الجوزي، وابن حجر..، وإن كانت نسبتهم إلى أهل السنة لا تزال باقية فيما أصابوا فيه الحق.

وفي المقابل أثبت المصنفات المنضبطة على منهج أهل السنة والتي يثبت من خلالها رجعة مصنفيها إلى الصواب بعدما كانوا مجانبين للحق فيما كتبوا من قبل؛ وذلك مثل أبي الحسن الأشعري والشوكاني في أواخر مصنفاتهم، فوقع التنبيه على ذلك في موضعه.

وأخيرًا فإنه يجب أن يُعلم أن هذه المصنفات في موضوع الاعتقاد ليست على سبيل الحصر، وإنما هي منتقاة من التراث السلفي الزاخر لبيان وفرة كتب أهل السنة في باب العقيدة، واستقامتها - على اختلاف عصورها وأمصارها ومؤلفيها- على صراط الحق المستقيم.. منهج أهل السنة والجماعة.

القسم الأول

عرض تفصيلي لبعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة

١ـ كتاب القدر وما ورد في ذلك من الآثار لابن وهب رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام عبد الله بن وهب بن مسلم، القرشي، الفهري، المصري، ولد سنة ١٢٥هـ. طلب العلم وهو ابن سبع عشرة سنة، كما أخبر عن نفسه، كان عالمًا، صالحًا، فقيهًا كثير العلم، تتلمذ عليه أئمة كبار، صنف مائة وعشرين ألف حديث، في كتب كثيرة، جليلة القدر. توفي رحمه الله سنة ١٩٧هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعتبر كتاب الإمام ابن وهب من أوائل كتب العقيدة الأثرية، وقد دار موضوع الكتاب كما يدل عليه عنوانه على القدر وما ورد فيه من آثار، وقد سار المصنف رحمه الله على طريقة السلف في تصانيفهم، فساق الأحاديث النبوية والآثار السلفية بأسانيدها المثبتة للقضاء والقدر الإلهي من غير تعليق أو تبويب، وإن كان سياقه للأحاديث والآثار يشعر أنها مرتبة وفق تسلسل موضوعي عام، إلا أنه لم يبوب قط.

ثم إن أبا بكر الوراق وهو راوي الكتاب – أضاف على أصل الكتاب أحاديث عن شيوخه، هي في جملتها استخراج ومتابعة لأحاديث الكتاب.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

كما سبق فإن الكتاب يدور حول موضوع واحد وهو القدر وما يتعلق به من

مسائل، وما ورد في ذلك من أحاديث وآثار، ولعل الداعي إلى هذا التصنيف هو تثبيت أهل السنة بذكر المرويات في هذا الباب، الذي خالفت فيه المعتزلة والقدرية.

رابعًا: طبعات الكتاب:

- طبع في دار السلطان بمكة المكرمة بتحقيق د. عبد العزيز بن عبد الرحمن العُثيم، عام ١٤٠٦هـ.

- ثم طبع في دار العطاء بالرياض طبعة أكمل وأفضل تحقيقًا في مجلد، بتحقيق عمر بن سليمان الحفيان، عام ١٤٢٢هـ.

٢ـ السنة

للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العلم أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، ولد سنة ١٦٤هـ ببغداد، كان من أوعية السنة وحفاظها، رحل في طلب العلم إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، كان رحمه الله إمامًا في الزهد والورع والصدع بالحق، صبر في المحنة، فصار إمام أهل السنة، وأعظم مصنفاته المسند. توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

لكتاب السنة للإمام أحمد أهمية خاصة، وذلك لأسباب منها:

أنه يعتبر أحد الأصول الأولى للعقيدة الصحيحة في القرون الفاضلة. كما أنه تضمن الأصول العقدية الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

وهو كتاب موثوق به لجلالة الناقل وسعة علمه بالرواية والدراية، وقد أجمعت الأمة على جلالة قدره في العلم والزهد والقدوة.

كما يتميز الكتاب بسهولة الأسلوب مع نصاعته وحسن عبارته، وجمعه لأصول العقيدة السلفية، واختصاره مع إفادته، وخلوه عن الألفاظ الكلامية والمصطلحات المنطقية والفلسفية.

ويدور موضوع الكتاب حول اعتقاد السلف الصالح أهل السنة والجماعة ممن عرفوا بالإمامة في الدين والسلامة من البدع والأهواء. وقد قرر الإمام اعتقادهم مجردًا عن الأدلة من الكتاب والسنة، فهو سرد ميسر خال من التعقيد اللفظي والمعنوي، فهو أشبه ما يكون بفهرسة تفصيلية لما يتضمنه اعتقاد السلف الصالح.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن إيجاز أهم مباحث كتاب السنة في الموضوعات التالية:

١- الإيمان وما يتعلق به من مباحث وآراء الناس فيه من مرجئة وجهمية.

٢- القدر وما يتعلق به من مسائل.

٣- موقف السلف من أهل القبلة ومن أحاديث الوعيد.

٤- تقرير أن الخلافة في قريش، ووجوب طاعة الأئمة في المعروف وحرمة الخروج عليهم، وحكم الجهاد وأداء الجمعة والحج معهم، ودفع الصدقات والأعشار لهم.

٥- حكم الصلاة خلف أهل البدع والصلاة على موتاهم.

٦- الإيمان بالبرزخ والقبر وفتنته وما يتعلق به من عذاب ونعيم.

٧- الإيمان بالقيامة والبعث والعرض والحساب والجنة والنار وبقائهما.

٨- الإيمان بجميع صفات الله من السمع والبصر والضحك والحب والفرح والكلام والعلو والاستواء على العرش، ورؤية المؤمنين له سبحانه يوم القيامة.

٩- بيان عقيدة السلف في القرآن.

١٠- بيان اعتقاد السلف وموقفهم من الصحابة ﷺ.

١١- ذكر بعض فرق المبتدعة وبعض اعتقاداتهم، والحكم على هذه الاعتقادات بالفساد، وبيان أن بعضها أشد من بعض.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب مرات عديدة ومن أفضلها طبعتان:

١- طبعة بتصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٢- كما حقق ضمن رسالة علمية للباحث عبد الإله الأحمدي، بعنوان المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة في مجلدين، طبعة دار طيبة بالرياض، سنة ١٤٢٠هـ.

٣ـ كتاب الرد على الزنادقة والجهمية

للإمام أحمد رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

سبق التعريف به.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

مع كون هذا الكتاب من المصادر الرئيسة في عقيدة السلف الصالح التي تمثل الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ؛ فإنه يمثل نوعًا من التأليف الخاص وهو التأليف على شكل المناظرات العلمية.

والكتاب في جملته يعالج موضوعين:

١- الجواب عن بعض الآيات القرآنية التي اشتبه معناها على أهل البدع حيث فسروها بغير تفسيرها، فأجروها على ما يوافق أهواءهم وبدعهم الفاسدة المخالفة لدلالة الكتاب والسنة.

وذلك مثل قوله ﷻ: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦]. قالت الزنادقة: فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت وأبدلهم جلودًا غيرها، فلا نرى إلا أن الله يعذب جلودًا لم تذنب...قال الإمام أحمد: إن قول الله: ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ليس يعني جلودًا غير جلودهم، وإنما يعني بدلناهم جلودًا غيرها تبديلها تجديدها؛ لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام، ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء.

ومثل قوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات:٣٥،٣٦]، ثم قال في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر:٣١] فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟!..قال الإمام أحمد: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾، فهذا أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون فذلك قوله: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ [السجدة:١٢]، فإذا أذن لهم في الكلام فتكلموا واختصموا فذلك قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ ﴾ أي عندي ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ [ق:٢٨][1].

٢- نقد وتقويم ومناقشة لآراء الجهم بن صفوان ومن سلك مسلكه من المعتزلة

(١) انظر كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص٧، ٨.

وغيرهم، وبيان بطلان آرائهم حول الرب وصفاته بالدليل والبرهان من الكتاب والسنة والعقل الصحيح.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تنوعت مباحث الكتاب مما جعله ثريًّا بالمعلومات النافعة المفيدة لطالب العلم، وهي -باختصار- على النحو التالي:

١- مقدمة أشار فيها إلى فضل أهل السنة والجماعة وأهم ما اتصف به أهل البدع.

٢- الجواب عن بعض الآيات التي ادعى بعض أهل البدع التناقض في دلالتها.

وقد سبق بيان طرف من هذه الآيات.

٣- الكلام على عقيدة الجهم ومصادر آرائه التي خرج بها على إجماع الأمة، وبيان بطلانها بالقرآن والسنة والعقل الصحيح وإجماع السلف.

رابعًا: طبعات الكتاب:

حقق الكتاب عدة مرات لمحققين مختلفين ومنها:

١- طبعة بتحقيق الشيخ محمد أحمد حامد الفقي في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة.

٢- طبعة بتحقيق الشيخ محمد فهر شقفة من منشورات مكتبة ابن الهيثم، بحماة بسوريا.

٣- طبعة بتحقيق الدكتور علي سامي النشار والدكتور عمار الطالبي، في منشأة المعارف بالأسكندرية سنة ١٩٧١م.

٤- طبعة بتقديم وتحقيق د.عبد الرحمن عميرة في دار اللواء بالرياض سنة ١٣٩٧هـ.

٥- طبعة بتصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

٦- وقد طبع الكتاب ضمن كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل من روايته كجزء من كتاب السنة بتحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني وهي رسالته لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، طبعة دار ابن القيم، سنة١٤٠٦هـ.

٧- طبعة بتحقيق دغش بن شبيب العجمي، بتقديم الشيخ صالح آل الشيخ والشيخ صالح الفوزان، طبعة دار غراس عام ١٤٢٦هـ، وهي أفضل طبعات الكتاب.

٤- كتاب خلق أفعال العباد

للإمام البخاري رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي المعروف بالبخاري، ولد رحمه الله سنة ١٩٤هـ ببخارى قرب سمرقند. اعتنى بالحديث حتى برع فيه وتلقاه على أكثر من ألف شيخ، حتى صار من أئمته ونقاده وجهابذة العلماء فيه، وقد ترك بعده عددًا من المؤلفات النافعة منها كتابه الجامع الصحيح، وكتاب الأدب المفرد، والتاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والتاريخ الصغير، وغير ذلك كثير. توفي رحمه الله سنة ٢٥٦هـ.

ثانيًا: أهميةِ الكتاب ومنهجه:

ترجع أهمية الكتاب إلى الأمور التالية:

١- أنه مرجع لمن جاء بعده من السلف لما لمؤلفه من منزلة عظيمة عندهم.

٢- اعتماده على أعلى المصادر قوة، وأقواها دلالة، وأكثرها هداية إلى الحق، كما أنه استعمل طريقة الاستقراء للنصوص، ثم استنباط الحكم العقدي منها.

٣- قطعه للنزاع في مسألة التلفظ والتلاوة، وذلك عن طريق تفصيل ما أجمل في كل منهما من معنى؛ لأن الإجمال سبب الخلاف.

ويدور موضوع الكتاب حول الكلام على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق والرد على الجهمية القائلين بأن القرآن مخلوق. والكلام حول أفعال العباد وبيان أنها مخلوقة، وإظهار القول الفصل في تلفظ العبد وتلاوته للقرآن الكريم هل هي مخلوقة أم لا.

ولقد سار البخاري رحمه الله في كتابه هذا على المنهج التالي:

١- سوق الأحاديث والآثار بأسانيدها مع بيان وجه دلالة الحديث أو الآية على ما يستنبطه من عقائد.

٢- ذكر أقوال الفرق الضالة ورد عليها بأدلة الكتاب والسنة.

٣- الجواب عما تشابه على أهل البدع، وذلك بعرض الآية على نظيرها، أو الاستدلال باللغة، أو النقل عن السلف.

٤- بيان تاريخ الفرق ورأي السلف في أساطينها وكبرائها.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن التعرف على محتويات الكتاب من خلال عرض مختصر لأهم مباحثه وهي على النحو التالي:

١- عقيدة السلف في القرآن، والكلام على عقيدة الجهمية، وحكم من قال إن القرآن مخلوق.

٢- ذكر بعض معتقدات الجهمية والمعتزلة ونقل ما يدل على إنكار السلف عليهم.

٣- الكلام على خلق أفعال العباد.

٤- الحديث عن القراءة والتلاوة وهل هما مخلوقتان أم لا، والإجابة عن بعض

الشبهات الواردة حول ما تقرر فيهما.

٥- بيان مذهب أهل السنة من أن الفعل شيء، والمفعول شيء آخر، خلافًا للمتكلمين.

٦- ذكر الأدلة على خلق أصوات العباد.

٧- تقرير أن المداد والرَّق وخط العبد ونحوه مخلوق، وأن المكتوب بالمداد وبخط العبد هو القرآن وليس بمخلوق.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب عدة طبعات، منها:

١- طبعة مؤسسة البخاري ببيروت سنة ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢- طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت وسوريا سنة ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣- طبعة دار المعارف بالرياض عام ١٣٩٨هـ بتحقيق د.عبد الرحمن عميرة.

٤- طبعة بتحقيق الدكتور علي سامي النشار، والدكتور عمار الطالبي وهي ضمن مجموع عقائد السلف بتحقيقهما والناشر دار منشأة المعارف، بالإسكندرية بمصر.

٥- ثم حقق الكتاب فهد بن سليمان الفهيد في رسالته للدكتوراه، طبعة دار أطلس الخضراء، عام ١٤٢٥ هـ.

٥- كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة.

للإمام ابن قتيبة رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام المحدث عبد الله بن مسلم بن قتيبة ولد سنة ٢١٣هـ بمرو ونشأ في بغداد، أخذ عن عدد من جهابذة العلماء. كان معظمًا عند أهل المغرب ويتهمون من وقع

فيه بالزندقة وهو خطيب أهل السنة وكاتبهم المقدم.

وأهم مؤلفاته: تأويل مختلف الحديث، غريب القرآن، غريب الحديث، مشكل القرآن، وغيرها كثير وتوفي رحمه الله سنة ٢٧٦هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

تظهر أهمية الكتاب من عدة وجوه:

١- تعرض الكتاب لمسألة من أهم مسائل الاعتقاد وهي مسألة اللفظ بالقرآن وبيانه للحق فيها.

٢- فيه رد لمنهج التأويل الذي يعتبر عمدة المتكلمين، فيما اعتقدوه في الله وصفاته، كما أنه يمثل منهج الرد بالمناظرة.

٣- عنايته بالرد عن طريق اللغة العربية وهو من الطرق النادرة في الاستدلال.

وهذا الكتاب كغيره من كتب هذا الشأن في البعد عن المصطلحات الكلامية والألفاظ البدعية، مع سهولة اللفظ ووفاء المعنى، ورصانة الأسلوب وقوة العبارة.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن إيجاز أهم مباحث الكتاب في النقاط التالية:

١- المقدمة وقد بين من خلالها حال كثير من العلماء سواء في تلقي العلم أو في مناظراتهم التي خالفوا فيها ما عليه السلف، مع بيان سبب تأليف الكتاب.

٢- تقسيم الناس بالنسبة لقبول الحق إلى ثلاثة أقسام: المقلد والمنكر والمسترشد الطالب للحق.

٣- الجواب عن بعض ما اشتبه على أهل البدع من منظور لغوي.

٤- مناقشة لجملة من آراء القدرية والجهمية والمعتزلة وردها.

٥- التعرض لبعض شبه الرافضة الحديثية وردها بما يدل على بطلانها.

٦- تحرير الحق في مسألة اللفظ بالقرآن.

٧- تحقيق القول في هل الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ وما في ذلك من تفاصيل.

٨- الرد على من ادعى كون الروح غير مخلوق.

٩- الكلام على حروف القرآن هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة.

١٠- مناقشة ما نقل عن الإمام أحمد من قوله: «من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي، والجهمي كافر ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلالة»، والرد على الواقفة.

رابعًا: طبعات الكتاب:

١- طبع الكتاب طبعة غير محققة في دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٠٥هـ.

٢- طبع محققًا في دار الراية بالرياض، بتحقيق عمر محمود أبي عمر، سنة ١٤١٢هـ.

٦- السنة

للإمام ابن أبي عاصم رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، من أهل البصرة، ولد في شوال سنة ٢٠٦هـ. حافظ كبير، وإمام بارع متبع للآثار، من أهل السنة والحديث والنسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان مذهبه القول بالظاهر ونفي القياس، له تصانيف كثيرة تزيد على ثلاثمائة مصنف. توفي رحمه الله سنة ٢٨٧هـ، وشهد جنازته مائتا ألف بين راكب وراجل.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

هذا الكتاب يعد من أوائل كتب أهل السنة، حيث سلك المصنف رَحِمَهُ اللهُ في تأليفه للكتاب مسلك المحدثين في سوق الأحاديث بأسانيدها تحت تراجم دالة على المعنى المراد من إيراد تلك الآثار.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن إيجاز أهم مباحث الكتاب في الموضوعات التالية:

١- الأمر بلزوم السنة والجماعة وسنة الخلفاء الراشدين، وذم الفرقة والإخبار بافتراق الأمة، والتحذير من البدع والأهواء.

٢- القدر وما يتعلق به من مسائل.

٣- إثبات صفات الله تعالى، ككلامه تعالى، ورؤيته في الآخرة، ونزوله إلى السماء الدنيا، والقدم، واليد، والضحك، والتعجب، والسمع، والاستواء على العرش، وأنه سبحانه وتعالى في السماء.

٤- اليوم الآخر وما ورد فيه من حوض النبي ﷺ، والميزان، والشفاعة، والورود على النار، والحساب اليسير ومناقشة الحساب، والإيمان بالبعث، ودخول سبعين ألفًا الجنة بغير حساب، وزيارة المؤمنين لربهم في الجنة وكلامه لهم.

٥- زيادة الإيمان ونقصانه.

٦- وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، وكيفية النصيحة للولاة، والأمر بالصبر عليهم.

٧- خلافة الراشدين المهديين وفضل كل منهم، وفضل بقية العشرة.

رابعًا: نسخ الكتاب:

- طبع الكتاب في المكتب الإسلامي ببيروت بتحقيق الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، عام ١٤٠٠هـ.

٧ـ كتاب السنة

للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي، ولد في جمادى الآخرة سنة ٢١٣هـ.

كان عالمًا بالرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى، مواظبًا على طلب الحديث، وكان لا يكتب عن أحد إلا بأمر أبيه. توفي رحمه الله في يوم الأحد ودفن في آخر النهار لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٩٠هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعتبر كتاب السنة من المصادر العقدية الأولى ذلك أنه مبني على طريقة المحدثين التي لا تقبل أي قول أو فكر إلا بسند مقبول؛ فهو من هذا الجانب له مكانة كبيرة حيث اعتمدت عليه كثير من الكتب التي صنفت في عقيدة السلف، ككتاب الشريعة للآجري، وكتاب السنة للخلال، وكتاب الإبانة الكبرى لابن بطة، وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ثم كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته من بعد.

ويعتمد الكتاب في إثبات القضايا العقدية على النقل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما قرره علماء السلف، ويبرز طريقة من طرق الدفاع عن العقيدة وهي الجواب على ما اشتبه على المخالفين لأهل السنة من الآيات والأحاديث، كما رتب العقائد السلفية مسندة تحت عناوين توضح المراد بسياق هذه الأسانيد.

وقد يؤخذ على الكتاب أمور منها:

الأول: المبالغة في ذم الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

والتحقيق أن نسبة القول بخلق القرآن لأبي حنيفة غير صحيحة؛ بل هي مكذوبة، والإرجاء الذي نسب إليه ليس هو عين الإرجاء المنسوب للفرقة المبتدعة المرجئة، وإن كان قول أبي حنيفة في الإيمان مرجوحًا لمخالفته الكتاب والسنة، وما عليه عامة السلف.

الثاني: التكرار، فإنه قد يورد الأثر بسنده في موضع ثم يكرره بعد ذلك بنفس السند والمتن.

الثالث: أن المصنف رحمه الله قد أورد أشياء واهية لم تثبت من ناحية سندها، ومتنها ومعناها يخالف ما عليه السلف، ولذا يجب التنبه إلى نقد هذه الآثار من حيث السند والمتن أيضًا.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تدور مباحث الكتاب على جملة محاور منها:

١- إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق وكفر من قال خلافه.

٢- نقد الإمام أبي حنيفة في الاعتقاد.

٣- بيان مسائل الإيمان والرد على المرجئة.

٤- القدرية وحكم الصلاة خلفهم.

٥- ما ورد في ذكر الدجال وصفته.

٦- آراء العلماء حول رؤية الرسول ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج.

٧- ذكر الآيات التي اشتبهت على الجهمية، والرد عليهم في إنكارهم للكلام والرؤية

واليد والخلق وغير ذلك.

٨- مسألة الخلافة وما يتعلق بها.

٩- عذاب القبر وفتنته وما يتعلق بذلك.

١٠- الرد على الخوارج وبيان أخطر ضلالاتهم.

رابعًا: طبعات الكتاب:

١- طبع كتاب السنة في مجلدين من القطع الكبير بتحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني، وأصل الكتاب بحث أعده محققه لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، وقد قدمه بدراسة مختصرة عن الكتاب وقام بتخريج أحاديثه وآثاره والترجمة لرجاله، ونقل أقوال أهل الصنعة الحديثية، ثم وضع له فهارس علمية تخدمه وتفيد الباحث، هذا وقد ذكر المحقق أن الكتاب اشتهر باسم (الرد على الجهمية والزنادقة).

٢- طبعة مكتبة البخاري باليمن، تحقيق أحمد بن على الرداعي.

٨ـ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل

لابن خزيمة رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، النيسابوري، الحافظ الحجة الفقيه، الشافعي، إمام الأئمة ولد سنة ٢٢٣هـ بنيسابور ونشأ بها، وطلب الحديث منذ حداثة سنه، وكان رحمه الله تقيًّا زاهدًا، سخيًّا كريمًا، شجاعًا جريئًا لا يخاف الأمراء والولاة ولا يهابهم، وجمع بين الحديث والفقه، إلا أن شهرته بالحديث أكثر، ولهذا لقب بالحافظ لكثرة حفظه وإتقانه، وقد زادت مصنفاته رحمه الله على مائة وأربعين

كتابًا سوى المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٣١١هـ وعمره تسع وثمانون سنة.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المصنفة في العقيدة عند أهل السنة والجماعة، فمؤلفه من متقدمي علماء السنة، فقد عاش في القرن الثالث، وهو يروي كتبه بالسند المتصل إلى النبي ﷺ، ومنها هذا الكتاب، وقد عاصر كثيرًا من شيوخ البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، وتلقى عنهما والتقى بالبخاري ومسلم وأخرجا له في غير الصحيح.

والكتاب يشتمل على ما يزيد على سبعمائة وخمسين حديثًا بالإضافة إلى عشرات الأسانيد، الأمر الذي جعل كثيرًا من علماء السلف يعتمدون على هذا الكتاب، وينقلون منه كثيرًا في كتبهم التي تقرر عقيدة السلف كما أن المؤلف يورد كثيرًا من الأحاديث من غير طرق الكتب الستة، فهو بهذا يعتبر كالمستخرج عليها.

ثم إن مؤلفه يعتبر من أكبر علماء السنة الذين انتهت إليهم الرئاسة في العلم والفقه بلا منازع، كما كان مشهورًا بمناظرته ومجادلته لأهل الأهواء وإفحامهم، فاستحق بذلك لقب إمام الأئمة في عصره.

وقد سلك المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في تأليفه الكتاب مسلك المحدثين في سوق الآيات والأحاديث والآثار تحت تراجم دالة على المعنى المراد، مقتديًا في ذلك بعلماء السلف الذين سبقوه.

ويلاحظ في الكتاب الإكثار من الأبواب للموضوع الواحد، وقد يؤخذ على المؤلف روايته عن بعض الضعفاء والمتروكين رغم أنه اشترط في عدة مواضع من الكتاب ألا يروي إلا عن الثقات العدول بالسند المتصل، وبتحقيق الكتاب أخيرًا يتنبه الباحث إلى تلك الآثار.

ثالثًا: أهم مباحث الكتاب:

بدأ الكتاب بمقدمة ذكر فيها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ السبب الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب، ثم تطرق بعد ذلك في مباحث الكتاب إلى الحديث عن عدد من القضايا من أهمها:

١- سياق ما ورد من النصوص في الكتاب والسنة في إثبات عدد من الصفات الذاتية والفعلية لله عز وجل وجعلها قاعدة لإثبات ما ورد مشابهًا لها، واعتبار أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

٢- إثبات إمكان رؤية الله يوم القيامة للمؤمنين دون الكافرين، في موقف القيامة وفي الجنة.

٣- إثبات رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا، وقد أطال في الاستدلال لها وتكلف في تأويل بعض الأدلة لإثباتها رغم أن المترجح عند أكثر العلماء أن المراد برؤية النبي ﷺ لربه الواردة في الأحاديث هي: الرؤية القلبية أو المنامية دون رؤية البصر، لعدم ورود النص الصريح في ذلك.

٤- إثبات الشفاعة يوم القيامة، مع ذكر أنواعها، والخاص منها بنبينا ﷺ والرد على منكري الشفاعة من المعتزلة والخوارج.

رابعًا: طبعات الكتاب:

١- طبع هذا الكتاب لأول مرة بالمطبعة المنيرية عام ١٣٥٣هـ، وقد نفدت هذه الطبعة حتى صارت في حكم المخطوطة، ثم طبع عدة طبعات أخرى ومنها:

٢- طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، ودار الشروق للطباعة بمصر عام ١٣٨٧هـ، بمراجعة الشيخ محمد خليل هراس.

٣- طبعة مكتبة الرشد بالرياض بتحقيق د. عبد العزيز الشهوان وتقع في مجلدين، وهي أفضل الطبعات، وقد طبعت عام ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤- طبعة دار الآثار باليمن، عام ١٤٢٤هـ، تحقيق أحمد بن علي الرداعي، وقد أصلح فيها بعض الأخطاء الواقعة في الطبعات السابقة.

٩ـ الإبانة عن أصول الديانة
لأبي الحسن الأشعري رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، ينتهي نسبه إلى الصحابي المشهور أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. ولد سنة ٢٦٠هـ، وكان شافعي المذهب في الفروع، وإمامًا في الكلام، أخذ الاعتزال عن زوج أمه أبي علي الجبائي، وتبحر حتى بلغ فيه الغاية ثم رجع عنه بعد أن قضى أربعين سنة عليه.

وقد مر رحمه الله في اعتقاده بثلاث مراحل: الأولى: مرحلة الاعتزال وهي اعتناقه لمذهب المعتزلة. الثانية: رجوعه عن الاعتزال واتخاذ طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب والذي تنسب إليه الكلابية وهي عقيدة الأشاعرة الآن. الثالثة: رجوعه عن مذهب الكلابية إلى مذهب السلف الصالح إجمالاً، وإن لم تخل عقيدته من بقايا لحقته من آثار رحلته الطويلة. توفي رحمه الله ببغداد سنة ٣٢٤هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

تأتي أهمية هذا الكتاب من جهة كونه يمثل آخر مرحلة تعبر عن عقيدة الإمام الأشعري التي مات عليها، والتي تفصح عن رجوعه عن أي عقيدة سواها، وفي الكتاب تصريحه باتباعه لمذهب السلف؛ بل صرح أنه على ما يقوله أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مما يدل على بطلان ما انتهجه أصحابه من بعده لا سيما من خلط عقيدته في المرحلة المتوسطة بالاعتزال.

والكتاب من جهة أخرى شهادة من إمام المتكلمين على صحة مذهب السلف، والحق ما شهد به المخالفون، وإن كان ما قاله السلف حقًّا وليس متوقفًا على شهادة أحد.

كما يمثل الكتاب نوعًا معينًا من التأليف العقدي هو المناظرات الكلامية العقدية وهذا الكتاب أساس في ذلك؛ حيث يعتبر الكتاب ردًّا على أصول الفرق من الجهمية، والمعتزلة القدرية، والحرورية والخوارج، والرافضة.

وأهم مميزات هذا الكتاب:

١- جمعه في الاستدلال بين المنقول والمعقول.

٢- صياغته على سبيل المناظرات.

٣- العناية بذكر شبهات أهل الباطل وردها بالمنطق العقلي.

٤- بعده عن الأساليب الكلامية والألفاظ المنطقية.

٥- الشمولية لأكثر بحوث العقيدة.

وموضوع الكتاب هو تقرير ما أنكرته المعتزلة والقدرية من العقائد الإسلامية.

ويؤخذ على الكتاب: نسبة القول بخلق القرآن لأبي حنيفة وهو بريء منه، فقد صرح في كتابه الفقه الأكبر بأن القرآن غير مخلوق، وكثرة عرض الشبه، ومع ذلك فلا تخلو ردوده على هذه الشبهات من فوائد مهمة.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

سار الأشعري في كتابه على خطة البحث الآتية:

١- خطبة تضمنت بيان موضوع الكتاب وأسباب تأليفه.

٢- بيان مضمون العقائد الباطلة التي يراد ردها.

٣- سرد مقرون بالأدلة لعقيدة أهل الحق.

٤- إثبات الرؤية بالأبصار ورد الشبه حول هذه المسألة.

٥- إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ورد الشبه حول هذه المسألة.

٦- إثبات استواء الله على العرش وما يتبع ذلك من إثبات علوه تعالى على عرشه والرد على الشبه حول هذا الموضوع.

٧- تقرير الكلام على عدد من الصفات وهي الوجه والعينان والبصر واليدان وبيان مذهب السلف في ذلك والاستدلال عليه والرد على نفاتها.

٨- الرد على الجهمية في نفيهم للعلم والقدرة وجميع الصفات وإيراد بعض الشبه والاعتراضات وردها.

٩- مبحث خاص بالإرادة والرد على عقيدة المعتزلة فيها وإيراد الشبه والاعتراضات وردها حول صفة الإرادة.

١٠- الكلام على مباحث القدر كأفعال العباد والاستطاعة والتعديل والتجويز وفرض الشبه والرد عليها.

١١- الكلام على عدد من القضايا التي تتعلق بالقدر وهي التكليف، وإيلام الأطفال، والختم والآجال والأرزاق، والهدى والضلال، والتعليق على المشيئة (الاستثناء) وذكر ما ورد عن السلف حول القدر وإثباته بالدليل.

١٢- الكلام على بعض ما يتعلق بالموت وعذاب القبر، وبعض ما يتعلق باليوم الآخر كالشفاعة، وذكر الحوض وأدلته، وحكم أهل الكبائر وتقرير مذهب أهل السنة في ذلك.

١٣- الكلام على خلافة أبي بكر الصديق ﷺ وأدلة ذلك من الكتاب والسنة.

رابعًا: طبعات الكتاب:

- الكتاب له عدة طبعات بدون تحقيق علمي:

١٠- شرح السنة

للإمام أبي محمد البربهاري رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الفقيه، القدوة، كان قوالاً بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، توفي في رجب سنة ٣٢٨هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

الكتاب عبارة عن جمل واضحة لخص فيها المصنف رحمه الله أهم معتقدات أهل السنة والجماعة مما اتفقوا عليه سواء في المسائل العلمية أو العملية، وإن خلا الكتاب من الأدلة النقلية والعقلية. كما قد يؤخذ على الكتاب أن مسائله غير مرتبة، وفيه تكرار لبعض المسائل، ويلاحظ أن المصنف رحمه الله أدخل بعض المسائل المختلف عليها من الأحكام العملية ضمن كتابه.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن اختصار مباحث الكتاب في الموضوعات الآتية:

١- الحث على لزوم السنة والجماعة والتحذير من البدع والأهواء والافتراق، والنهي عن المراء والجدال في الدين والأمر بالتسليم للنبي ﷺ.

٢- تقرير مذهب أهل السنة في باب الصفات، وإثبات صفة السمع والبصر والعلم والاستواء وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

٣- إثبات رؤية الله يوم القيامة، والإيمان بالميزان وبعذاب القبر ومنكر ونكير

وبالحوض والشفاعة والصراط وبالقصاص بين الخلق، وبالجنة والنار.

٤- تقرير مذهب أهل السنة في باب الإيمان، وأنه قول وعمل يزيد وينقص.

٥- تقرير أن أفضل هذه الأمة والأمم كلها بعد الأنبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم بقية العشرة، ووجوب الترحم على جميع الصحابة، وذكر فضلهم.

٦- وجوب السمع والطاعة للأئمة في المعروف، وحرمة الخروج عليهم.

٧- إثبات الإسلام لكل من أظهره والصلاة على من مات من أهل القبلة وإن كان مرتكبًا للكبائر ولا يخرج أحد من الإسلام إلا برد آية أو حديث أو صرف شيء من العبادة لغير الله.

٨- النهي عن الكلام والجدل والخصومة في القدر.

٩- ذكر بعض المسائل العملية؛ كالرجم والمسح على الخفين، وقصر الصلاة، والفطر في السفر، واشتراط الولي والشاهدين في النكاح.

١٠- حصول الافتراق في الأمة، وذكر الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، والتحذير من الفتن ومجالسة أهل البدع.

رابعًا: طبعات الكتاب:

١- طبع الكتاب محققًا في دار ابن القيم، بالدمام، بالسعودية بتحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني ١٤٠٨هـ.

٢- وطبع مرة أخرى في مكتبة الغرباء بالمدينة المنورة بتحقيق خالد بن قاسم الردادي ١٤١٤هـ.

٣- طبعة دار المنهاج بالرياض، عام ١٤٢٦هـ، تحقيق عبد الرحمن بن أحمد الجميزي، وهي أصح طبعات الكتاب.

١١ـ الإيمان

للإمام ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الحافظ المحدث أبو عبد الله محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن منده، ولد سنة ٣١٠هـ بأصبهان، ونشأ بها. ولم يبلغ أحد في عصره مبلغه في كثرة الشيوخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم[١]، رحل لجمع السنة وسماعها إلى بلاد كثيرة مثل نيسابور والعراق والشام ومصر ومكة والمدينة، وكان كثير التصانيف مع الثقة والحفظ والإتقان، وقد وُصف بأنه فريد عصره دينًا وحفظًا ورواية مع اللطف والتواضع والعفة. يقول الذهبي في ترجمته: «وما علمت بيتًا من الرواة مثل بيت بني منده، بقيت الرواية فيهم من خلافة المعتصم[٢] وإلى بعد الثلاثين وستمائة»[٣]. وقد ألف ابن منده كتبًا في العقائد على منهج أهل السنة والجماعة بيَّن فيها الحق، ورد على شبهات المبطلين ودحضها بالنصوص الشرعية؛ ومن تلك الكتب: كتاب التوحيد، وكتاب الإيمان، وكتاب الرد على الجهمية، وكتاب في الرد على اللفظية، وكتاب في النفس والروح.

وقد توفي ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٣٩٥هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

سار المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ على طريقة السلف في تصانيفهم في ذلك الزمان، فساق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية المثبتة لمسائل الاعتقاد التي أوردها، مع وضع عناوين قبل النقولات توضح المراد بإيرادها، والمعنى الذي تثبته.

---

(١) يقول الذهبي: "فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ". سير أعلام النبلاء (١١/ ٧).

(٢) خلافة المعتصم سنة ٢٤٨هـ. البداية والنهاية (١١/ ٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٩٥).

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تدور مباحث الكتاب على عدة محاور منها:

١- معنى الإيمان، والفرق بين الإيمان والإسلام، وبيان أركان الإيمان والإسلام.

٢- الإيمان يزيد وينقص، وتفاضل المؤمنين في الإيمان.

٣- صفة أصحاب رسول الله ﷺ ومنزلتهم.

٤- وجوب حب الله ورسوله وفضل الحب في الله والبغض فيه.

٥- فضل من أسلم على ما سلف من الخير في الجاهلية، وفضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه ثم آمن بالمصطفى ﷺ.

٦- ما يدل على أن النفاق على ضروب؛ نفاق كفر، ونفاق قلب ولسان وأفعال، وهي دون ذلك.

٧- وجوب الإيمان برؤية الله عز وجل.

٨- وجوب الإيمان بما أخبر به الرسول صلوات الله عليه من الآيات المستقبلة إلى قيام الساعة.

٩- وجوب الإيمان بالبعث والنشور، والحوض، والحساب والميزان.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب بمؤسسة الرسالة ببيروت في مجلدين عام ١٤٠٧هـ، بتحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.

١٢- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد للإمام ابن منده رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

سبق التعريف به.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

ترجع أهمية الكتاب إلى كون مؤلفه قد تعرض لجانب مهم من جوانب العقيدة ألا وهو التوحيد بأنواعه، وقد بحثه المصنف بحثًا مستفيضًا وأورد عليه الأدلة الكثيرة والمتنوعة من الكتاب والسنة وآثار السلف.

سلك المصنف في تأليفه للكتاب مسلك المحدثين في سوق الأسانيد إلى متونها تحت عناوين دالة على المعنى المراد من إيراد تلك النصوص.

وقد أكثر من الآيات في القسم الأول وهو بحث الوحدانية في الخلق وهي أدلة توحيد الربوبية، ولم يخل فصل من ذكر الأحاديث المفسرة لتلك الآيات، كما أكثر من الأحاديث والآيات في الأقسام الأخرى وهي بحث الأسماء الحسنى، والصفات، ولما تطرق للتصريح بذكر توحيد الربوبية في آخر الكتاب استدل على ذلك بالآيات وأقوال بعض السلف.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يقع الكتاب في سبعة أجزاء، وقد اشتمل على مائتين وستة وأربعين فصلاً، شملت تسعمائة وستة عشر حديثًا وأثرًا.

وقد شمل الكتاب أقسام التوحيد الثلاثة؛ وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وقد بحث المصنف توحيد الأسماء مستقلًّا ثم أتبعه بتوحيد الصفات بحيث جاءت الأقسام أربعة.

وقد بدأ المصنف بقسم الوحدانية في الربوبية وأطال فيه النفس مستدلًّا به على توحيد الألوهية، ثم ذكر عنوانًا لتوحيد الأسماء ومنه دخل في توحيد الألوهية، ثم عاد لتكميل أسماء الله تعالى، ثم أتبعه بتوحيد الصفات حيث بحثه مستقلًّا عن الأسماء، ثم عاد إلى توحيد الربوبية بالتصريح بذلك في آخر الكتاب.

رابعًا: طبعات الكتاب:

- طبع الكتاب في مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة، بتحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، عام ١٤١٤هـ.

١٣ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

للإمام اللالكائي رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي الحافظ، جمع بين الحديث والفقه إلا أن شهرته بالحديث أكثر ومؤلفاته تدل على هذا، شهد له العلماء بالحفظ والإتقان وعلو الشأن، وهو في باب الاعتقاد على طريقة أهل الحديث ومذهب أهل السنة. توفي رحمه الله سنة ٤١٨هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المصنفة في العقيدة عند أهل السنة والجماعة وقل أن نجد مصنفًا بعده لا يستفيد منه أو يشير إليه.

ذكر المؤلف رحمه الله منهجه في مقدمة الكتاب وبين الطريقة التي سيتبعها في التأليف وهي:

١- أنه لم يبدأ في تأليف هذا الكتاب حتى تصفح عامة كتب الأئمة الماضين وعرف مذاهبهم ومناهجهم، ولم يأل جهدًا في تصنيفه.

٢- أنه فصّل المسائل الخلافية وبيّن المحدِث لكل مسألة، والفترة الزمنية التي أحدثت فيها.

٣- الاستدلال على صحة مذهب أهل السنة بالقرآن الكريم، فإن لم يجد فمن السنة، فإن لم يجد فيهما ولا في أحدهما استشهد بقول الصحابة رضي الله عنهم، فإن لم يجد عنهم فعن

التابعين لهم بإحسان.

٤- ثم أخبر أنه لم يسلك فيه طريق التعصب على أحد من الناس.

هذا هو المنهج المكتوب وهناك جانب آخر منه اتبعه المؤلف ولم يذكره وهو:

١- أن المؤلف اهتم بالجمع فقط من غير تمحيص للأحاديث والآثار التي أوردها.

٢- المؤلف يعرض الاعتقاد ثم يذكر أدلته سردًا من غير تعليق أو شرح، ولعل المؤلف رحمه الله معذور في ذلك لكثرة النصوص الواردة إذ لو اتبع هذا المنهج لتضخم الكتاب إلى أكبر من حجمه.

٣- المؤلف لم يذكر المذاهب المخالفة في المسألة التي يوردها إلا في أماكن قليلة جدًّا كما في مسألة: (الاسم والمسمى) ونحوه.

٤- يختم بعض المباحث برؤى ومنامات تشهد لأهل السنة والجماعة بصحة عقائدهم وتعيب على المخالفين لهم كما فعل في نهاية مبحث القرآن والقدر.

٥- يقدم في أول المبحث بعض الآثار بدون سند ثم يأتي بها بعد ذلك بأسانيدها.

ومن مميزات الكتاب ما يلي:

١- يشتمل هذا الكتاب على عدد كبير من النصوص ما بين حديث وأثر كلها تتحدث عن مسائل عقدية.

٢- والكتاب يعتبر موسوعة لأسماء علماء أهل السنة، وهذا يؤكد إجماع الأمة على عقيدة أهل السنة قبل وبعد ظهور الانحرافات في الاعتقاد.

٣- يعتبر الكتاب من المستخرجات حيث إن المؤلف رحمه الله سلك في إيراده للآثار مسلك المحدثين إذ يورد الحديث أو الأثر بسنده إلى قائله، فإذا كان الحديث مخرجًا في أحد كتب السنة فإنه لا يورده من طريقه؛ بل من طريق آخر ولا يكاد يوجد في

هذا الكتاب ما يخالف هذه القاعدة، ولا شك أن وروده من تلك الطريق سيؤدي إلى زيادة أو موافقة لها فائدتها الحديثية.

ومن المآخذ التي تؤخذ عليه ما يلي:

عدم التنظيم، فلم يهتم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بجانب التنظيم لا في عناوين الكتاب ولا في الموضوعات.

فالعناوين لم تنظم بحيث تشمل أبوابًا وفصولاً يعرف منها بداية الباب ونهايته ومحتواه، وإنما يسوق الموضوعات سوقًا تحت عنوان (سياق كذا وكذا) ولم يستعمل كلمة: (باب) إلا أربع مرات تحتها هذه السياقات المتقدمة، مما أدى إلى دخول بعض المباحث تحت أحد هذه الأبواب وكان من حقها أن تفصل وتوضع تحت باب آخر، كما وقع ذلك في مبحث القدر مثلاً فقد جاء بعد تقدم باب في التوحيد من غير فصل.

وقد أورد المصنف بعض الأحاديث والآثار الضعيفة المعتضدة بالأحاديث الصحيحة المعتمدة في الاستدلال على عقيدة أهل السنة، وقد نبه على ذلك محقق الكتاب وفقه الله.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تنوعت مباحث الكتاب، ولعل أهمها ما يلي:

١- فضل حفظ السنة والأمر بالاتباع والتمسك بالكتاب والسنة والمحافظة على الجماعة والنهي عن مناظرة أهل البدع.

٢- القرآن كلام الله غير مخلوق وأقوال علماء أهل السنة الدالة على ذلك، وحكم المخالف في هذه المسألة ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، ومتى حدث القول بخلق القرآن ومن أول من قاله.

٣- ذكر جملة من صفاته تعالى كاستوائه على العرش، واتصافه تعالى بالعلم وكون علمه

غير مخلوق، وأن الله تعالى سميع بسمع بصير ببصر، وإثبات الوجه والعينين واليدين، ونزول الرب تبارك وتعالى، ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

٤- القدر وعقيدة أهل السنة فيه ومذاهب المخالفين، وما يتعلق به من مسائل.

٥- سياق ما روي في نبوة النبي ﷺ متى كانت وبم عرفت، وفضائل النبي ﷺ ومعجزاته.

٦- الكلام على الإيمان وعلاقته بالإسلام، وتعريفه وزيادته ونقصانه والاستثناء فيه، والخصال المعدودة في الإيمان، وسياق النصوص وأقوال أئمة أهل السنة في هذه المسائل.

٧- ضلال المرجئة وقبح مذهبهم ومتى حدث وما روي في ذم المرجئة.

٨- مذهب أهل السنة في مرتكبي الكبائر والتوبة منها والشفاعة لأهلها.

٩- عذاب القبر وسؤال الملكين، وإهداء الأعمال الصالحة للأموات.

١٠- طاعة الأئمة والأمراء.

١١- فضائل الصحابة والحث على حبهم، والوعيد لمن تناولهم أو تنقصهم، وعقوبات من سب الصحابة، والتفضيل بينهم.

١٢- فضائل الخلفاء الأربعة وترتيب الخلافة بينهم، وفضائل بقية العشرة والعباس وحمزة وأمهات المؤمنين.

١٣- ما ورد من آيات وأحاديث وآثار عن الصحابة والتابعين في كرامات الأولياء، وما روي من كرامات بعض الصحابة والتابعين وأولياء الله تعالى.

رابعًا: طبعات الكتاب:

١- يشتمل الكتاب على ثمانية أجزاء طبعت في أربعة مجلدات بتحقيق د. أحمد سعد حمدان، بالإضافة إلى جزء في كرامات أولياء الله طبع في مجلد مستقل لنفس المحقق. نشر دار طيبة، الرياض.

٢- وطبع بمصر طبعة أخرى محققة، ومقابلة على نسخة خطية، بتحقيق نشأت كمال المصري.

١٤ـ كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام أبي عثمان الصابوني رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عابد الصابوني، ولد سنة ٣٧٢هـ، وتولى الوعظ بعد والده، وكان يحضر مجلس وعظه كبار العلماء، أخذ عن شيوخ عصره حتى برع في العلم وتفنن فيه، توفي رحمه الله في شهر المحرم من سنة ٤٤٩هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

ترجع أهمية الكتاب إلى أمرين أساسيين هما:

١- أنه من المصادر الرئيسة في نقل عقيدة السلف، ولم يزل العلماء ينقلون عنه النقول وينسبون إليه الأقوال، وممن نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب التأسيس وفي كتاب الحموية.

٢- تقريره لموقف السلف من النصوص مع مقارنته بمنهج أهل البدع مما يظهر مدى استقامة أصول السلف والانحراف عن الحق عند أهل البدع.

موضوع الكتاب هو تقرير العقيدة السلفية في أصول الدين، وقد سار المصنف رحمه الله في هذا الكتاب على النهج التالي:

١- بيان العقائد السلفية بالدليل والبرهان من الكتاب والسنة.

٢- نقل مذهب السلف بالأسانيد الصحيحة.

٣- الاختصار مع تمام المعنى في سياقه للعقائد.

ومما يلاحظ على الكتاب:

١- سوقه لبعض الأمور الفرعية مع أنه كتاب في الاعتقاد والذي دعاه لذلك أنها كالعلامة والشعار لأهل السنة في زمانه.

٢- توقفه في مسألة اللفظ بالقرآن اقتداء بابن جرير، وكان الواجب التفصيل كما صنع البخاري وابن قتيبة عليهم جميعًا رحمة الله.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

قد اشتمل الكتاب على تقرير عدد من المباحث من أهمها ما يلي:

١- إثبات صفات الله مما وردت به النصوص، كالاستواء والعلو والفوقية والنزول والمجيء، وبيان الفرق بين أهل السنة وأهل البدع في التعامل مع نصوص الصفات.

٢- اعتقاد أهل الحديث أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

٣- الكلام على البعث بعد الموت، والشفاعة لأهل الكبائر، والحوض، والكوثر، والجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم عيانًا في الآخرة.

٤- بيان اعتقاد أهل الحديث في حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه.

٥- بيان اعتقادهم في مرتكب الكبيرة في الدنيا والآخرة.

٦- بيان فضائل الصحابة ووجوب محبتهم وحسن الظن بهم، وإثبات خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأن فضلهم بحسب ترتيبهم في الخلافة، ووجوب الكف عما شجر بينهم.

٧- وجوب الصلاة خلف الأئمة المسلمين والدعاء لهم ونصيحتهم، والجهاد معهم والصبر على جورهم وعدم الخروج عليهم وإن جاروا.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب عدة طبعات نذكر منها:

١- طبع في المطبعة المنيرية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، بالقاهرة، عام١٣٤٣هـ.

٢- طبع في الدار السلفية بالكويت بتحقيق بدر البدر سنة ١٤٠٤هـ. وهو في الحقيقة تخريج أكثر منه تحقيقًا.

٣- طبع في دار العاصمة، بدراسة وتحقيق د.ناصر الجديع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٥ـ الكلام على الصفات

للخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العلامة خاتمة الحفاظ أبو بكر بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، ولد سنة ٣٩٢هـ. انتهت إليه رياسة علم الحديث في زمانه، وبلغ الغاية حفظًا وإتقانًا وضبطًا لحديث رسول الله ﷺ، وتفننًا في علله وأسانيده، وعلمًا بصحيحه وغريبه، وفرده ومنكره ومطروحه. وقد بلغت مصنفاته ستًّا وخمسين مصنفًا. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذي الحجة سنة ٤٦٣هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

هذا الكتاب من نوادر الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من هو في العلم والمكانة، وانتساب الكتاب إليه إضافة عظيمة للمنافحين عن مذهب أهل السنة في باب الصفات.

وهذا الكتاب تلخيص جيد لمذهب أهل السنة في باب الصفات بأسلوب سهل واضح لا تعقيد فيه، وهو على صغره لم يخل من الأدلة النقلية والعقلية على إثبات منهج السلف في باب الصفات.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

ليس في الكتاب إلا مبحث واحد بيّن فيه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ مذهب السلف في باب

الصفات مستعينًا بالأدلة النقلية والعقلية، ثم وضح أن الأحاديث المروية في الصفات على ثلاثة أقسام وبين حكم كل منها.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب في مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ومكتبة العلم بجدة، بتحقيق عمرو عبدالمنعم، عام ١٤١٣هـ.

وقد روى الإمام الذهبي جزءًا من هذا الكتاب في كتاب سير أعلام النبلاء، وذلك في سياق ترجمته للخطيب البغدادي.

١٦ـ الحجة في بيان المحجة في شرح التوحيد ومذهب أهل السنة لقوام السنة أبي القاسم التيمي الأصبهاني رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد ابن طاهر التيمي الطلحي الأصبهاني. ولد سنة ٤٥٧هـ بأصبهان، ونشأ بها، ثم رحل إلى بغداد ونيسابور ومكة لتحصيل العلم، وقد منَّ الله عليه بالعلم الواسع والهمة العالية فكان إمامًا في التفسير والحديث واللغة والأدب، عارفًا بالمتون والأسانيد، حتى نال ثناء أهل عصره، ولقب بشيخ الإسلام وبقوام السنة، وعده بعضهم مجدد القرن السادس. كما كان زاهدًا عفيفًا نزيه النفس عن المطامع، لا يدخل على السلاطين ولا على من اتصل بهم.

عاش أبو القاسم في الوقت الذي انتشرت فيه الفرق المخالفة لأهل السنة وتم ظهورها، فوفقه الله لسلوك منهج السلف في العقيدة، والتصنيف للرد على المبتدعة، فله في العقيدة ثلاثة مصنفات: الحجة في بيان المحجة، والسنة، ودلائل النبوة وقد عُمِّر ثمانية وسبعون عامًا، وتوفي يوم الأضحى سنة ٥٣٥هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يقول المصنف في بيان أهمية كتابه والسبب الذي دفعه إلى تأليفه: «وحين رأيت قوام الإسلام بالتمسك بالسنة، ورأيت البدعة قد كثرت والوقيعة في أهل السنة قد فشت، ورأيت اتباع السنة عند قوم نقيصة، والخوض في الكلام درجة رفيعة، رأيت أن أملي كتابًا في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف وأهل السنة في الأمصار، والراسخين في العلم في الأقطار، ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين، ويجانب طريقة المبتدعين، ويكون من صالحي الخلف لصالحي السلف»(1).

ويعد الكتاب من أفضل ما صنف علماء السلف في العقيدة، وذلك للأمور الآتية:

١- جمع موضوعات العقيدة كاملة مستوفاة في الكتاب بقسميه، مع الاستفادة بمؤلفات العقيدة لدى المتقدمين عن المصنف.

٢- الامتياز بالتنظيم على هيئة أبواب وفصول.

٣- عدم الاكتفاء بسرد الأحاديث والآثار؛ بل مناقشة المخالفين لعقيدة السلف، والإشارة إلى أقوالهم وردها بالأدلة النقلية والعقلية ودلالة اللغة.

ولم يشر المصنف في مقدمة كتابه إلى منهجه في التأليف، وإن كان قد سلك في تأليفه المنهج الآتي:

١- يعقد المصنف الباب أو الفصل، ويسرد الآيات والأحاديث والآثار المتعلقة به بأسانيدها.

٢- في بعض المباحث يناقش المخالفين من المعتزلة أو الأشاعرة، يرد عليهم بالأدلة النقلية والعقلية واللغوية.

٣- كثيرًا ما ينقل المؤلف من كتب العلماء بسنده إليهم وخاصة ابن منده واللالكائي،

---

(١) انظر مقدمة كتاب الحجة في بيان المحجة ص٨٤.

كما ينقل عقيدة كاملة لبعض العلماء من أهل السنة.

٤- اعتنى المصنف بالرد على القائلين بخلق القرآن وما يتعلق بذلك، فأكثر فيه الفصول، وكررها في الجزء الأول والثاني.

وعلى الكتاب بعض المآخذ اليسيرة وهي:

١- تضمنت بعض الأبواب فصولًا غير مرتبة وغير مطابقة لعنوان الباب.

٢- تكرار الكلام عن موضوع واحد في أماكن متعددة، وخاصة مبحث «القرآن كلام الله غير مخلوق».

٣- عدم تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب إلا نادرًا، مع إيراد أحاديث ضعيفة دون الإشارة إلى ضعفها.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

مباحث الكتاب تتبين من خلال استعراض عناوين أبوابه، وهي أربعة عشر بابًا مشتملة على مائتين وثمانين فصلاً، تقع في جزأين.

ويشتمل الجزء الأول على الأبواب الآتية:

١- باب في التوحيد.

٢- باب في مجيء الأخبار عن النبي ﷺ متواترة في صفات الله.

٣- باب ذكر إثبات وجه الله ﷻ.

٤- باب الدليل من الكتاب والأثر على أن الله تعالى لم يزل متكلمًا آمرًا ناهيًا.

٥- باب ما ورد في كتاب الله من بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

٦- باب مسائل الإيمان.

٧- باب في الرد على الجهمية والمعتزلة.

أما الجزء الثاني فيشتمل على الأبواب الآتية:

٨- باب القدر.

٩- باب ذكر الوعد والوعيد.

١٠- باب في بيان استواء الله ﷻ على العرش.

١١- باب كلام الرب ﷻ.

١٢- باب فضائل الصحابة.

١٣- باب في التمسك بالسنة.

١٤- باب في اجتناب البدع والأهواء.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب في دار الراية للنشر والتوزيع بالرياض، عام ١٤١١هـ، بتحقيق محمد بن ربيع بن هادي المدخلي.

١٧ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام ابن قدامة رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي. ولد بجَمّاعيل من أعمال نابلس سنة ٥٤١هـ، كان إمامًا في علم الفرائض والخلاف، والأصول والفقه، والنحو والحساب، والعبادة والزهادة. وكان ذكيًا شجاعًا شديد الاحتمال للأذى، له مصنفات ذائعة الصيت في أصول الدين والفقه وأصول الفقه والتفسير والحديث. توفي رحمه الله سنة ٦٢٠هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

الكتاب يعد مختصرًا لأهم مسائل الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة، وهو على صغره فيه حشد من الأدلة نظرًا لما حواه من المسائل العقدية. وقد عني بشرحه جماعة من العلماء قديمًا وحديثًا.

ولقد سار المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى على درب من سبقه من علماء السلف في تصنيف كتبهم العقدية، حيث اعتمد في استدلالاته على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والكتاب يعتبر متنًا في اعتقاد أهل السنة، جمع أهم مسائل العقيدة بأخصر عبارة، وإن كان فيه كما سبق حشد لا بأس به من الأدلة.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن التعرف على محتويات الكتاب بعرض أهم مباحثه والتي تدور حول المحاور التالية:

١- مقدمة وضح فيها منهج السلف في مسألة الصفات، وحث فيها على الاتباع وحذر من الابتداع واتباع الأهواء.

٢- إثبات بعض الصفات تفصيلًا بسياق النصوص الدالة عليها وهي: الوجه – اليدان – النفس – المجيء – الرضى – المحبة – الغضب – السخط – الكره – النزول – التعجب – الضحك – الاستواء – الفوقية – الكلام – القرآن كلام الله غير مخلوق – رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

٣- القضاء والقدر وما يتعلق بهما من خلق أفعال العباد والهداية والإضلال.

٤- الإيمان قول وعمل.

٥- وجوب الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ﷺ، مثل الإسراء والمعراج، وأشراط الساعة وفتنة القبر، وما يقع يوم القيامة من الحشر والحساب ووزن للأعمال، والشفاعة وحوض النبي ﷺ، ونصب الصراط والجنة والنار، وذبح الموت.

٦- الإيمان بمحمدﷺ وأنه خاتم النبيين.

٧- التفضيل بين الصحابة والخلافة الراشدة والعشرة المبشرون بالجنة.

٨- وجوب تولي الصحابة ومحبتهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم.

٩- طاعة الولاة وحرمة الخروج عليهم.

١٠- هجر أهل البدع وترك الجدال والخصومات في الدين.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبعت لمعة الاعتقاد طبعات كثيرة مفردة ومجموعة إلى غيرها، ومن شروحها المطبوعة:

١- شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبع أكثر من طبعة، منها طبعة بمكتبة الإمام البخاري عام ١٤١٢هـ بتحقيق وتخريج أشرف بن عبد المقصود.

٢- «التعليقات على متن لمعة الاعتقاد» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، وهي عبارة عن أسئلة وأجوبة على اللمعة لطلاب المعاهد العلمية، نشرته دار الصميعي بالرياض عام ١٤١٦هـ باعتناء علي بن حسن أبو لوز.

٣- «الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، أعده وخرج أحاديثه محمد بن حمد المنيع، طبعته دار طيبة الطبعة الأولى عام ١٤١٨ هـ.

١٨- كتاب التدمرية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن تيمية الحَرَّاني، ولد بحران في ربيع الأول سنة٦٦١هـ. كان من بحور العلم، برع في التفسير والفقه والرجال وعلل الحديث وفقهه. حفلت حياته بالأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وأوذي كثيرًا، أعلى الله مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته، وهدى به خلقًا كثيرًا. توفي رَحِمَهُ اللهُ في ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ في محبسه بقلعة دمشق.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

تحظى العقيدة التدمرية بأهمية خاصة، وترجع أهمية هذا الكتاب للأمور التالية:

١- جلَّى شيخ الإسلام فيه توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات على وجه فريد في بيان الحق، بحيث أبان المعتقد الصحيح في هذين الأصلين، وأزال الإشكالات ودفع الشبهات بأسلوب علمي رصين.

٢- أظهر البناء العقلي لمذهب السلف على وجه الدقة في المبنى والمعنى، وبين الاستعمالات الصحيحة والمجالات الممكنة للعقل من خلال تلك المناظرات المفترضة.

٣- أظهر ما في مذاهب المبتدعة من عوار واضطراب في العقيدة وأصول الاستدلال عندهم.

٤- أقام الأدلة على إبطال أصل التأويل الكلامي وبين ما يترتب عليه من أنواع الضلالات.

وقد اتخذ ابن تيمية منهجًا متميزًا في كتابه هذا وأهم عناصر هذا المنهج ما يلي:

١- تقرير الصحيح من الاعتقاد بالدليل والبرهان مع الاستدلال بالمنقول والمعقول.

٢- بيان الفروق العقدية بين الألفاظ المختلفة.

٣- ذكر الأقوال العقدية وما يترتب عليها من أعمال، مع العدل في النقد الموضوعي لجميع ما ذكره من الآراء.

٤- التأصيل ووضع الضابط العام العاصم من الوقوع في الأخطاء العقدية.

٥- ذكر لوازم الأقوال سواء أكانت حقًّا أم باطلاً؛ لأن ذلك من دلائل الحق والباطل إذ لازم الحق حق، ولازم الباطل باطل.

٦- وصله القاعدة بأمثلتها وتطبيقاتها مما يظهر معناها وطريق استعمالها والاستفادة منها.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تدور مباحث الكتاب حول الموضوعات التالية:

١ - المقدمة وبيَّن فيها موضوع الكتاب وسبب تأليفه والفرق بين التوحيد والشرع والقدر.

٢ - الكلام عن النفي والإثبات وبيان مذهب السلف ومذاهب فرق الضلال فيهما.

٣- الحديث عن الصفات وتقرير عقيدة أهل السنة فيها.

٤ - بيان الأصل الثاني وهو التوحيد في العبادات، وبطلان اتخاذ الوسائط بين الله وخلقه.

٥ - ذكر تقسيم المتكلمين للتوحيد، وبيان بطلانه.

٧- بيان أقسام الناس في القدر والأمر.

٨- بيان آراء الناس في العقل والنقل وبطلان القول بتعارضهما، وذكر قولهم في الفناء في الذات الإلهية وما فيه من الباطل.

٩ - توضيح العلاقة بين العبادة والاستعانة.

رابعًا: طبعات الكتاب وشروحه:

طبع الكتاب عدة طبعات ومن أحسنها ثلاث طبعات:

١ - طبعة بتحقيق الأستاذ زهير الشاويش – المكتب الإسلامي.

٢ - طبعة بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

٣- طبعة بتحقيق الدكتور محمد السعوي، وهي أجود وأكمل الطبعات، وهذا التحقيق كان أطروحة الرسالة التي نال بها درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، طبعة مكتبة العبيكان بالرياض، سنة١٤١٦هـ.

ويوجد للكتاب شروح مختصرة ومن أهمها:

١- التحفة المهدية للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي، تصحيح وتعليق د. عبد الرحمن المحمود، طبعة دار الوطن بالرياض عام ١٤١٤هـ.

٢- تقريب التدمرية للشيخ ابن عثيمين.

٣- الكواكب الدرية بحل ألفاظ التدمرية للدكتور إبراهيم البريكان.

١٩- العقيدة الواسطية
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

سبق التعريف به.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

ترجع أهمية الكتاب إلى شموله لأهم قضايا العقيدة، فتحدث عن الإيمان بالله وأركانه، وتوحيد الأسماء والصفات، والواجب نحو أصحاب النبي ﷺ، وكرامات الأولياء وصفات أهل السنة، فجاء هذا الكتاب جامعًا لمعظم بحوث عقيدة أهل السنة.

كما أن هذه العقيدة عرضت في مقام التحدي لخصوم شيخ الإسلام ومخالفيه في العقيدة، ولم يستطع أحد منهم أن ينكر عليه شيئًا مما جاء فيها، بل وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد كما ذكر ذلك الإمام الذهبي رحمه الله.

ولقد جلَّى شيخ الإسلام في هذا الكتاب وسطية أهل السنة والجماعة في أبواب الدين ومسائله، ككتاب الصفات وأفعال الله والوعيد وأسماء الإيمان والدين والصحابة وغيرها.

دعَّم فيه شيخ الإسلام رحمه الله معتقده بالدلائل النقلية من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة بما لا مزيد عليه، وكذا دعمه بالدلائل العقلية القوية.

وقد عرض شيخ الإسلام رحمه الله قضايا العقيدة في تسلسل جيد وبأسلوب

واضح، وحرص على تحري ألفاظ الكتاب والسنة في هذه العقيدة ولم يلتفت إلى ما أحدث من ألفاظ في باب الاعتقاد.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن إيجاز أهم مباحث الكتاب في الموضوعات التالية:

١- موقف أهل السنة والجماعة من الإيمان بصفات الله تعالى.

٢- حقيقة الإيمان عند أهل السنة وحكم مرتكب الكبيرة.

٣- القدر ومراتبه والرد على المخالفين فيه.

٤- الصحابة الكرام والواجب نحوهم ومكانتهم وفضائلهم، والرد على المبتدعة والروافض فيما يقولون في حق أصحاب رسول الله ﷺ.

٥- مذهب أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء.

٦- صفات أهل السنة والجماعة ولم سُمُّوا بهذا الاسم، وبيان وسطيتهم.

٧- مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

رابعًا: طبعات الكتاب وشروحه:

طبعت الواسطية طبعات كثيرة مفردة ومجموعة إلى غيرها ومشروحة، وتربو شروح الواسطية والتعليقات عليها المطبوعة على العشرين ومن أهمها:

١- الكواشف الجلية في شرح العقيدة الواسطية، للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، بالرياض، طبعة رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، عام ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وعليه تعليقات نفيسة للشيخ ابن باز رحمه الله، طبعة دار ابن القيم للنشر والتوزيع عام ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيد بن عبد العزيز ابن فياض، طبعة دار الوطن بالرياض عام ١٤١٤هـ.

٤- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد، طبعة دار الرشيد للنشر والتوزيع عام١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٥- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، طبعة مكتبة المعارف بالرياض، عام ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٦- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد خليل هراس، طبعة دار الهجرة للنشر والتوزيع بالرياض، عام ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٧- تبسيط العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، دار الحرمين للطباعة والنشر بالقاهرة، عام ١٤١٩هـ.

٨- المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين، طبعة مكتبة طبرية بالرياض، عام ١٤١٢هـ- ١٩٩٣م.

٢٠- الفتوى الحموية الكبرى

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

سبق تعريفه.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

هذا الكتاب ضمنه شيخ الإسلام أصول وقواعد عقيدة السلف في الأسماء والصفات، ونقل عنهم وأطال في ذلك، وقد امتحن الشيخ رحمه الله بسببها، أجزل الله مثوبته.

وكان شيخ الإسلام قد ورد إليه سؤال من مدينة حماة عما يجب الإيمان به من صفات

الله الثابتة في كتابه الحكيم وصحيح سنة رسوله الكريم – كالاستواء على العرش، والعلو، والنزول إلى السماء الدنيا وغير ذلك هل هي على ظاهرها أم لا بد من تأويلها؟

فأجاب بما أجاب به الإمام مالك بن أنس وشيخه ربيعة بن عبد الرحمن. وهو أن: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة»، وأن هذا ما كان عليه الأئمة المتبوعون والصحابة قبلهم والتابعون. فهاج القائلون بالتأويل على هذه الفتوى.

فرأى شيخ الإسلام أن يزيد هذا التحقيق بيانًا، فأضاف إلى الفتوى نصوصًا عظيمة عن أعلام العلماء من أتباع المذاهب الأربعة والصوفية، كأقوال ابن أبي زمنين الأندلسي المالكي، وابن خفيف الشيرازي الشافعي الصوفي، وعمرو بن عثمان المكي الصوفي وغيرهم، فانتشرت الفتوى بعد هذه الزيادات انتشارًا عظيمًا، وسميت الفتوى الحموية الكبرى، لتتميز عن أختها السابقة التي عرفت فيما بعد باسم الفتوى الحموية الصغرى.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تدور مباحث الكتاب حول ما يجب من الإيمان بصفات الله تعالى الثابتة في الكتاب والسنة كالاستواء والعلو والنزول إلى سماء الدنيا... وإقرار منهج أهل السنة في باب الصفات والرد على مخالفيهم وبيان خطئهم.

رابعًا: طبعات الكتاب:

١- طبع هذا الكتاب بالمطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٩٨هـ.

٢- ثم حقق الكتاب حمد بن عبد المحسن التويجري في رسالته للماجستير، طبعتها دار الصميعي طبعتين في عام ١٤٢٣ هـ، وعام ١٤٢٥ هـ، والطبعة الثانية أفضل؛ فهي أصح طبعات الكتاب.

٢١ـ العلو للعلي العظيم[1]

للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الشافعي الدمشقي الشهير بالذهبي.

ولد في ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ بدمشق، ونشأ في أسرة علمية، ورحل في طلب العلم، وذاع صيته في العالم الإسلامي، وقصده طلاب العلم من كل مكان، بعد أن أصبح إمامًا في القراءات والحديث، والسير والجرح والتعديل، وترك ثروة علمية عظيمة بلغت ٢١٥ مؤلفًا، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة الاثنين الثالث من ذي القعدة سنة ٧٤٨هـ، ودفن بدمشق.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعالج هذا الكتاب مسألة من أهم المسائل الاعتقادية التي اختلف المسلمون فيها منذ أن وجدت المعتزلة وحتى الآن، ألا وهي مسألة علو الله عز وجل على خلقه، الثابتة بالكتاب والسنة، المدعمة بشاهد الفطرة السليمة.

وقام المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بحشد مجموعة كبيرة من الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين وأئمة السلف تثبت هذه المسألة وترد على المخالفين فيها وتدحض شبهاتهم وجملة الكتاب عبارة عن أحاديث وآثار مروية بأسانيدها إلى النبي ﷺ وإلى أصحابها، تدول حول إثبات علوه تعالى.

---

(١) وهو الاسم الصحيح للكتاب، كما رجّح محقق طبعة دار الوطن، وهي أفضل طبعاته.

ثالثًا: طبعات الكتاب:

١- طبع الكتاب طبعات متعددة، منها طبعة بتعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي طبعت بمطبعة جماعة أنصار السنة المحمدية ١٣٥٧هـ.

٢- طبعة أخرى اعتنى بها أشرف عبد المقصود طبعت بمكتبة أضواء السلف بالرياض ١٤١٦هـ.

٣- كما اختصره الشيخ الألباني رحمه في مختصر العلو، وحققه وعلَّق عليه، وهو من نشر وطبع المكتب الإسلامي ببيروت.

٤- ثم طبع محققًا في رسالة علمية بدار الوطن بالرياض، بتحقيق عبد الله بن صالح البراك، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٢ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة

لابن القيم رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العلم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي، شمس الدين الزُّرعي ثم الدمشقي الحنبلي المشهور بابن قيم الجوزية. ولد سنة ٦٩١هـ، ونشأ في بيت علم ودين، كان رحمه الله ذا عبادة وزهد وورع، غزير العلم واسع الاطلاع، مجاهدًا، قائمًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متحملاً في سبيل ذلك ما يلقاه من أذى، وبلغت مصنفاته ستة وستين كتابًا، توفي رحمه الله سنة ٧٥١هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

تبرز أهمية الكتاب في أنه يعالج أصول الانحرافات لدى الجهمية والمعطلة، وذلك من خلال موضوع واحد وهو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وقد ذكر المؤلف

رَحِمَهُ اللَّهُ في أثناء مناقشته للمخالفين مناهج وقواعد عامة يمكن أن تكون منهجًا مستقلاً لمعالجة كثير من انحرافات الفرق واختلاف الناس، ومعرفة كثير من مناهج وطرق المخالفين للحق في عصرنا الحاضر.

وقد اعتمد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستدلال على كتاب الله وسنة النبي ﷺ، ثم يدعم ذلك بما ورد عن الصحابة الكرام فمن بعدهم، وإذا كان هذا هو منهج كثير من العلماء، فإن ابن القيم يزيد عليهم بأن يؤيد ما ذهب إليه أحيانًا بأقوال المتكلمين والفلاسفة، إذا صدر منهم بعض الحق.

وكان المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ دقيقًا في عزوه ونقله، فهو كثيرًا ما يذكر اسم الكتاب والمؤلف، وأحيانًا يصرح باسم المؤلف فقط، وأحيانًا باسم الكتاب فقط، وأحيانًا يصرح بأنه نقل هذا الكلام بلفظه لا بلازمه ومعناه، وأحيانًا يتصرف في النقل بتقديم أو تأخير أو اختصار.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ عادلاً مع خصومه، فهو يذكر كلام الخصم، ويبين ما فيه من حق وباطل، وتميز أسلوبه بالبيان والجاذبية، وحسن الصياغة والعرض، والإكثار من المحسنات اللفظية مع قوة المعنى وعمق الفكرة وحسن السياق والترتيب.

وقد يؤخذ على الكتاب الاستطراد في بعض المواضع والخروج عن الموضوع الأساسي إلى مواضيع أخرى، وكذا التكرار وعرض الموضوع الواحد بصور مختلفة، وأحيانًا بصور متشابهة مع زيادة أو نقص.

وخالف ابن القيم حسن الترتيب في كونه ذكر آثار التأويل في فصول متفرقة، فلو ذكرها في فصل واحد، أو مرتبة على الأقل لكان أولى، وكذا تحدث عن التأويل في البداية ثم تحدث بعد ذلك عن الطواغيت الأربعة التي هي أصول الانحرافات عند الجهمية والمعطلة والتي أدت بهم إلى التأويل، فالتأويل نتيجة لهذه الأصول، فلو أخّر النتيجة لكان أولى.

رابعًا: مباحث الكتاب:

يبدأ الكتاب بمقدمة مختصرة، ضمّنها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ سبب تأليفه لهذا الكتاب، ثم تحدث عن التأويل حديثًا مفصلاً في أربعة وعشرين فصلاً، ثم ذكر أصول الانحراف عند المعطلة، وبيانها كالتالي:

الطاغوت الأول: وهو قولهم: إن كلام الله ورسوله أدلة لفظية، لا تفيد علمًا ولا يقينًا، وقد رد هذا القول من ثلاثة وسبعين وجهًا.

الطاغوت الثاني: وهو قولهم: إذا تعارض العقل والنقل، وجب تقديم العقل، وقد رد هذا القول من واحد وأربعين ومائتي وجه.

الطاغوت الثالث: وهو قولهم: إن آيات الصفات مجازات لا حقيقة لها.

الطاغوت الرابع: وهو قولهم: إن أخبار الرسول الصحيحة لا تفيد العلم وغايتها أن تفيد الظن (وهو عدم الاحتجاج بخبر الواحد في باب الاعتقاد).

خامسًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب محققًا في رسالة علمية وقعت في أربعة مجلدات بدار العاصمة بالرياض عام ١٤٠٨هـ، بتحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله.

ومما ينبغي التنبه له أن جميع طبعات الكتاب غير كاملة لنقص الأصل الخطي الذي وجد للكتاب.

وقد اختصره شمس الدين محمد بن عبد الكريم الشافعي الشهير بابن الموصلي، وطبع في رسالة علمية عن دار أضواء السلف عام ١٤٢٥هـ، تحقيق د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي ، فيمكن الوقوف بواسطته على الجزء المفقود مختصرًا.

٢٣ـ شرح العقيدة الطحاوية

للإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين المعروف بابن أبي العز.

ولد في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٧٣١هـ بدمشق. نشأ في ظل أسرة علمية، وبلغ منزلة عظيمة في العلم والمعرفة، أتاحت له التدريس والخطابة والتأليف وتولى الكثير من المناصب العلمية. آثر منهج السلف على غيره من المناهج، كما هو ظاهر في هذا الشرح الحافل. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذي القعدة من سنة ٧٩٢هـ، ودُفن بسفح قاسيون.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

هذا الكتاب شرح لعقيدة الإمام أبي جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ، ويعتبر مرجعًا عظيمًا من المراجع العقدية لأهل السنة والجماعة، وتظهر الأهمية الكبرى للكتاب في كونه أبان عن عقيدة الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وأنها موافقة لما كان عليه السلف في باب الاعتقاد إلا في بعض مسائل الإيمان، فظهر بذلك خطأ ما أثير من شبهات حول معتقده رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد نهج صاحب الكتاب منهجًا أثريًّا يعتمد في إثبات قضاياه العقدية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بأسلوب سهل، وألفاظ واضحة لا تعقيد فيها.

وحاول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن يستوعب الأقوال في كل مسألة من المسائل التي تعرض لها، وعمل على تفنيدها وبيان ما يقبل منها وما يرد، وذلك حسب موافقتها أو مخالفتها للكتاب والسنة وما ورد عن السلف.

ويؤخذ على الكتاب أنه غير مرتب تبعًا لأصله، وقد يوجد الموضوع الواحد في أكثر من موضع، مما قد يصعب على القارئ أن يستوعب مادته بشكل متكامل، وقد ظهرت محاولات معاصرة لاختصار الكتاب وإعادة ترتيبه لتعظم فائدته ويسهل تناوله.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن اختصار أهم مباحث الكتاب في النقاط التالية:

١- مقدمة أورد فيها التعريف بالإمام الطحاوي، ثم تحدث عن شرف علم أصول الدين، ومحدودية العقل، والطريق الموصل إلى الله تعالى، وكلام السلف في ذم علم الكلام، ووجوب الإيمان على كل أحد، وعموم دعوته ﷺ ووجوب طاعته، وختمه للرسالات.

٢- التوحيد وأنواعه ومعانيه وأدلته.

٣- الأدلة العقلية والنقلية على صدق الرسل.

٤- صفات الله تعالى وصفة الإرادة وأنواعها والفرق بينها وبين المحبة، والحياة والقيومية، والخلق والرزق، والقدرة ومتعلقاتها، والكلام وكون القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، ورؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة، واليد والوجه والنفس، والعلو والعرش.

٥- التأويل ومعناه في الكتاب والسنة وعند المفسرين وفي اصطلاح المتأخرين وبيان صحيحه وفاسده.

٦- الإيمان والاختلاف فيما يقع عليه اسمه، وزيادته ونقصانه، وأركانه، والاستثناء فيه.

٧- معنى الكبيرة وحكم مرتكبها، والصلاة خلف الفاجر ومستور الحال والمبتدع والفاسق.

٨- الفرق بين النبي والرسول والتفضيل بين الأنبياء، وختم النبوة بمحمد ﷺ وثبوت الخلة له وعموم بعثته للإنس والجن، وبعض معجزاته.

٩- القدر وما يتعلق به من علم الله تعالى وشموله وحديث احتجاج آدم على موسى والهدى والضلال وتقدير آجال الخلق.

١٠- طاعة ولي الأمر، ووجوب الحج والجهاد مع الأمراء إلى قيام الساعة.

١١- وجوب حب الصحابة وحرمة بغضهم، والخلافة والمبشرون بالجنة.

١٢- معنى الولاية وكرامات الأولياء وأنواع الفراسة.

رابعًا: طبعات الكتاب:

للكتاب طبعات كثيرة من أفضلها وأولها طبعة مصرية بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ثم طبع طبعات أخرى كالتالي:

١- طبعة مكتبة دار البيان بدمشق عام ١٤٠١هـ، بتحقيق شعيب الأرناؤوط.

٢- طبعة المكتب الإسلامي بيروت عام ١٤٠٨هـ، بتحقيق جماعة من العلماء والشيخ الألباني.

٣- طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٤١٣هـ، بتحقيق د. عبد الله التركي.

٤- طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية عام ١٤١٩هـ، بتحقيق د. عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط.

٢٤- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية للإمام السفاريني رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي، ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة ١١١٤هـ. برع في فنون العلم، وجمع بين الأمانة والفقه والديانة والصيانة، والصدق وحسن السمت والخلق والتعبد والذكاء، درّس وأفتى وأجاد، وألف تآليف عديدة. كان غرة عصره، وشامة مصره، لم يظهر في بلاده بعده مثله، توفي رحمه الله سنة ١١٨٨هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

تأتي منظومة الدرة المضية في مقدمة المتون الجامعة لمسائل الاعتقاد وما يجب على المكلف اعتقاده والتصديق به من أصول الدين وقضايا الاعتقاد ومسائله وما يمت إليه بسبب على طريقة أهل السنة والجماعة، فهي بحق كما وصفها ناظمها: «سِمْط عِقدٍ أبهى من اللآلئ البهية... تكفي وتشفي من معظم الخلاف الذي ذاع وانتشر».

وتأتي أهمية ونفاسة كتاب لوامع الأنوار أن الشارح هو صاحب النظم، وهو أدرى بما نظم، وهو شرح حافل، جم الفوائد، وهو من أعظم كتب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الدالة على سعة علمه وقوة حجته، كما أن هذا الشرح النفيس يعد هو المرجع الأول لكل من أتى بعده من شارح ومختصر ومحشٍّ على منظومته.

سلك المؤلف في هذا الشرح مسلك الإطناب والتطويل والتوسع في سرد النصوص من الكتاب والسنة والآثار لتأييد مذهب السلف، كما أورد مذاهب المخالفين ورد عليهم، وقد نقل فيه عن كتب ومصادر في عقيدة السلف بعضها لا يزال مخطوطًا مثل «نهاية المبتدئين» لابن حمدان الحنبلي وغيره، وقد انتقد الشيخ في مسائل من شرحه، تأثر فيها بقول بعض المخالفين، وقد نبه عليها شراح منظومته من بعده كالشيخ ابن مانع، والعلامة عبد الرحمن بن قاسم، والشيخ ابن عثيمين عليهم جميعًا رحمة الله.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن إيجاز مباحث الكتاب في العناوين والأبواب الآتية:

المقدمة: في ترجيح مذهب السلف على مذهب الخلف.

الباب الأول: في معرفة الله تعالى، والكلام على الصفات والقرآن.

الباب الثاني: في الأفعال المخلوقة.

الباب الثالث: في الأحكام والكلام على الإيمان ومتعلقات ذلك.

الباب الرابع: في ذكر السمعيات وأمر المعاد والكلام على الجنة والنار.

الباب الخامس: في ذكر النبوة والكلام على الكرامات والصحابة.

الباب السادس: في ذكر الإمامة ومتعلقاتها.

الخاتمة: ذكر الأدلة وما يتعلق بها.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب طبعات متعددة منها:

١- طبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٥هـ. واعتنى بها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله.

٢- طبعة مطابع دار الأصفهاني بجدة سنة ١٣٨٠هـ.

٣- طبعة مؤسسة الخافقين بدمشق سنة ١٤٠٢هـ.

٤- طبعة المكتب الإسلامي ودار الخاني، بيروت، سنة ١٤١١هـ.

ولا يزال الكتاب بحاجة إلى من يعتني به تحقيقًا وتعليقًا.

٢٥- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن مشرف التميمي النجدي، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، ورحل في طلب العلم إلى الحجاز والشام والبصرة، وأخذ يدعو إلى التوحيد وترك مظاهر الشرك والوثنية، وكان

أول ما جهر بذلك سنة ١١٤٣هـ، وقد لاقى في سبيل دعوته كثيرًا من المشاق حتى كاد يقتل. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٢٠٦هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

هذا الكتاب هو أهم كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وأكثر كتبه حظًّا من عناية العلماء شرحًا وتدريسًا وتعليقًا وتحشية.

وتأتي أهمية كتاب التوحيد من جهة تقريره لأهم أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية، والكلام على ضده وهو الشرك، ومن جهة كونه كتابًا أثريًّا قد استوعب في طياته عددًا من النصوص والآثار الدالة على صحة ما عقد له الكتاب.

والكتاب صيغت عباراته بأسلوب ميسر، يسهل على الحفظ، وفيه أحاديث ضعيفة نبه عليها المحققون.

ويتميز الكتاب بأمور منها:

١- تقسيم الكتاب إلى أبواب.

٢- ابتداؤه بآية أو عدة آيات تدل على موضوعه ثم سوق الأحاديث والآثار بعد ذلك.

٣- تذييله بمسائل مستنبطات من تلك النصوص والآثار.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

أهم مباحث الكتاب التي اشتمل عليها، كما يلي:

١- كتاب التوحيد وهو معقود لبيان معناه وما يدخل في مفهومه.

٢- بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، وتفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

٣- بيان أنواع من الشرك الأكبر والأصغر.

٤- إثبات الشفاعة.

٥- ما جاء في أن سبب كفر بني آدم هو الغلو في الصالحين.

٦- حكم من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا.

٧- حكم من جحد شيئًا من الأسماء والصفات.

٨- احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك.

٩- حكم من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.

١٠- ذكر مسائل متفرقة تتعلق بالعقيدة.

رابعًا: طبعات وشروح الكتاب:

للكتاب طبعات وشروح كثيرة، وأهم هذه الشروح ما يلي:

١- تيسير العزيز الحميد، لحفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب العلامة المحدث الشيخ عبد الله بن سليمان بن محمد بن عبد الوهاب، وقد شرحه إلى أن بلغ باب ما جاء في منكري القدر، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت عام ١٣٩٧هـ.

٢- فتح المجيد، وهو للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٧هـ، وأصح طبعاته طبعة دار ابن الأثير بتحقيق د.الوليد بن عبد الرحمن آل فريان.

٣- حاشية القول السديد، للشيخ عبد الرحمن السعدي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

وستأتي شروح أخرى للكتاب في آخر القسم الثاني.

القسم الثاني

عرض إجمالي لبعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة

٢٦- الفقه الأكبر

للإمام أبي حنيفة رحمه الله

دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت. **تاريخ الوفاة**: ١٥٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى. **سنة النشر**: ١٤٠٤هـ.

محتويات الكتاب: يشتمل على خمسة أبواب: الأول في القدر، والثاني والثالث في المشيئة، والرابع في الرد على من يكَفِّر بالذنب، والخامس في الإيمان. وهناك رواية أخرى للكتاب تبدأ بالكلام عن أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه، ثم الحديث عن الأسماء والصفات، والرد على المخالفين، ثم تتعرض لمسائل ميثاق الفطرة، وأفعال العباد، وآيات الأنبياء، وكرامات الأولياء، وسائر السمعيات، كذلك تتناول الكلام عن الإيمان وما يتصل به من مباحث ومسائل(١).

٢٧- كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته

للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله

دار النشر: دار الأرقم. **تاريخ الوفاة**: ٢٢٤هـ.

المحقق: محمد ناصر الدين الألباني. **سنة النشر**: ١٤٠٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

---

(١) "الفقه الأكبر" له شرح مشهور يُعرف باسم "منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر" للعلامة علي بن سلطان محمد القاري، المتوفى عام ١٠١٤هـ دار البشائر الإسلامية – بيروت، ومعه: "التعليق الميسر على شرح الفقه الأكبر" للشيخ/ وهبي سليمان غاوجي، وعليهما مآخذ، وقد شرحه الشيخ الدكتور/ محمد بن عبد الرحمن الخميس شرحًا سلفيًا.

محتويات الكتاب: اشتمل الكتاب على عدد من الأبواب المتعلقة بالإيمان مثل: نعت الإيمان، الاستثناء في الإيمان، زيادة الإيمان والانتقاص منه، ثم ذكر أقوال المخالفين في مسألة الإيمان ورد أقوالهم. ويتميز الكتاب بالإضافة إلى كونه كتابًا مسندًا أنه اشتمل على الشرح والتوضيح والمناقشة أي أنه ليس سردًا فقط للآثار.

٢٨ـ كتاب الإيمان
للإمام ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت. **تاريخ الوفاة**: ٢٢٥ أو ٢٣٥هـ.

المحقق: محمد ناصر الدين الألباني. **سنة النشر**: ١٤٠٣هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: هو عبارة عن رسالة صغيرة اشتملت على العديد من الأحاديث والآثار المتعلقة بمسائل الإيمان، وزيادته ونقصانه، وكونه اعتقادًا وقولًا وعملًا، إضافة إلى الأحاديث التي ذكر فيها عددًا من شعب الإيمان.

مجموع في العقيدة من رسائل الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

دار النشر: دار قتيبة – دمشق. **تاريخ الوفاة**: ٢٤١ هـ.

المحقق: عبد العزيز عز الدين السيروان. **سنة النشر**: ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يعد هذا الكتاب –على صغر حجمه– مصدرًا لكل ما كُتب بعده في الاعتقاد، وقد رواه عن الإمام أحمد جمع كبير من تلامذته، وقد أثبت فيه عقيدة أهل السنة في توحيد الله في أسمائه وصفاته، وفي القضاء والقدر، ومسائل الإيمان.

٢٩- فضائل الصحابة

للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

دار النشر: رمادي للنشر. **تاريخ الوفاة**: ٢٤١ هـ.

المحقق: وصي الله بن محمد عباس. **سنة النشر**: ١٤٠٣هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يقع الكتاب في جزئين، وقد جمع فيه المصنف ما ورد من آثار وأحاديث في فضائل الصحابة وأهل البيت وبعض القبائل التي أثنى عليها النبي ﷺ.

٣٠- كتاب الإيمان

للإمام محمد بن يحيى بن أبي عمر العَدَني رحمه الله

دار النشر: الدار السلفية – الكويت. **تاريخ الوفاة**: ٢٤٣هـ.

المحقق: حمد بن حمدي الجابري. **سنة النشر**: ١٤٠٧هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: صنف المؤلف هذه الرسالة الصغيرة على طريقة المحدثين، حيث بوبها في ستة وخمسين بابًا، وأورد تحت كل باب الأحاديث المسندة الخاصة بموضوع الباب. وقد تناول فيها أركان الإسلام، وحقيقة الإيمان وأركانه، ومقتضيات الإيمان من الأعمال، مع الرد على المرجئة والجهمية في الإيمان، والحض على اتباع السنة.

٣١- الرد على الجهمية

للإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله

دار النشر: الدار السلفية – الكويت. **تاريخ الوفاة**: ٢٨٠هـ.

المحقق: بدر البدر. **سنة النشر:** ١٤٠٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: هذا الكتاب مع كتاب المصنف «الرد على بشر المريسي» تضمنا الرد على فرق الجهمية. وقد تعرض المصنف في هذا الكتاب لمسائل الأسماء والصفات فأيد السلف في إثباتهم لها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه. وقد غلبت عليه نزعة الأثر والتمسك به، حتى لا تكاد تخلو صفحة إلا وله فيها رواية أو عدة روايات.

٣٢- الرضا عن الله بقضائه

للإمام ابن أبي الدنيا البغدادي رحمه الله

دار النشر: الدار السلفية – بومباي. **تاريخ الوفاة:** ٢٨١هـ.

المحقق: ضياء الحسن السلفي. **سنة النشر:** ١٤١٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: صُنف هذا الكتاب على طريقة المحدثين حيث جمع المؤلف فيه ما ورد من آيات وأحاديث وآثار عن السلف الصالح في فضل الرضا بقضاء الله وقدره، وصور الرضا، ودرجاته، وكيفية الوصول إليه، وجزاء أهله في الدنيا والآخرة.

٣٣- السنة

محمد بن نصر المروزي رحمه الله

دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت. **تاريخ الوفاة:** ٢٩٤هـ.

المحقق: أبو محمد سالم بن أحمد السلفي. **سنة النشر:** ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: جمع هذا الكتاب ما ورد من أحاديث وآثار في وجوب اتباع السنة والجماعة ونبذ الاختلاف والفرقة، مع بيان الأوجه المختلفة لمعنى السنة، فأفرد فصلًا للسنن التي هي تفسير لمجمل القرآن، وآخر للسنة هل يمكن أن تكون ناسخة لبعض أحكام القرآن، وثالثًا للسنة التي هي زيادة من النبي ﷺ وليس لها أصل في القرآن.

٣٤- العرش وما روي فيه

محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي رحمه الله

دار النشر: مكتبة المعلا - الكويت. **تاريخ الوفاة**: ٢٩٧هـ.

المحقق: محمد بن حمد الحمود. **سنة النشر**: ١٤٠٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: اشتمل الكتاب على جملة من الأحاديث والآثار التي تدور حول إثبات استواء الله ﷻ على عرشه، كما تناول الرد على الجهمية الذين زعموا أن الله في كل مكان وأنكروا أن يكون الله سبحانه فوق عرشه كما أخبر هو عن نفسه.

٣٥- صريح السنة

محمد بن جرير الطبري رحمه الله

دار النشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت. **تاريخ الوفاة**: ٣١٠هـ.

المحقق: بدر يوسف المعتوق. **سنة النشر**: ١٤٠٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: رسالة مختصرة اشتملت على جملة من أصول مسائل الاعتقاد، مثل: مسألة خلق القرآن، ورؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وأفعال العباد، وفضل أصحاب النبي ﷺ، وزيادة الإيمان ونقصانه.

٣٦ـ السنة

أبو بكر الخلال رحمه الله

دار النشر: دار الراية - الرياض. تاريخ الوفاة: ٣١١هـ.

المحقق: د. عطية الزهراني. سنة النشر: ١٤١٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يقع الكتاب في خمسة أجزاء، ويتعرض لعدة موضوعات على مذهب أهل السنة، وهي: أحكام الإمارة والخلافة، ووجوب ملازمة الجماعة، وفضائل الصحابة، ويشرح أحكام الخوارج، وأحكام اللصوص، كما يتناول الرد على الروافض في عقيدتهم في الصحابة، والرد على القدرية في القدر، والمرجئة في الإيمان، والجهمية في خلق القرآن.

٣٧ـ الرد على من يقول القرآن مخلوق

أحمد بن سلمان النجاد أبو بكر رحمه الله

دار النشر: مكتبة الصحابة الإسلامية – الكويت. تاريخ الوفاة: ٣٤٨هـ.

المحقق: رضا الله محمد إدريس. سنة النشر: ١٤٠٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: صُنفت هذه الرسالة الصغيرة على طريقة المحدثين، حيث جمع فيها المؤلف ما ورد من أحاديث نبوية وآثار عن السلف والأئمة في إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى.

٣٨ـ الشريعة

أبو بكر محمد بن الحسن الآجري رحمه الله

دار النشر: الكتب العلمية - بيروت. تاريخ الوفاة: ٣٦٠هـ.

المحقق: محمد حامد الفقي. سنة النشر: ١٤٠٣هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: أقام المؤلف كتابه على ثلاثة أسس: أولها: التحذير من التفرق في الدين، والحرص على الجماعة، وثانيها: معرفة الله تعالى وإخلاص العبادة له، وثالثها: معرفة النبي ﷺ وتجريد الاتباع لشرعه، مع بحث بعض المسائل ككيفية نزول الوحي على النبي ﷺ، والكلام على النبوة وما يتصل بها من أحكام.

التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة

للإمام أبي بكر محمد بن الحسن الآجري رحمه الله

دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. **تاريخ الوفاة**: ٣٦٠هـ.

المحقق: سمير بن أمين الزهيري. **سنة النشر**: ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يسرد المؤلف في هذا الكتاب كثيرًا من الآيات والأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين في إثبات رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الجنة، وقد أكثر من تكرار الأحاديث والآثار بأسانيد متعددة من أجل التأكيد، كما أنه كثيرًا ما يردف الآيات بتفسير لبعض التابعين والأئمة مثل الإمام أحمد بن حنبل وغيره، وهذا الكتاب في الأصل جزء من كتاب الشريعة، وقد طبع محققًا مؤخرًا مع كتاب الشريعة.

٣٩- العظمة[1]

عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني

دار النشر: دار العاصمة – الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٣٦٩هـ.

المحقق: رضاء الله محمد بن إدريس المباركفوري. **سنة النشر**: ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

---

(١) وقد كُتب هذا الكتاب على منهج أهل السنة والجماعة بعد ترك المصنف لمذهب الأشاعرة والتزامه بمذهب السلف.

محتويات الكتاب: يدور الكتاب حول عظمة الله تعالى من خلال ما اتصف به من صفات الكمال التي تليق بجلاله وكماله، مع ذكر عظمة مخلوقات الله، وأدلة وجوده ﷻ، وذكر الآثار الدالة على ذلك.

٤٠- اعتقاد أئمة الحديث

أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي

دار النشر: دار العاصمة – الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٣٧١هـ.

المحقق: محمد بن عبد الرحمن الخميس. **سنة النشر**: ١٤١٢هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: تعد هذه الرسالة الصغيرة جامعة لمجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة، فقد تناولت إثبات أسماء الله وصفاته على الحقيقة، والكلام عن حقيقة الإيمان وأركانه، كما تعرضت لفضائل الصحابة ووجوب لزوم الجماعة وطاعة ولاة الأمور المسلمين.

٤١- شعار أصحاب الحديث

محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم رحمه الله

دار النشر: دار الخلفاء – الكويت. **تاريخ الوفاة**: ٣٧٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: ذكر المصنف في هذه الرسالة الصغيرة أدلة بعض مسائل الإيمان، ككون أصله في القلب، وزيادة الإيمان ونقصانه، ومقتضيات الإيمان من الأعمال، مع التركيز على الصلاة وأحكامها.

٤٢ـ رؤية الله

للإمام أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني رَحِمَهُ اللَّهُ

دار النشر: مكتبة القرآن - القاهرة. **تاريخ الوفاة**: ٣٨٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يقول المصنف عن كتابه: «هذا كتاب حافل، جمعت فيه ما ورد من النصوص الواردة في كتاب الله تَعَالَى وأحاديث النبي ﷺ المتعلقة برؤية الباري عَزَّ وَجَلَّ وبعض أمور الآخرة».

٤٣ـ الصفات

أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني رَحِمَهُ اللَّهُ

دار النشر: دار إحياء السنة النبوية - الإسكندرية. **تاريخ الوفاة**: ٣٨٥هـ.

المحقق: د. علي بن محمد الفقيهي. **سنة النشر**: ١٤٠٣هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: رسالة لطيفة الحجم، يسرد فيها المصنف كثيرًا من الآيات والأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين التي تثبت صفات الله تعالى؛ مثل: الاستواء على العرش، واليدين، والوجه، والقدم، وإثبات الرؤية، ونحو ذلك.. ويلتزم فيه طريقة المحدثين الأوائل من ذكر الأسانيد والروايات للحديث الواحد.

٤٤ـ مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني

ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ اللَّهُ

دار النشر: الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة. **تاريخ الوفاة**: ٣٨٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى. **سنة النشر**: ١٣٩٥هـ.

محتويات الكتاب: على الرغم من كون هذه الرسالة في الفقه، إلا أن مقدمتها قد احتوت على متن في العقيدة والإيمان، جرى فيه المصنف على مذهب أهل السنة والجماعة في أبواب الإيمان والتوحيد.

٤٥ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية
للإمام أبي عبد الله بن بطة العكبري رحمه الله

دار النشر: دار الراية – الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٣٨٧هـ.

المحقق: رضا بن نعسان معطي. **سنة النشر**: ١٤٠٩هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يقع الكتاب في **سبعة أجزاء**، مجموعة في **ثلاثة مجلدات**، ويتناول وجوب طاعة النبي ﷺ ولزوم الجماعة، وذكر افتراق الأمم في دينهم، وذم الخصومات والمراء في الدين، كما يتحدث عن أحكام الإيمان والإسلام والنفاق، ويختمه بالإنكار على المرجئة.

٤٦ـ الرد على الجهمية
محمد بن إسحق بن مَنْدَه رحمه الله

دار النشر: الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة. **تاريخ الوفاة**: ٣٩٥هـ.

المحقق: د. علي بن ناصر الفقيهي. **سنة النشر**: ١٤٠٢هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: سلك المصنف في هذا الكتاب مسلك المحدثين من حيث إيراد النصوص بأسانيدها للرد على الجهمية في إنكارهم بعض صفات الله تعالى؛ كاستوائه على العرش، وكونه في السماء، وإنكار رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، والقول بأن القرآن مخلوق، وتأويل صفة نـزول الله ﷻ.

٤٧ـ الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني رحمه الله

دار النشر: دار ابن الجوزي - الرياض. تاريخ الوفاة: ٤٤٠هـ.

المحقق: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني. سنة النشر: ١٤١٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: تشتمل على معتقد أهل السنة والجماعة، دون خلط مادتها بمصطلحات علم الكلام. وهي تعد من الرسائل الجامعة التي تناولت الكلام عن التوحيد، وحقيقة الإيمان وأركانه، وما يتفرع عن ذلك من مسائل الاعتقاد، وقد وقعت فيها عدة مخالفات عقدية لمذهب أهل السنة، فليتنبه لذلك.

٤٨ـ السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني.

دار النشر: دار العاصمة - الرياض. تاريخ الوفاة: ٤٤٠هـ.

المحقق: د. رضاء الله محمد بن إدريس المباركفوري. سنة النشر: ١٤١٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: جمع المصنف في هذا الكتاب جملة من الأحاديث والآثار الواردة في فتن آخر الزمان، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى. وقد بوَّب لكل منها بابًا جمع تحته الأدلة بأسانيدها على طريقة المحدثين.

٤٩ـ مسائل الإيمان

القاضي أبو يعلى الفراء الحنبلي رحمه الله

دار النشر: العاصمة – الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٤٥٨هـ.

المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف. **سنة النشر**: ١٤١٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: ألف القاضي رحمه الله هذا الكتاب جوابًا لسؤال ورد إليه في بيان قول الإمام أحمد في تعريف الإيمان وما يتعلق به من مسائل؛ كتفاضل درجات الإيمان، والعلاقة بين الإسلام والإيمان وغير ذلك. ومنهجه في التصنيف هو ذكر المسألة ثم إيراد قول الإمام أحمد وغيره من الأئمة فيها، مع الاستدلال بالكتاب والسنة، وبعد ذلك يورد أقوال المخالفين ويرد عليهم فرقة فرقة، ولا يخلو معتقد أبي يعلي من تعقبات فليتنبه لها.

٥٠ـ إبطال التأويلات لأخبار الصفات

للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء رحمه الله

دار النشر: دار الإمام الذهبي. **تاريخ الوفاة**: ٤٥٨هـ.

المحقق: محمد الحمود النجدي. **سنة النشر**: ١٤١٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: اشتمل الكتاب على شرحٍ لأحاديث الصفات التي يظن بعض المبتدعة أن إثبات هذه الأحاديث ينافي التنزيه، كما اشتمل الكتاب على ردٍ على ابن فورك الأشعري في كتابه «مشكل الحديث وبيانه».

٥١- المختار في أصول السنة
للإمام الحسن بن البنا الحنبلي البغدادي رحمه الله

دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. **تاريخ الوفاة**: ٤٧١هـ.

المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر. **سنة النشر**: ١٤١٣هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: أكثر هذا الكتاب تلخيص لكتاب «الشريعة» للآجري، وكتاب «التوحيد» من صحيح البخاري، وكتاب «تأويل مشكل الحديث» لابن قتيبة، مع إضافات علمية وفوائد مهمة للمؤلف. وقد سار في الكتاب على نهج المحدثين، وشرح أدلته من الكتاب والسنة على نهج السلف.

٥٢- كتاب الأربعين في دلائل التوحيد
للإمام أبي إسماعيل عبد الله الهروي رحمه الله

دار النشر: سلسلة عقائد السلف. **تاريخ الوفاة**: ٤٨١هـ.

المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. **سنة النشر**: ١٤٠٤هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول هذا الكتاب إثبات الصفات الإلهية؛ مثل كون الله تعالى حيًّا، ولا ينام، وإثبات النفس لله تعالى، والاستواء على العرش، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين، ووجوب اتباع السنة، ويسرد الأحاديث في كل ذلك[١].

---

(١) انظر: "شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي"، رسالة دكتوراه في العقيدة د. محمد سعيد الأفغاني، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٥٣- الاقتصاد في الاعتقاد

الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي

دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. تاريخ الوفاة: ٦٠٠هـ.

المحقق: د. أحمد بن عطية بن علي الغامدي. سنة النشر: ١٤١٤هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: جمع المصنف في كتابه هذا جميع مسائل العقيدة، مظهرًا في حديثه أصالة مذهب السلف، وأنه مذهب مقتصد أي وسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فأوضح الحق بأدلته من الكتاب والسنة وأقوال السلف الذين هم أعدل الناس في باب الاعتقاد.

٥٤- إثبات صفة العلو

للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

دار النشر: الدار السلفية - الكويت. تاريخ الوفاة: ٦٢٠هـ.

المحقق: بدر بن عبد الله البدر. سنة النشر: ١٤٠٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يسرد المؤلف في هذا الكتاب الآيات والأحاديث والآثار التى تثبت أن الله تعالى له العلو المطلق، وأنه سبحانه استوى على العرش، والنفوس مفطورة على ذلك، وأن جميع الأمم التي تؤمن بالله قد أجمعت على هذه العقيدة.

٥٥- النصيحة في صفات الرب جل وعلا

أحمد بن إبراهيم الواسطي

دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت. تاريخ الوفاة: ٧١١هـ.

رقم الطبعة: الأولى. سنة النشر: ١٣٩٤هـ.

محتويات الكتاب: كتب المؤلف هذه الرسالة المختصرة نصيحة لبعض فقهاء الأشعرية الشافعيين الذين يؤولون صفات الله ﷻ، وقد قال في المقدمة: «لا يشبهه شيء من مخلوقاته، ولا تمثل بشيء من جوارح مبتدعاته؛ بل هي صفات لائقة بجلاله وعظمته، لا تتخيل كيفيتها الظنون، ولا تراها في الدنيا العيون؛ بل نؤمن بحقائقها وثبوتها، ونصف الرب ﷻ بها، وننفي عنها تأويل المتأولين، وتعطيل الجاحدين، وتمثيل المشبهين، تبارك الله أحسن الخالقين».

٥٦ـ كتاب الأسماء والصفات

لشيخ الإسلام ابن تيمية

دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت. **تاريخ الوفاة:** ٧٢٨هـ.

المحقق: مصطفى عبد القادر عطا. **سنة النشر:** ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: أصل هذا الكتاب يقع في المجلدين الخامس والسادس من مجموع الفتاوى، وقد فصل فيه المصنف كل ما يتعلق بعقيدة السلف في مسائل الأسماء والصفات والأفعال بالبراهين النقلية والعقلية، مع الرد على جميع الفرق المخالفة لأهل السنة من المعتزلة والجهمية والحرورية والفلاسفة والمناطقة وغيرهم. وقد استنبط المؤلف قواعد جليلة نافعة لضبط قضايا هذا الباب.

٥٧ـ القاعدة المراكشية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: دار طيبة – الرياض. **تاريخ الوفاة:** ٧٢٨هـ.

المحقق: د. ناصر بن سعد الرشيد، ورضا بن نعسان معطي. **سنة النشر:** ١٤٠١هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: رد المصنف في هذه الرسالة على سؤال حاصله: هل يجب على المسلم إثبات العلو لله تعالى أم لا؟ فأجاب جوابًا مجملًا بوجوب الإقرار بكل ما ورد في الكتاب والسنة بفهم السلف، ثم فصل الكلام في وجوه إثبات علو الله تعالى على الحقيقة، وبطلان مذهب النفاة، مع نقل عبارات جمع من الأئمة في ذلك.

٥٨ـ الإيمان
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: المكتب الإسلامي. **تاريخ الوفاة**: ٧٢٨هـ.

رقم الطبعة: الثالثة. **سنة النشر**: ١٣٩٩هـ.

محتويات الكتاب: يشتمل المجلد السابع من مجموع الفتاوى على كتابي «الإيمان» و«الإيمان الأوسط». وفي هذا المجلد ذكر شيخ الإسلام مذهب أهل السنة في المسائل المتعلقة بموضوع الإيمان، بحيث أن من يقرأ هذا المجلد لا يفوته شئ يذكر في موضوع الإيمان والمسائل الأصولية المتفرعة عنه. فقد تناول تعريف الإيمان وبيّن غلط المخالفين فيه، وزيادة الإيمان ونقصانه، ودرجاته ومراتبه، والعلاقة بين الإسلام والإيمان، ونفي الإيمان والاستثناء فيه، إلى غير ذلك من الموضوعات. كما تعرض تفصيلًا لمذاهب الفرق المخالفة من المعتزلة، والخوارج، والمرجئة بفرقهم الكثيرة كالأشاعرة والأحناف والجهمية وغيرهم، وذكر أقوال هذه المذاهب في قضية الإيمان.

٥٩ـ منهاج السنة النبوية
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة. **تاريخ الوفاة**: ٧٢٨هـ.

المحقق: د. محمد رشاد سالم. **سنة النشر**: ١٤٠٩هـ.

رقم الطبعة: الثانية.

محتويات الكتاب: كتب المصنف هذا الكتاب في نقض كلام الشيعة القدرية، ردًّا على كتاب «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» لبعض شيوخ مذهب الرافضة الإمامية. وقد استفاض المؤلف في نقد الفرق الإسلامية على اختلاف مناهجهم وآرائهم، وتعرض لكثير من مسائل العقيدة؛ مثل: الصفات، والقدر، والإيمان، وأساليب الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلالات العقلية؛ وغير ذلك.

٦٠ـ درء تعارض العقل والنقل
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. **تاريخ الوفاة:** ٧٢٨هـ.

المحقق: د.محمد رشاد سالم. **سنة النشر:** ١٣٩٩هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يرد المؤلف في هذا الكتاب على من ادعوا أن الأدلة السمعية ظنية الدلالة أو الثبوت في العقيدة، وأنه يمكن ردها أو تأويلها إذا تعارضت مع العقل، وشدد في الرد على الرازي الذي قال بالمعارض العقلي، ثم تطرق إلى الكلام على أدلة القرآن والسنة العقلية، وأنها أقوى في الدلالة من أدلة الفلاسفة والمتكلمين الوعرة، واستطرد في الحديث عن الفرق ومسائل عديدة في العقيدة. وقد جُمع الكتاب في أحد عشر مجلدًا.

٦١ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: رمادي للنشر، توزيع دار ابن حزم **تاريخ الوفاة:** ٧٢٨هـ.

المحقق: محمد بن عبد الله بن عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري. **سنة النشر:** ١٤١٧هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب ثلاثة موضوعات أساسية: الأول: سب الله تعالى وسب النبي ﷺ وأزواجه وأصحابه، وحكم الساب من مسلم وكافر، والثاني: موضوع شروط عقد الذمة ونواقضه وحكم الذمي إذا سبَّ، والثالث: موضوع ضوابط التكفير.

٦٢- العبودية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: دار الأصالة. **تاريخ الوفاة**: ٧٢٨هـ.

المحقق: علي حسن عبد الحميد. **سنة النشر**: ١٤١٩هـ.

رقم الطبعة: الثالثة.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب موضوع العبودية ظاهرًا وباطنًا، وحقيقتها من حيث البراءة من الشرك، وتجريد العبادة لله محبة له وخضوعًا وامتثالاً لأوامره، وبيان أن هذا هو التوحيد الذي أمر الله به عباده.

٦٣- شرح العقيدة الأصفهانية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: دار الكتب الإسلامية - القاهرة. **تاريخ الوفاة**: ٧٢٨هـ.

المحقق: حسنين محمد مخلوف. **سنة النشر**: ١٣٨٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يعد الكتاب شرحًا لمتن العقيدة الأصفهانية التي صنفها شمس الدين محمد بن عباد، وقد صُنف المتن على طريقة المتكلمين. ومن مباحثه: الصفات، والإيمان، والمعاد والحساب، والنبوات، والقدر. وقد شرح شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المتن شرحًا وافيًا وضح فيه عقيدة أهل السنة والجماعة، ورد على من خالفها من المتكلمين وبخاصة الأشاعرة.

٦٤- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: المطبعة السلفية. **تاريخ الوفاة**: ٧٢٨هـ.

المحقق: قصي محب الدين الخطيب. **سنة النشر**: ١٤٠٠هـ.

رقم الطبعة: الثانية.

محتويات الكتاب: تتناول الرسالة معنى الوسيلة في الكتاب والسنة، ومعنى التوسل في عرف الصحابة، وأنواع شفاعة النبي ﷺ، ثم صور من شرك القبوريين، وحكم اتخاذ القبور مساجد، وأنواع زيارة القبور، وأنواع التوسل.

٦٥- كتاب النبوات
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: مكتبة السنة المحمدية. **تاريخ الوفاة**: ٧٢٨هـ.

المحقق: محمد حامد الفقي. **سنة النشر**: ١٣٤٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتحدث المؤلف في هذا الكتاب عن المعجزة والكرامة والطرق التي يثبت بها صدق النبي، كما تطرق إلى موضوعات مختلفة في العقيدة. وأهم ما نبه عليه في هذا الكتاب هو أن الرسول ﷺ قد جمع فيما جاء به من ربه بين الأدلة العقلية البرهانية وبين الأدلة النقلية السمعية، وقد حقق الكتاب مؤخرًا تحقيقًا علميًا.

٦٦- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة. **تاريخ الوفاة**: ٧٢٨هـ.

المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. **سنة النشر**: ١٤١٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب أوصاف كل من أولياء الله وأولياء الشيطان، ومراتبهم، مع بيان شروط الولاية الحقة، وبطلان ولاية دعاة الصوفية من أهل الحلول والاتحاد، والفرق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية.

٦٧- اقتضاء الصراط المستقيم
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٧٢٨هـ.

المحقق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل. **سنة النشر**: ١٤١١هـ.

رقم الطبعة: الثانية.

محتويات الكتاب: طبع الكتاب في مجلدين، وهو يتضمن أوجه مخالفة المؤمنين لأهل الكتاب والكفار، مع وضع قواعد في المخالفة، والحب والبغض على مقتضى الإسلام، وبيان الفرق بين التشبه بالكفار والتشبه بالأعراب والأعاجم.

٦٨- كتاب الصفدية
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: مكتبة ابن تيمية — القاهرة. **تاريخ الوفاة**: ٧٢٨هـ.

المحقق: د. محمد رشاد سالم. **سنة النشر**: ١٤٠٦هـ.

رقم الطبعة: الثانية.

محتويات الكتاب: صنف المؤلف هذا الكتاب في مناقشة الفلاسفة والرد عليهم، وإبطال مذاهبهم في النبوات والمعاد ونحو ذلك.

٦٩- التسعينية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض. **تاريخ الوفاة:** ٧٢٨هـ.

المحقق: د. محمد إبراهيم العجلان. **سنة النشر:** ١٤٢٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: هذا الكتاب له أهمية خاصة حيث ضمنه شيخ الإسلام الرد على الأشاعرة والكلابية القائلين ببدعة الكلام النفسي، ومن سلك سبيلهم، وكان قد ألفه رحمه الله في محبسه بمصر، وطلبوا منه أن يكتب برجوعه عن مذهبه فرد عليهم بهذه الرسالة العظيمة، وقد طبع الكتاب في ثلاثة مجلدات.

٧٠- الأربعين في صفات رب العالمين

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله

دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. **تاريخ الوفاة:** ٧٤٨هـ.

المحقق: عبد القادر بن محمد عطا صوفي. **سنة النشر:** ١٤١٣هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: سرد المصنف في هذه الرسالة أربعين حديثًا في صفات الله عز وجل، ثم أورد بعض ما نقل عن السلف من القول فيها.

٧١ـ كتاب العرش

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله

دار النشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٧٤٨هـ.

المحقق: محمد بن خليفة التميمي. **سنة النشر**: ١٤٢٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب مسألة إثبات علو الله وارتفاعه فوق عرشه، والاستدلال على ذلك بنصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف، مع إيراد مقالة التعطيل التي ظهرت في أواخر عصر التابعين، ولكن دون التعمق في عرض أقوالهم والرد عليها وإنما الاكتفاء ببيان الحق بأدلته في كل مسألة.

٧٢ـ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (أو) القصيدة النونية

للإمام ابن القيم رحمه الله

دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة. **تاريخ الوفاة** : ٧٥١هـ.

المحقق: د. محمد خليل هراس كما قام بشرحها. **سنة النشر**: ١٤٠٧هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: وهي قصيدة طويلة لابن القيم رحمه الله، وتقع في مجلدين، اشتملت على العديد من قضايا الاعتقاد في نظم سهل يسير، وقد عالج فيها العديد من موضوعات العقيدة كالأسماء والصفات ومذهب السلف فيها، مع ذكر الفرق المخالفة في هذا الباب، والرد عليهم، وتزييف آرائهم بأوضح حجة وأقوى برهان.

٧٣- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية للإمام ابن القيم رحمه الله

دار النشر: دار الرشد - الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٧٥١هـ.

المحقق: عواد المعتق. **سنة النشر**: ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب أساسًا إثبات صفة استواء الله تعالى على عرشه، وعرض شبهات المعطلة الذين يتأولون هذه الصفة، والرد عليهم من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

٧٤- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن القيم رحمه الله

دار النشر: المطبعة الحسينية المصرية. **تاريخ الوفاة**: ٧٥١هـ.

المحقق: السيد محمد بدر الدين أبو فراس. **سنة النشر**: ١٣٢٣هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب ركن الإيمان بالقضاء والقدر، ومراتب القدر، وأوقاته، ووجوب الإيمان به، وحكمة الله فيه، وأفعال العباد بين الكسب والجبر.

٧٥- النهاية (الفتن والملاحم) للإمام ابن كثير رحمه الله

دار النشر: دار الإفتاء- الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٧٧٤هـ.

قام بنشرها: إسماعيل الأنصاري. **سنة النشر**: ١٣٨٨هـ.

محتويات الكتاب: جمع المصنف في هذه الرسالة ما ورد عن أخبار الساعة، وما يتقدمها من فتن وآيات وأشراط، وقد استدل على ذلك بالآيات والأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين.

٧٦- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها

ابن رجب الحنبلي رحمه الله

دار النشر: دار ابن رجب. **تاريخ الوفاة**: ٧٩٥هـ.

المحقق: أبو إسحق السمنودي. **سنة النشر**: ١٤٢١هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: تتناول هذه الرسالة الصغيرة الأحاديث الواردة فيمن أتى بكلمة التوحيد ودخوله الجنة وتحريمه على النار، وأقوال العلماء في المراد من هذه الأحاديث، مع شرح لمعنى الشهادتين، وذكر فضائل هذه الكلمة في الدنيا والآخرة.

٧٧- إيثار الحق على الخلق

للعلامة ابن الوزير اليماني رحمه الله

دار النشر: الدار اليمنية للنشر. **تاريخ الوفاة**: ٨٤٠هـ.

المحقق: أحمد مصطفى حسين صالح. **سنة النشر**: ١٤٠٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتألف الكتاب من قسمين: الأول يشتمل على خمسة أبواب هي: إثبات العلوم - إثبات الطرق الموصلة إلى الله - مناهج الرسل والسلف في معرفة الله - إثبات التوحيد والنبوات - الاحتراز من البدع، أما القسم الثاني فيتناول معرفة الله تعالى وحكمته ومشيئته ومحبته، مع بعض المسائل الأخرى كالولاء والبراء والتكفير، والقول في أطفال المشركين.

٧٨- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم
للعلامة ابن الوزير اليماني رحمه الله

دار النشر: الدار اليمنية للنشر. **تاريخ الوفاة**: ٨٤٠ هـ.

المحقق: شعيب الأرناؤوط. **سنة النشر**: ١٤١٢هـ.

رقم الطبعة: الثانية.

محتويات الكتاب: يقع الكتاب في تسعة مجلدات، وقد تعرض فيه مؤلفه إلى كثير من مباحث العقيدة والحديث والأصول، بطريقة جمع فيها بين الرواية والدراية، وأحاط بمذاهب المتقدمين والمتأخرين.

٧٩- لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية
شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية
محمد بن أحمد السفاريني رحمه الله

دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض. **تاريخ الوفاة**: ١١٨٨هـ.

المحقق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري. **سنة النشر**: ١٤١٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يقع الكتاب في مجلدين، وهو شرح لقصيدة أبي بكر بن أبي داود في العقيدة، وتضمنت أمهات المسائل في العقيدة، وخاصة تلك التي جرى فيها الخلاف بين أهل السنة والمبتدعة. وانتهج المؤلف شرح كلمات القصيدة لغة واصطلاحًا ثم التوسع في المعنى الذي سيق من أجله كل بيت وصلته بمسائل العقيدة، مع الاستدلال بالكتاب والسنة والآثار.

٨٠- أصول الإيمان

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

دار النشر: دار حراء - القاهرة. **تاريخ الوفاة**: ١٢٠٦هـ.

سنة النشر: ١٤٠٧هـ.

محتويات الكتاب: رسالة مختصرة اشتملت على جملة من الآيات والأحاديث رتبها المؤلف ضمن أبواب مختصرة مثل: معرفة الله ﷻ، والإيمان بالقدر، وذكر الملائكة، وحقوق النبي ﷺ، والحث على لزوم السنة، والحث على طلب العلم.

٨١- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد

للإمام الشوكاني رحمه الله (١)

دار النشر: عطية محمد علي الكتبي. **تاريخ الوفاة**: ١٢٥٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى. **سنة النشر**: ١٣٥٠هـ.

محتويات الكتاب: جاء الكتاب جوابًا لسؤال سائل عن التوسل والاستغاثة بالأموات وسائر شركيات القبور، فأجاب المصنف جوابًا شافيًا، وردَّ الشبهات بتفصيل، مبينًا ألوان الشرك العملي والاعتقادي، مع الدعوة إلى توحيد الله ﷻ، وعدم الاكتفاء بمجرد النطق بكلمة التوحيد دون العمل.

---

(١) رجع الشوكاني رحمه الله في مصنفاته الأخيرة عن مذهب المتكلمين في إثبات مسائل العقيدة والصفات، واتبع منهج أهل السنة والجماعة في الجملة.

٨٢- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات

للإمام الشوكاني رحمه الله

دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت. **تاريخ الوفاة**: ١٢٥٠هـ.

المحقق: جماعة من العلماء. **سنة النشر**: ١٤٠٤هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول المصنف في هذه الرسالة المختصرة ثلاثة مقاصد اجتمعت عليها شتى الشرائع، وهي: إثبات التوحيد، وإثبات المعاد، وإثبات النبوات، وفيها التبشير بنبوة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل.

٨٣- التحف في مذهب السلف

للإمام الشوكاني رحمه الله

دار النشر: شركة السلام العالمية. **تاريخ الوفاة**: ١٢٥٠هـ.

المحقق: عبد الله حجاج. **سنة النشر**: ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: جمع المصنف في هذه الرسالة أقوال فقهاء الدين وعلماء المحدثين في آيات الصفات، وأوضح أن مذهبهم هو إيراد الصفات على ظاهرها دون تحريف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، وذلك دون تكييف ولا تكلف، كما ذكر المؤلف تجربته في علم الكلام وتوبته من ذلك.

٨٤ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد
للعلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله

دار النشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة. **تاريخ الوفاة**: ١٢٨٥هـ.

المحقق: أشرف عبد المقصود. **سنة النشر**: ١٤١٨هـ.

رقم الطبعة: الثانية.

محتويات الكتاب: يعد هذا الكتاب هو الحلقة الثانية في سلسلة الشروح التي قام بها أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على كتاب جدهم في التوحيد، حيث يعد كتاب «تيسير العزيز الحميد» لسليمان بن عبد الله آل الشيخ أصل هذه الشروح، وبمثابة الحلقة الأولى في هذه السلسلة، إلا أن مصنفه أكثر فيه من الإطناب والتكرار وتوفي قبل أن ينتهي منه، فجاء كتاب «فتح المجيد» لتهذيبه وتقريبه وتكميله وإضافة الكثير من الأقوال المستحسنة لأئمة أهل السنة تميمًا لفائدة كتاب التوحيد.

٨٥ـ قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر
للعلامة محمد صديق خان القنوجي رحمه الله

دار النشر: دار الكتب السلفية. **تاريخ الوفاة**: ١٣٠٧هـ.

المحقق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي. **سنة النشر**: ١٤٠٤ هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب أسماء الله تعالى وصفاته، والإيمان بالملائكة، واليوم الآخر، والقدر، كما يتناول بعض المسائل كالنذر والتوسل وكرامات الأولياء، ويعرض بعض عقائد أهل السنة كعقيدتهم في الصحابة والمسح على الخفين، وهجر أهل البدع.

٨٦ـ دلائل التوحيد

للعلامة محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله

دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية. تاريخ الوفاة: ١٣٣٢هـ.

المحقق: محمد حجازي. سنة النشر: ١٤٠٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: أقام المصنف كتابه على البراهين الدالة على وجود الله تعالى وربوبيته، والرد على الملحدين الماديين وإبطال شبهاتهم، ثم بيان آيات نبوة محمد ﷺ وبراهينها.

٨٧ـ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان

للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

دار النشر: مطابع الإشعاع - الرياض. تاريخ الوفاة: ١٣٧٦هـ.

سنة النشر: ١٤٠٥هـ.

محتويات الكتاب: ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول: الأول عن حد الإيمان وتفسيره، وزيادته ونقصانه، والثاني في ذكر الأمور التي يُستمد منها الإيمان، وبيانها بالإجمال والتفصيل، والثالث في فوائد الإيمان وثمراته في الدنيا والآخرة.

٨٨ـ الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل مشكلة القدرية

العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض. تاريخ الوفاة: ١٣٧٦هـ.

سنة النشر: ١٤٠٦هـ.

محتويات الكتاب: تُعد هذه الرسالة شرحًا للمنظومة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية، التي حقق فيها مسألة القضاء والقدر؛ ردًّا على أبيات نظمها أحد الدعاة إلى مذهب الجبرية، يثير فيها الشبهات على عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر، مشككًا في هذا الأصل من أصول الدين.

٨٩- توضيح الكافية الشافية

للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

دار النشر: مكتبة ابن الجوزي. **تاريخ الوفاة**: ١٣٧٦هـ.

سنة النشر: ١٤٠٧هـ.

محتويات الكتاب: هذا الكتاب شرح لنظم القصيدة النونية لابن القيم، وقد تفرد بكونه تحويلاً للنظم الشعري إلى معناه المنثور فحسب، من غير زيادة على ما دل عليه، وذلك باستخدام أسهل العبارات وأوضحها، مع البراهين النقلية والعقلية والرد على أصناف المبتدعين.

٩٠- معارج القبول شرح سلم الوصول

إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول

للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله

دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز. **تاريخ الوفاة**: ١٣٧٧هـ.

رقم الطبعة: الأولى. **سنة النشر**: ١٤١٧هـ.

محتويات الكتاب: يعد هذا الكتاب من أجمع كتب العقائد للمتأخرين، وقد تناول فيه المصنف موضوع التوحيد بنوعيه في المعرفة والإثبات وفي الطلب والقصد، كما اشتمل على شرح درجات الدين الثلاثة: الإسلام (وأركانه الخمسة) والإيمان (وأركانه الستة) والإحسان، وعرض لفصول في معرفة النبي ﷺ، وتوقير الصحابة رضي الله عنهم، والتمسك بالكتاب والسنة والتحاكم إليهما.

٩١- حاشية كتاب التوحيد

للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله

تاريخ الوفاة: ١٣٩٢هـ. **سنة النشر:** ١٤٠٨هـ.

محتويات الكتاب: يعد هذا الكتاب شرحًا موجزًا محكمًا لمتن كتاب التوحيد الذي صنفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وقد انتخب صاحب هذه الحاشية جملة من نقول شراح كتاب التوحيد، وأضاف عليها لتسهل دراستها على الطالب[١].

٩٢- حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية

للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله

تاريخ الوفاة: ١٣٩٢هـ. **سنة النشر:** ١٤١٦هـ.

محتويات الكتاب: يعد هذا الكتاب شرحًا موجزًا للأبيات التي نظمها الشيخ محمد ابن أحمد السفاريني رحمه الله في مسائل العقيدة، والمعروفة باسم «الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية»، وقد تضمنت هذه الحاشية تعليقات مختصرة على كل بيت من قصيدة الناظم لشرح معناها بإجمال[٢].

٩٣- الأسماء والصفات عقلاً ونقلاً

للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله

دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة. **تاريخ الوفاة:** ١٣٩٣هـ.

المحقق: حسن السماحي سويدان. **سنة النشر:** ١٤١١هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

---

(١) راجع النبذة المذكورة عن كتاب التوحيد في القسم الأول.

(٢) راجع النبذة المذكورة عن كتاب الدرة المضية في القسم الأول.

محتويات الكتاب: ساق المؤلف الأسس التي يقوم عليها بحث الصفات، مع عرض أقسام الصفات من صفات المعاني، والأفعال، والصفات السلبية والمعنوية، ثم تعرض لقضية التأويل ومعانيه عند الأصوليين، وما يجب على المسلم أن يعتقده في باب الصفات.

وقد طبع الكتاب مرارًا بعنوان: «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات».

٩٤- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين

للعلامة صالح بن إبراهيم البليهي رحمه الله

دار النشر: دار المسلم – الرياض. **تاريخ الوفاة**: ١٤١٠هـ.

رقم الطبعة: الرابعة. **سنة النشر**: ١٤١٦هـ.

محتويات الكتاب: يقع هذا الكتاب في مجلدين، وقد اهتم فيه المصنف بأمرين عظيمين، أولهما: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، مع سوق الأدلة النقلية والعقلية على صحتها، والثاني: الرد على الملحدين والمبتدعين في مسائل العقيدة بالبرهان والدليل. وقد امتاز الكتاب بسهولة الأسلوب، ووضوح العبارة، واستخدام أسلوب الإقناع بحيث يفقه قوله كل قارئ.

٩٥- مذكرة التوحيد

عبد الرزاق عفيفي رحمه الله

دار النشر: دار الوطن. **تاريخ الوفاة**: ١٤١٩هـ.

رقم الطبعة: الأولى **سنة النشر**: ١٤١٣ هـ

محتويات الكتاب: وهي مجموعة من الرسائل تتناول الأدلة على إثبات وجود الله، وأنواع التوحيد، وأقسام الوحي، والفرق بين النبي والرسول، وأنواع المعجزات، وأخيرًا الطريقة المثلى للدعوة إلى الله.

٩٦- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد

للعلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت. **تاريخ الوفاة**: ١٤٢٠هـ.

سنة النشر: ١٤٠٣هـ.

محتويات الكتاب: يعرض الكتاب للأحاديث الواردة في النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، ومعناه، وحكمه، وحكمته، وحكم الصلاة في هذه المساجد، مع بيان الحكم الاستثنائي للمسجد النبوي، والإجابة عن الشبهات في هذا الموضوع.

٩٧- التوسل أنواعه وأحكامه

للعلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت. **تاريخ الوفاة**: ١٤٢٠هـ.

رقم الطبعة: الثانية. **سنة النشر**: ١٤٠٦هـ.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب معنى التوسل لغة وشرعًا، وكيفية التعرف على صحة الوسائل ومشروعيتها، مع بيان أنواع التوسل المشروع والممنوع، وعرض الشبهات المتعلقة بهذا الموضوع والجواب عليها.

٩٨- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى

للعلامة محمد بن صالح بن عثيمين

دار النشر: مكتبة السنة – القاهرة. **تاريخ الوفاة**: ١٤٢١هـ.

المحقق: أشرف عبد المقصود. **سنة النشر**: ١٤١١هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب قواعد في أسماء الله تعالى وصفاته وأدلتها، مع الجواب على شبهات الفرق المخالفة خاصة الأشاعرة والرد على من اغتر بهم، وحكم أهل التأويل.

٩٩- المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية للعلامة محمد بن صالح بن العثيمين

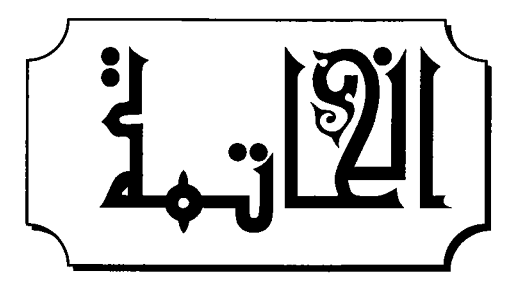
دار النشر: مكتبة طبرية - الرياض. **تاريخ الوفاة**: ١٤٢١هـ.

المحقق: أشرف عبد المقصود. **سنة النشر**: ١٤١٢ هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: اشتمل الكتاب على مقدمة التحقيق وترجمة لمؤلف العقيدة الواسطية شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأخرى للشارح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، ثم مقدمة للشارح شرح فيها مقدمة ابن تيمية وتحدث عن أصول الإيمان الستة وموقف أهل السنة والجماعة من الإيمان بصفات الله، ثم شرع المؤلف رحمة الله في شرح فصول ومباحث كتاب الواسطية فبدأ بفصل آيات الصفات، ثم أحاديث الصفات، ثم ما يدخل في الإيمان بالله وكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر، ثم بيان بعض أصول أهل السنة والجماعة كقولهم إن الإيمان قول وعمل، وسلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، ثم بيان بعض صفات أهل السنة والجماعة ولم سموا بهذا الاسم، ثم بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة، وأخيرًا خاتمة الكتاب والفهارس العامة له.




الخاتمة



خـاتمة

أحمد الله تعالى على انتهائي كما حمدته في ابتدائي، وأصلي وأسلم على البشير الهادي، وعلى آله وأصحابه وأتباعه من كل حاضر وباد، وبعد:

فقد اجتمع في رحلة هذا البحث جملة من النتائج المهمة يمكن تحديدها في النقاط التالية:

١- أطلق السلف لفظة "السنة" على أصول الدين وفرائض الإسلام وأمور الاعتقاد، والأحكام القطعية في الدين، وكثير من المتأخرين خصها بما يتعلق بالاعتقاد، والسبب في ذلك أن السنة من مصادر التلقي للعقيدة الصحيحة.

٢- قد تطلق السنة باصطلاح أعم يشمل كل ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والعمل، والهدي الظاهر والباطن في أصول الدين وفروعه.

٣- الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، وهذه الجماعة يجب لزومها، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها جار أو عدل.

٤- أهل السنة والجماعة هم: المستمسكون بسنة رسول الله ﷺ الذين اجتمعوا على ذلك، وهم الصحابة والتابعون، وأئمة الهدى المتبعون لهم، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين.

٥- سمّي أهل السنة والجماعة بذلك لأنهم يتبعون سنة النبي ﷺ، ويعتبرون الكتاب والسنة والإجماع مصادر معصومة من الضلال، فبها يأخذون وعليها يعتمدون، وهم مجتمعون مع أئمتهم يجاهدون معهم ويقومون بواجب الأمر والنهي، ويحرصون على الاتباع والاجتماع، ينهون عن الفرقة والابتداع.

٦- تستند مشروعية تسمية أهل السنة والجماعة إلى دلالة الكتاب، وصريح السنة، وآثار

الصحابة والسلف. ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم وتسميتهم قديمة كذلك تبدأ ببداية الإسلام، لأن أهل السنة على الحقيقة هم أهل الإسلام، المتبعون لسيد الأنام ﷺ.

٧- الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، مصطلحات شرعية مترادفة في معناها، وعند إطلاقها يدخل بعضها في بعض.

٨- السلف في اصطلاح علماء العقيدة هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وتابعوهم، وأئمة الإسلام العدول ممن اتفقت الأمة على إمامتهم وفضلهم.

٩- كل من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، مقبلًا على الالتزام بالإسلام جملةً، وعلى التحكيم لشريعته مطلقًا، وبرئ من تبني مذهب بدعي، أو الانتساب إلى فرقة ضالة، فهو من أهل السنة، وهذا يشمل عوام المسلمين المتبعين لأهل العلم.

١٠- كمال الانتساب إلى أهل السنة والجماعة يكون بتحقيق المنهجية التي تعني العودة بأصول الفهم والتلقي إلى الكتاب والسنة، مع تعظيم قدر السلف، واعتماد مرجعيتهم، وضبط وإحكام القواعد والأصول في العقيدة، والعلم والاتباع، والعبادة والتربية، والأمر والنهي، والبصيرة بالواقع.

١١- علم التوحيد هو العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة المرضيّة، وردّ الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية، وهو يبحث في ذات الله وما يجب له وما يجوز وما يمتنع، وهو يقوم على دعامتين هما التصديق بجملة من العقائد المتعلقة بالله تعالى وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر، والقدرة التامة على إثبات تلك العقائد الصحيحة بإيراد الحجج عليها ودفع الشُبه عنها.

١٢- من الأسماء المعتبرة لعلم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: العقيدة، والإيمان، والسنة، وأصول الدين، والشريعة، والفقه الأكبر.

١٣- علم الكلام هو أشهر الأسماء التي تطلقها الفرق على علم التوحيد، واختلف في سبب هذه التسمية على أقوال متعددة، ويرى أهل السنة أنها تسمية مبتدعة، وإن استعملها بعضهم فهذا فيه نوع مسامحة، وهو خلاف الصحيح والمعتمد عندهم.

١٤- الفلسفة إعمال للعقل في الإلهيات وسائر الغيبيات بلا أي منطلقات سابقة من دين أو وحي، ولذلك فقد ضل من سمي بفلاسفة المسلمين فأنكروا البعث والمعاد، وقالوا بقدم العالم، وجاءوا بالكفريات، ولذلك تعد تسمية علم التوحيد بالفلسفة تسمية للإيمان بضده.

١٥- موضوع علم التوحيد هو الإلهيات أو البحث في ذات الله من حيث ما يتصف به، وما يتنزه عنه، وحقه على عباده، والنبوات أو البحث في ذوات الأنبياء من حيث ما يلزمهم وما يجوز في حقهم وما يستحيل، وما يجب لهم على أتباعهم، وقضايا الغيب واليوم الآخر من حيث اعتقادها والتصديق بها، وبيان نواقض التوحيد وقوادحه.

١٦- تعلم علم التوحيد منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، ففرض العين منه هو ما تصح به عقيدة المسلم، وأما فرض الكفاية فما زاد على ذلك من التفصيل والتدليل والتعليل، وتحصيل القدرة على رد الشبهات، وإلزام المعاندين وإفحام المخالفين.

١٧- يشترط للتكليف بالتوحيد: العقل ويقصد به الوصف الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان، والبلوغ ويقصد به انتهاء حد الصغر، وسلامة إحدى حاستي السمع أو البصر، وبلوغ الدعوة وقيام الحجة؛ فلا حساب ولا عذاب إلا بعد قيام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب وبلوغ العلم.

١٨- الناس بحسب بلوغ الدعوة وقيام الحجة ينقسمون إلى: أهل القبلة وهم الذين بلغتهم الدعوة فآمنوا وشهدوا بالتوحيد وماتوا على ذلك، وأهل الفترة وهم كل

من لم تبلغه دعوة الرسل، ولم تقم عليه الحجة، أو عاشوا بين موت رسول وبعثة رسول آخر، ولم تبلغهم دعوة الأول، والكفار وهم كل من سمع بدين الإسلام ونبيهﷺ فلم يؤمنوا.

١٩- علم التوحيد قد حاز الشرف الكامل دون سائر العلوم؛ لأنه متعلق بأشرف ذات وأكمل موصوف وهو الله عز وجل، ولأن معلومه هو مراد الله الشرعي الدال عليه وحيه وكلامه، ولأن الحاجة إليه عظيمة، فقد طلبه الله وأمر به كل مكلف وأثنى على أهله على لسان جميع الرسل، فسعادة البشرية في الدنيا والآخرة متوقفة عليه.

٢٠- يستمد علم التوحيد من الكتاب والسنة، وإنما يتم ذلك بمعرفة مناهج الاستنباط وطرائق الاستدلال واستخراج الأحكام عند أهل السنة والجماعة، وأما أنواع أدلته المرضية فهي: صحائح المنقول، والاجماع المتلقى بالقبول، والعقل السليم، والفطرة السوية.

٢١- علم التوحيد فن مستقل بذاته قائم بنفسه، له أصوله ومصادره، ومناهجه ومسائله، ولا يغني عنه غيره، وهو كالأساس لعلوم الإسلام الأخرى.

٢٢- مر علم التوحيد في وضعه وتدوينه بطورين: طور الرواية في عهد الرعيل الأول من الصحابة إذ كانوا يتلقون الوحيين عن الرسولﷺ، ثم طور التدوين الذي بدأ في حياة التابعين بكتابة السنة، ثم جاء دور التصنيف في زمن تابع التابعين فكان كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة هو أول مدوّن في العقيدة، ثم تتابع التأليف بعد أبي حنيفة.

٢٣- ثمرة علم التوحيد في الدنيا هي السعادة والحياة الطيبة المطمئنة، والعيش في عزة وشرف وكرامة، وزيادة القوة العلمية والعملية للمؤمن الموحد، أما في الآخرة فامتناع الخلود في النار لمن ظلم نفسه، ودخول الجنة ابتداء للمقتصد، والفوز بالدرجات العلى لمن سبق بالخيرات.

٢٤- من ثمرات علم التوحيد: حفظ هذا العلم بحفظ قواعده وأصوله ومسائله، وفي هذا

حفظ للدين نفسه، وتحصيل القدرة على إرشاد المسترشدين، وهداية المنحرفين، والوقوف أمام التيارات الإلحادية والأهواء البدعية.

٢٥- مسائل علم التوحيد هي معرفة أحكام القضايا الاعتقادية المتعلقة بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر والغيبيات، من حيث الوجوب والجواز والاستحالة، وما توقفت عليه تلك الأحكام لاستفادتها على منهج أهل السنة والجماعة.

٢٦- من خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة: التوقيفية؛ وتعني الاعتماد على الكتاب والسنة في تلقي العقيدة بفهم الصحابة، والتسليم لله ولرسوله ﷺ من غير تعرض لنصوص الوحيين بتحريف، أو تأويل، أو تعطيل، أو تكييف، أو تمثيل، واعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد، وسد باب الابتداع والإحداث في الدين.

٢٧- من خصائص العقيدة: الغيبية، وتعني قيام العقيدة على التسليم بوجود الغيب، كما تعني الإيمان بكل ما ورد في النصوص الشرعية من أمور الغيب، وعدم رد شيء منها أو تأويلها.

٢٨- من خصائص العقيدة: الوسطية، وتعني التوازن بين الأمور المتقابلة والتوسط بين الأطراف المتباعدة على ما تقتضيه النصوص الشرعية، وتقرر عن أهل السنة.

٢٩- من خصائص العقيدة: العقلانية، وتعني موافقة العقل، وإعلاء منزلته ومكانته، وتوفر طاقته وتصرفها فيما يفيد.

٣٠- الفطرية من أظهر خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة، فقد جاءت سهلة واضحة، لا عسر فيها ولا تعقيد، بعيدة عن الغلو والتشدد في أمر الدين أصولاً وفروعًا، وعن التكلف في طلب علم ما حجب علمه.

٣١- الشمولية من خصائص العقيدة عند أهل السنة لشمولها للتصور الكامل للقضايا

الكبرى التي ضل في تصورها كثير من الناس، وشمولها لحياة المسلم من جهاتها المختلفة، فهي شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان وقواعده وما يتفرع عنه، وشاملة في نظرتها للوجود كله.

٣٢- من أهم القواعد والضوابط المنهجية في تقرير مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: الإيمان والتسليم والتعظيم لنصوص الوحيين، وجمع النصوص في الباب الواحد ورد المتشابه إلى المحكم، والصدور في كل ما يلزم اعتقاده عن الوحي الصادق الكتاب والسنة وما يرجع إليهما من إجماع صحيح أو عقل صريح، مع اعتماد فهم السلف الصالح لنصوص الوحي حجة وأمارة على الفهم الصحيح، مع إجراء نصوص الوحي على ظاهرها المتبادر من كلام المتكلم طالما لم تحتف بالنص قرينة تصرفه عن دلالته الظاهرة، ودفع التأويل الفاسد المتعسف، ودرء التعارض بين العقل والنقل؛ لأن مسائل الشريعة ليس فيها ما يرده العقل، فإن وجد ما يوهم التعارض فإما أن يكون النقل غير صحيح، أو صحيحًا ليس فيه دلالة صحيحة على المدَّعى، وإما أن يكون العقل فاسدًا بفساد مقدماته، و اعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول ﷺ، والكف عما لم يرد في الشرع، والسكوت عما سكت عنه الله ورسوله وأمسك عنه السلف، وترك الخوض فيما لا علم للإنسان به من دليل أو أثر.

٣٣- تميز منهج أهل السنة في تدوين العقيدة بإثبات المسائل بأدلتها من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وذلك في مقابل منهج الفرق المبتدعة في اتباع قواعد الجدل والمنطق لإثبات مسائل الاعتقاد.

وقد عرض البحث لنماذج من كتب أهل السنة في الاعتقاد على مر العصور، مع دراسة لبعض هذه المصنفات وبيان لأهم خصائصها ومناهجها.


الفهرس



فهرس الكتاب

صدر عن دار اليسر

١- طريق الهداية (مجلد)

(مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة).

د/محمد يسري إبراهيم

٢- المبتدعة (مجلد)

وموقف أهل السنة والجماعة منهم.

د/محمد يسري إبراهيم

٣- الجامع في شرح الأربعين النووية. (مجلدان)

د/محمد يسري إبراهيم

٤- الجناية العمد للطبيب (مجلد)

على الأعضاء البشرية في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير.

د/محمد يسري إبراهيم

٥- النسخ في القرآن الكريم. (مجلدان)

أ.د/ مصطفى زيد، عناية وتعليق، د/ محمد يسري

٦- المصلحة في التشريع الإسلامي. (مجلد)

أ.د/ مصطفى زيد، عناية وتعليق، د/ محمد يسري

٧- أوضح العبارات (مجلد)

في شرح المحلي مع الورقات في أصول الفقه.

د/محمد يسري إبراهيم

٨- فتح الباري (مجلد)

على مختصر البخاري حاشية على التجريد الصريح للزبيدي.

د/محمد يسري إبراهيم

٩- مبادئ علم أصول الدعوة (غــلاف)

«دراسة تأصيلية». د/محمد يسري إبراهيم

١٠- معالم في أصول الدعوة. (غــلاف)

د/محمد يسري إبراهيم

١١- الإحكام في قواعد الحكم على الأنام. (غــلاف)

د/محمد يسري إبراهيم

١٢- التطاول الغربي على الثوابت الإسلامية. (غــلاف)

د/محمد يسري إبراهيم

١٣- متن درة البيان في أصول الإيمان. (غــلاف)

د/محمد يسري إبراهيم

١٤- رد التطاول (غــلاف)

على الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.
أ.د/ عبد الستار فتح الله سعيد

١٥- فتاوى كبار علماء الأزهر (غــلاف)

حول الأضرحة والقبور والموالد والنذور.
مجموعة من العلماء

١٦- الفتوى المعاصرة ما لها وما عليها. (غــلاف)

د/محمد يسري إبراهيم

١٧- بيان للناس (غــلاف)

من الأزهر الشريف حول بعض الفرق المنحرفة.
د/ محمد يسري إبراهيم

١٨- **البدعة** أسبابها ومضارها. (غـــلاف)

الشيخ/ محمود شلتوت، عناية وتعليق، د/محمد يسري

١٩- **أثر أختلاف المفسرين** (غـــلاف)

في القواعد الأصولية اللغوية في تفسير آيات الأحكام.

د/محمد عبد السلام أبو خزيم

٢٠- **موقف بنت الشاطئ** (غـــلاف)

من اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر.

د/محمد عبد السلام أبو خزيم

٢١- **الأحكام الشرعية** (غـــلاف)

في زكاة الأموال العصرية.

د/عبد الناصر بن خضر ميلاد

٢٢- **المصارحة** في أحكام المصافحة (غـــلاف)

د/عبد الناصر بن خضر ميلاد

٢٣- **المصارف الإسلامية** (غـــلاف)

والخلاص من الشوائب الربوية.

د/عبد الناصر بن خضر ميلاد

٢٤- **فيض الفتاح** في موانع النكاح (غـــلاف)

د/عبد الناصر بن خضر ميلاد

٢٥- **فتاوى كبار علماء الأزهر** (غـــلاف)

في الشيعة وفرقها.

د/ محمد يسري إبراهيم

٢٦- **فتاوى كبار علماء الأزهر** (غـــلاف)

في القاديانية والبهائية.

د/ محمد يسري إبراهيم